

روث أوزيكي

مكتبة

حكاية للطائر الزماني

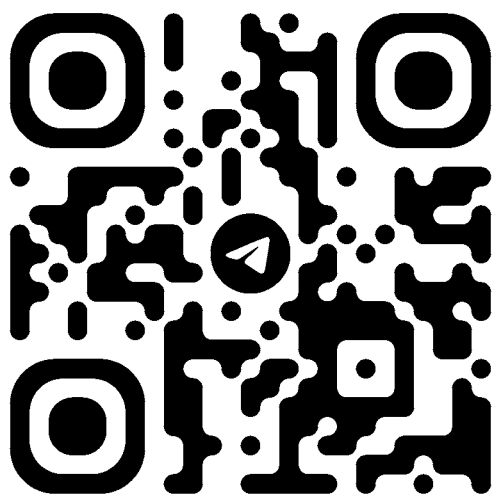
ترجمة: بثينة الإبراهيم



وما أعمارنا وزماننا سوى .. حكايات

فلنحسن القصص

كل عام وأنت بخير



سجل في مكتبة

اضغط الصفحة

SCAN QR

حكاية للكائن الزمني

A Tale for the Time Being

حكاية للكائن الزمني
A Tale for the Time Being

روث أوزيكي
Ruth Ozeki

ترجمة: بثينة الإبراهيم
دار كلمات للنشر والتوزيع
البريد الإلكتروني:

Dar_Kalemat@hotmail.com

الموقع الإلكتروني:

www. kalemat.com

المملكة العربية السعودية

Copyright © Ruth Ozeki Lounsbury, 2013

ردمك: 978-9921-768-61-9

مكتبة

t.me/soramnqraa

حكاية للكائن الزمني

A Tale for the Time Being

روث أوزيكي

Ruth Ozeki

ترجمة:

بشينة الإبراهيم

2025

مكتبة

t.me/soramnqraa

//kalemat

إلى ماساكو،
الآن وإلى الأبد

الجزء الأول

قال بوذي قديم ذات مرة:

لأجل الكائن الزمني، واقفًا على أعلى قمة جبلية

لأجل الكائن الزمني، متتقلًا في أعماق أغوار المحيط

لأجل الكائن الزمني، شيطانًا بثلاثة رؤوس وثمانية أذرع

لأجل الكائن الزمني، جسد بوذا الذهبي ذي الأقدام الست عشرة

لأجل الكائن الزمني، منسأة ناسك أو مضرب ذباب لمعلم⁽¹⁾

لأجل الكائن الزمني، عمود أو قنديلاً

لأجل الكائن الزمني، أي دك أو جين⁽²⁾

لأجل الكائن الزمني، الأرض كلها والسماء اللامحدودة.

دوغن زنغي، «لأجل الكائن الزمني»⁽³⁾

مكتبة

t.me/soramnqraa

(1) هوسو باليابانية، مضرب مصنوع من ذيل الحصان، يحمله كاهن زن بوذي.
(الكاتبة)

(2) تشوسان ريشي باليابانية، حرفيًا الابن الثالث لزانغ والرابع للي، تعبير يعني «أي شخص عادي»، فترجمتها إلى «أي دك أو جين»، لكن يمكن أن تكون أيضًا «أي توم، دك، أو هاري». (الكاتبة)

(3) إيهي دوجن زنغي باليابانية (1200-1253) معلم زن ياباني ومؤلف (خزانة عين الدارما الحقيقية). «لأجل الكائن الزمني» (أوجي) هو الفصل الحادي عشر.
(الكاتبة)

آن

-1-

مرحباً!

اسمي آن، وأنا كائن زمني. أتعرف ما الكائن الزمني؟ حسن، سأشرح لك إذا منحتني من وقتك.

الكائن الزمني شخص يعيش في الزمن، وهذا يعني أنت وأنا وكل أحد منا عاش، ويعيش أو سيعيش. أما أنا، فأجلس الآن في مقهى فرنسي بخدمة منزلية⁽¹⁾ في مدينة أكيبا الكهربائية، أستمع إلى أغنية حزينة تُعزف أحياناً في ماضيك، وهو حاضري أيضاً، أكتب هذا وأتساءل عنك في مكان ما في مستقبلي. وإن كنت تقرأ هذا، فلعلك الآن تتساءل عني.

مكتبة

t.me/soramnqraa

تتساءل عني.

أتساءل عنك. من أنت وماذا تفعل؟

هل أنت في مقصورة قطار أنفاق في نيويورك تتمسك بالحزام السقفي، أو تجلس في حوض استحمامك الساخن في سنيشيل؟ هل تتشمس على شاطئ رملي في فوكت، أو تدرّم أظفار قدميك في برايتن؟

هل أنت ذكر أم أنثى أو شيء بين منزلتين؟

هل تعد لك خليلتك عشاء شهياً، أم تأكل نودلز صينية باردة من علبة؟

(1) مقهى تلبس فيه النادل ثياب العاملات المنزليات، ويعاملن رواد المقهى معاملة أرباب البيوت. (الترجمة)

هل أنت ملتف تدير ظهرك ببرود لزوجتك التي تشخر، أم
تنتظرين بفارغ الصبر أن ينهي حبيبك اغتساله لتمارسي معه حباً
متقد الشهوة؟

هل لديك قطعة وتجلس في حرك؟ هل لجبينها رائحة أشجار
الأرز والهواء النقي العذب؟

الحقيقة، هذا ليس مهماً جداً، لأنك حين تقرأ هذا، سيتغير
كل شيء، ولن تكون في مكان بعينه، تقلّب بكسل صفحات هذا
الكتاب، مذكرات آخر أيامي على الأرض، وتتساءل إن كان عليك
مواصلة القراءة.

إذا قررت التوقف عن القراءة فلا بأس، لأنك لست من أنتظره
على أي حال. أما إن قررت أن تواصل القراءة، فاعلم أنك أنت
الكائن الزمني الذي أبحث عنه ومعاً سنصنع السحراً!

-2-

أخ. هذا غياب. علي أن أكتب أفضل. أراهن أنك تقول أي فتاة
غبية تكتب كلمات كهذه.
حسناً، أنا أفعل.
آن تفعل.

آن هو اسمي، آنزو ياسوتاني، اسمي الكامل، وفي وسعك أن
تتاديني آن لأن الجميع يفعلون ذلك. ويجدر بي أن أخبرك قليلاً
بعداً عن نفسي ما دامت لقاءاتنا ستستمر هكذا...! (٤٤)

في الحقيقة، لم يتغير الكثير. ما زلت أجلس في المقهى
الفرنسي ذي الخدمة المنزلية في مدينة أكيبا الكهربائية، وإديت
بيلاف تغني أغنية حزينة أخرى، وجلبت بابت لتوها لي قهوة

رشفتم منها رشفة. بابت هي خادمتي وصديقتي الجديدة أيضًا، وقهوتي بلو ماونتن وأشربها سوداء، وهذا ليس بالمألوف لمراهقة في عمري، لكنها قطعًا الطريقة التي يجب أن تُشرب بها القهوة الفاخرة إذا كنت تكن احترامًا للحبوب المرة. رفعت جوربي ومططته إلى ما فوق ركبتني. عدلت ثنيات تنورتني لتصطف مرتبة أعلى فخذي.

ودفعت شعري الذي يبلغ طوله حد الكتف خلف أذني اليمنى، المثقوبة خمسة ثقوب، لكنني الآن أتركه ينسدل بخجل على وجهي ثانية، بسبب حملقة الموظف الأوتاكو⁽¹⁾ الجالس إلى الطاولة المجاورة لي، وهذا يبعث فيّ الخوف رغم أنني أجده مسليًا أيضًا. ألبس زي المدرسة الإعدادية وأستطيع القول من نظراته إلى جسمي إن عنده اشتهاً كبيراً لطالبات المدرسة، وإن كان هذا صحيحًا، فكيف يزجي وقته في مقهى فرنسي ذي خدمة منزلية؟ أعني، يا له من أحمق!

ولكن لا يمكنك الجزم أبدًا. كل شيء يتغير، وأي شيء ممكن، فلربما أغير رأيي فيه أيضًا. ربما في الدقائق القليلة القادمة، سيميل نحوي في حرج ويقول لي شيئًا يفاجئني جماله، وسيغمرنني الولع به رغم شعره المدهن وبشرته المتعبة، بل إنني سأتنازل للحديث معه قليلًا، وسيدعوني في نهاية المطاف للذهاب للتسوق، وإذا استطاع إقناعي أنه مجنون بگرامي، فسأذهب معه إلى متجر التجزئة وأدعه يشتري لي كنزة ظريفة ذات أزرار أو

(1) الأوتاكو: المعجب الهوس أو الأرعن، الخبير بالكومبيوتر والمولع به. (الكاتبة).

كيتاي⁽¹⁾ أو حقيبة، وإن لم يبدُ أنه من الأثرياء. ثم قد نذهب إلى حانة ونشرب بعض الكوكتيل، ونهرع إلى فندق للعشاق فيه حوض جاكوزي كبير، وبعد أن نستحم، وحين أبدأ بالارتياح إليه، يظهر طبعه الخفي الحقيقي فجأة، فيريطني ويضع رأسي في كيس التسوق البلاستيكي لكنزتي الجديدة ويغتصمني، وبعد ساعات ستجدي الشرطة جثة هامة عارية مثنية في طيات غريبة على الأرض، بجانب السرير المدور الكبير المخطط كحمار الوحش. أو ربما سيطلب مني أن أخنقه بسروالي الداخلي وهو ينتشي بتشقه رائحته الجميلة.

أو قد لا يحدث شيء من هذا إلا في ذهني وذهنك، لأننا، كما قلت لك، معًا سنصنع السحر، في الوقت الحاضر على الأقل.

-3-

أما زلت هنا؟ أعدت قراءة ما كتبتَه عن الموظف الأوتاكو، وأريد الاعتذار. كان هذا فاحشًا. لم تكن هذه بداية جيدة. لا أريد أن أخلف في نفسك انطباعًا سيئًا. أنا لست فتاة غبية. أعرف أن اسم إديت بيلاف ليس بيلاف. وأنا لست فتاة بذيئة ولا هيناتي⁽²⁾ أيضًا. بل إنني حقيقة لست معجبة بالهيناتي، وإن كنت واحدًا منهم، فاترك هذا الكتاب في الحال من فضلك ولا تواصل القراءة، طيب؟ سيخيب أملك وستُضيع وقتك، لأن هذا الكتاب لن يكون يوميات سرية لفتاة غريبة الأطوار، مفعمة بالرغبات الشاذة والشهوات الفاحشة. إنه ليس ما تتصوره، ففرضي من كتابته قبل

(1) هانف نقال (الكاتبة).

(2) فاسدة أو منرفة جنسيًا (الكاتبة).

موتي هو إخبار أحدهم بقصة الحياة المذهلة لجدتي الكبرى راهبة الزن البوذية، التي تبلغ من العمر مئة وأربع سنوات. لعلك لا ترى في الراهبات ما يثير الدهشة هكذا، أما جدتي الكبرى فمدهشة، ولكنها ليست غريبة. أنا واثقة من وجود راهبات كثيرات غريبات الأطوار... حسنًا، ربما ليس الكثير منهن، بل الكهنة هم غريبو الأطوار، قطعًا، وهؤلاء تجدهم في كل مكان... لكن يومياتي لن تشغل نفسها بهم أو بسلوكهم المخيف. ستقص هذه اليوميات الحكاية الحقيقية لجدتي الكبرى ياسوتاني جيكو. كانت راهبة وروائية وامرأة جديدة⁽¹⁾ في حقبة تايشو⁽²⁾. كما كانت فوضوية ونسوية لها عشاق كثيرون، ذكورًا وإناثًا، لكنها لم تكن يومًا بغريبة الأطوار ولا بالفاسدة. ورغم أنني قد ينتهي بي الأمر إلى ذكر بعض من علاقاتها الغرامية، فإن كل ما أكتبه سيكون صحيحًا من الجانب التاريخي ومحرمًا للنساء، وليس الكثير من الكلام الفارغ الأحرق عن الغيشا. فإذا كانت متعتك الأشياء الغريبة البذيئة، أغلق هذا الكتاب من فضلك وأعطه لزوجتك أو زميلتك في العمل ووفر على نفسك كثيرًا من الوقت والجهد.

(1) مصطلح يستخدم في اليابان في بدايات القرن العشرين لوصف النساء المتعلقات التقدميات اللاتي رفضن التقسيم الجندي التقليدي للأدوار. (الكاتبة)

(2) 1912-1926، سميت باسم الإمبراطور تايشو، كما تسمى ديمقراطية تايشو، وهي حقبة قصيرة من التحرر الاجتماعي والسياسي، انتهى بسيطرة النظام العسكري اليميني الذي أدى إلى الحرب العالمية الثانية. (الكاتبة)

أرى أن تحديد الأهداف بوضوح في الحياة أمر مهم، ألا تظن ذلك؟ وبخاصة إذا لم يبقَ لك وقت طويل في الحياة. فالوقت سينفذ إذا لم تكن واضح الأهداف، وعندما يحين يومك، ستجد نفسك واقفاً على حاجز بناية شاهقة، أو جالساً على فراشك وفي يدك زجاجة من الأقراص الدوائية، تقول اللعنة! لقد أخفقت. ليتني وضعت أهدافاً أوضح لحياتي!

أقول لك هذا لأنني لن أبقى زمناً طويلاً، وقد تعرف هذا سلفاً فلا تضع الافتراضات. الافتراضات كريهة. إنها مثل الآمال. تقتل الافتراضات والآمال أي علاقة، لذا دعنا لا نتعلق بها، طيب؟ الحقيقة أنه قريباً جداً سأخرج في الوقت، أو ربما لا يجدر بي قول أتخرج لأن هذا يبدو كأنني حققت أهدافي حقاً وأستحق الماضي قدماً، غير أن الحقيقة أنني أكملت السادسة عشرة من عمري ولم أحقق شيئاً قط. صفر. لا شيء. هل أبدو مثيرة للشفقة؟ لا أقصد ذلك. أريد فقط أن أكون دقيقة. ربما بدلاً من أتخرج، عليّ القول إنني سأنسحب من الوقت. أنسحب. ينقضي الوقت. أخرج من حياتي. أنا أحصي الدقائق.

واحدة...

اثنان...

ثلاث...

أربع...

هي، أعرف!

لنحصى الدقائق سوياً⁽¹⁾

(1) لمزيد من الأفكار حول دقائق الزمن، راجع الملحق أ. (الكاتبة)

لفت نظر روث التماعه صغيرة، ومضة صغيرة من ضوء شمس منكسر ينعطف خارجاً من تحت تشابك هائل لطحالب الكلب اليابسة، كؤمها البحر على الرمل في وقت المد. ظننتها التماعه سمكة هلامية تحتضر وكادت تتخطاها. تكتسح الشيطان الأسماك الهلامية هذه الأيام، من النوع الأحمر الشائك الفظيع الذي يشبه الجروح على امتداد الشاطئ.

لكن شيئاً أوقفها، فمالت ونكرت كومة الكلب بطرف حذاءها الرياضي ثم وكزته بعصا. وحين فككت الشرائط الشبيهة بالسياط، أزاحت منها ما يكفي لترى أن ما تالأ تحتها لم يكن سمكة هلامية ميتة، بل شيء بلاستيكي، كيس. لا يثير عجبها هذا، فالمحيط مليء بالبلاستيك. حفرت أكثر، حتى تمكنت من رفع الكيس من زاويته. كان أثقل مما ظنت، كيس تجميد بلاستيكي مشوه الشكل، يغطيه البرنقيل⁽¹⁾ ويمتد على سطحه كالطفح الجلدي. وخطر لها أن وقتاً طويلاً مر على بقاءه في المحيط. داخل الكيس، رأت لمحة من شيء أحمر، قمامة أحد ما، من غير ريب، رميت من سفينة أو تركت بعد نزهة أو حفلة صاخبة. كان البحر يكوّم الأشياء دوماً ثم يلفظها: صنارات صيد، عوامات، علب بييرة، دمي بلاستيكية، فوط نسائية، أحذية رياضية

(1) محار يعيش في المياه المالحة يلتصق بالأشياء تحت الماء. يكثر على أرصفة السفن والموانئ. (المترجمة)

من طراز نايكى. قبل بضع سنوات لفظ البحر أقدامًا مبتورة، يجدها الناس في أقصى جزيرة ثانكوثر وأدناها، مجروفة إلى الرمل. وجدت واحدة على هذا الشاطئ عينه، ولم يستطع أحد تفسير ما حدث لبقية الأجساد. لم ترد روث أن تفكر فيما يتعفن في الكيس، فألقته أبعد على الشاطئ. ستهي مشيها ثم تأخذه في طريق عودتها، تأخذه إلى البيت، وترميه.

-2-

نادى زوجها من المدخل «ما هذا؟»

كانت روث تعد العشاء، تقطع الجزر ومستغرقة في التفكير.

كرر أولثر عندما لم تجبه «هذا».

رفعت رأسها. كان واقفًا بباب المطبخ، يدلي من أصابعه كيس تجميد كبير مشوّه الشكل، تركته خارجًا في الرواق، عازمة على رميه في سلة النفايات، لكنها نسيت.

قالت «أوه، دعه عنك. إنها قمامة. شيء وجدته على الشاطئ.

لا تدخله إلى البيت من فضلك». لماذا عليها أن توضح؟

قال «لكن فيه شيئًا. ألا تريدان أن تعرفي ما بداخله؟»

«لا. العشاء يكاد أن يجهز».

فأدخله على أي حال ووضعها على طاولة المطبخ، ناثراً الرمل. لم يستطع تجنب ذلك. كان طبعه الرغبة في المعرفة، أن يفكّك الأشياء ويعيد تركيبها أحيانًا. كانت مجمدتهما مليئة بالأغطية البلاستيكية التي تضم جثثًا لعصافير وزبّابات وغيرها من الحيوانات الصغيرة التي جلبها قطهما، بانتظار تشريحها أو تحنيطها.

قال وهو يفتح الكيس الأول بحذر ويضعه جانباً «إنه ليس كيساً واحداً، بل أكياساً داخل أكياس».

قفز القط، وقد جذبته الأمر، على طاولة المطبخ لتقديم المساعدة. لم يكن مسموحاً له بالجلوس على الطاولة. للقط اسم، شروودنغر، لكنهما لا يدعوانه به أبداً. فأولفر يناديه پست [الهامة] ويُحرفه كثيراً إلى پستو. كان دوماً يرتكب أفعالاً شريرة، إذ ينزع أحشاء السناجب وسط المطبخ، تاركاً أعضاء صغيرة لامعة، وكلى وأمعاء دقيقة خارج باب غرفة نومهما تطؤها روث بقدميها الحافيتين في طريقها إلى الحمام ليلاً. كان أولفر والقط متلازمين، يصعد أولفر إلى الطابق العلوي، فيصعد القط إلى الطابق العلوي. ينزل أولفر إلى الطابق السفلي ليأكل، فينزل القط إلى الطابق السفلي ليأكل. وحين يخرج أولفر ليتبول، يخرج القط ليتبول. راقبت روث الاثنين وهما يتفحصان محتويات الأكياس البلاستيكية. فأجفلت، مترقبة زهومة البقايا المتعفنة من طعام نزهة أحدهم، والأسوأ، أنها ستفسد رائحة وجبتهما. حساء عدس. سيتناولان حساء العدس والسلطة على العشاء، وقد أضافت إكليل الجبل. «أظن أن في وسعك تفحص قمامتك في الرواق؟»

قال «أنت من جلبه. لا أظنها قمامة على أي حال. فهي ملفوفة لفاً أنيقاً». وواصل فتحه الجنائي.

تتشقت روث، ولم تشم إلا الرمل والملح والبحر.

فجأة أخذ يضحك، وقال «انظروا يا پستو! هذا لك! إنها حقيبة طعام عليها صورة هلو كتي!»

قالت روث، وهي تشعر باليأس «أرجوك!»

«وفي داخلها شيء...»

«أنا جادة! لا أريدك أن تفتحها هنا. خذها خارجاً...»

لكن الأوان فات.

-3-

سوَّى الأكياس، ووضعها واحداً فوق الآخر في ترتيب تنازلي بحسب الحجم، ثم صنف المحتويات في ثلاث مجموعات مرتبة: كومة صغيرة من الرسائل المكتوبة بخط اليد، وكتاب مجلد ثخين له غلاف أحمر باهت، وساعة يد متينة عتيقة لها وجه أسود بلا لمعة ومزولة مضيئة. إلى جانب هذه وضع حقيبة طعام هلو كتي التي حفظت المحتويات من عوامل التآكل التي تسببها مياه البحر. تشمم القط حقيبة الطعام، فحملته روث وأنزلته على الأرض، ثم أعارت انتباهها للأشياء على الطاولة.

كانت الرسائل مكتوبة باليابانية. وغلاف الكتاب الأحمر مطبوع عليه بالفرنسية. وعلى ظهر الساعة علامات محفورة يصعب فك مغالقها، فأخرج أولثر هاتفه الآيفون، واستخدم تطبيق المجهر ليفحص المحفور عليها وقال «أظنها يابانية أيضاً».

قلّبت روث الرسائل، محاولة معرفة الحروف المكتوبة بحبر أزرق باهت. «الخط قديم ومتصل. جميل، لكني لا أستطيع قراءة كلمة منه». أنزلت الرسائل وأخذت منه الساعة. قالت «نعم. إنها أرقام يابانية، وليس تاريخاً. يون. نانا. سان. هاتشي. نانا. أربعة، سبعة، ثلاثة، ثمانية، سبعة. ربما كان رقمًا تسلسلياً؟»

قربت الساعة من أذنها واستمعت إلى تكاتها، لكنها معطلة. أنزلتها وأخذت حقيبة الطعام الحمراء الفاقعة. اللون الأحمر الذي ظهر من الكيس البلاستيكي المشوه هو ما جعلها تظن كيس التجميد سمكة هلامية شائكة. منذ متى وهو يطفو في المحيط قبل أن ينجرف؟ لحقيبة الطعام طوق مطاطي حول الإطار. أخذت الكتاب، الذي فوجئت بأنه جاف، وغلافه القماشي ناعم ومهترئ، وزواياه مثنية من فرط الاستعمال. وقربت طرفه من أنفها وتتشقت الرائحة النتنة للصفحات المتعفنة والغبار. فنظرت إلى العنوان.

قرأت «البحث عن الزمن المفقود». تأليف مارسيل بروست».

-4-

كانا هاويين للكتب، كل الكتب، والقديم منها خاصة، ويفيض بيتهما بها. فالكتب في كل مكان، مصفوفة على الرفوف، ومكدسة على الأرض وعلى الكراسي وعلى مواطئ الدرج، ولكن هذا لم يقلق روث ولا أولفر. روث روائية، ولا بد للروائيين، أن يملكوا الكتب والقطط كما أكد أولفر. والحقيقة، إن شراء الكتب كان عزاءها بعد انتقالهما إلى جزيرة وسط خليج العزلة [ديسوليشن ساوند]، فالمكتبة العامة غرفة رطبة صغيرة تقع أعلى مقر البلدية، ويجتاحها الأطفال. إلى جانب القسم المترامي الأطراف، لكتب اليافيين المطوية الزوايا وبعض كتب الكبار الرائجة، اشتملت مجموعة المكتبة على كتب في البستنة والتعليب والأمن الغذائي والطاقة البديلة والطب البديل والتعليم البديل. افتقدت

روث إلى وفرة مكتبات المدن وتنوعها، رحابها الهائلة، ولدى انتقالها وأولقر إلى الجزيرة الصغيرة، اتفقا على أن تتمكن من طلب أي كتاب تريد، وهذا ما فعلته. سمّت ذلك بحثًا، رغم أنه قرأ معظمها في نهاية المطاف، ولم تقرأ منها إلا القليل. لقد أحببت وجودها حولها، غير أنها أخذت تلاحظ في الآونة الأخيرة أن هواء البحر الرطب قَبَّب صفحات الكتب وأن السمكة الفضية اتخذت من كموبها مسكنًا. وكلما فتحت أغلفتها فاحت منها رائحة العفن، وهذا ما أحزنها.

«البحث عن الزمن المفقود»، قالت مترجمة العنوان المذهب الباهت، المنقوش على الكعب القماشي الأحمر. «لم أقرأها قط». قال أولقر «ولا أنا. ولا أظنني سأجرب قراءتها بالفرنسية أيضًا».

قالت توافقه «اممم»، لكنها عندئذ فتحت الغلاف، يعترها فضول لتري إن استطاعت فهم السطور القلائل الأولى. ظنت أنها ستجد صفحات ملطخة من تقادم الزمن، مطبوعة بخط عتيق، لذا لم تكن مهياة إطلاقًا لخط اليد اليافع البنفسجي الذي انتشر في الصفحة. بدا انتهاكًا، وفاجأها ذلك كثيرًا حتى كادت تسقط الكتاب.

-5-

الكتابة المطبوعة متوقعة ومجردة، تتقل المعلومات في اتفاق حيادي مع عين القارئ. وبعكسها خط اليد، إذ يعاند العين، ويكشف معناه بأناة، وهو حميمي كالجلد.

حملت روث إلى الصفحة. كانت جل الكلمات البنفسجية بالإنجليزية، إلى جانب بعض الحروف اليابانية المنثورة هنا وهناك، لكن عينها لم تر المعاني بقدر ما راودها شعور مبهم وعاطفي، بحضور الكاتب. الأصابع التي أمسكت بقلم الجل البنفسجي اللون هي أصابع فتاة مراهقة. استبقى خطُّها، هذه العلامات البنفسجية ذات العقد الموقَّعة على الصفحة، طباعُها وقلقُها، وأيقنت روث منذ وقع نظرها على الصفحة، أن أنامل الفتاة كانت زهرية ورطبة، وأنها قضمت أظافرها حتى الجذور. نظرت روث من كُتب إلى الحروف. كانت مدورة وملهوجة قليلاً (كما خُيِّل إليها أن الفتاة مدوّرة وملهوجة أيضاً)، لكنها تستقيم بصورة ما وتسير سريعة بلا خوف، ليست متعجلة، لكنها ليست متلكئة أيضاً. أحياناً في نهاية سطر، تتزاحم الكلمات مثل أناس يتدافعون لدخول مصعد أو عربة قطار أنفاق عند إغلاق الأبواب. استبد الفضول بروث. واضح أنها ضرب من اليوميات، فعاينت الغلاف ثانية. أيجدر بها قراءتها؟ بتأنٍ، قلبت الصفحة الأولى، وهي تشعر بشهوة غامضة، مثل مختلس للسمع أو مسترق للنظر. يقضي الروائيون وقتاً كثيراً في إقحام أنوفهم في شؤون الآخرين، ولم يكن هذا الإحساس بغريب عن روث.

قرأت: مرحباً! اسمي آن، وأنا كائن زمني. أتعرف ما الكائن الزمني؟...

-6-

قال أولفر «حطام عائم. لا أصدق». كان يتفحص البرنقيل الذي نما على وجه الكيس البلاستيكي الخارجي.

رفعت روث نظرها عن الصفحة، وقالت «إنه حطام عائم من غير شك. أو لعله نفايات بحرية». كان الكتاب دافئاً في يدها، وأرادت مواصلة القراءة لكنها سمعت نفسها تسأله، «ما الفرق بينهما على أي حال؟»

«الحطام العائم غير مقصود، أشياء يعثر عليها طافية في البحر. أما النفايات البحرية فترمى عمدًا. لذا فإنك محقة، قد يكون هذا نفايات بحرية». أعاد الكيس على الطاولة. «أظنها بدأت». «ما الذي بدأ؟»

«النقائل التي تفلتت من نطاق الدوامات في المحيط الهادي». كانت عيناه تلمعان وعرفت أنه متحمس، فوضعت الكتاب في حجرها. «وما الدوامات المحيطية؟»

-ثمة إحدى عشرة دوامة كوكبية كبيرة، تتدفق اثنتان منها نحونا مباشرة من اليابان وتتحرف قرب خط ساحل كولومبيا البريطانية. أما الأصغر، وهي الدوامة الألوتية فتتجه شمالاً نحو جزر ألوتيان، وتتجه الأكبر ناحية الجنوب. تدعى أحياناً دوامة السلحفاة، لأن سلاحف البحر تركبها أثناء هجرتها من اليابان إلى باجا».

رفع يديه ليصور دائرة كبيرة. واستشعر حماسه القط الذي غط في النوم على الطاولة، ففتح عيناً خضراء ليراقب.

قال أولقر «تخلي المحيط الهادي. تمضي دوامة السلحفاة باتجاه عقارب الساعة، والدوامة الألوتية بعكس اتجاه عقارب الساعة». تحركت يدها في الأقواس واللواكب الكبيرة لتدفق المحيط.

«أليس هذا مثل كوروشيو⁽¹⁾؟»

لقد أخبرها عن كوروشيو مسبقاً. يسمى أيضاً التيار الأسود، وهو يجلب الماء الاستوائي الدافئ من آسيا ويمضي به إلى الساحل الشمالي الغربي للمحيط الهادي.

ولكنه هز رأسه نفيًا، وقال «ليس تمامًا، فالدوامات المحيطية أكبر، كسلسلة من التيارات. تخيلي حلقة من الأفاعي، كل واحدة تعض ذيل التي تسبقها. الكوروشيو واحد من أربعة تيارات أو خمسة تشكل دوامة السلحفاة».

هزت رأسها. أغمضت عينيها وتخيلت الأفاعي.

وواصل كلامه: «كل نطاق دوامة له سرعته الخاصة، ويسمى طول النطاق وقعًا. أليس هذا جميلًا؟ كأنها موسيقى المدارات. تبلغ أطول فترة نطاقية ثلاث عشرة سنة، وهي تشكل وقعًا أساسيًا. أما دوامة السلحفاة فلها نصف وقع بست سنوات ونصف، والدوامات الألوتية، طولها ربع وقع أي ثلاث سنوات. ويسمى الحطام العائم الذي يركب الدوامات بالنقيلة. وتعد النقيلة التي تبقى في نطاق الدوامة جزءًا من ذاكرة الدوامة، ويحدد معدل التقلّص من الدوامة نصف حياة النقيلة...»

حمل حقيبة طعام هلو كتي وقلبها في يديه. «كل هذه الأشياء من بيوت الناس في اليابان التي جرفها تسونامي خارج البحر؟ كانوا يتتبعونها ويتوقعون انجرافها على الساحل. أرى أنها تحدث أسرع مما توقع أي أحد».

(1) تيار مائي محيطي حار يعد استمرارًا للتيار الاستوائي الشمالي في المحيط الهادي. (المترجمة)

لدي الكثير لأكتبه. من أين أبدأ؟

أرسلت هذا السؤال في رسالة نصية إلى صديقتي جيكو العجوز، فردت علي بهذا:

(1) 現在地で始まるべき

حسناً عزيزتي جيكو العجوز. سأبدأ من هنا في فيفيز لُقلي أپرون [مئزر فيفي الجميل]. وهو واحد من مقاهي الخدمة التي ظهرت في كل أنحاء مدينة أكيبا الكهربائية⁽²⁾ قبل بضع سنوات، ولكن ما يميز مقهى فيفي قليلاً هو تصميم الصالون الفرنسي. فداخله محلى باللونين الزهري والأحمر، ودرجات من الذهبي والأبنوسي والعاجي. الطاولات مستديرة ومريحة، أسطحها شبيهة بالرخام وقوائمها تبدو كالماهوغني المحفور، وللكراسي التي تلائمها مقاعد وردية منجدة وثيرة. وعلى ورق الجدران تلتف ورود مخملية حمراء، والنوافذ مغطاة بالساتان. السقف مذهب تعلقت به ثريات كريستال، وتطفو دمي كيوي عارية صغيرة كالغيوم في الزوايا. يوجد مدخل وغرفة للمعاطف ونافورة تخرخر وتمثال سيدة عارية يضيئه مصباح أحمر خافق.

(1) غنزاييتشي دي هاجيماروبكي: «عليك أن تبدئي من مكانك». غنزاييتشي تستخدم في الخرائط: أنت هنا. (الكاتبة).

(2) أكيبابارا (秋葉原): منطقة في طوكيو تشتهر بصناعة الإلكترونيات، وهي قلب الثقافة اليابانية لهواة المانغا. (الكاتبة)

لا أدري إذا ما كان هذا التصميم أصيلاً أم لا لأنني لم أزر فرنسا قط، لكنني سأذهب إلى ترجيح عدم وجود مقاهٍ للخدمة المنزلية كهذا في باريس. لا يهم. فالإحساس في مقهى فيفيز لقلي أپرون راقٍ وحميم جداً، كأن المرء محشور في دمية خانقة لعيد الحب، والخادمت بنهودهن المرفوعة وأزيائهن المكشكشة، كأنهن دمي عيد الحب صغيرة ظريفة أيضاً.

للأسف، فالمكان هنا فارغ الآن، إلا من الأوتاكو⁽¹⁾ عند طاولة الزاوية، وسائحين أمريكيين جاحظي الأعين. تقف الخادمت في صف واجم، ينتفن الدانتيل في تتانيرهن الداخلية بادٍ عليهن الضجر والخيبة منا، كأنهن ينتظرن شيئاً جديداً ووفود زبائن أفضل لبث الحياة في المكان. ساد شيء من الحماس قبل قليل عندما طلب أوتاكو طبق أومورايسو⁽²⁾ رسم عليه بالكتشب وجه كبير لهلو كتي. وجثت أمامه خادمة تشير بطاقة اسمها أنها ميمي لتطعمه، وهي تتفخ على كل لقمة قبل أن تلقمها فمه. استمتع الأمريكيان بهذا، وهذا مضحك. ليتك رأيته. لكنه فرغ من الأكل، وحملت ميمي طبقه المتسخ، وعاد الملل ثانية. يشرب الأمريكيان القهوة فقط، ويحاول الزوج أن يقنع زوجته لتسمح له بطلب طبق الأومورايسو بوجه هلو كتي أيضاً، لكنها شديدة

(1) أوتاكو (お宅): صيغة رسمية لقول «أنت». 宅 تاكو تعني بيت، ومع صيغة الاحترام أو 宅، فهي تعني حرفياً «بيتك المحترم»، ملمحة إلى أنك مكان أكثر من كونك شخصاً، ثابت في المكان ويظلك سقف. منطقي أن نمط الأوتاكو الحديث متحفظ انطوائي موسوس ومنعزل اجتماعياً لا يغادر بيته إلا نادراً. (الكاتبة)

(2) omuraisu (オム・ライス): طبق أومليت محشو بأرز بيلاف [ويعرف أيضاً باسم بلو وهو ما يعرف في السعودية بالأرز البخاري- المترجمة]، يزين بالكتشب والزبدة. (الكاتبة)

العصبية. سمعتها تهمس قائلة إن الأومورايسو غالٍ جدًا، وهي محقة. فأسعار الطعام هنا نهب، لكنني أحصل على قهوتي مجانًا لأن بابت صديقتي. سأعلمك إذا ما ارتخت الزوجة وغيّرت رأيها. لم يكن الأمر هكذا. في الماضي حين كانت مقاهي الخدمة نيكي#1⁽¹⁾، أخبرتني بابت أن الزبائن كانوا يصطفون وينتظرون ساعات ليحصلوا على طاولة، وكانت الخادومات أجمل بنات طوكيو، ويمكنك سماع ندائهن رغم ضجيج المدينة الكهربائية: أوكارينا سايمسي، دانا ساماما⁽²⁾ وهذا ما يُشعر الرجال بالثراء والأهمية. ولكن التقلية انتهت ولم تعد الخادومات بدعة، والزبائن الوحيدون سياح من الخارج والأوتاكو⁽³⁾ من الأرياف، أو هيناتي لديهم اشتهاً للخادومات انقضى زمنه. والخادومات أيضًا، لم يعدن بذوات قدر من الجمال أو الظرافة، ما دامت الواحدة منهن تجني مالًا أكثر إن كانت ممرضة في مقهى طبي أو ناعمة رقيقة في بدتاون⁽⁴⁾. الخادومات الفرنسيات رائجات بمعنى الكلمة من غير ريب، والجميع يعرف هذا، لذا لن يكثر أحد في أن يبذل قصارى جهده. يمكنك القول إنه جو محبط، لكنني شخصيًا أراه مهدئًا لأن أحدًا لا يبذل قصارى جهده تحديدًا. المحبط حقًا أن يبذل الجميع قصارى جهدهم، والأكثر إحباطًا من كل شيء أنهم يبذلون قصارى جهدهم ويظنون حقًا أنهم يحسنون صنعًا.

(1) نيكي نابا وان! الأكثر رواجًا، الأول في شعبيته. (الكاتبة)

(2) أهلاً بعودتك إلى البيت يا سيدي! (الكاتبة)

(3) ولأن لفظة الأوتاكو صيغة احترام لدى استخدامها بضمير المخاطب، فإنها تخلق نوعًا من التباعد الاجتماعي الرسمي بين المتكلم والمخاطب. هذا التباعد احترام عادة، لكنه قد يكون ساخرًا وتهكميًا أيضًا. (الكاتبة)

(4) لم أجد مرجعًا حول المقاهي الطبية أو بدتاون، أتخلق هذا؟ (الكاتبة)

أنا واثقة أن هذه حال المكان في الماضي، بكل صليل الأجراس والضحكات المبهجة، وصفوف الزبائن في الحي، والخادמות الصغيرات اللطيفات اللاتي يتوددن إلى مالكي المقاهي، الذين يتسكعون في المكان لابسين نظاراتهم الغالية وبناطيل ليثايز العتيقة مثل أمراء سمر أو أباطرة مغول في لعبة. ستظل تجارة هؤلاء الرجال رائجة أمداً بعيداً.

فأنا لا أمانع أبداً. بل إنني أحبه نوعاً ما لعلمي بأني أستطيع دوماً الحصول على طاولة هنا في فيفيز لقلي أهرن، والموسيقى لا بأس بها، وباتت الخادמות يعرفنني ويتركنني وشأني. ربما يجب أن يسمى فيفيز لونلي أهرن [مئزر فيفي الوحيد]. مهلاً، هذا جميل! لقد أعجبني!

-2-

تحب صديقتي جيكو العجوز أن أطلعها على تفاصيل كثيرة من الحياة العصرية. لم تعد تخرج كثيراً لأنها تعيش في معبد في الجبال وسط اللامكان وزهدت بالدنيا، كما أنها حقاً تبلغ مئة وأربع سنين. أظن أقول إن هذا عمرها، لكنني في الحقيقة أخمن فقط. لسنا نعرف على وجه اليقين كم تبلغ من العمر، وتزعم أنها لا تتذكر أيضاً. عندما تسألها تقول:

«زويبن ناغاكو إكاساريت إتاداي تي أورماسو ني»⁽¹⁾

(1) «كنت على قيد الحياة وقتاً طويلاً، أليس كذلك؟» يستحيل ترجمتها، لكن ظلال المعنى شيء من هذا القبيل: لقد أحييت بالظروف العميقة للكون التي أنا شاكرة لها بصدق وتواضع. تسميه بـ. أراي «زمن الشكر»، وتقول إن جمال هذا البناء النحوي يكمن في «عدم وجود إصبع تشير إلى المصدر». كما تقول «الإحساس بالغضب محال عند استخدام هذا الزمن». (الكاتبة)

وهذا ليس بجواب، لذا تسألها ثانية فتقول:

«سو ديسو ني⁽¹⁾. لم أحسب منذ وقت طويل...»

فتسألها عن عيد ميلادها، فتقول:

«هممم، لا أذكر حقاً أنني ولدت...»

وإن أغظتها قليلاً بعد وسألتها كم لها وهي على قيد الحياة،
تقول:

«لقد كنت هنا دائماً بقدر ما أتذكر».

طيب، طبعاً يا جدتي!

كل ما نعرفه يقيناً أنه لا أحد أكبر منها ليتذكر، وقد احترق

سجل العائلة في المجلس البلدي في قصف أثناء الحرب العالمية
الثانية، لذا علينا أن نأخذ بكلامها. استقرت قبل بضع سنوات على
مئة وأربع سنين، وهذا ما كانت عليه الحال منذئذ.

ومثلما أقول، تحب عجوزي جيكو التفاصيل، وتحب أن أخبرها
عن الأصوات الصغيرة والروائح والألوان والمصاييح والإعلانات
والناس وطرار الثياب وعناوين الصحف التي تشكل المحيط
الصاخب لطوكيو، ولهذا دريت نفسي على الملاحظة والتذكر.
أخبرها بكل شيء، عن الاتجاهات الثقافية والأشياء الجديدة التي
أقروها عن فتيات الثانوية اللاتي يتعرضن للاغتصاب والخنق
بأكياس بلاستيكية في فنادق العشاق. يمكنك إخبار جدتي
بأمور من هذا القبيل وهي لا تمانع. لا أعني أن هذا يسعدها،
فهي ليست منحرفة. لكنها تفهم أن هذا الهراء يحدث، فتكتفي

(1) هممم، نعم أظن ذلك... (الكاتبة)

بالجلوس هناك والاستماع وهز رأسها وإحصاء حبات الجوزو⁽¹⁾، وتردد الصلوات لفتيات الثانوية المسكينات والمنحرفين وكل الكائنات التي تعاني في العالم. إنها راهبة، فهذا عملها. أقسم إنني يتبادر إلى ذهني أحياناً أن سبب بقائها على قيد الحياة كل الأمور التي أحكيها لتصلي لها.

سألتها مرة لماذا تحب سماع قصص كهذه، وأوضحت لي أنها عند ترسيمها راهبة، خلقت شعرها وأقسمت بعض الأيمان أن تكون بوستاسو⁽²⁾. كان أحد أيمانها إنقاذ كل الكائنات، وهذا يعني طبعاً أنها وافقت على ألا تكون مستتيرة حتى تغدو كل الكائنات الأخرى في هذا العالم مستتيرة أولاً. هذا يشبه السماح للآخرين بركوب المصعد قبلك. حين تحسب كل الكائنات على هذه الأرض في أي وقت، وتضيف إليها الكائنات التي تولد كل ثانية والأخرى التي ماتت، وليس البشر فحسب، بل كل الحيوانات وأشكال الحياة الأخرى مثل الأميبا والفيروسات بل وربما النباتات أيضاً التي عاشت أو ستعيش، إضافة إلى الأنواع المنقرضة، فأنت ترى أن التتوير سيستغرق وقتاً طويلاً جداً. وماذا لو كان المصعد ممتلئاً وغلقت أبوابه وأنت لا تزال واقفاً خارجه؟

سألت جدتي عن هذا، ففكرت رأسها الحليق اللامع وقالت «سو ديسو ني. إنه مصعد كبير جداً...»

(1) juzu (数珠): مسبحة بوذية (الكاتبة)

(2) bosatsu (菩薩): بوديساتفا، المستتير، قديس بوذي. (الكاتبة) [«المستتير» في البوذية اللقب الذي يطلق على أي شخص يشعر برغبة كبيرة لتحقيق البوذية لصالح جميع الكائنات- المترجمة]

«ولكن يا جدتي، هذا سيستغرق أزلاً»

«طيب، علينا أن نحاول بجهد أكبر إذن».

«نحاول؟»

«طبعاً يا عزيزتي آن. يجب أن تساعدني».

قلت لجدتي «محال! انسي الأمر! فأنا لست पोस्ता لعينة...»

لكنها تلمظت بشفتيها ونقرت حبات الجوزو، ومن نظرتها إليّ من خلال النظارة ذات الإطار الأسود الثخين، أظنها تلت صلوات من أجلي أيضاً. لا أمانع هذا. فقد أشعرتني بالأمان، كأني أعلم أنه مهما حدث، فإن جدتي ستحرص على ركوبي المصعد.

أتعرف؟ في هذه الثانية، وأنا أكتب هذا، أدركت أمراً. لم أسألها قط أين يذهب ذاك المصعد. سأرسل لها رسالة نصية الآن وأسألها، وسأخبرك بما ستقول.

-3-

حسن، سأخبرك الآن عن الحياة الأسيرة لياسوتاني جيكو، الروائية اللاسلطوية النسوية التي تحولت إلى راهبة بوذية في حقبة تايشو، ولكن عليّ أولاً أن أوضح شيئاً حول الكتاب الذي تحمله⁽¹⁾. لعلك لاحظت أنه لا يشبه دفتر يوميات عادي رقيق لتلميذة على غلافه الزهري اللامع حيوانات طرية، وله قفل على هيئة قلب، ومفتاح ذهبي صغير. وعندما حملته أول مرة، وغالب الظن أنك لم تقبل في نفسك أوه، ها هو دفتر يوميات أنيق جميل كتبته تلميذة يابانية مثيرة للاهتمام. يا للروعة، أظن أنني سأقرأ

(1) مجلد ثخين مضغوط، ربما يكون قياسه 186*123 ملم، أي ما يعادل 5*7 1/2 إنشاً. (الكاتبة)

هذا! لأنك عندما حملته، ظننته تحفة فلسفية تدعى البحث عن الزمن المفقود لكاتب فرنسي مشهور اسمه مارسيل بروسست، لا يوميات تافهة لنكرة تدعى آن ياسوتاني. وسيتبدى لك إن ما قالوه حق: لا يمكنك معرفة الكتاب من غلافه⁽¹⁾

أرجو أنك لست خائب الأمل كثيرًا. ما حدث أن كتاب مارسيل بروسست تقطّع، ولست من فعل ذلك. لقد اشتريته على هذه الشاكلة، قبل أن يتمزق، في حانوت صغير للأشغال اليدوية في هاراجوكو⁽²⁾ تباع فيه سلع فريدة من نوعها تصنعها بنفسك مثل الأوشحة المنسوجة ومحافظ الجوالات والأساور المحلاة بالخرز وغيرها من الأشياء الجميلة. الأشغال اليدوية تقليعة رائجة في اليابان، والكل ينسج ويطرز بالخرز ويشغل بالمخرز ويصنع بيپاكورا⁽³⁾، لكنني خرقاء تمامًا فلا بد لي من شراء سلعي لأصنعها بنفسي مواكبة للتقليعة. الفتاة التي تصنع دفاتر اليوميات هذه فنانة أشغال فائقة الشهرة، تشتري حمل حاوية من الكتب القديمة من كل أنحاء العالم، ثم تقص الصفحات المطبوعة كلها وتضع محلها أوراقًا فارغة. وتفعل ذلك بحرفية عالية فلا يرى المرء القطع، بل يكاد يظن أن الحروف قد انزلقت من الصفحات ووقعت على الأرض مثل كومة من النمل الميت.

(1) الغلاف مهترئ، مصنوع من قماش أحمر. والعنوان منقوش بحروف ذهبية باهتة على الغلاف الأمامي وعلى الكعب. (الكاتبة)

(2) Harajuku (原宿): منطقة في طوكيو تشتهر بثقافة الشباب وأزياء الشارع. (الكاتبة)

(3) peipaakura (ペーパークラ): الأشغال الورقية، مأخوذة من الإنجليزية paper + craft. (الكاتبة)

كانت بعض الأمور البغيضة تجري في حياتي في الآونة الأخيرة، ويوم اشترت دفتر اليوميات، تهربت من المدرسة وكنت أشعر بالكآبة تحديداً، فقررت الذهاب للتسوق في هاراجوكو لأبهج نفسي. لدى رؤيتي هذه الكتب القديمة على الرف، ظننتها من زينة المتجر فلم أعرها انتباهاً، ولكن حين أشارت البائعة إلى الفكرة، كان لا بد لي من شراء واحد في الحال. أنها ليست بزهيدة الثمن، لكنني أحببت اهتراء الغلاف، وعرفت أن الكتابة فيه تمنح شعوراً حلواً، مثل كتاب مطبوع حقيقي. والأجمل من هذا كله إدراكي أنها ستكون ميزة رائعة لحفظ السرية.

لا أدري إن تعرضت يوماً لضرب الآخرين وسرقة أشياءك واستخدامها ضدك. ولكن إن حدث ذلك، فستفهم أن فكرة هذا الكتاب فائقة الذكاء تماماً، إذا ما عزم أحد زملائي الأغبياء من غير قصد على أخذ يومياتي وقراءتها ونشرها على الإنترنت أو ما شابه. ولكن من سيأخذ كتاباً قديماً اسمه البحث عن الزمن المفقود، صحيح؟ سيظن زملائي الأغبياء أنه واجب منزلي للجوكو⁽¹⁾. بل إنهم لن يعرفوا معناه.

في الحقيقة لم أعرف معناه أنا أيضاً، لأنني لا أتحدث الفرنسية. فقد عرض المتجر عدداً من الكتب ذوات العناوين المختلفة، بعضها بالإنجليزية، مثل Great Expectations [آمال كبيرة]، وGulliver's Travels [رحلات غولڤر]، ولا بأس بها، لكنني وجدت أن الأفضل شراء عنوان لا يمكنني قراءته، فمعرفة

(1) (塾) juku: مدرسة تحضيرية. (الكاتبة)

المعنى قد تعترض تعبيرى الإبداعى. كما وُجدت كتبٌ أخرى بلغات مختلفة، كالألمانية والروسية بل والصينية، ولكن انتهى بي الأمر إلى اختيار À la recherche du temps perdu [البحث عن الزمن المفقود] لأنى رجحت أنها الفرنسية، والفرنسية جميلة وفيها مشاعر راقية، كما أن هذا الكتاب هو الحجم المناسب تمامًا لحقيبتى.

-4-

أردت الشروع فى الكتابة قطعاً لحظة شرائى للكتاب، فذهبت إلى كيسا⁽¹⁾ قريب وطلبت بلو ماونت، ثم أخرجت قلم الجمل البنفسجى المفضل عندي وفتحت الكتاب على صفحته الأولى التى لها لون القشدة. رشفت رشفة مرة وانتظرت مجيء الكلمات. انتظرت وانتظرت، ورشفت مزيداً من القهوة، وانتظرت بعد. لا شيء. أنا ثائرة جداً، كما ترى، ولا أواجه عادة صعوبة فى إيجاد أشياء أقولها. لكن الكلمات لم تأتِ هذه المرة، وإن اعتمل فى ذهني الكثير. كان هذا غريباً، لكنى عرفت أنني أشعر بالخوف من الكتاب الجديد-القديم وسأتخطأ فى النهاية. فشريت ما بقي من قهوتي وقرأت عدداً من المانغا، ولما حان وقت انصراف المدرسة، عدت إلى البيت.

حاولت من جديد اليوم التالي، وحدث الأمر نفسه. وكلما أخرجت الكتاب بعد ذلك، حملقت إلى العنوان وبدأت أتساءل. أعني لا بد أن يكون مارسيل بروسست مهماً جداً إذا كان أحد مثلي

(1) (喫茶) kissa: مقهى (الكاتبة).

قد سمع به، وإن لم أعرف من هو في البداية وحسبته طاهياً مشهوراً أو مصمم أزياء فرنسياً. ماذا لو كان شبحة لا يزال عالماً بالغلاف واغتاظ للتغيير الذي فعلته فنانة الأشغال وهي تخرج كلماته وصفحاته؟ وماذا لو أن الشبح يمنعني الآن من استخدام كتابه الشهير لأكتب عن أمور نمطية غبية لتلميذة مدرسة، مثل إعجابي بالأولاد (لا يعني هذا أنني معجبة بأحد)، أو الأزياء الجديدة التي أريدها (رغباتي لانهائية)، أو فخذي السمينين (لا بأس بفخذي حقاً، إنني أكره ركبتَي). لا يمكنك لوم شبح مارسيل العجوز على غضبه المحق، ظاناً أنني غبية جداً لأكتب أشياء من هذا الهراء الغبي داخل كتابه المهم.

ما زلت لا أود استخدام كتابه لأشياء تافهة كهذه، وإن لم يعترض شبحة، وإن لم تكن هذه آخر أيامي على الأرض. ولكن ما دامت هذه أيامي الأخيرة على الأرض، أود أن أكتب شيئاً مهماً أيضاً. حسناً، ربما ليس مهماً، لأنني لا أعرف أي شيء مهم، ولكنني أعني شيئاً جديراً بالكتابة. أريد أن أترك خلفي شيئاً حقيقياً.

ولكن عمّ أكتب ويكون شيئاً حقيقياً؟ لا شك أنني أستطيع الكتابة عن كل الهراء القبيح الذي جرى لي، وشعوري نحو أبي وأمي والمدعوين أصدقائي، لكنني لا أريد ذلك تحديداً. كلما فكرت في حياتي الفارغة الغبية، خلصت إلى أنني أضيع وقتي، وأنا لست الوحيدة. كل من أعرفه يفعل الشيء نفسه، إلا جيكو العجوز. أضيع الوقت، أقتل الوقت، أشعر بالتفاهة.

وماذا يعني أن أضيع الوقت على أي حال؟ إن أضعت الوقت فهل يُفقد إلى الأبد؟

وإذا ضاع الوقت إلى الأبد، فما معنى هذا؟ لا يعني هذا أنك ستموت قبل أوانك، صحيح؟ أعني، إذا أردت أن تموت قبل أوانك، عليك أن تمسك بزمام الأمور.

-5-

على أي حال، ظلت هذه الأفكار حول الأشباح والوقت تطوف في ذهني كلما حاولت الكتابة في كتاب مارسيل القديم، حتى عزمت أخيراً أن أعرف معنى العنوان. سألت بابت لكنها لم تستطع مساعدتي لأنها طبعاً ليست خادمة فرنسية حقيقية، بل تلميذة ثانوية متسرية من المدرسة من ولاية شيبا، والفرنسية التي تعرفها بضع عبارات مثيرة التقطتها من الأستاذ الفرنسي العجوز الدعي الذي واعدته مدة. حين عدت إلى البيت تلك الليلة، بحثت في غوغل عن مارسيل بروسست وعرفت أن À la recherche du temps perdu تعني البحث عن الزمن المفقود.

غريب، صحيح؟ أعني ها أنا ذي، أجلس في مقهى فرنسي للخدمة المنزلية في أكيبا، أفكر في الزمن المفقود، وجلس مارسيل بروسست العجوز في فرنسا قبل مئة سنة، يؤلف كتاباً كاملاً عن الموضوع نفسه. ربما كان شبحه يتلكو بين الغلافين ويقتحم عقلي، أو ربما كانت مصادفة مجنونة فقط، ولكن في الحالين، أليس هذا طريفاً؟ أظن المصادفات طريفة، وإن لم تعن شيئاً، ومن يدري؟ ربما تعني شيئاً! أنا لا أقول إن كل شيء يحدث لسبب. بل إن الأمر كأنتي أنا ومارسيل العجوز نفكر بالطريقة نفسها.

عدت اليوم التالي إلى مقهى فيفيز وطلبت إبريقاً صغيراً من لابسانغ سوشونغ⁽¹⁾، الذي أشربه أحياناً استراحة من بلو ماونت، وأخذت أتساءل أثناء جلوسي هناك، وأنا أرشف الشاي المدخن وأقضم المعجنات الفرنسية، بانتظار أن تحدد بابت موعداً للخروج معي.

كيف تبحث عن الزمن المفقود، على أي حال؟ إنه سؤال مثير، لذا أرسلته في رسالة نصية إلى جيكو العجوز، وهذا ما أفعله عادة عندما أكون أمام معضلة فلسفية. ثم تعين عليّ الانتظار لوقت طويل طويل حقاً، لكن هاتفني الجوال أطلق رنة صغيرة تعلمني أنها ردت عليّ برسالة. وهذا ما كتبته:

あるときや

ことのはもちり

(2)おちばかな

مكتبة

t.me/soramnqraa

وتعني شيئاً كهذا:

(1) شاي أسود من أوراق الكاميليا الصينية التي تجفف بتدخينها على نار خشب الصنوبر. (المترجمة)

(2) أرو توكي يا/ كوتو نوها مو تشيري/ أوتشيبا كا نا. أرو توكي يا: ذلك الوقت، وقت ما، للوقت الحاضر (有時). الكانجي نفسه المستخدم لـ يوجي (有時). [الجزء الأصعب من اللغة اليابانية وخاصة للغرباء عنها. وتستخدم مع الهيراغانا والكاتاكانا في كتابة اللغة اليابانية. وهي من أصل صيني استوردت في القرن الخامس ميلادي أثناء نقل الديانة البوذية إلى اليابان لأن اللغة اليابانية كانت لغة صوتية لكنهم أخذوا مقاطع الكانجي وأضافوا إليها -المترجمة].

كوتونا ها حرفياً: «أوراق الكلام» (言の葉). الكانجي نفسه المستخدم لـ كوتوبا (言葉) التي تعني «كلمة».

أوشيبا: أوراق متساقطة، ومع التلاعب اللفظي في ها (葉)، فهي تفيد معنى الأوراق المتساقطة. كا نا: أداة استفهام توحى بالدهشة. (الكاتبة)

للكائن الزمني،

تتبعثر الكلمات...

أهي أوراق متساقطة؟

أنا لست بارعة في الشعر، ولكني حين أقرأ قصائد جيكو العجوز، أرى صورة في ذهني لشجرة الجنكو الهرمة الكبيرة على أراضي معبدها⁽¹⁾. للأوراق شكل المراوح الصغيرة الخضراء، وفي الخريف تغدو صفراء فاقعة وتتساقط عن الشجر وتغطي الأرض، ملونة كل شيء بالذهب الخالص. وخطر لي أن الشجرة الكبيرة الهرمة هي كائن زمني، وجيكو كائن زمني أيضاً، وأتخيل نفسي باحثة عن زمن ضائع تحت الشجرة، أغريل الأوراق المتساقطة التي هي كلماتها الذهبية المتناثرة.

تأتي فكرة الكائن الزمني من كتاب اسمه شوبوغنزو كتبه معلم زن قديم اسمه دوغن زنغي⁽²⁾ قبل ما يقارب ثمانمئة عام، وهذا يجعله أكبر من جيكو العجوز أو مارسيل بروسست. دوغن زنغي أحد الكتّاب المفضلين عند جيكو، وهو محظوظ لأن كتبه مهمة ولا تزال تُناقش. أما كتب جيكو فكلها نافذة للأسف، ولهذا لم

(1) أوراق الجنكو تستخدم في صنع الشاي لتحسين الذاكرة. كانت أشجار الجنكو تزرع كثيراً في أراضي المعابد البوذية لتساعد الكهنة على حفظ السوترا. (الكاتبة) تعرف أيضاً باسم شجرة كزيرة البئر وهي نوع فريد من الشجر، عرفت أيضاً بشجرة الحياة لأنها الشجرة الوحيدة التي بقيت حية في هيروشيما باليابان بعد تفجير القنبلة الذرية. (المترجمة)

(2) المُعلّم الياباني لزن البوذية المولود في كيوتو. أسس مدرسة سوتو لمذهب الزن في اليابان عقب السفر إلى الصين والتدرّب تحت قيادة روجينغ. وعُرف بكتابات الواسعة بما في ذلك خزانة عين الدارما الحقيقية أو شوبوغنزو، وهي مجموعة من خمسة وتسعين دفترًا عن الممارسة البوذية والتتوير. (المترجمة)

أقرأ كلماتها، لكنها أخبرتني بالكثير من القصص، وأخذت أفكر في أن الكلمات كائنات زمنية أيضًا، وعندئذٍ خطرت لي فكرة استخدام كتاب مارسيل بروسست المهم لأدون قصة حياة عجوزي جيكو.

ليس هذا لأن جيكو أهم شخص أعرفه، رغم أن هذا جزء من السبب. ولا لأنها عجوز جدًا وكانت على قيد الحياة حين كتب مارسيل بروسست كتابه عن الزمن. ربما كانت، ولكن ليس هذا هو السبب أيضًا. سبب عزمي على الكتابة عنها في البحث عن الزمن المفقود أنها الوحيدة ممن أعرفهم التي تفهم الزمن حق الفهم.

جيكو العجوز شديدة الحرص على وقتها. فهي تفعل كل شيء بتمهل شديد شديد، وإن كانت تجلس على الشرفة، تطل على اليعاسيب التي تدور بكسل حول بركة الحديقة. تقول إنها تفعل كل شيء بتمهل شديد شديد بغية مدّ الوقت ليكون عندها المزيد منه فتعيش عمرًا أطول، ثم تضحك فتعرف أنها تمارحك. أعني أنها تدرك تمامًا أن الزمن ليس شيئًا يمكنك مدّه مثل الزبدة أو المري، ولن يتجول الموت بانتظار أن تنتهي أي شيء بدأته قبل أن يقصف عمرك. هذه مزحة، وهي تضحك لأنها تعرف ذلك.

ولكني في الحقيقة، لا أجد الأمر مضحكًا. ورغم جهلي بعمر جيكو العجوز الحقيقي، فإني أعرف يقينًا أنها ستموت قريبًا وإن لم تنه كنس مطبخ المعبد أو اقتلاع الأعشاب الضارة من حوض الفجل الأبيض أو تتساقط الزهور الجديدة في المذبح، وحين تموت، ستكون تلك نهايتها حسب الموعد. وهذا لا يقلقها أبدًا

لكنه يقلقني كثيرًا. هذه أيام جيكو العجوز الأخيرة على الأرض، ولا شيء أستطيع فعله حيال ذلك، ولا شيء أستطيع فعله لإيقاف الزمن من المرور أو لإبطاء مروره، وكل ثانية من اليوم هي ثانية أخرى ضائعة. هي لن توافقني الرأي على الأرجح، ولكني هكذا أرى الأمر.

لست أبالي بتصور العالم من دوني لأنني لست استثنائية، لكني أكره تصور العالم من غير جيكو العجوز. إنها فريدة من نوعها ومميزة صدقًا، مثل آخر سلاحف غالاباغوس⁽¹⁾ البرية أو حيوان قديم آخر يعرج على الأرض المحروقة، وهو آخر من بقي من نوعه. ولكن رجاء لا تجعلني أتحدث عن موضوع الأنواع المنقرضة لأنه جالب للكآبة، وسأنتحر في تلك اللحظة.

-6-

حسنًا يا آن، لماذا تفعلين هذا؟ ما المغزى؟

هذه هي المشكلة. السبب الوحيد الذي يخطر لي لكتابة قصة حياة جيكو في هذا الكتاب هو أنني أحبها وأريد أن أتذكرها، لكني لا أنوي العيش طويلاً، ولن أتمكن من تذكر قصصها إن كنت ميتة، صحيح؟

وبصرف النظر عني، من سيهتم؟ أعني، لو ظننت أن العالم يرغب بمعرفة جيكو، لنشرت قصصها في مدونة ولكني توقفت حقًا عن فعل ذلك منذ مدة. فقد حزنت حين وجدت نفسي أظهار أن الجميع في الفضاء السيبراني يهتمون برأيي، ولكن

(1) سلاحف برية عملاقة تعيش حتى 100 سنة، وقيل إن بعضها عاش حتى 175 سنة مثل السلاحفة هاربيت التي ماتت في أستراليا عام 2006. (المترجمة)

الحقيقة أن لا أحد اهتم البتة⁽¹⁾. وانفطر قلبي عندما ضربت ذلك الشعور المحزن في الملايين في غرفهم الصغيرة الوحيدة، يكتبون بحلق وينشرون على صفحاتهم الوحيدة الصغيرة أن لا أحد عنده الوقت ليقرأ لأن الجميع مشغولون جداً بالكتابة والنشر⁽²⁾. والحقيقة أنني ليس عندي أصدقاء كثيرون هذه الأيام، والذين أخرج معهم ليسوا ممن يهتمون لأمر راهبة بوذية تبلغ من العمر مئة وأربع سنين، وإن كانت بوديساتفا تحسن استخدام البريد الإلكتروني والرسائل النصية، وذلك لأنني دفعتها إلى شراء كومبيوتر لنستمر في تواصلنا حين أكون في طوكيو وهي في معبدها المتداعي على جبل وسط اللامكان. إنها ليست مولعة بالتقنية الحديثة، لكنها تبلي حسناً وهي كائن زمني مصاب بالمياه البيضاء والرثية في إبهاميهما. تأتي جيكو ومارسيل بروسث من عالم قبل الغرابة، وهو زمن قد ضاع تماماً هذه الأيام. فهأنذا، في مقهى فيفيز لونلي أپرون، أحملق إلى كل هذه الصفحات البيضاء وأسأل نفسي لماذا أهتم، حين طرأت في عقلي فكرة مذهلة فجأة. مستعد؟ اسمع:

سأكتب كل شيء عن حياة جيكو في كتاب مارسيل، وبعد انتهائي، سأتركه في مكان ما، وستعثر عليه!

(1) قال أولفر «لم يخطر لي يوماً أن أحداً يهتم. أهذا محزن؟ لا أراه محزناً». (الكتابة).

(2) وعندما يأتي يوم (وهو غير بعيد) يلقي فيه كل الناس أنفسهم كتاباً، سنكون قد بلغنا زمن الصمم وانتفاء الفهم الشاملين. ميلان كونديرا، كتاب الضحك والنسيان 1980. (الكتابة) - الترجمة لمحمد التهامي العماري، من إصدار المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية 2015، ص 120.

أليس هذا رائعاً؟ كأنني أسبق الوقت لألمسك، أما وقد عرفت الأمر الآن، فهذا أنت تعود إلى الوراء لتلمسني! إذا أردت رأيي، فهذا رائع وجميل جداً مدهشاً. كأنها رسالة في زجاجة، ألقيت في محيط الزمان والمكان. شخصية تماماً، وحقيقية أيضاً، قادمة من عالم جيكو ومارسيل ما قبل الغريب. إنها عكس المدونة. إنها شيء ضد المدونة، لأنها كتبت لأجل شخص واحد مميز، وهذا الشخص هو أنت. وإن قرأت إلى هذا الحد، فلا بد أنك ستفهم ما أعني. أتفهم؟ أشعر أنك مميز؟ سأنتظر هنا قليلاً لأرى إن كنت ستجيب...

-7-

إنني أمزح. أعرف أنك لا تستطيع الإجابة، وها أنا أشعر بالغباء، فماذا لو لم تشعر أنك مميز؟ إنني أفترض، صح؟ ماذا لو كنت تظنني حمقاء وتلقي بي إلى القمامة، مثل كل أولئك الفتيات اليافعات اللاتي أحكي لجيكو عنهن، اللاتي يقتلن على أيدي المنحرفين ويُقطَّعن ويُلقَيْن في الحاويات، لا لشيء إلا لأنهن ارتكبن خطأ مواعدة الرجل غير المناسب؟ سيكون هذا محزناً ومخيفاً حقاً.

أو، إليك فكرة مخيفة أخرى، ماذا لو لم تكن تقرأ هذا؟ ماذا لو أنك لم تجد هذا الكتاب قط، لأن أحداً ألقاه في القمامة أو أعاد تدويره قبل أن يصل إليك؟ عندها ستضيع قصص جيكو العجوز إلى الأبد، وأنا أجلس هنا أضيع الوقت في الحديث إلى داخل حاوية النفايات.

هي، أجبني أنا عالقة في صفيحة قمامة، أم لا؟

طيب، إليك قراري. لا أمانع في المجازفة، لأن المجازفة تجعل الأمر أكثر إثارة. ولا أظن جيكو العجوز ستمانع أيضاً، ولأنها بوذية، فهي تفهم اللادوام وأن كل شيء يتغير ولا شيء يدوم إلى الأبد. لن تهتم جيكو العجوز حقاً إذا كتبت قصص حياتها أو ضاعت، وربما أخذت عنها مبدأ دعه يعمل دعه يمر. عندما يحين الوقت، سأدع كل شيء يمر.

أو لا. لا أدري. ربما عند كتابتي الصفحة الأخيرة، سيبلغ مني الإحراج أو الخجل مبلغاً كبيراً لأترك الكتاب في مكان ما، وسأجبن وأمزقه.

مهلاً، إن لم تكن تقرأ هذا، فستعرف أنني جبانة! ها ها. وأما عن حنق شبح مارسيل، فلقد قررت ألا أهتم له. عندما كنت أبحث عن مارسيل بروسست في غوغل، نظرت إلى أرقام مبيعات كتبه في أمازون، ولم أصدق الأمر لكن كتبه لا تزال تطبع، واستناداً إلى أي طبعة من البحث عن الزمن المفقود تتكلم عنها، فإن معدلاته تتراوح بين 13.695 و79.324، ولا يعني أنه الأعلى مبيعاً، لكن الرقم ليس سيئاً لرجل ميت. ها أنا أعلمتك، كيلا تشعر بالأسى على مارسيل العجوز.

لا أدري كم سيستغرق مني هذا المشروع كله، ربما أشهر. ثمة الكثير من الصفحات الفارغة، ولدى جيكو قصص كثيرة، وأنا أكتب ببطء شديد، لكني سأبذل قصارى جهدي، وربما بعد انتهائي من ملء الصفحة الأخيرة، ستموت جيكو العجوز، وسيكون يومي أيضاً.

وأعرف أنني لا أستطيع تدوين كل تفصيل من حياة جيكو، فإذا أردت معرفة المزيد، عليك قراءة كتبها إن استطعت العثور عليها. كل كتبها نافذة مثلما قلت من قبل، وربما قطعت فنانة أشغال صفحاتها وألقت كل كلماتها الذهبية في سلة إعادة التدوير بجانب كلمات پروست. سيكون هذا محزنًا حقًا، لأن جيكو العجوز ليس لها كتب معروضة في أمازون. أعرف هذا لأنني بحثت ولم أجدها هناك. هممم. سأعيد النظر في فكرة تحويل الكتب، قد لا تكون ظريفة جدًا في النهاية.

صعد القط إلى مكتب روث واستعد لغزوة استراتيجية إلى حجرها. كانت تقرأ اليومية عندما اقترب من الجانب، واضعاً كفه الأمامي على ركبتيها مقحماً أنفه تحت كعب الكتاب، دافعاً إياه إلى الأعلى ومبعداً إياه عن طريقه. ثم استقر في حجرها وأخذ يعجن، ناطحاً رأسه على يدها. كان مزعجاً جداً ويبعث دوماً عن الاهتمام.

أغلقت دفتر اليوميات ووضعت على المكتب وهي تمسد جبين القط، ولكنها ظلت بعد أن نحت الكتاب واعية لإحساس قديم متوانٍ بالحاجة إلى... ماذا؟ أن تساعد الفتاة؟ أن تنقذها؟ سخافة. كانت رغبتها الأولى عندما بدأت قراءة اليومية أن تقرأها بسرعة إلى النهاية، ولكن كثيراً ما صعب فك رموز خط الفتاة، وقد طعّمت جملها بالعامية والدارجة الفاتنة. لقد مرت سنوات منذ أن عاشت روث في اليابان، وإن لم يزل إتقانها للغة المحكية مقبولاً، فإن مفرداتها مهجورة. في الجامعة، درّست روث الكلاسيكيات اليابانية - حكاية غنجي، ومسرحيات النو، وكتاب الوسادة⁽¹⁾ - أدب يعود إلى مئات بل آلاف السنين، لكنها كانت

(1) حكاية غنجي: تعد من الروايات الأولى والأشهر على الإطلاق في الأدب الياباني، صاحبها موراساكي شيكيبو. عاشت أثناء فترة هييآن التاريخية. مسرح النو: فن مسرحي ياباني يلبس الممثلون فيه أقتعة وتصاحبهم فرقة موسيقية ببعض الآلات التقليدية. كتاب الوسادة: الملاحظات والتأملات التي سجلتها سي شوناجون أثناء عملها لدى الإمبراطورة كونسورت تيشي منذ عام 990 إلى 1000 في اليابان. (الترجمة)

مطلعة قليلاً على ثقافة البوب اليابانية. حاولت الفتاة أن توضح أحياناً، ولكنها لم تهتم بذلك إجمالاً، فوجدت روث نفسها تتصل بشبكة الإنترنت لتتقصى وتعرف إحالات الفتاة، وسرعان ما أخرجت قاموس الكانجي القديم، وأخذت تترجم وتشرح وتخرش الملاحظات عن أكيبا ومقاهي الخدمة، والأوتاكو والهناتي. ثم وجدت الروائية راهبة الزن البوذية اللاسلطوية النسوية.

تقدمت إلى الأمام وبحثت في أمازون عن جيكو ياسوتاني ولكنها لم تجد شيئاً، كما قالت آن. فبحثت في غوغل عن آن ياسوتاني ولم تخرج بنتيجة أيضاً. هجر القط حجرها، بعدما سئم من تمللها وسهوها. لم يعجبه جلوسها أمام الكمبيوتر واستخدامها أصابعها للطباعة والتقل بين الصفحات بدلاً من حك رأسه. كان ذلك في رأيه مضيعة ليدين رائعتين جداً، فذهب للبحث عن أولفر.

كان حظها أفضل مع دوغن، الذي كان لتحفته شوبوغنزو أو خزانة عين الدارما⁽¹⁾، تصنيف على أمازون، رغم أنه لا يقارب تصنيف بروسست على أي حال. لقد عاش في القرن الثالث عشر، فهو أقدم من بروسست بسبعمئة سنة تقريباً. وعندما بحثت عن «كائن زمني» علمت أن العبارة مستخدمة بالعنوان الإنجليزي في الفصل الحادي عشر من شوبوغنزو، ووجدت عدداً من الترجمات

(1) مصطلح يشير إلى الترتيب الخفي في الطبيعة والحياة الإنسانية وسلوك المخلوقات والحياة التي تسير وفقاً لهذا النظام والترتيب. المصطلح هو أساساً ما يدعى بالديانات الدارمية، أخلاقياً تعني الدارما الطريقة الصحيحة في العيش أو التواصل الصحيح خصوصاً ضمن مفهوم ديني وروحاني. (الترجمة)

إلى جانب الشروحات على الشبكة. لدى معلم الزن القديم تصور مختلف ومعتقد للزمن وجدته شاعرياً ولكنه مبهم. فقد كتب أن الزمن نفسه كائن، وكل كائن زمن... في الجوهر، كل ما في الكون بكامله مرتبط ببعضه بعضاً ارتباطاً وثيقاً كالدقائق في الزمن، متصلة ومنفصلة.

خلعت روث نظارتها ودعكت عينيها. ورشفت من الشاي، وقد ازدحم رأسها بأسئلة فلم تلاحظ أن الشاي برد منذ وقت طويل. من هي آن ياسوتاني، وأين هي الآن؟ ولئن كانت الفتاة لم تقل صراحة إنها ستتحرر، فقد أضمرت هذا قطعاً. أهي تجلس على طرف المرتبة في مكان ما، تتلمس زجاجة أقراص وكأساً طويلة من الماء؟ أم أن المنحرف قد نال منها أولاً؟ أو ربما قررت ألا تقتل نفسها، كي تكون ضحية للزلازل والتسونامي، رغم أن هذا لا يعقل. فالتسونامي وقع في توهوكو شمالي اليابان. وكانت آن تكتب في مقهى خدمة في طوكيو. ماذا كانت تفعل في مقهى الخدمة أصلاً؟ فيفيز؟ كأنه ماخور.

جلست على كرسيها ونظرت من النافذة إلى الامتداد الصغير للأفق الذي استطاعت رؤيته خلال فرجة في الأشجار الباسقة. كتب دوغن شجرة الصنوبر زمن، والخيزران زمن. الجبال زمن. المحيطات زمن... دنت غيوم سوداء في السماء مشكلة خطأ لا يكاد يُرى عند التقائها بالبريق الكامد الساكن للمحيط، بلون رمادي معدني. على الجانب البعيد من المحيط الهادي يقع خط الساحل الياباني المدمر. انسحقت مدن بكاملها وجرفت إلى البحر. إذا تلاشى الزمن، تلاشت الجبال والمحيطات. أكانت

الفتاة في مكان ما في تلك المياه، وقد تحلل جسدها الآن،
وأعادت الأمواج توزيعه؟

نظرت روث إلى الكتاب الثخين بعنوانه المذهب الكامد
المنقوش على الغلاف. كان موضوعاً أعلى كومة عالية فوضوية
من الملاحظات وصفحات المخطوط، تغص بأوراق الملاحظات
اللاصقة وتمتلئ بالهوامش التي يصعب قراءتها، وهي المذكرات
التي عكفت على كتابتها لما يقارب عقداً من الزمن. البحث عن
الزمن المفقود، حقاً. وقد قررت، لعجزها عن كتابة رواية أخرى،
أن تكتب عن السنوات التي قضتها في رعاية أمها، التي عانت
من ألزهايمر. الآن، وهي تناظر كومة الصفحات، أحست بدفق
متسارع من الهلع لدى تصور وقتها المفقود، والفوضى واللاترتيب
الذين صنعتهما بهذه المسودة، والعمل الذي لا تزال بحاجة
لإنجازه لترتيبها. ماذا كانت تفعل وهي تبدد الساعات الثمينة
على قصة أحد آخر؟

تناولت اليوميات، وشرعت تقلّب الصفحات بطرف إبهامها. لم
تكن تقرأ، بل كانت تحاول ألا تقرأ. لقد أرادت أن تتأكد إذا ما
استمر الخط إلى النهاية، أم أنه انقطع منتصف الطريق. كم دفتر
يوميات ومفكرات بدأت هي نفسها ثم هجرتها؟ كم رواية جهيضة
ذوت في مجلدات على محرك الأقراص الصلبة؟ ولكنها فوجئت،
رغم أن لون الحبر قد تغير بين الحين والآخر من البنفسجي
إلى الزهري والأسود والأزرق ثم عاد إلى البنفسجي مجدداً، فإن
الكتابة نفسها لم تتقطع قط، بل غدت أصغر وأكثف واستمرت
حتى آخر صفحة وتراصت فيها الكلمات. لقد نفذ الورق من
الفتاة قبل أن تنفذ كلماتها.

أغلقت روث الكتاب وأغمضت عينيها لبعض الوقت لتمنع نفسها من الغش وقراءة الجملة الأخيرة، لكن السؤال توانى، طافياً مثل نار ملونة في ظلمة عقلها: ماذا حدث في النهاية؟

-2-

عاينت موريل نمو البرنقيل على كيس المجمدة الخارجي بنظارة القراءة التي تبقّيها جاثمة على أنفها. «لو كنت مكانك، لطلبت من كالي أن تلقي نظرة. ربما تعرف كم عمر هذه المخلوقات، ومن هذا تحسبين كم مكث الكيس في الماء».

قالت روث «يظن أولفر أنها بداية نقائل التسونامي».

عbst موريل. «أظنه ممكناً. رغم أن هذا سريع. لقد بدؤوا يرون المتاع الأخف ينجرّف إلى الأسكا وتوفينو، ولكننا بعيدون جداً في الداخل هنا. أين قلت إنك وجدته؟»

«في الطرف الجنوبي من الشاطئ، ناحية جاب رانش [العزبة اليابانية]».

لم يعد أحد في الجزيرة يسميه بهذا الاسم، لكن موريل كبيرة في السن وفهمت الإشارة. كانت العزبة القديمة، أحد أجمل الأماكن على الجزيرة، ملكاً لعائلة يابانية ذات يوم، اضطروا إلى البيع عند اعتقالهم أثناء الحرب. تغيّر مَلاك العقار عدداً من المرات منذئذ، وهو الآن ملك لألمانيين مسنين. سمعت روث الاسم المستعار مرة، فأصرت على استخدامه بعناد. وقالت إن لها الحق في ذلك لأنها تتحدر من أصول يابانية، وكان مهماً ألا يُسمح لصوابية العصر الجديد أن تمحو تاريخ الجزيرة.

قال أولفر، الذي يتحدث من عائلة مهاجرة من ألمانيا. «ذلك مقبول منك، لكنه ليس مقبولا مني، إنه ظلم».

قالت روث: «تماماً. لم يكن عدلاً. اعتقلت عائلة أمي أيضاً. ربما يسعني تقديم مطالبة بالأرض نيابة عن شعبي، فقد سرق منهم هذا العقار. أستطيع الذهاب والجلوس في مدخل السيارات ورفض المغادرة. أعيد ملكية الأرض وأطرد الألمانين».

سأل أولفر «وماذا تحملين ضد شعبي؟»

كان زواجهما هكذا، حلف محوري -أهلها اعتقلوا، أهله قصفوا في شتوتغارت- نتيجة غير مقصودة صغيرة لحرب وقعت قبل أن يولد أي منهما.

قال أولفر «نحن نتاج منتصف القرن العشرين».

«ومن منا ليس كذلك؟»

قالت موريل «أشك أنه من تسونامي»، ووضعت كيس المجمدة على الطاولة وحولت اهتمامها إلى حقيبة طعام هلو كتي. «الأرجح أنه من سفينة رحلات بحرية، متجهة نحو مضيق الداخل، أو ربما سائحة يابانية».

كان پستو يلف نفسه حول ساق موريل، فقفز إلى حجرها ونال ضربة من جديلتها الثخينة الرمادية، التي انسدت فوق كتفها مثل الأفعى. ربطت نهاية الجديلة بربطة مطاطية ملونة فيها خرز، لم يقاومها پستو، كما أعجبه قرطاهما المتدليان.

قالت روث عابسة في وجه القط «أحب حكاية تسونامي».

دفعت موريل الجديلة خلف ظهرها، بعيداً عن متناول القط، ثم فركت بقعة بيضاء بين أذنيه لتصرف انتباهه. ونظرت إلى روث

من فوق نظارتها. «فكرة سيئة. يجب ألا تسمح لي لما تفضيلينه في السرد أن يؤثر في بحثك عن الدليل».

كانت موريل عالمة إناسة متقاعدة، وقد درست المخلفات، وتعرف الكثير عن النفايات. كما أنها جواله شواطئ نهمة وهي من عثر على القدم المقطوعة. افتخرت بنفسها وبلقأها: عظام سمك وكلاليب وطعوم، وأسنة ورؤوس سهام من الصوان، ومجموعة من الأدوات الحجرية للطحن والقطع. معظمها من صنائع الشعوب الأولى، لكنها تملك أيضاً مجموعة من عوامات صيد السمك اليابانية التي انقطعت عن شباكها في المحيط الهادي وانجرفت إلى شاطئ الجزيرة. كانت العوامات بحجم كرات شاطئ كبيرة، كرات قاتمة نفخت من زجاج سميك مصبوغ. كانت جميلة مثل عوالم طليقة.

قالت روث «أنا روائية. لا أستطيع منع نفسي. ما أفضله في السرد هو كل ما لدي».

قالت موريل «هذا حق. ولكن الحقائق هي الحقائق، وإثبات مكان المنشأ مهم». حملت القط وأنزلته إلى الأرض، ثم أراحت أصابعها على المغلاقين على جانبي حقيبة الطعام. كانت أصابعها مزينة بخواتم ثقيلة فضية وتركوازية، بدت متافرة بجوار هلو كتي. وسألت «أسمحين؟».

«تفضلي».

طلبت موريل على الهاتف أن تعين اللقية، فأعادت روث تغليف الحقيبة بأحسن ما استطاعت. واستشعرت شيئاً من التوتر في الجو، ولكنها ليست متأكدة من مصدره. شيء في طلب موريل

الرسمي. وقارها وهي تفتح الغطاء، ووقوفها الذي يكاد يكون تبجيلياً، قبل رفع الساعة من الحقيبة، وتقليبها وتقريبها من أذنها.

قالت روث «إنها معطلة».

حملت موريل دفتر اليوميات. وعينت الكعب ثم الغلاف. قالت وهي تفتحه إلى قسم في المنتصف «هنا ستجدين إشاراتك. هل بدأت قراءته؟»

شعرت روث بضيقها يكبر وهي تراقب إمساك موريل بالكتاب. «حسناً، نعم. الصفحات القلائل الأولى فقط. إنها ليست مثيرة جداً». أخذت الرسائل من الحقيبة ومدتها. «هذه مشجعة أكثر، فهي أقدم وقد تكون مهمة تاريخياً، ألا تظنين؟» وضعت موريل اليوميات وأخذت الرسائل من يد روث. «لا يمكنني قراءتها للأسف».

قالت موريل وهي تقلب الصفحات «يبدو الخط جميلاً. هل عرضتها على أياكو؟»، أياكو هي الزوجة اليابانية الشابة لمزارع محار يعيش في الجزيرة.

قالت روث وهي تدس اليوميات تحت الطاولة بعيداً عن الأنظار «نعم. لكنها قالت إنها تجد صعوبة في قراءة الخط، ثم إن إنجليزيتها ليست جيدة جداً. غير أنها فككت رموز التواريخ. تقول إنها كتبت عام 1944 و1945، وإن عليّ العثور على أحد أكبر عاش زمن الحرب».

قالت موريل «حظاً سعيداً. هل تغيرت اللغة إلى هذا الحد حقاً؟»

«ليست اللغة، بل الناس. تقول أياكو إن الشباب لم يعودوا قادرين على قراءة الحروف المعقدة أو الكتابة بخط اليد. لقد نشؤوا على الكمبيوتر». تحت الطاولة، تحسست الحواف المثنية لليوميات. كانت إحدى زواياها مكسورة، وتقلقل الورق المقوى المغلف بالقماش مثل سن مخلخلة. هل أتعبت آن هذه الزاوية بين أناملها أيضًا؟

هزت موريل رأسها، وقالت «صحيح. الأمر نفسه في كل مكان. خط الأطفال مريع هذه الأيام. بل ما عادوا يعلمون الخط في المدارس اليوم». وضعت الرسائل بجوار الساعة وأكياس المجعدة على الطاولة ونظرت إلى المجموعة. ولم تأتِ على ذكر اليوميات وإن لاحظت عدم وجودها. وقالت «حسنًا، شكرًا لعرضها علي». ونهضت، ونفضت شعر القط عن حجرها، ثم عرجت ناحية المدخل. لقد زاد وزنها منذ عملية تبديل الورك ولا تزال تجد صعوبة في النهوض والجلوس. كانت تلبس كنزة كاوتشن قديمة وتتورط طويلة، مصنوعة من نسيج ريفي خشن غطت أعلى حذائها المطاطي عندما لبسته من جديد. خبطت قدمها في الحذاء ثم نظرت إلى روث التي جاءت إلى الباب لتوديعها.

قالت وهي تسحب المعطف المطري فوق الكنزة «ما زلت أقول إن هذه يجب أن تكون لُقيتي. ولكن لعل الأحسن عشورك عليها، فأنت تحسنين قراءة شيء من اليابانية على الأقل. حظًا سعيدًا. لا تتركي نفسك للتشتت الآن...»

عانقتها روث.

سألها موريل «... كيف الكتاب الجديد على أي حال؟»

من عادة روث أن تقرأ لأولفر عندما يأويان إلى الفراش ليلاً. هذا ما يحدث حين يكون نهار الكتابة مثمراً، فتقرأ جهراً ما كتبه، قانعة بأنها لو غطت في النوم أشياء تفكيرها بمشهد تكتبه، فستستيقظ غالباً بإحساس يدلها على الخطوة التالية. لقد مر وقت طويل منذ أن حظيت بنهار كهذا أو شاطرته أي شيء جديد. تلك الليلة قرأت الكتابات القليلة الأولى من يوميات آن. وعندما وصلت إلى مقطع عن المنحرفين والسراويل الداخلية والسرير المخطط كحمار الوحش، شعرت فجأة بدفقة من الضيق. لم يكن حرجاً، فهي لم تخجل يوماً من هذه الأمور، بل إن ضيقها كان نيابة عن الفتاة. كانت تشعر أنها حامية، ولكن لا حاجة للقلق. قال أولفر، وهو يعبت بالساعة المعطلة «تبدو الراهبة مثيرة للاهتمام».

قالت بارتياح «نعم. ديمقراطية تايشو كان عصرًا مهمًا للنساء اليابانيات».

«أتظننها لا تزال على قيد الحياة؟»

«الراهبة؟ أشك في ذلك. عمرها مئة وأربع...»

«قصدت الفتاة».

قالت روث «لا أدري. هذا جنون، ولكنني قلقة عليها. أحسب أنني سأستمر في القراءة لأعرف».

أتشعر أنك مميز؟

توانى سؤال الفتاة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

قال أولثر، ولم يزل يلعب بالساعة «إنها فكرة مثيرة. هل أنت كذلك؟»

«ماذا؟»

«تقول إنها تكتبها لك. فهل تشعرين أنك مميزة؟»
«هذا سخيف».

ماذا لو أنك وجدتي حمقاء وألقيت بي في القمامة؟
قال أولثر «بالحديث عن القمامة، كنت أفكر في رقعة النفايات العظيمة⁽¹⁾ في الآونة الأخيرة...»
«في ماذا؟»

«الرقعة الشرقية والرقعة الغربية العظيمتين، إنهما كتلتان ضخمتان من النفايات والأنقاض تطفوان في المحيطات. لا بد أنك سمعت بهما...»

قالت «نعم. لا. أعني، قليلاً». ليس ذلك بهمهم، فواضح أنه أراد أن يخبرها عنهما. أنزلت اليوميات، تاركة إياها تستقر على الغطاء الأبيض. وخلعت نظارتها ووضعتها فوق الكتاب. كانت النظارة قديمة الطراز لها إطار أسود ثخين بدا جميلاً على الغلاف القماشي الأحمر المهترئ.

«يوجد ثمانٍ منها على الأقل في محيطات العالم. وفقاً للكتاب الذي أقرأه، تقع اثنتان منها -الرقعة الشرقية العظيمة والرقعة

(1) أو دوامة نفايات المحيط الهادي: دوامة لجزيئات المخلفات البحرية شمال المحيط الهادي. تتشأ مجموعة البلاستيك والنفايات الطافية من حافة المحيط الهادي، وتضم دولاً في آسيا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية. تتألف الرقعة في الحقيقة من كتلتين هائلتين من النفايات المتزايدة. (الترجمة)

الغريبة العظيمة- في دوامة السلحفاة، وتلتقيان عند الطرف الجنوبي من هاواي. يعادل حجم الرقعة الشرقية العظيمة حجم تكساس. أما الرقعة الغربية العظيمة فهي أكبر بكثير، وتبلغ مساحتها نصف مساحة الولايات المتحدة القارية.

«وماذا تحملان؟»

«البلاستيك غالبًا. مثل أكياس المجمدة، قناني الصودا، الفلين، حاويات الطعام السفرية، أمواس الحلاقة ذات الاستعمال الواحد، النفايات الصناعية. أي شيء نرميه يطفو».

«هذا مريع. لماذا تخبرني بهذا؟»

رج الساعة وقربها من أذنه. «بلا سبب. فقط لأنها هناك، وأي شيء لا يفوص أو يفلت من الدوامة سيُمتص وسط رقعة النفايات. هذا ما كان سيحدث لأكياس المجمدة لولا هروبها. تُمتص وتُخمد وتلتف على مهل. يطحن البلاستيك في جزيئات لتأكله الأسماك والعوالق الحيوانية. وتتحلل اليوميات والرسائل، دون أن تقرأ. ولكنها عوضًا عن ذلك تتجرف إلى الشاطئ قرب العزبة اليابانية، حيث تجدينها...»

«ما الذي تحاول قوله؟»

«لا شيء. إنه أمر مدهش، حقًا».

«مدهش كأن الكون يستجيب لنا؟»

رفع نظره تعلق وجهه الدهشة. «ربما. مهلاً، انظري!»، قال،

مأدا الساعة. «إنها تعمل!»

كان عقرب الثواني يدور حول الأرقام الكبيرة المضيئة على الوجه. فأخذتها منه ووضعتها حول معصمها. كانت ساعة رجل، لكنها تتاسبها. «ماذا فعلت؟»

قال رافعاً كتفيه. «لا أدري. أظنني دورتها».

-5-

استمعت إلى الساعة تدق بهدوء في الظلام، وصوت تنفس أولفر التلقائي. اقتربت من الطاولة الجانبية وتحسستها بحثاً عن اليوميات. مررت أصابعها على الغلاف القماشي الناعم، ولاحظت الإحساس الخافت للحروف الكامدة. ما زالت تستبقي شكل حروف البحث عن الزمن المفقود، لكنها تطورت، لا، هذه الكلمة توحى بانكشاف تدريجي، وهذا انكشاف مفاجئ، نقلة أو انشقاق، صفحات مقطعة من غلافها على يد فنانة من طوكيو أعادت توظيف بروسست في شيء جديد كل الجدة.

في ذهنها، رأت الحبر البنفسجي يخطّ خطوطاً متعرجة في قوالب محكمة من الفقرات الملونة. لم تمنع نفسها من ملاحظة الانسياب المسترسل للغة الفتاة والإعجاب بها. نادراً ما استسلمت لإعادة النظر، ونادراً ما ساورها شك في كلمة، أو توقفت لتفكر بها أو تستبدل بها أخرى. وما من كلمات أو عبارات مشطوبة إلا قليل، وهذا أيضاً أفعم روث بشيء كالعجب. فقد مرت سنوات طويلة منذ أن اقتربت من الصفحة بهذا اليقين.

أنا أتقدم في الزمن لألمسك.

غدت اليوميات دافئة في يديها مرة أخرى، وعرفت أن هذا لا علاقة له بأي سمة شبحية للكتاب وله كل العلاقة بتغير المناخ في جسدها. لقد أخذت تعتاد التغيرات المفاجئة للحرارة، ومقود السيارة الذي أصبح لزجاً وساخنًا في إمساكها. والوسادة الحارقة،

التي كثيراً ما استيقظت لتجدها على الأرض بجانب السرير حيث ألقته أثناء نومها، مع الأغطية، كأنها تعاقبها جميعاً لجعلها تشعر بالحرارة.

أما الساعة، فعلى العكس من ذلك، كانت باردة في معصمها. أتقدم في الزمن لألمسك... وأنت تعود بالزمن إلى الوراء لتلمسني.

قريت اليومية من أنفها وتشممتها، تميز الروائح واحدة تلو الأخرى: عطن الكتاب القديم يدغدغ منخريها، والرائحة اللاذعة للصمغ والورق، ثم شيء آخر أدركت أنه آن من غير شك، مرة كحبوب القهوة وبنكهة الفاكهة الحلوة كالشامبو. تنشقت ثانية، بعمق هذه المرة، ثم أعادت الكتاب -لا، ليست يوميات لطيفة خالصة لتلميذة- إلى الطاولة الجانبية، ولا تزال تفكر في الطريقة المثلى لقراءة هذا النص غير المؤلف. زعمت آن أنها كتبتها من أجلها فقط، ولئن عرفت روث أن هذا غريب، فإنها عازمت على أن تماشي الوهم. ذلك أدنى ما تستطيع فعله لأنها قارئة الفتاة. أخذت الدقات المنتظمة للساعة القديمة تعلقو. كيف تبحث عن زمن مفقود على أي حال؟ وأثناء تفكيرها في هذا السؤال، خطر لها أن إشارة تكمن في الوتيرة. كتبت آن يومياتها في زمن حقيقي، تعيش أيامها لحظة بلحظة. فعمل روث إن نظمت وتيرتها بأن تبطلن وألا تقرا أسرع مما كتبت الفتاة، أن تتمكن من استتساخ تجربة آن عن قرب. لم تكن الكتابات مؤرخة، طبعاً، وما من طريقة لمعرفة مدى سرعتها أو بطئها، ولكن ثمة إشارات: تغير صباغ الحبر، إلى جانب التبدل في الكثافة أو زاوية الخط التي

تشير إلى انقطاعات في الزمن أو المزاج. إذا درست هذا كله، فقد تتمكن من تقسيم اليوميات إلى فترات قائمة على الافتراض، بل قد تعين لها أرقامًا، ثم تنظم سرعة قراءتها تبعًا لذلك. إذا ما أحسست أن الفتاة تعيش فترة سعيدة، فستسمح لنفسها بأن تقرأ أكثر وأسرع، أما إن أحسست أن وتيرة الكتابة تبطئ، فعليها أن تفعل المثل وتبطئ في قراءتها هي الأخرى أو أن تتوقف تمامًا. هكذا لن ينتهي بها الأمر بإحساس مفرط الكثافة أو التسارع بحياة الفتاة وانكشافها، ولن تجازف بإضاعة وقت كثير. ستتمكن من موازنة قراءتها لليوميات مع العمل الذي لا يزال عليها إنجازه من أجل مذكراتها.

بدأت هذه خطة معقولة. تحسست روث، وهي تشعر بالرضا، بحثًا عن الكتاب على الطاولة الجانبية ودسته تحت وسادتها. خطر لها وهي تسرح بخيالها لتنام أن الفتاة محقة. لقد كانت حقيقية وشخصية كليًا.

-6-

رأت الراهبة في منامها تلك الليلة.

جرت أحداث الحلم على جبل، في مكان ما من اليابان حيث كسرت الصمت الصرخات الحادة للحشرات، ونسائم الليل في الأشجار الباسقة نقية متململة.

بين الأشجار، لمع الانحناء الوقور لسطح معبد مبلط لمعانًا خافتًا في نور القمر، ورغم ظلمة المكان، فقد رأت روث أن المبنى متداع وأقرب للخراب. جاءت الإنارة الوحيدة داخل المعبد من غرفة واحدة مجاورة للحديقة، جثت فيها الراهبة العجوز على

الأرض أمام طاولة واطئة، تميل ناحية شاشة كومبيوتر ساطعة، كأنها تطفو في الظلمة، تلقي مربعها الفضي من الضوء على السهول القديمة لوجهها. تلاشى باقي جسدها في ظلام الغرفة، لكن روث رأت أن ظهرها مقوس مثل علامة استفهام وهي منحنية نحو الشاشة، وأن ثوبها الأسود الباهت قديم وبالي. تدلى حول عنقها مربع من قماش مرقع، مثل مربلة يضعها رضيع لحمايته من اندلاق الطعام. خارجًا في حديقة المعبد سطع القمر خلال الأبواب المنزقة التي تفتح على الشرفة. ولمع انحناء رأس الراهبة الحليق لمعانًا خافتًا في نور القمر، وعندما أدارت وجهها، رأت روث الضوء من الشاشة ينعكس على عدستي النظارة التي تضعها، ذات الإطار الثخين الأسود، ليست بمختلفة عن نظارة روث. بدا وجه الراهبة شابًا على نحو غريب في سطوع نقاط الشاشة. كانت تطبع شيئًا بحذر بسبابتيها.

«مراتلأعلى... [مراتٍ للأعلى]»، طبعت. معصماها منشيان كفصنين مكسورين، وأصابعها ملتفة كأعواد مائلة، تنقر كل حرف على لوحة المفاتيح.

«مراتلأسفل... [مراتٍ للأسفل]».

جوابًا عن سؤال آن حول المصعد. نقرت زر الإرسال وجلست على كعبيها، مغمضة عينيها كأنها تغفو. بعد دقائق قليلة، ومضت أيقونة صغيرة على جانب الشاشة وأصدر جرس رقمي صوت تنبيه. فاعتدلت وعدّلت نظارتها وتقدمت لتقرأ. ثم بدأت تكتب ردها.

أعلى أسفل، الأمر نفسه. كما أنه مختلف أيضًا.

أرسلت النص وعادت للانتظار ثانية. رن الجرس، فقرأت الرسالة المستلمة وهزت رأسها. فكرت لحظة، وهي تمرر يدها على رأسها الناعم، ثم بدأت تكتب من جديد.

حين ينظر الأعلى إلى الأعلى، يكون الأعلى أسفل
وعندما ينظر الأسفل إلى أسفل، يكون الأسفل أعلى.
ليسا واحداً. ليسا اثنين. ليسا مختلفين.

هل تفهمين الآن؟

استغرقت وقتاً لكتابة هذا، وبدا عليها التعب بعدما ضغطت زر الإرسال لترسل رسالتها. فخلعت نظارتها، ووضعتها على حافة طاولة واطئة، وفركت عينيها بأصابعها المعوجة. لبست نظارتها ثانية، ومطت جسدها ووقفت بهدوء، بأناة. بعدما ثبتت قدميها، تنقلت في الغرفة نحو الأبواب الورقية المنزقة والشفرة الخشبية. لمع جورباها الأبيضان لمعاناً ساطعاً قرب البريق الداكن للخشب الذي صقلته أقدام كثيرة وجوارب كثيرة حتى لمع في نور القمر. وقفت عند الحافة وأطلت على الحديقة، حيث ألقت الصخور القديمة ظلالاً طويلة وهمس الخيزران. وامتزجت رائحة الأشنات الرطبة برائحة البخور الذي أشعل سابقاً في النهار. أخذت نفساً عميقاً، ثم آخر، ورفعت ذراعيها إلى جانبيها، باسطة كمّي ثوبها الأسودين الواسعين كفراب يبسط جناحيه ويتأهب للطيران. وقفت هكذا لحظة، ساكنة تماماً، ثم ضمت ذراعيها أمام جسدها وأخذت تميلهما إلى الأمام وإلى الخلف. خفق كمّاها وامتلاً بالهواء، وحينما بدا أنها قد تطير، غيرت رأيها، وبدلاً من ذلك لفت أصابعها وشابكتها خلف ظهرها، وهي

تضغطها على ظهرها الصغير محاولة تقويس عمودها الفقري.
وعاينت القمر ترفع ذقتها إلى الأعلى.
أعلى، أسفل.

الجلد الناعم لرأسها الحليق عكس الضوء. من بعيد، من
موقف روث، خيل إليها أنهما قمران يتكلمان.

التوقيت هو كل شيء. قرأت في مكان ما أن الرجال المولودين بين أبريل ويونيو أميل إلى الانتحار من الرجال المولودين في أوقات أخرى من السنة. ولد أبي في مايو، فلعل هذا يفسر الأمر. لا يعني هذا أنه نجح في قتل نفسه، لكنه ما زال يحاول. إنها مسألة وقت فقط.

أعرف أنني قلت إنني سأكتب عن جيكو العجوز، لكنني تشاجرت أنا وأبي ولذا فإنني مشغولة البال. ليس شجارًا كبيرًا حقًا، لكننا لا نتبادل الكلام، وهذا يعني أنني لا أكلمه. ربما لم يلاحظ الأمر لأنه غافل عن مشاعر الآخرين هذه الأيام، ولا أريد إزعاجه بأن أقول له «هي يا أبي نحن متخاصمان إن لم تلاحظ، طيب؟» ففي ذهنه الكثير من الأمور ولا أريد أن أزيد اكتتابه.

ما لم نكن نتخاصم بشأنه حقًا هو عدم ذهابي إلى المدرسة. المشكلة أنني فشلت في امتحانات القبول للمدرسة الثانوية، ولن أقبل في أي مكان جيد، وليس لي إلا ارتياد مدرسة مهنية حيث يذهب الأولاد الأغبياء، وهذا ليس بخيار. لا أهتم تحديدًا بتلقي التعليم. إنني أفضل أن أصبح راهبة وأن أعيش مع جيكو العجوز في معبدها في الجبل، ولكن أبي وأمي يقولان إن عليّ التخرج في المدرسة الثانوية أولاً.

وهكذا فإنني الآن رونن، وهذه كلمة قديمة تعني محارب ساموراي ليس له معلم. في عصور الإقطاع لا بد أن يكون لمحاربي الساموراي معلمون أو أسياد. فالهدف من الساموراي خدمة سيد،

وإذا ما قتل سيدك أو أقدم على السيكو⁽¹⁾، أو خسر قلاعه في حرب أو شيء، فهذه النهاية. فجأة! تلاشت علة وجودك، وعليك أن تتحول إلى رونن وتتجول وتبارز بالسيف وتتورط بالمتاعب. كان محاربو الرونن رجالاً مخيفين، يشبهون ما قد يتحول إليه المشردون الذين يعيشون تحت البلاستك المشمع في متزه يونو إذا أعطيتهم سيوفاً قاطعة.

واضح أنني لست محاربة ساموراي، وكلمة رونن تعني هذه الأيام حمقاء تفشل في اختبارات القبول وعليها أخذ صفوف إضافية في المدرسة التحضيرية والدراسة في البيت وهي تستحث حماساً وثقة بالنفس كافيين لإعادة الاختبار. يتخرج الرونن عادة في الثانوية ويسكن مع أبويه وهو يحاول دخول الجامعة. ومن غير المعتاد أن يكون الرونن تلميذة مدرسة إعدادية مثلي، لكني أكبر من صفّي، والآن وقد بلغت السادسة عشرة، لست مجبرة على الذهاب إلى المدرسة إذا لم أرغب بذلك. هذا ما يقوله القانون على أي حال.

تكتب رونن هكذا 浪人 بحرف يشبه الذبذبة وحرف يمثل شخصاً، وهذا ما أشعر به تماماً، شخص متذبذب، يطفو على بحر الحياة العاصف.

-2-

ليس ذنبي أنني فشلت في اختبارات القبول. ما كنت لأتمكن من الالتحاق بمدرسة يابانية جيدة مهما أعددت نفسي، بسبب

(1) انتحار شعائري ببقر البطن. حرفياً تعني بطن+ قطع. يستخدم الكانجي نفسه في الهاراكيري. (الكاتبة)

خلفيتي التعليمية. يريدني أبي أن أأقدم إلى مدرسة ثانوية دولية، يريدني أن أذهب إلى كندا. إنه مولع بكندا، يقول إنها تشبه أمريكا غير أن فيها رعاية صحية وليس فيها أسلحة، ويعيش المرء فيها وفقًا لإمكاناته، ولا داعي للقلق حول ما يظنه المجتمع أو حول الإصابة بالمرض أو الإصابة بطلق نارٍ. أخبرته ألا يزج نفسه، لأنني أصلاً لا أبالي بما يظنه المجتمع، وليس عندي قدرات كافية لأهدر الوقت في التفكير بها. لكنه محق حول الإصابة بالمرض أو الطلق الناري. صحتي على ما يرام ولا أهتم بفكرة الموت، لكنني أيضاً لا أريد أن أُقتل بوابل من الطلقات على يد تلميذ مدرسة ثانوية مخيف في معطف واقٍ من المطر تعاطى عقار الزولوفت وقايض لعبته الإكس بوكس بسلاح شبه آلي.

كان أبي مغرماً بأمريكا. لا أمزح، كأن أمريكا محبوبته، وقد أحبها كثيراً وأقسم إن أمي شعرت بالغيرة. كنا نعيش هناك، في مدينة تدعى سنيفيل تقع في كاليفورنيا. كان أبي مبرمج كومبيوتر بارعاً، واستقطنب عندما كنت في الثالثة وحصل على عمل رائع في سيلكون فالي، فانتقلنا إليه. لم يعجب الأمر أمي كثيراً، لكنها عندئذ كانت تجاري ما يقوله أبي، أما أنا فليس عندي أي ذكريات عن اليابان أثناء طفولتي. في رأيي، بدأت حياتي كلها وانتهت في سنيفيل، وهذا يجعلني أمريكية. تقول أمي إنني لم أتكلم الإنجليزية في البداية، لكنهم حشروني في حضانةهارية مع سيدة لطيفة تدعى السيدة دلفادو، وألفت الإنجليزية مثلما تألف السمكة الماء. هكذا هم الصغار. عانت أمي وقتاً أصعب، فلم تجد التحدث بالإنجليزية ولم يكن لها أصدقاء كثير، لكنها

تقبلت الأمر لأن أبي يجني أطناناً من المال ويمكنها شراء ملابس جميلة.

كان كل شيء رائعاً إذن وكنا نبلي حسناً، عدا أننا عشنا في أرض أحلام حقيقية تسمى فقاعة الدوت كوم⁽¹⁾، وعندما انفجرت أفلست شركة أبي وفُصل من عمله، وخسرنا تأشيرتنا واضطررنا إلى العودة إلى اليابان، وهذا سيء تماماً ليس لأن أبي بلا عمل فقط بل لأنه أيضاً أخذ نسبة كبيرة من أجره المجزي أسهماً وبتنا فجأة بلا مدخرات، والحياة في طوكيو ليست برخيصة. كان أبي متجهماً كعاشق مهجور، وأمي قاسية صارمة وفيّة، لكنهما على الأقل أثبتا هويتهما بصفتهما يابانيين ومازالا يتكلمان اللغة بطلاقة. أنا، على الجانب الآخر، كنت محطمة تماماً، لأن هويتي أمريكية، ورغم أننا نتكلم اليابانية كثيراً في البيت، فإن مهارتي في الحديث مقتصرة على الأشياء البسيطة وأمور الحياة اليومية مثل أين مصروفي، ومرر المربى، وأوه أرجوك أرجوك لا تجعلني أغادر سنيّفيل.

في اليابان مدارس خاصة متخصصة لإدراك ما فات من أجل الصغار الكيكوكوشيجو⁽²⁾ مثلي، الذين تخلفوا في الدراسة بعد قضاء عدد من السنين في مدارس أمريكية غبية عندما كان آبائهم موفدين من شركاتهم في مهام، ثم عليهم اللحاق بمستوى

(1) تعرف أيضاً باسم فقاعة الإنترنت أو فقاعة تكنولوجيا المعلومات. كانت فقاعة اقتصادية امتدت بين عامي 1995 و2000. إذ نمت أسواق البورصة في الدول الصناعية نمواً ملحوظاً في الصناعات المتعلقة بالإنترنت (المترجمة)

(2) الأطفال المعادون إلى الوطن. (الكاتبة)

صفهم الياباني بعد عودة آبائهم. غير أن أبي لم يكن موفداً في مهمة لشركة، ولم يُنقل إلى البلاد. لقد فُصل من عمله. وأنا لم أتخلف عن مستوى صفي، بل ارتدت مدارس أمريكية، لذا لن أكون غير متخلفة أبداً. ولم يستطع أبواي دفع مصاريف مدرسة راقية لإدراك ما فات، فانتهى بهما الأمر إلى حشري في المدرسة الإعدادية العامة، واضطرت إلى إعادة نصف الصف الثامن لأنني دخلت في سبتمبر، وهذا منتصف العام الدراسي في اليابان.

لا بد أنك كنت في المدرسة الإعدادية منذ زمن بعيد، ولكن إذا تسنّى لك تذكر الطفل الفقير الغريب الذي دخل الصف الثامن منتصف العام، فستشفق عليّ قليلاً. لم يكن عندي أدنى فكرة عن السلوك في صف دراسي ياباني، ولفتي اليابانية مقرفة، وحينها كنت في الخامسة عشرة من عمري وأكبر من التلاميذ الآخرين وأضخم ممن هم في عمري أيضاً، بسبب أكل الطعام الأمريكي. كما أننا مفلسون ولم يكن عندي مصروف ولا أشياء جميلة، وهذا يعني أنني تعذبت. في اليابان يسمونه إيجمي⁽¹⁾، لكن الكلمة لا تصف ما فعله التلاميذ بي. لو لم تعلمني جيكو العجوز كيف أطور قوتي الخارقة لكنت ميتة على الأرجح. والإيجمي هو السبب في أنني لن أختار الذهاب إلى مدرسة للصغار الأغبياء، ومن تجربتي أظن التلاميذ الأغبياء أكثر لؤماً من الأذكى لأنهم ليس عندهم ما يخسرونه. إن المدرسة ليست آمنة.

لكن كندا آمنة. يقول أبي إن هذا هو الفارق بين كندا وأمريكا.

(1) التمر (الكاتب).

أمريكا سريعة ومثيرة وخطيرة ومخيفة، ويسهل احتراقك فيها، لكن كندا آمنة، وأبي يريد لي حقاً أن أكون بأمان، وهذا يجعله يبدو أباً عادياً، وهو كذلك لو كان عنده عمل ولو لم يواصل محاولاته في قتل نفسه كل الوقت. يخطر لي أحياناً أنه يتمنى لي الأمان كيلا يأسى كثيراً إذا ما نجح في قتل نفسه في نهاية الأمر.

-3-

حاول أول مرة قبل عام. كان قد مضى على عودتنا قرابة الأشهر الست، وكنا نسكن في هذه الشقة ذات الغرفتين في الجانب الغربي من طوكيو، وهي الوحيدة التي ناسبت مقدراتنا لأن الإيجارات مرتفعة ارتفاعاً جنونياً، والسبب الوحيد لمقدرتنا على دفع إيجار هذا المكان أن مالكة صديق لأبي من أيام الجامعة ومنحنا مهلة لدفع قيمة خلوّ الرجل.

كانت شقة مقرفة بحق، وجيراننا من مضيفات الحانات⁽¹⁾ اللاتي لا يفرزن قمامتهن لإعادة التدوير ويأكلن في بنتو⁽²⁾ ورقية من سفن الفن ويعدن ثملات مع أخلائهن في الخامسة أو السادسة صباحاً. كنا نتناول طعام إفطارنا ونسمعهم يمارسون الجنس. فحسبنا الأصوات في بادئ الأمر أصوات الهررة في الزقاق، وكانت أحياناً أصوات الهررة في الزقاق، ولكنها في معظم الأوقات أصوات المضيفات، رغم أن المرء لا يمكنه الجزم فالأصوات متشابهة جداً. مخيفة.

(1) نساء يتمثل عملهن في الحديث إلى الرجال الذين يدفعون ثمن شرايهن مقابل الحديث والاهتمام وقد يتعدى ذلك إلى ممارسة الجنس. (الترجمة)
(2) (弁当) علبة طعام (الكاتبة).

لا أدري كيف أكتبها، لكنها كانت شيئاً من قبيل أوووو...
أوووو... أووه، أو... أو... أوووو... أو لا... لا... لاااااا كأن بنتاً
صغيرة تلاقى تعذيباً على يد سادي آلي يشعر بشيء من الملل،
لكنه ليس مستعداً للتوقف أيضاً.

تظاهرت أُمِّي دوماً بعدم السماع، لكن المرء يعرف من شحوب
الجلد المحيط بشفتيها وشده، فتبدأ بقضم شريحة خبزها في
لقيمات صغيرة تغدو أصغر فأصغر حتى تنزل القشرة نصف
المأكولة أخيراً وتحملق إليها، فيعرف أنها سمعت كل شيء. لقد
سمعت قطعاً لا بد أن تكون أصم لئلا تسمع هؤلاء الفتيات
الغيبات، يتأوهن ويزحرن ويزعقن مثل هريرات مسلوقة، وصوت
مؤخراتهن العارية تُصفق على جدراننا الجرداء وتخبط على
سقفنا. وتتساقط أحياناً كتل صغيرة من الغبار والحشرات الميتة
من مصباح النيون وتحط في حليبي، ألا يفترض بي قول شيء؟
تجاهل أبي الأمر برمته أيضاً، إلا حين تحدث خبطة كبيرة جداً
فينزل صحيفته وينظر إلي ويدور عينيه، وسريعاً يعيد الصحيفة
قبل أن تلاحظ أُمِّي وتغضب منه لإثارة ضحكي فأنخر الحليب
من أنفي.

كان أبي هذه الأيام يخرج كل يوم محاولاً العثور على عمل، فنغادر أنا وهو الشقة معاً في الصباح. كنا نغادر باكراً لنأخذ الطريق الطويل، وهو أمر لم نتحدث عنه أو نخطط له قط. فحالما نتهي طعام الإفطار، ونضع صحنينا في حوض المغسلة ونغسل أسناننا، نأخذ أشياءنا ثم نتجه نحو الباب. أظننا أردنا فقط الابتعاد عن أمي التي كانت تتشرذب ذبذبات سامة في ذلك

الوقت من حياتنا. لا يعني هذا أننا ناقشنا الأمر أنا وأبي، لم نفعل ولكننا لم نرغب بالبقاء بقربها أيضًا.

في تلك اللحظة دومًا، ونحن نغادر أمان بنايتنا ونخرج إلى الشارع، تبادلنا النظر ثم أشحنا بوجهينا. أنا واثقة كل الثقة من أن الإحساس نفسه راود كلينا - الإحساس بالذنب لترك أمي وحيدة في البيت، والعجز أمام الخروج إلى عالم لم نكن مستعدين له - الذي بدا غير حقيقي. بدا كلانا سخيًا وعرفنا ذلك. أثناء إقامتنا في سنيثيل كان أبي وسيماً، يذهب إلى العمل على الدراجة وهو يلبس الجينز وحذاء أديداس ويحمل حقيبة الساعة الأنيقة، أما الآن فهو يلبس بدلة زرقاء قبيحة من البولستر وحذاء بلا كعب أو رباط ويحمل حقيبة أوراق رخيصة جعلته يبدو محافظًا وهرمًا. واضطرت للبس الزي المدرسي الغبي الذي كان قصيرًا جدًا، ومهما حاولت لم أعرف كيف أجعله يبدو ظريفًا علي. كانت الفتيات الأخريات في الصف الثامن صغيرات البنية فبدون فائقات الظرافة بل مثيرات في زيهن، لكنني بدوت مغفلة ضخمة كبيرة كرهة الرائحة، وشعرت أنني كذلك أيضًا. وكلما تركنا الشقة، خامرني ذلك الشعور الوهمي اللعين الذي أتذكره أكثر من أي شيء آخر، كأننا ممثلان فاشلان في أزياء مريضة في مسرحية فشلها مؤكد، لكننا اضطررنا إلى الخروج إلى خشبة المسرح على أي حال.

أخذنا الطريق الطويل نعبر كل الأحياء القديمة وشوارع التسوق ومررنا أخيرًا بمعبد صغير ضئيل وسط مجموعة من بنايات المكاتب الخرسانية. كان المعبد مكانًا مميزًا، وانبعثت رائحة

الأشنيات والبخور، والأصوات أيضًا -يمكنك حقًا سماع الحشرات والطيور وبعض الضفادع أيضًا- ويمكنك أن تشعر بنمو النباتات وأشياء أخرى. كنا في قلب طوكيو تمامًا، ولكن اقترابنا من المعبد كان أشبه بالدخول إلى جيب هوائي رطب عتيق، حُفظ بصورة ما مثل فقاعة في الثلج، ولم تزل الأصوات والروائح محبوسة داخله. قرأت أن علماء في المنطقة القطبية الشمالية، أو في القطب الجنوبي أو في مكان بارد جدًا، يثقبون الجليد ويأخذون عينات مخروطية من المناخ القديم الذي يبلغ عمره مئات آلاف بل ملايين السنوات. ورغم طرافة الأمر حقًا، فإنه يحزنني أن أتخيل سدادات الجليد هذه، تذوب وتحرر فقاعاتها القديمة كتهديدات صغيرة في هواء قرننا الحادي والعشرين الملوث. غباء، أعرف هذا، ولكن هكذا بدا لي المعبد، عينة مخروطية من عصر آخر، وأحبيته حقًا وأخبرت أبي بذلك، وكان هذا قبل أن أعرف جيكو، أو أقضي الصيف في معبدها الواقع في الجبال، أو أي شيء من هذا القبيل. بل لم أعرف بوجودها.

«ألا تذكرين زيارتنا لها وأنت طفلة؟»

«لا».

«زرتها في معبدها قبل سفرنا إلى أمريكا».

«لا أذكر أي شيء قبل سفرنا إلى أمريكا».

سرنا الدرب خلال بوابة خشبية. نامت قطعة في الشمس قرب فانوس حجري. فارتقينا درجات متداعية إلى مكان جلوس شاكاساما، الإله بوذا، في مذبح ظليل. ووقفنا جنبًا إلى جنب، ننظر إليه. بدا مسالمًا، عيناه نصف مغمضتين، كأنه غاف.

«جدتك الكبرى راهبة. أتعرفين بهذا؟»

«لقد أخبرتك يا أبي. أنا لا أذكر أن لي جدة».

صفت مرتين وانحنيت وتمنيت أمنية، مثلما فعل أبي. تمنيت دومًا الأشياء نفسها: أن يجد عملاً، وأن نتمكن من العودة إلى سنيقيل، ولم تتحقق أي من الأمنيتين، وتمنيت على الأقل أن يتوقف الأولاد عن تعذيبني. لم تهمني الجدات الكبريات الراهبات حينئذ. بل كنت أحاول النجاة يومًا بيوم.

بعد المعبد، مشي أبي معي إلى المدرسة وتحدثنا عن بعض الأمور. لا أذكر ما هي تحديدًا، وهذا ليس مهمًا. المهم أننا كنا مهذبين ولم نتحدث عن الأمور التي تتعسنا، وهذه الطريقة الوحيدة التي نعرفها للتبادل الحب.

لدى اقترابنا من بوابات المدرسة الإعدادية، كان يبطئ قليلًا، فأبطئ أيضًا، وينظر حوله ليتأكد ألا أحد ينظر، ثم يعانقني عناقًا سريعًا قصيرًا ويقبلني على قمة رأسي. كان هذا أبسط الأمور في العالم، ولكننا بدونا كمن يرتكب شيئًا مخالفًا للقانون، كأننا عاشقان أو ما شابه، لأن الآباء في اليابان لا يعانقون أبناءهم ويقبلونهم. لا تسألني عن السبب، إنهم لا يفعلون وانتهى الأمر. لكننا نتبادل القبل والعناق لأننا أمريكيان، في قلبينا على الأقل، ثم نفترق سريعًا خشية أن أحداً يراقبنا.

يقول ناظرًا من فوق رأسي «تبدين جميلة حقًا يا آن».

فأتفحص حذائي وأقول «نعم، وأنت تبدو حسن الهيئة أيضًا يا

أبي».

كان كلانا يكذب، ولكن لا بأس، وسرنا بقية الطريق دون أن نتفوه بكلمة، فإن فتحنا فاهينا بعد قول أكاذيب كبيرة، فقد تتسكب الحقيقة منهما، ولذا علينا أن نبقي شفاهنا مطبقة. ولكني ما زلت أحب سير أبي معي إلى المدرسة كل صباح، وإن لم نستطع التحدث إلى بعضنا صراحة، لأن الأولاد لن يستطيعوا مضايقتي حتى يلوح لي مودعًا وينعطف حول الزاوية.

لكنهم كانوا ينتظرون. أشعر بأعينهم تراقبنا أثناء وقوفنا قرب البوابة، وبدأ شعر ذراعيّ ومؤخرة عنقي بالانتصاب، وأخذ قلبي يدق بسرعة، وإبطاي كنهريّن يفيضان. أردت التثبت بأبي والتوسل إليه ألا يذهب، لكنني عرفت أنني لا أستطيع ذلك.

قال أبي باسمًا «جا، ني. ادرسي جيدًا، طيب؟»

فأهز رأسي لأنني أعرف أنني سأنفجر بالبكاء لو تكلمت.

-4-

بدؤوا يقتربون لحظة أدار ظهره. هل شاهدت يومًا الأفلام الوثائقية عن الطبيعة التي تعرض قطعًا من الضباع البرية التي تتحرك لقتل ظبي أفريقي أو صغير غزال؟ إنها تقترب من كل جانب وتبعد أكثر الحيوانات ضعفًا عن قطيعه وتطوقه، وتقترب وتقترب وتظل متلاصقة، ولو حدث أن أبي التفت ليلوح لي، لبدا الأمر لهوًا بريئًا، كأن لي كثيرًا من الصديقات الظريفات المتحلقات حولي، يغنين تحياتهن بإنجليزية مريعة - غودو موننغ طالبتنا المنقولة العريضة ياسوتاني! أهلاً أهلاً- ولاطمأن أبي لرؤيتي محبوبة جدًا والجميع يحاولون إبداء اللطف لي. ويكون في العادة ضبع واحد، ليس أكبرها دومًا، بل ضبع سريع وصغير

ولئيم، من ينقضّ أولاً فيمزق اللحم ويسيل الدم، وهي العلامة لبقية القطيع ليهاجموا، فعندما نصل إلى أبواب المدرسة، تكون الجروح الجديدة وآثار القرصات قد غطت جسدي، وثيابي بلا ترتيب وفيها شقوق صغيرة جديدة من الرؤوس الحادة لمقصات الأظافر التي تحتفظ بها الفتيات في مقلماتهن لقصّ أطراف الأظافر المنكسرة. الضباع لا تقتل فريستها، بل تشل حركتها وتأكلها حية.

عادة، يسير الأمر على هذا المنوال طوال النهار. فيمشين قرب مقعدي ويتظاهرن بالاختناق أو بتشقّ الهواء فيقلن إياداً عاجين كوساي⁽¹⁾ أو بيمبو كوساي⁽²⁾ أحياناً يتدربن على تعابيرهن الإنجليزية عليّ، فيكررن أشياء تعلمنها من أغاني الراب الأمريكية: أنت، يا صاحبة المؤخرة الكبيرة، أرجووكي أريني أعضاءك الريانة، ألسنت عاهرة، خذيه في مؤخرتك، تعالي والعقي لي، هيا. إلخ. لقد فهمت قصدي. كانت خطتي أن أتجاهلهن أو أن أمثل أني ميتة أو أظاهر أني لست موجودة. وخطر لي أنني لو أجدت التظاهر بذلك لتحقق الأمر ولصدقته زميلاتي وتوقفن عن تعذيبي، لكنهن لم يفعلن. لم يتوقفن حتى يطاردنني إلى شقتنا، فأرتقي السلالم وأقفل الباب خلفي، لاهثة نازفة من أماكن صغيرة كثيرة مثل إبطيّ أو بين ساقيّ حيث لا تظهر الجروح للعيان.

(1) قرف! رائحتها ننته كرائحة الغريب! (الكاتبة)

(2) رائحتها ننته كرائحة الفقراء! (الكاتبة)

لم تكن أُمي معظم الأوقات في البيت في ذلك الوقت. لقد كانت في مرحلة قنديل البحر، واعتادت قضاء النهار بكامله في حوض الحيوانات اللاقارية في حديقة أسماك المدينة، فتجلس ممسكة بحقيبتها الغوتشي القديمة تراقب الكوراغي⁽¹⁾ من خلال الزجاج. أعرف هذا لأنها أخذتني إلى هناك مرة. كان الشيء الوحيد الذي يريحها، وقد قرأت في مكان ما أن مراقبة الكوراغي مفيدة للصحة لأنه يخفّض مستويات التوتر، لكن المشكلة أن كثيرًا من ربات المنازل قرأن المقال نفسه، ولذا يكون المكان دائم الازدحام أمام الحوض، واضطرت إدارة حديقة الأسماك إلى وضع كراسي تطوى، ولا بد من الوصول باكراً للحصول على موقع جيد، وهذا كله يثير التوتر الشديد. لدى تذكّري الأمر الآن، فأنا واثقة كل الثقة أنها كانت تعاني انهياراً عصبياً حينها، لكنني أذكر كم بدت شاحبة وجميلة وصورتها الجانبية الرقيقة أمام الحوض المائي الأزرق، وعيناها الحمراءوان تتبعان انسياب قناديل البحر الزهرية والصفراء وهي تعوم مثل أقمار متذبذبة ملونة بألوان الباستيل، تجر خلفها مجساتها الطويلة.

-5-

كانت هذه حياتنا بعد سنيقيل، وخيل لنا أنها ستستمر هكذا إلى الأبد، رغم أنها لم تكن إلا بضعة أشهر. ثم ذات مساء عاد أبي إلى البيت وقال إنه توظف في شركة ناشئة جديدة تطور خط برمجيات تشاعرية لزيادة الإنتاجية، وإنه سيكون كبير

(1) (水母) قنديل البحر. حرفياً: ماء+ أم. (الكاتبة)

المبرمجين، ورغم أن أجره ليس إلا جزءاً ضئيلاً مما كان يتقاضاه في سلكون مثالي، فإنه عمل على الأقل. كانت معجزة! أتذكر سعادة أمي الشديدة، إذ انخرطت في البكاء، وأصبح أبي خجلاً فظاً ثم خرجنا لتناول الإنقليس الحلو المشوي على الأرز، وهو طبقي المفضل في العالم بكامله.

وواصل أبي الخروج معي صباحاً والعودة متأخراً في الليل، ورغم أنني ما زلت أتعرض للتممر في المدرسة وما زلنا لا نملك المال، فإن الأمور لا بأس بها لأننا تفاءلنا جميعاً بمستقبل العائلة مجدداً. وتوقفت أمي عن الذهاب إلى حديقة الأسماك وأخذت ترتب شقتنا ذات الغرفتين. فنظفت حصيرة التاتامي ورتبت رفوف الكتب بل إنها تصدت لمضيفات الحانة، وترصدتهن في الممر في طريقهن إلى نواديهن لتصرخ بهن من أجل إعادة التدوير والضجيج الذي يحدثه.

«لدي ابنة مراهقة!»، سمعتها تقول وشعرت بالحرج لذلك -صباح الخير، كدت أبلغ الخامسة عشرة من عمري وأعرف ما هو الجنس- لكنني شعرت بالفخر أيضاً لأنها رأته ابنة تستحق القتال من أجلها.

كان أول احتفال بعيد الميلاد والسنة الجديدة لي في اليابان ذلك العام، وحاول أبي وأمي التصديق بأن كل شيء على ما يرام وأن كارثة حياتنا كلها ليست إلا مغامرة كبيرة وجاريتها لأنني كنت صغيرة، ومعرفتي محدودة. تبادلنا الهدايا في عيد الميلاد، وأعدت

لي أمي أوسيتشي⁽¹⁾ وجلسنا أمام التلفاز نأكل القريدس المسكّر
وسمكًا صغيرًا مجففًا وسرّ سمك مملحًا وجذور لوتس مخلة
وفاصولياء حلوة وشرب أبي الساكي، وأثناء الفواصل الإعلانية
حكى لنا قصصًا عن خط برمجات الإنتاجية الذي يطره، وأن
الحواسيب ستجيد التعاطف وتوقع حاجاتنا ومشاعرنا أفضل من
البشر الآخرين، وأن البشر قريبًا لن يحتاجوا إلى بعضهم بعضًا
بالصورة نفسها. بالنظر إلى ما يحدث في المدرسة، رأيت هذا
مبشرًا بخير.

لا أتخيل ما فكر فيه أبي، لا أصدق أنه حسب أنه سينجو
بفعلته. ربما لم يفعل، ربما لم يفكر على الإطلاق، أو لعله كان
مجنونًا جدًا أصلًا فصدق حكاياته. أو لعله سئم من الإحساس
بالفشل، فاختلق هذه الوظيفة ليمنح نفسه فرصة ويسعدنا كلنا،
لوقت قصير على الأقل. وقد نجح الأمر، لوقت قصير. لكنه
سرعان ما بدأ هو وأمي يتجادلان ليلاً، بهدوء في بادئ الأمر، ثم
ازداد الجدل حدة.

كان الجدل حول المال دائمًا. أرادته أمي أن يسلمها أجره
الأسبوعي لتحسن تقسيمه. هكذا جرت العادة في اليابان؛ يعطي
الزوج زوجته كل النقود، وتعطيه مصروفًا ينفقه على البيرة
والپاتشنكو⁽²⁾ أو أي شيء يريده، وتحفظ هي بالباقي لتبقيه في
مأمن. ولدى أمي سبب وجيه لرغبتها في اتباع الطريقة اليابانية.

(1) osechi ryōri (おせち料理): أوسيتشي ريوري عشاء بارد خاص برأس
السنة، يعد مسبقًا ويقدم في علب طعام متعددة الطبقات (الكاتب).

(2) لعبة مقامرة يابانية تشبه آلة الكرة والدبابيس (المترجمة)

عندما ذهباً إلى أمريكا، أصر أبي على اتباع الطريقة الأمريكية، إذ يتخذ رجل البيت كل القرارات المالية الكبرى، ولكن كما اتضح، وما حدث في شأن اختيار الأسهم، تحولت الطريقة الرجولية الأمريكية إلى كارثة. لم تكن أمي لتسمح بحدوث شيء كهذا ثانية، فأصرت على أن يسلمها أجره، وأصر هو على أن يودعه في حساب مرتفع العوائد و... و.... أعطاهما بين الحين والآخر رزمة من أوراق عشرة آلاف، ولكن هذا كل شيء. واستمر على هذا المنوال وقتاً أطول، غير أن أبي غدا لامبالياً، وقبل عيد ميلادي الخامس عشر ببضعة أيام وجدت أمي قسائم مقامرة خارج المضمار في جيبه وواجهته بالأمر، وبدلاً من الاعتراف بأنه كان يكذب، خرج وجلس في الممتزه، وثل وهو يشرب من آلة بيع للساكي، ثم ذهب إلى محطة القطار واشترى تذكرة للرصيف وقفز أمام القطار السريع الواصل بين شنجوكو وتشو القادم الساعة 12:37.

لحسن حظه، كان القطار قد بدأ يبطئ لدى اقترابه من المحطة، وقد رآه السائق يتمايل على طرف الرصيف وتمكّن من ضغط مكابح الطوارئ في الوقت المناسب. لم يصبه القطار، بل دهس حقيبة الأوراق الغبية. وجاءت شرطة المحطة وأبعدت أبي عن السكة واعتقلته لتسببه بإزعاج ومقاطعة العمليات الموقوتة لنظام النقل، ولما لم يتبينوا أنه قفز أو كان ثملاً فتعثر، فقد أطلقوا سراحه بكفالة أمي ولم يحبسوه.

ذهبت أمي لتحضره من المخفر، وأعادته في سيارة أجرة، ووضعتة في حوض الاستحمام وعندما خرج، مبللاً وأكثر يقظة

بقليل، قال إنه مستعد للاعتراف بكل شيء. قالت لي أمي أن أذهب إلى غرفة النوم، لكن أبي قال إنني كبيرة ويجب أن أعرف أي رجل هو أبي. جلس أمامنا إلى طاولة المطبخ وأصابه بيضاء متشابكة، واعترف أنه اختلق القصة برمتها. وبدلاً من الذهاب إلى العمل بصفته كبير المبرمجين، أمضى أيامه على مقعد في متنزه يونو، يدرس السباق ويطعم الغريبان. لقد باع ملحقات كومبيوتره القديمة ليوفر بعض النقد الذي راهن به على الخيول. كان يفوز أحياناً، ويحتفظ بقسم من النقود ليراهن بها مرة أخرى، والباقي يجلبه إلى البيت لأمي، لكنه أخذ يخسر في الآونة الأخيرة أكثر مما يربح، حتى تبددت نقوده كلها في نهاية المطاف. لا وجود للحساب مرتفع العوائد و... و.... لا وجود لبرمجيات الإنتاجية التعاطفية. بل لا وجود للشركة الناشئة. لا وجود إلا لغرامة الملايين الخمسة من شركة النقل التي يجعلونك تدفعها لتسببك «بحادث بشري»، وهو أسلوب لطيف لقول محاولتك استخدام واحد من قطاراتها لقتل نفسك. انحنى حتى لامست جبهته طاولة المطبخ وقال إنه آسف لأنه لا يملك المال ليشتري لي هدية عيد ميلادي. أنا واثقة من أنه كان يبكي.

حادثه قطار تشو السريع هي المرة الأولى وكان ثملاً، لذا قد يصدق المرء إنه حادث. في النهاية، هذا ما قررت أمي أن تفعله، وجارها أبي، رغم أن عينيه أخبرتاني إن هذا ليس بصحيح.

-6-

تقول عجوزي جيكو إن كل شيء يحدث بسبب نصيبك، وهو بطاقة غامضة تولدها الأمور التي تقولها أو تفعلها أو تفكر فيها،

وهذا يعني أن عليك الانتباه لنفسك وألا تفكر بكثير من الأفكار الضالة وإلا عادت إليك وعضتك. ولن يحدث هذا في الحياة فحسب، بل في كل حيواتك عودًا إلى ماضيك وإلى مستقبلك. وكذا فقد يكون نصيب أبي أن ينتهي به الأمر على مقعد في متزه يطعم الغريان في هذه الحياة، ولا يمكنك لومه لتسببه بحادث بشري ورغبته في الانتقال إلى الحياة الأخرى بسرعة. على أي حال، تقول جيكو إنك ما دمت تواصل محاولاتك في أن تكون شخصًا صالحًا وتبذل جهدك للتغيير، فإن الأمور الحسنة ستجلب كل السيئات التي ارتكبتها، فتغدو متنورًا وتقفز إلى المصعد ولا تعود ثانية، إلا، كما قلت، أن تكون مثل جيكو وقد أقسمت ألا تركب المصعد حتى يصعد الجميع أولاً. هذا هو الرائع في جدتي الرائعة. يمكنك الاعتماد عليها. قد يكون عمرها مئة وأربع سنين وتقول أشياء غريبة، لكن عجوزي جيكو يعتمد عليها حقًا.

قال أولقر متردداً «أمر الغريان مثير للاهتمام».

أغلقت روث اليوميات ونظرت إلى زوجها. كان مستلقياً على ظهره، ورأسه مستند إلى الوسادة يحدق إلى أصابع قدميه. عاينت صورته الجانبية النظيفة المنحوتة وتعجبت. بعد كل ما قرأته-عن حياة آن، عن والد الفتاة، عن حالها في المدرسة- لم يشغل ذهنه إلا الغريان! ثمة أشياء أخرى كثيرة جداً أشد إلحاحاً تود أن تناقشها، وكادت أن تقول هذا، فأثاها ترددٌ طفيف في كلماته، لإدراكه أن ردود فعله لم تكن عادية في أحيان كثيرة، وعرفت أن هذا يقلقه. لم يحاول إزعاجها، بل العكس، فأخذت نفساً عميقاً.

فكررت قوله «الغريان. نعم. ما بها؟»

قال وقد بدا عليه الارتياح «حسناً. غريب أن تذكرها، لأنني كنت أقرأ عن الغريان اليابانية. إن النوع الواطن هناك هو كورثوس جابونيسس، وهو فصيلة فرعية من كورثوس ماكورونكوس، الغراب ذي المنقار الكبير أو غراب الأدغال. إنه مختلف تماماً عن الغراب الأمريكي...»

قالت تقاطعه وقد انصرف ذهنها إلى مكان آخر «هذه كندا. يجب أن يكون عندنا غريان كندية». كانت تتخيل والد آن، جالساً على مقعده، يستيقظ كل صباح، يلبس بدلته الزرقاء الرخيصة، يتناول إفطاره، ويوصل ابنته إلى المدرسة مشياً. ربما يتلقف نسخة من صحيفة الصباح من حاوية إعادة التدوير في طريقه إلى المتنزه ليقراها أثناء جلوسه على المقعد.

قال أولفر «حسنًا، نعم. كنت سأوضح أن الغراب الأهلي في هذه الأنحاء هو كورفوس كورينوس، أي الغراب الشمالي الغربي. يكاد يكون نسخة من الغراب الأمريكي، عدا أنه أصغر حجمًا». «أرقام»، قالت. أكان له مقعد مفضل يعجبه أكثر من غيره؟ يجلس ويقرأ الصحيفة ويدرس جدول السباق. ربما يطعم الغرابان بعد الظهر فتاتًا من شطيرته أو حبات من كرة الأرز قبل أن يغفو ممددًا على مقعده والصحيفة تغطي وجهه. هل ظن حقًا أنه سينجو بفعلته؟

صمت أولفر.

قالت بسرعة لتثبت له أنها سمعته «لم أعرف أن عندنا غرابًا أصلاً. ظننت أن عندنا طيور القاق فقط».

«بل عندنا. عندنا النوعان الغريان والقاق. الجنس نفسه،

والطائران مختلفان. وهذا الغريب في الأمر».

اعتدل في الفراش وانتظر حتى استحوذ على كامل انتباهها قبل أن يكمل. «قبل يومين حين عدت بكيس المجمدة، كنت في الحديقة وسمعت طيور القاق تتكلم. كانت أعلى شجرة تنوب تصدر أصواتًا كثيرة، وتخفق بأجنحتها، وكلها إثارة. رفعت نظري فرأيت أنها تضايق طيرًا أصغر، وظل الطائر الأصغر يحاول الاقتراب منها، لكنها واصلت مضايقته حتى طار مبتعدًا في النهاية إلى السياج قريبًا من المكان الذي أشتغل فيه. بدا لي غرابًا، غير أنه أكبر من كورفوس كورينوس، له نتوء في جبينه ومنقار كبير ثخين معقوف».

«لم يكن غرابًا إذن؟»

«بلى، كان غراباً. أظنه غراب الأدغال. جثم هناك وقتاً طويلاً يعاينني، فاستطعت النظر إليه جيداً أيضاً. أقسم إنه كان كورفوس جابونيسس. ولكن ما الذي يفعله هنا؟»

مال إلى الأمام، وعينه الزرقاوان الفاتحتان ثابتتان عمداً على الغطاء، كأنه يحاول في الملاءات معرفة جواب للفر هذا النزوح الجغرافي. «ما يسعني التفكير فيه أنه ركب حطاماً عائماً. وأنه جزء من النقائل».

«أهذا وارد؟»

مرر يديه على البطانية، ممهداً الجبال والوديان. «كل شي وارد. لقد وصل الناس إلى هنا في جذوع شجر مجوفة. فلم لا تفعل الغريبان؟ يمكنها ركوب النقائل، ثم إن عندها ميزة القدرة على الطيران. ليس الأمر مستحيلاً. إنها حالة شاذة، هذا كل ما في الأمر».

-2-

لقد كان أولفر حالة شاذة، طفرة، حيداً عن المتوسط. «يقلي سمكه في مقلاة مختلفة» هكذا وصفه أهل الجزيرة أحياناً. لكن روث فتنت دائماً بالمسارات المتعرجة لعقله، صحيح أنها كثيراً ما تفقد صبرها في محاولتها تتبع جريانها، ولكنها سعيدة أنها فعلت. فملاحظاته، كهذه المتعلقة بالغريبان، هي الأكثر إثارة.

التقيا في أوائل التسعينات [من القرن الماضي] في بيت للفنانين في جبال الروكي الكندية، إذ كان في برنامج للإقامة الفنية الموضوعاتية عنوانها نهاية الأمة - الدولة. وقد دعيت إلى البيت لإتمام عمليات ما بعد الإنتاج لفيلم صنعتته حينئذ،

وكانت هاوية متحمسة لسينما منتصف القرن اليابانية، فصارا صديقين. اعتاد زيارتها في غرفة التحرير حاملاً رزمة من ست علب، فيشران البيرة، ويتكلم عن التوليف والتركيب والإطارات والزمن أثناء تقطيعها إطارات فيلمها بحذر. كان فناناً بيئياً، يصنع تركيبات عامة (يسمىها تدخلات نباتية في المناظر الحضرية) على تخوم المرافق الفنية، وجذبتها فوضوية تفكيره الخصبة التي لا تُكبح. في العتمة الخافتة لغرفة التحرير، استمعت إليه يتكلم، وسرعان ما انتقلت إلى غرفته في المسكن.

بعدما انتهت الإقامة، افترقا وذهبا في اتجاهين متعاكسين؛ فعادت هي إلى مدينة نيويورك، وعاد هو إلى مزرعة الجزيرة في كولومبيا البريطانية حيث يعلّم الزراعة المعمرة. لو أنهما التقيا قبل ذلك، لانتهت علاقتهما في ذلك المكان والزمان، لكن هذه أولى أيام الإنترنت، ولدى كل منهما بريد إلكتروني بالربط الهاتفي، أتاح لهما أن يحافظا على عفوية صداقتهما. كان يتقاسم خطأ جماعياً مع ثلاثة بيوت من الجزيرة، لكنه ينتظر حتى منتصف الليل، حين لا يستخدم أحد الهاتف، ليرسل رسالة إخبارية عنوانها من الحافة القارية المكسوة بالطحالب. كتب لها في الصيف، والعت الثقليل يضرب بأجنحته الناعمة على الحواجز الشبكية لنافذته، عن الجزيرة واصفاً شجيرات التوت المثقلة بالثمار، وأماكن العثور على المحار المليء بالعصارة، وإنارة الإضاءة الأحيائية للموجات المترابكة وملئها المحيط بصنوف العوالق المتلائة التي عكست صورة النجوم في السماء. وترجم لها البيئة الحيوية الواسعة الجامعة لحافة المحيط الهادي في

شعر وفي مرئيات، يبعثها من هذه المسافة إلى شاشتها الصغيرة في مناهاتن، حيث تنتظر مقترية من الشاشة، بلهفة تقرأ كل كلمة وقلبها يبلغ حنجرتها، لأنها حينئذ كانت مغرمة.

جريا العيش معاً في نيويورك ذلك الشتاء، لكنها في الربيع رضخت ثانية لشد ذهنه وجذبه، متيحة لتياراته أن تحملهما عودة إلى القارة وتلقي بهما على الشواطئ البعيدة لجزيرته دائمة الخضرة، التي تحيطها المضائق والقمم المغطاة بالثلوج لخليج العزلة، وجذب النظام الكندي للرعاية الصحية، بعد إصابته بمرض غامض شبيه بالأنفلونزا، وكانا مفلسين وفي حاجة إلى تأمين صحي معقول التكلفة.

وإذا ما كانت صادقة كل الصدق، فلا بد لها أن تقر بالدور الذي أدته في انتقالهما. أرادت له الأفضل، وأرادته أن يكون سالماً سعيداً، لكنها كانت تبحث عن ملاذ لها ولأمها أيضاً. حينها كانت أمها مصابة بمرض ألزهايمر، وقد شخصت به قبل موت والد روث ببضعة أشهر، ووعدته روث وهو على فراش الموت بأنها ستعتني بأمها بعد رحيله، لكن روايتها الأولى نشرت حينها، وانطلقت في جولة للكتاب أخذتها حول العالم مرتين. كان الاعتناء بأم مصابة بالخرف في كونكتكت، وزوج مريض في كندا واضح الاستحالة. والخيار الوحيد هو التشاور مع باقي العائلة والانتقال بأمها إلى الجزيرة.

كانت خطة جيدة، ولما حان يوم الانتقال، سرت روث أن تستبدل عشرين أكرًا من الغابات المطرية وبيتين في ويلتاون بالشقة ذات

غرفة النوم الواحدة مسكنها في منهاتن الدنيا . وقالت لأصدقائها في نيويورك «سأقايض جزيرة بأخرى . فإلى أي حد ستختلفان؟»

-3-

وعرفت أنهما مختلفتان كثيرًا . لم تكن ويلتاون مدينة ، جوهريًا ، بل كانت «تجمعًا سكانيًا» عرّفته ولاية كولومبيا البريطانية بأنه «مكان مسمى أو منطقة فيها سكان متفرقون من خمسين نسمة أو أقل» . ومع ذلك ، كانت ثاني أكبر مركز في السكان على الجزيرة . كانت مقرًا لصيد الحيتان ذات يوم ومنه اكتسبت اسمها ، رغم أن الحيتان لم تعد تُرى في هذه المياه إلا نادرًا . فقد جرى صيد معظمها منذ عام 1869 ، عندما أسس رجل أسكتلندي اسمه جيمس داوسن وشريكه الأمريكي آييل دوغلس محطة ويلتان وأخذا يقتلان الحيتان بسلاح جديد شديد الفعالية يسمى قذيفة الرمح . إنها بندقية ثقيلة الوزن تُحمل على الكتف وتطلق حربة خاصة ، مجهزة بقنبلة وتوقيت مؤجل ، تنفجر داخل الحوت بعد ثوانٍ من اختراقها جسده . بحلول منتصف سبتمبر من ذلك العام ، شحن داوسن ودوغلس أكثر من 450 برميلًا من الزيت ، أي 20000 غالون ، إلى الولايات المتحدة جنوبًا .

كان الشحم المصدر الرئيس للزيت تلك الأيام ، ولا سبيل للحصول عليه إلا باستخراجه من أجساد الحيتان الحية . وحظيت رتبة الحوتيات بفرصة في النجاة ، بعد استغلال التقنية في استخراج الكيوسين والنفط من بوائد ما قبل التاريخ في الجزء الأخير من القرن . يمكنك القول إن الوقود الأحفوري ظهر في الوقت المناسب لإنقاذ الحيتان ، ولكنه ليس الوقت المناسب

لإنقاذ حيتان ويلتاون. إذ ذبحت آخر حيتان المنطقة أو لاذت بالفرار في يونيو 1870، أي بعد عام من تأسيس المحطة، وأغلق داوسن ودوغلس المتجر وانتقلا أيضاً.

الحيتان كائنات زمنية. عثر على حوت مقوس الرأس يزن خمسين طنًا في مايو من عام 2007، قتله صيادو الحيتان من الإسكيمو على شاطئ ألaska، وعُثر فيه على قذيفة لها شكل السهم طولها ثلاث بوصات ونصف، من حربة متفجرة مطمورة في شحم رقبتة. تمكن الباحثون بعد تحديد تاريخ الشظية من تقدير عمر الحوت، الذي يتراوح بين 115 إلى 130 سنة. يُظن أن الكائنات المعمّرة تتمتع بدواكر طويلة الأمد. لقد كانت المياه حول ويلتاون ذات يوم خطيرة على الحيتان، لكن من نجح في الهرب منها تعلم البقاء بعيداً. تخيلها وهي تهدل وتتبادل الغناء بأصواتها الجميلة تحت المائية.

ابق بعيداً! ابق بعيداً!

يشاهد حوتٌ من العبّارة التي تخدم الجزيرة بين حين وآخر. فيوقف القبطان المحرك ويشغل نظام الإذاعة الداخلية ليقول إن قطيعاً من الحيتان القاتلة أو الحيتان الحدباء قد شوهد على جانب الميناء الساعة الثانية، فيتدفق المسافرون إلى ذلك الجانب من السفينة ليمعنوا النظر إلى الأمواج ليتمتعوا بلمحة لزعنفة أو ذيل أو ظهر داكن أملس يخرج من الماء. فيرفع السائحون كاميراتهم وهواتفهم النقالة، أملين أن يلتقطوا صورة لوثبة أو رذاذ، وينتقل الحماس إلى أهل الجزيرة أيضاً. لكن الحيتان غالب الأحيان تظل بعيدة عن ويلتاون، تاركة اسمها خلفها.

خطر لروث أن الاسم قد يكون شبحاً أو نذيراً وذلك عائد إلى كون الزمن في صالحك أو لا. أصبح الاسم ويلتاون طيفاً من الماضي، بريق غسقي للمحيط الهادي، لكن اسم خليج العزلة ما زال يحوم في فضاء حدي وبدا لها اسماً يوحى بالالتياح والغموض.

كثيراً ما كان لاسمها، روث، معنى النذير، ملقياً بظل معقد على حياتها. إذ اشتقت كلمة روث من الإنجليزية الوسطى، وتعني الندم أو الحسرة. لم تكن والددة روث اليابانية تفكر بالتأثيل الإنجليزي عندما اختارت الاسم، ولا قصدت أن تلعن ابنها به، فروث اسم صديقة العائلة القديمة. ومع ذلك، كثيراً ما شعرت روث بأنها مثقلة بمعنى اسمها، لا في الإنجليزية فقط، بل في اليابانية أيضاً، إذ كان الاسم ملتبساً بقدر مماثل. ولا يحسن اليابانيون لفظ الرء أو الثاء. وسيلفظ روث في اليابانية إما روستو وتعني «الجدور»، أو روسو ومعناها «ليس في البيت» أو «غائب».

كان المنزل الذي ابتاعاه في ويلتاون مبنياً على براح يشبه المرج، اقتطع من وسط غابة مطرية كثيفة معتدلة الحرارة. يقع كوخ أصفر عند آخر مدخل السيارة وفيه ستقيم أمها. من كل الجهات، أحاطت بهم أشجار تنوب دوغلس ضخمة وأرز أحمر وقيقب كبير الأوراق، فحولت كل شيء بشري إلى قزم. بكت روث حين رأت الأشجار العملاقة أول مرة. إذ بسقت الأشجار حولها، كائنات زمنية عتيقة، تعلو مئة قدم أو مئتين إلى الأعلى. ولم تشعر يوماً أنها ضئيلة إلى هذا الحد، وهي التي يبلغ طولها خمسة أقدام وخمسة إنشات.

قالت وهي تجفف عينيها «نحن لسنا شيئاً. نحن لا نكاد نكون هنا».

قال أولثر «أجل. أليس هذا رائعاً؟ وتعيش لتبلغ ألف سنة من العمر».

استدت عليه، وأرجعت رأسها إلى الوراء لتتمكن من رؤية أعالي الأشجار التي تثقب السماء.
قالت «إنها شاهقة حد الاستحالة».

قال أولثر ممسكاً بها لئلا تسقط «ليس حد الاستحالة. إنها زاوية النظر فقط. لو كنت شجرة، لما وصلت أسفل عظم كاحلك».

كان أولثر مفرط الابتهاج، فهو محب للشجر ولا ميل عنده لحدائق الخضار المرتبة أو النباتات الحولية سطحية الجذور كالخس. لم يزل مريضاً أول انتقالهما، تصيبه نوبات دوار وتعب سريع، لكنه بدأ نظاماً يومياً من المشي وسرعان ما بات يركض الدروب، وخُيل لروث أن الغابة تشفيه، كأنه يمتص قوتها العنيدة للحياة. وهو يركض تحت أشجار الطبقة السفلى، قرأ علامات لمكائد الشجر، وصراعات الدراما والقوة إذ تسعى الأنواع للاستحواذ على رقعة من ضوء الشمس، أو اختيار التتوب العملاقة وبوغ الفطر العمل معاً لمنفعتهما المشتركة. يرى الزمن ينكشف هنا، والتاريخ، مغروساً في اللفات الحلزونية والأشكال الدقيقة للطبيعة، فيعود إلى البيت متعرفاً منقطع الأنفاس ويخبرها بما رآه.

بني منزلهما من خشب الأرز من الغابة. كان مبنى غريباً من

طابقين بناء الهبيون في السبعينيات، له سطح ذو ألواح ومزاريب عميقة، ورواق أمامي ملتف يطل على مرج صغير وتطوقه الأشجار الباسقة. وصف الوكيل العقاري البيت بأنه ذو إطلالة على المحيط، لكن نافذة وحيدة في مكتب روث تطل على الماء، فتري منها رقعة صغيرة من البحر والسماء خلال فُرجة في أعالي الشجر لها شكل حرف ل، بدت شبيهة بنفق مقلوب. أشار الوكيل العقاري إلى أنهما يستطيعان قطع الأشجار التي تحجب الرؤية، لكنهما لم يفعلا قط، بل زرعا المزيد.

في محاولة بائسة لترويض المنظر، زرعت روث زهوراً أوروبية متسلقة حول البيت، وزرع أولثر الخيزران. كبر النوعان بسرعة ليغدوا أجمة كثيفة، وسرعان ما غدا مستحيلاً العثور على مدخل البيت إن لم تعرف موقعه مسبقاً. وبدا البيت معرضاً لخطر الاختفاء، وأخذ المرج بالتقلص أيضاً، واجتاحت الغابة المكان مثل موجة صنوبرية الشكل بطيئة الحركة، تهدد بابتلاعهم تماماً. لم يساور أولثر القلق، بل استدعى المنظر الطويل الأمد. وتخيل آثار الاحتباس الحراري على الأشجار المحلية، فسعى إلى استنبات غابة تغير المناخ في براح مساحته مئة أكر يملكه صديق نباتي. فزرع أجمات من الأشجار المحلية القديمة - سيكويا الفجر والسيكويا العملاقة، والشجر الأحمر الساحلي، والجوز والدردار، والجنكو، وكلها أنواع كانت أصلية في المنطقة خلال الحد الأقصى للحرارة البالوسينية - الإيوسينية، قبل ما يقارب 55 مليون سنة.

قال» تخيلي أن تنمو أشجار النخيل والتماسيح مجدداً في الشمال البعيد في ألاسكا!«

كان هذا آخر أعماله الفنية، تدخل نباتي سماه الإيوسينية الجديدة. وصفه بأنه اتحاد بين المكان والزمان، لن يشهد ثمرته لا هو ولا أي من معاصريه، لكنه رضي بعدم المعرفة. فالصبر أحد طباعه، ورضي بنصيبه بصفته واحداً من الثدييات قصيرة العمر، التي تسرع في الدخول والخروج بين جذور العمالقة.

غير أن روث لم تكن بالصبورة ولا بالراضية، وأحبت أن تعرف حقاً. فبعد بضع سنوات قصيرة (خمس عشرة، أو إن أردنا تحري الدقة فسنقول قصيرة بحسابه، لامتناهية في حسابها)، محاطة بكل هذا الانتشار النباتي، ازداد إحساسها بعدم الثقة في نفسها. لقد افتقدت البيئة العمرانية لمدينة نيويورك. إذ لم تتمكن من وضع نفسها في الزمن والتاريخ البشريين إلا في مشهد حضري، وسط خطوط مستقيمة وهندسة. لقد احتاجت إلى هذا وهي الروائية، فاقتدت الناس، واقتدت الدسائس البشرية، والدراما وتصارع القوى. احتاجت إلى نوعها، لا لتحدث إليه بالضرورة، بل كي تكون وسطهم، مثل عابر سبيل في حشد أو شاهد مجهول.

أما هنا، على الجزيرة نادرة السكان، فليس إلا النزر اليسير من الثقافة البشرية وإن وجدت ففي أرق الطبقات القشرية. نظرت من النافذة، التي يطوقها الورد ذي الأشواك والخيزران المتكتل، فانتابها إحساس بأنها دخلت قصة خرافية كثيرة الأحقاد. لقد ألقى عليها السحر، ووخزت إصبعها وغطت في نوم عميق كالغيوبة. مرت السنون والعمر يتقدم بها. لقد وفّت

بوعدها لأبيها واعتتت بأمها. شعرت روث، وقد ماتت أمها، أن حياتها تمر بجانبها. ربما حان الوقت لتفادر المكان الذي تمنّت أن يكون بيتها إلى الأبد، ربما حان الوقت لتُبطل الرقية.

-5-

ترك البيت كناية بوذية عن ترك العالم الدنيوي وولوج درب الرهبانية، وهذا النقيض تمامًا مما تصورته روث وهي تفكر في عودتها إلى المدينة. يستخدم معلم الزن دوغن هذه العبارة «فضائل ترك البيت»، وهو عنوان الفصل السادس والثمانين من شوبوغنزو. ويُنْثي في هذا الفصل على الرهبان الشباب لالتزامهم بدرب اليقظة ويشرح الطبيعة الحُبَيِّية للزمن: 6.400.099.980 لحظة⁽¹⁾ تشكل يومًا واحدًا. وقصده أن كل واحدة من تلك اللحظات تقدم فرصة لإعادة بناء إرادتك. ويقول إن فرقة الإصبع تمنحنا خمسًا وستين فرصة لنستيقظ ونختار الأفعال التي تولّد طاقة نافعة وتغير حياتنا.

أُقيمت «فضائل ترك البيت» في البدء محاضرة على رهبان إيهيجي، الدير الذي أنشأه دوغن في عمق جبال ولاية فوكوي، بعيدًا عن انحلال المدينة وفسادها. في شوبوغنزو، يتبع نص المحاضرة تاريخ إلقائها: نهار معتكّف صيفي في السنة السابعة من كنتشو.

كل هذا معقول. تخيل حرارة الصيف الخالصة تلف الجبال، وصرخات زيز الحصاد الحادة تثقب الهواء الخدر، والرهبان

(1) باليابانية ستسونا (刹那) من الكلمة السنسكريتية كسانا (انظر الملحق أ).
(الكاتب)

جالسون في حالة من الزاكن [التأمل البوذي] ساعة في أعقاب ساعة، بلا حراك على وسائدهم الرطبة والبعوض يطوف برؤوسهم الصلعاء اللامعة وسواقي العرق تسيل كالدموع على وجوههم الشابة. لا شك أن الوقت بدا لهم لامتناهياً.

كل هذا مقبول، غير أن السنة السابعة من كنتشو تقابل عام 1255 في التقويم المسيحي، وأثناء المعتكف الصيفي من ذلك العام، معلم الزن دوغن، الذي ألقى محاضراته حول فضائل ترك البيت كما يُزعم، كان ميتاً. فقد مات عام 1253 أي قبل عامين وكثير من اللحظات.

لهذا التضارب تفسيرات عديدة. أكثرها ترجيحاً أن دوغن كتب مسودة لخطابه قبل سنوات عدة من موته، ورغبة منه في مراجعتها ترك بعض الملاحظات والتعليقات لهذه الغاية، وضمنت لاحقاً في النسخة الأخيرة وألقاها على الرهبان وريثه في الدارما المعلم كون إيجو.

ثمة احتمال آخر يقول إنه في ذلك اليوم من المعتكف الصيفي للسنة السابعة من كنتشو، لم يكن المعلم دوغن ميتاً تماماً، وليس حياً تماماً بطبيعة الحال. مثل قط شرودنغر، في التجربة الفكرية الكمّية، سيكون حياً وميتاً في آن واحد⁽¹⁾.

المسألة العظيمة للحياة والموت هي الموضوع الحقيقي لفضائل ترك البيت. عندما يحث دوغن رهبان الغابة الشباب على أن يواصلوا، لحظة بلحظة، استدعاء عزائمهم وأن يظلوا

(1) لبعض الأفكار حول دوغن وميكانيكا الكم، انظر الملحق ب. (الكاتب).

مخلصين لالتزامهم بالتتوير، فإن ما يعنيه ببساطة هو: الحياة
تطيراً لا تضيعوا لحظة واحدة من حياتكم الثمينة!

استيقظوا الآن!

والآن!

والآن!

مكتبة

t.me/soramnqraa

-6-

غفت روث على كرسيها في مكتبها بالطابق الثاني. استقر
البرج المنتصب للصفحات التي مثلت السنوات العشر الأخيرة من
حياتها على المكتب أمامها. بنت هذا الصرح حرفاً إثر حرف،
وصفحة بعد صفحة، وكلما فكرت في هذه المذكرات تقاصر
ذهنها وشعرت بنعاس لا تفسير له. مرت أشهر، وربما عام، منذ
أن أضافت إليها شيئاً. فقد رفضت الكلمات الجديدة أن تأتي، ولم
تستطع تذكر القديمة التي كتبتها. كانت خائفة من النظر. عرفت
أن عليها قراءة المسودة ثانية لتَحْكِمَ سببها، ثم لتبدأ تحريرها
وملء ثغراتها، لكن عقلها المضطرب لم يستطع التفكير في كل
هذا. كان العالم في الصفحات مغيباً كالعلم.

كان أولفر يقطع الحطب في الخارج وسمعت الصوت الإيقاعي
للفأس وهي تفصل الحطب. التمرين مفيد له، وقد مضى على
وجوده في الخارج ساعات.

استجمعت عزيمتها واعتدلت في كرسيها بحزم. دفتر اليوميات
الثخين موضوع فوق مذكراتها، فرفعته لتتحية جانباً. بدا الكتاب
صندوقاً في يديها، فقلبته. في صغرها تعجبت دائماً لدى أخذها
كتاباً في الصباح وفتحها إياه لتجد الحروف مصفوفة صفّاً مرتباً

في أماكنها. فقد توقعت بصورة ما أنها ستتكوم، وقد سقطت إلى الأسفل بعد إغلاق الغلاف. وصفت آن شيئاً مماثلاً، وهي ترى الصفحات الفارغة لپروست وتساءلت ما إذا كانت الحروف قد سقطت مثل نمالات ميتات. عندما قرأت روث هذا، أحست بخضة الإدراك.

وضعت اليوميات على الطرف البعيد من المكتب، بعيداً عن طريقها، وحملت إلى المخطوط. ربما حدث الشيء نفسه لصفحاتها، ربما تبدأ القراءة لتجد أن كلماتها اختفت. قد يكون هذا أمراً حسناً، قد يكون راحة. وبادلتها المذكرات البالية الحملةة بحقد. حين كانت أمها على قيد الحياة، خيل لها أن المشروع فكرة جيدة. وأثناء المدة الطويلة من تدهور صحتها، دونت روث الاهتراء التدريجي لعقل أمها، وراقبت نفسها أيضاً، مدونة ملاحظات غزيرة حول مشاعرهما وردود فعلها. وكانت ثمرتها هذه الكومة القبيحة المنظر على المكتب أمامها. عاينت الصفحات الأولى ودفعتها عنها من فورها. أزعتها نبرة الكتابة؛ مغشية كئيبة، وجعلتها تجبن. إنها روائية، وهي مهتمة بحيوات الآخرين، فما الذي أصابها لتفكر في كتابة مذكرات؟

لا شك أن يوميات آن كانت ملهية، ورغم أنها عقدت العزم على ضبط وتيرتها [في القراءة]، فما زالت تمضي الشطر الأكبر من النهار على الشبكة، تبحث في قوائم أسماء ضحايا الزلزال والتسونامي. وعثرت على موقع اسمه اعثر على شخص فبحثت عن ياسوتاني. عديدون لهم هذا الاسم، ولا أحد منهم اسمه جيكو أو آنزو. لم تعرف اسمي الأبوين، فتصفححت الملفات

التي نشرها الناس للمفقودين، باحثة عن تطابق محتمل. كانت المعلومات شحيحة، حقائق أساسية حول العمر والجنس ومكان الإقامة، ومكان عمل الضحايا، والمكان الذي شوهدوا فيه آخر مرة، وما كانوا يلبسون. كثيرًا ما وجدت صورًا التقطت في أوقات أسعد. صبي باسم في قبعته المدرسية، شابة تلوح للكاميرا أمام معبد، أب في مدينة الملاهي يحمل طفله. وتحت هذه الطبقة الإضافية من البيانات يكمن كمال المأساة. كل هذه الحيوانات، ولكن الحياة التي تبحث عنها ليست في أي منها. استسلمت في النهاية، فقد احتاجت إلى مزيد من المعلومات حول آل ياسوتاني، والسبيل الوحيد لمعرفة متابعتها قراءة اليوميات.

أغمضت روث عينيها. في ذهنها تصورت أن تجلس وحدها في مطبخ مظلم، منتظرة أمها لتعيد أباهما من المخفر. كيف بدت لها هذه اللحظات الطويلة؟ كان صعبًا التقاط إحساس من اليوميات بقوام الزمن العابر. لا كاتب، حتى أشدهم براعة، يمكنه بالكلمات إعادة تمثيل مجرى حياة معاشة، وأن لم تتمتع بهذه البراعة. كان المطبخ القذر معتمًا وساكنًا. تأوهت مضيفات الحانة وضربن على الحائط الرقيق. النقرة الرنانة للمفتاح في القفل أجفلتها، لكنها ظلت في مكانها. القدمان مدسوستان في الخف. هل تكلم والداها؟ ربما لا. أصغت إلى صوت المياه الجارية وأمها تملأ الحوض في الحمام، وأبوها يخلع ثيابه في غرفة النوم. لم تتحرك، لم ترفع نظرها، بل ثبتت عينيها على أصابعها التي كانت في حجرها مثل أشياء ميتة. استمعت إلى صوت اغتسال أبيها، حين أطلت أمها متجهمه، استمعت إليه يتلعثم باعترافاته. هل استرقت

نظرة إلى خديه الزهریین لترى إن كان توردهما من الخجل أم من حرارة ماء الاغتسال؟ هل لاحظت العرق على جبينه؟ كم لحظة مرت منذ أن بدأ الكلام حتى وقفت أمها وغادرت الغرفة؟ أكان طنين مصباح النيون عاليًا في الصمت؟

وبعد ذلك، في الغرفة التي تقاسمتها مع والديها، هل شددت الغطاء إلى رأسها، أو أشعلت المصباح لتقرأ كتابًا، أو لتحضر لاختبار كانت واثقة من رسوبها فيه اليوم التالي؟ ربما دخلت شبكة الإنترنت وبحثت في غوغل عن انتحار، رجال، بعد نوم والديها، أو تظاهرها بالنوم، ظهرًا لظهر، على فرشتين منفصلتين على الأرض خلفها. لو فعلت لعرفت، كما عرفت روث، أن الانتحار تجاوز السرطان في كونه المسبب الرئيسي لموت الرجال متوسطي العمر في اليابان، ولذا فإن أباهما في المسار الصحيح. أفي هذا عزاء؟ جلست أمام الشاشة الساطعة في الظلام وهي تلبس منامتها، مدركة بعض الشيء لأصوات الشهيق والزفير المتزامنة، نفس أبيها أعلى، ثابت رغم رغبته المعلنة في زواله، ونفس أمها أهدأ تقطعه بين الفينة والأخرى شهقة هلع حادة من الأنف أو انقطاع النفس.

ما شعورها تلك اللحظة؟

فتحت روث عينيها. ثمة شيء مختلف، فأصاحت السمع. سمعت العصافير في الخارج، سرًّا من البط القطبي يخرج من الماء، ونقرات القراع المقنزع، والزعيق السائل والنعيق للقاء، غير أن ما استرعى انتباهها لم يكن صوتًا بل تبدده، غاب الصوت الإيقاعي لفأس أولقثر. أحست بتسارع الخوف. متى توقف؟ وقفت

وسارت نحو النافذة المطلة على أكوام الحطب. هل آذى نفسه؟ هل أصابه الدوار وجرح ساقيه؟ حياة الريف محفوفة بالمخاطر. ففي كل عام يموت أحد من أهل الجزيرة أو يفرق أو يصاب إصابات بليغة. مات جارهـم وهو يقطف التفاح، فقد سقط عن السلم على رأسه، ووجدت زوجته جثته تحت الشجر محاطاً بالثمار المتناثرة. كانت المخاطر كثيرة: السلالـم وأشجار الفاكهة، والسطوح المكسوة بالطحالب الزلقة ومزاريب المطر، والنفؤوس ومطارق فلق الخشب، والمناشير الكهربائية وبنادق الصيد، وسكاكين السلخ والذئاب، وأسود الجبل والرياح العاتية، وجذوع الشجر الواقعة والأمواج المارقة، والتمديدات الكهربائية الرديئة ومروجـو المخدرات، والسائقون الثملون والسائقون المسنون، والانتحار والقتل أيضاً.

أطلت من النافذة. رأت زوجها في الأسفل في مدخل السيارة، وهو بخير. كان يقف على ساقيه بجانب كومة الحطب، يضع إحدى يديه في جيبه والأخرى على مقبض الفأس، ويحدق عالياً إلى شجرة ويستمع إلى طيور القاق.

-7-

قال في الحمام تلك الليلة «لقد عاد غراب الأدغال ثانية. إنه يصيب طيور القاق بالجنون».

نخرت روث. كانت تغسل أسنانها بالفرشاة الكهربائية وفمها مليء بمعجون الأسنان. وتمدد أولقـر في حوض الاستحمام، يقلّب صفحات آخر أعداد مجلة ذا نيو ساينس [العلم الجديد]، ويستو جاثم على حافة الحوض قرب رأسه.

قال «كنت أقرأ عن غريان الأدغال. يبدو أنها أصبحت مشكلة كبيرة في اليابان. إنها شديدة الذكاء، إذ تحفظ غيبًا مواعيد رفع القمامة ثم تنتظر ربات البيوت ليخرجن القمامة فتفتحها وتسرق ما بداخلها. إنها تأكل الهريرات وتستخدم علاقات المعاطف السلكية لصنع أعشاش على أعمدة الإنارة، وهذا يقطع الدارة الكهربائية عن الخطوط ويسبب انقطاع الكهرباء. تقول شركة كهرياء طوكيو إن الغريان مسؤولة عن مئات الانقطاعات في العام، من بينها انقطاعات كبيرة قد تتسبب بإيقاف القطارات السريعة. وعندهم دوريات خاصة لصيد الغريان وهدم أعشاشها، لكن الغريان تتفوق في ذكائها وتبني أعشاشًا زائفة. ويضطر الصغار إلى حمل مظلات في طريقهم إلى المدرسة لصد الهجمات وحماية أنفسهم من ذرق الغريان، وتوقفت النساء عن وضع المشابك اللامعة في شعورهن».

بصقت روث في حوض المغسلة وقالت «تبدو مسرورًا بهذا».

«أنا سعيد. أحب الغريان. أحب كل الطيور. أتذكرين حوادث اليوم في متنزه ستانلي قبل بضع سنين؟ تردد العداؤون على غرفة الطوارئ برؤوس مجروحة، واشتكوا من انقضااض اليوم عليهم؟ فهم الأطباء الأمر أخيرًا، فقد كان موسم الترييش، وصغار اليوم بدأت تتعلم حرفة اليوم. ثم لاحظ أحدهم أن العدائين كلهم رجال في أواسط العمر يشوب رؤوسهم الصلع ويربطون شعورهم في ذيل حصان. تخيلي الأمر من الأعلى، كل هذه الرؤوس الصلعاء اللامعة والذيول المتمايلة الشبيهة بالقوارض. لا بد أنها بدت مثل طعوم سمك لامعة. لن تقاومها صغار اليوم».

وقفت روث ومسحت فمها بمنشفة، وقالت «أنت رجل يشوب رأسه الصلع في أواسط العمر. عليك أن تحذر».

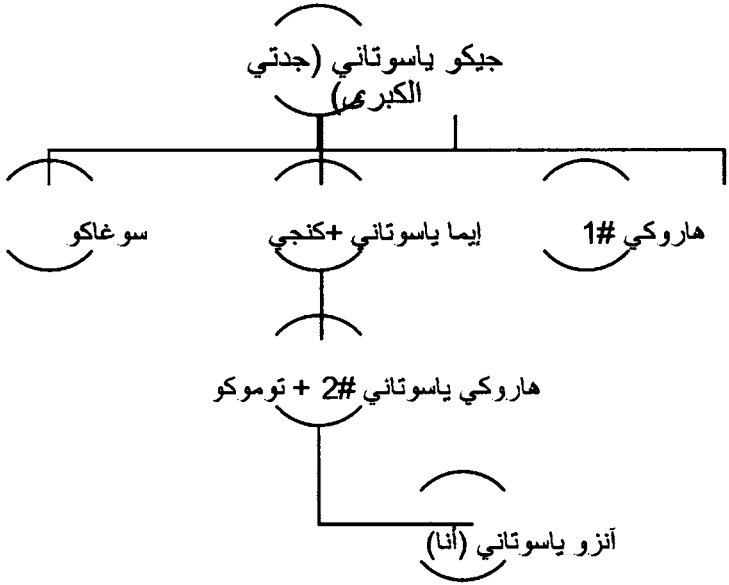
ونقرت بأصابعها بخفة على رأسه في طريقها إلى الباب. ولطم القطن يدها.

قال أولفر عائدًا إلى مقاله في مجلة نيو ساينس «صحيح. ولكني لا أربط شعري على هيئة ذيل حصان كما ترين».

آن

-1-

جيكو ياسوتاني هي جدتي الكبرى من جهة أبي، ولها ثلاثة أبناء:
ابن اسمه هاروكي، وابنتان هما سوغاكو وإيما. هذه شجرة العائلة:



إيما جدتي، وعندما تزوجت تبنت جيكو زوج ابنتها كنجي ليحل محل هاروكي الذي قتل في الحرب العالمية الثانية. لا يمكن لأحد أن يحل محل هاروكي، لكن العائلة احتاجت إلى ابن للحفاظ على اسم ياسوتاني.

هاروكي خال أبي، وإيما سمت أبي تيمناً به. كان هاروكي #1 طياراً كامكازي، وهذا غريب إن فكرت في الأمر لأنه كان طالب فلسفة في جامعة طوكيو قبل أن يصبح طياراً انتحارياً، وأبي هاروكي #2 يحب الفلسفة كثيراً ويواصل محاولاته في قتل نفسه، وربما في وسعك القول إن الانتحار والفلسفة يجريان في دماء العائلة، في دماء الهاروكيين على الأقل.

عندما قلت هذا لجيكو، قالت لي إن هاروكي #1 لم يرغب بالانتحار حقاً. فقد كان شاباً فتياً أحب الكتب والشعر الفرنسي، ولم يرغب أصلاً في القتال في الحرب، لكنهم أجبروه. لقد أجبروا الجميع على القتال في الحرب عندئذ، سواء أردت ذلك أم لا. قالت جيكو إن هاروكي تعرض للتممر في الجيش لأنه أحب الشعر الفرنسي، فهذا أمر آخر شائع في العائلة: الاهتمام بالثقافة الفرنسية والتعرض للمضايقات.

على أي حال، بعدما قُتل هاروكي #1 في الحرب كان على أخته الأولى إيما، ثم أبي أن يحمل اسم عائلة ياسوتاني، ولهذا أنا آن ياسوتاني اليوم. أردت القول إنني فزعت لدى النظر إلى شجرة العائلة، لأنك ترى أنها كلها فوقني. وما دمت غير راغبة في الزواج أو إنجاب الأطفال، فهذا آخرها. توقف، نهاية، الوداع يا ياسوتاني.

بالحديث عن الأسماء، سميت جدتي إيما تيمناً بإيما غولدمن، إحدى بطلات جيكو. فقد كانت إيما غولدمن سيدة لاسلطوية شهيرة قبل زمن طويل أثناء نشأة جيكو التي تراها عظيمة بحق. كتبت إيما غولدمن سيرة ذاتية سميتها عيش حياتي حاولت جيكو

دوماً أن تدفعني إلى قراءتها، لكنني لم أقترب منها بعد لأنني كنت مشغولة بعيش حياتي أو محاولتي معرفة كيف لا أعيشها.

سمت جيكو ابنتها الصغرى سوغاكو تيمناً بكانو سوغاكو، سيدة لاسلطوية مشهورة أخرى وإحدى بطلات جيكو وأول امرأة تشنق بتهمة الخيانة في اليابان. يسمي الناس كانو سوغاكو هذه الأيام إرهابية لأنها تأمرت لاغتيال الإمبراطور بقبلية، لكن بالاستماع إلى حديث جيكو عنها، تعرف أنها لا تكثرث لذلك.

لقد أحببتها جيكو. لم تكونا عاشقتين أو شيئاً من هذا القبيل لأن جيكو كانت فتاة صغيرة لدى إعدام سوغاكو شنقاً وربما لم تسنح لها فرصة للقاءها، لكنني أظنها أحببتها كما تحب الفتيات الصغيرات نجمات البوب اللاتي يكبرنهن عمراً أو المصارعات المحترفات. كتبت سوغاكو يوميات أسمتها تأملات في الطريق إلى المشنقة، يفترض بي قراءتها أيضاً. إنه عنوان رائع، ولكن لماذا كتبت هؤلاء اللاسلطويات كثيراً؟

اعتادت جدتي إيما أن تأخذ أبي في طفولته إلى معبد جيكو العجوز في الشمال، حيث انتقلت بعد تحولها إلى راهبة، فتقاربتا كثيراً. يقول أبي إنهم أخذوني بالقطار لزيارتها عدداً من المرات في صغري أيضاً، لكننا سافرنا إلى سنيثيل ولم أر جيكو ثانية إلا بعد أن وجدوا أبي على السكة وعرفت أي نوع من الرجال هو.

-2-

كانت حادثة قطار تشو السريع انعطافة كبيرة لنا، رغم تظاهرها جميعاً بأن شيئاً لم يحدث. بدأ أبي بعد الحادث بالانسحاب من

العالم والتحول إلى هيكيكوموري⁽¹⁾، وأدركت أمي أن على أحد في ما يسمى عائلتنا الحصول على عمل، وأن هذا الأحد لن يكون هو من غير شك. لقد كفت عن الذهاب إلى حديقة الأسماك لمراقبة قنديل البحر، واشترت لنفسها بدلة أنيقة وقصت شعرها قصة مناسبة للعمل في شركة، واتصلت بعدد من زميلاتها في الجامعة لتحصل على عمل بصفتها مساعدة إدارية في دار نشر تنشر مجلات وكتباً أكاديمية. إذا كنت تعرف شيئاً عن نظام العمل في الشركات اليابانية، فسيُفرك هذا، لأن حصولها على العمل أمر مدهش وإن كانت الوظيفة في أول السلم وأجرها غبي، فأمي في التاسعة والثلاثين من عمرها ولن يوظف أحد سقم⁽²⁾ تبلغ من العمر تسعة وثلاثين عاماً.

وها هو أبي يختبئ في الشقة، وأمي تجلب اللحم المقدد إلى البيت، والباقي مشكلتي. بدأ العام الدراسي الجديد في مارس، وتمكنت بصورة ما من الوصول إلى الصف التاسع، لكن الإيجمي ازداد سوءاً. نجحت حتى الآن في إخفاء كل الندوب الصغيرة وكدمات آثار القرص على ذراعي وساقَي، ولكن حوض استحمامنا تعطل ذات ليلة. لطالما سرب الماء وملاه العفن الأسود، لكننا استخدمناه، ثم تعطل السخان ورفض صاحب البيت الذي يزعم أنه صديق لأبي، أن يصلحه، فاضطررنا للذهاب إلى السنثو⁽³⁾.

(1) (引きこもり): منغل، شخص يرفض الخروج من البيت. (الكاتبة)

(2) أو إيرو اختصار لسيدات في مكتب (الكاتبة) سقم: سيدة في منتصف العمر (المترجمة).

(3) (洗湯): الحمامات العامة (الكاتبة).

عرفت أنني سأنهار إن رأيتي أُمي عارية وعن قرب، لذا حين ذهبت أول مرة قلت مستحيل! انسي الأمر! لن أخلع ثيابي أمام كل هؤلاء السيدات! وقصدت ذلك أيضًا. أخيرًا طُفح كيل أُمي مني وتركتني في غرفة التبديل، وخلعت ثيابي في النهاية ولحقت بها، ممسكة بمنشفة خصر غبية صغيرة أمامي وأنا أتمنى الموت. أتذكر إمعاني النظر إلى قدمي وإحساسي باحمرار وجهي حمرة فاقعة عندما لمحتُ حلمة إحداهن بطريق الخطأ. لكنني تعلمت أمرًا من حياتي، من تحولي من ابنة خبير تقني مترف من الطبقة المتوسطة في سنيثيل كاليفورنيا إلى ابنة فاشل عاطل عن العمل في طوكيو اليابان، أن المرء يعتاد أي شيء.

بعد تلك المرة الأولى، حاولت دائمًا الذهاب عندما تكون أُمي في عملها. الجميل في الذهاب باكراً إلى السنّتو أن الأحواض ليست مكتظة فيتسنى لك أن تجد مكاناً قرب الصنبور يتيح لك مراقبة ما يحدث. لم يكن في حمامات منطقتنا تلك الساعة إلا الجداث العجائز ومضيفات الحانات اللاتي يتأهبن للذهاب إلى العمل، وكانت مراقبة الفريقين ممتعة.

بل إنها مدهشة حقاً. لا يتسنى للمرء فرص كثيرة لمشاهدة سيدات عاريات في سنيثيل كاليفورنيا، إلا نجومات الأفلام الإباحية على أغلفة المجلات في استراحات الشاحنات، وهذه ليست مما قد تدعوه صوراً حقيقية. كما أنهم لا يعرضون صوراً لعجائز عاريات لأنه مخالف للقانون أو ما شابه، لذا وجدت الأمر مثيراً بصورة علمية. ما أقصده أن مضيفات الحانات نحيلات ناعمات الجلود، ونهودهن وخصورهن وأردافهن من مختلف الأحجام، كلهن

شابات ويتشابهن كثيراً. لكن العجائز... يا إلهي! كن مختلفات في الأحجام والأشكال حقاً، لبعضهن أثداء سمينة ضخمة وأخريات ليس لهن إلا ثنيات من الجلد وحلمات تشبه مقابض الجوارير، وبطون تشبه القشرة التي تعلو الحليب المغلي عندما تكشطها إلى جانب الكوب. اعتدت لعب هذه اللعبة، أعني مطابقة مضيفات الحانات مع العجائز في عقلي، محاولة تخيل أي شابة ستتحول إلى أي عجوز، وكيف سيتحول هذا الصدر الجميل إلى تلك الثنية الهرمة المحزنة، وكيف ستتفخ هذه البطن أو تترهل. كان أمراً غريباً، كرؤية مرور الزمن ولكن في لحظة بوزية، أتفهم؟

كنت مفتونة بالمضيفات وطقوسهن الجمالية تحديداً. واعتدت اللحاق بهن إلى الساونا والتمعن في نقشيرهن الجلد الميت عن أجسادهن بالفرش والعصي وحلق وجوههن بأمواس صغيرة مستقيمة على مقابض بألوان الپاستيل. ماذا يحلقن؟ لم يكن لهن لحى أو ما شابه. عندما يدخلن، تعرف أنهن استيقظن قبل قليل، لأنهن يكثرن من التثاؤب ويقلن صباح الخير وإن كان الوقت آخر العصر، لكنهن لا يتكلمن كثيراً في الغالب، وتكون أعينهن منتفخة ومحمرة من آثار الشمالة. وبعد قضاء ساعة في الحمام، يسري الدفء في أوصالهن ويستعدن لونهن الزهري وطرأوتهن، وبعد أن يجففن أنفسهن ويجلسن في غرفة التبديل بثيابهن الداخلية المخرمة ويتبرجن، يبدأن بالضحك والكلام عن أخلائهن من الليلة الماضية. ومنذ عرفتنني، أخذن يغايظنني بشأن نهديّ الآخذين في النمو، ولعلك تظن أنني شعرت بالخجل، لكني لم أفعل. بل كنت في سريرتي سعيدة أنهن لاحظن، فقد أعجبني،

ورأيتهن جميلات وجريئات ويتصرفن بحرية ويفعلن ما يحلو لهن، وهو على الأرجح ما قررت أُمي أنها ليست بيئة ملائمة لي. لقد منعتني من الذهاب إلى الحمامات إلى ما بعد العشاء، ولعل ذلك أسوأ الأوقات لأنه وقت كل الأمهات المملات والأطفال الصغار المزعجين، والعمات الحشريات منتصفات العمر ذوات الشعر المعدني اللون، اللاتي يحملن إليك ويعلقن على أمور ليست من شأنهن. وقد لاحظت إحداهن، طبعًا، كدماتي، رغم أنني كنت في الخلف وأحاول تغطية نفسي، فقالت بصوت عالٍ جدًا:

«أوه! ماذا حدث لك أيتها الشابة؟ أعندك طفح؟»

لم تعر أُمي الأمر انتباهًا في بادئ الأمر، لكن تلك العاهرة العجوز نادتها وقالت: «أوكوسان، أوكوسان⁽¹⁾! ماذا حدث لجلد ابنتك؟ عندها بتسويتسو⁽²⁾ في كل مكان. أرجو أنها ليست مصابة بمرض!»

جاءت أُمي ووقفت بجانبني حين انحنيت على دلوي. أمسكت بمعصمي ورفعت ذراعي وقلّبتة ناظرة إلى الجانب السفلي الذي تكثر فيه الكدمات. حفرت أصابعها عظام معصمي وآلمتني أكثر من قرص البنات في المدرسة.

قالت تلك العاهرة العجوز «ما كان عليها الدخول إلى الماء. إن كان طفحًا، فقد يكون معديًا...»

(1) (奥さん): زوجة والحرف أوكو (奥) يعني داخلي أو في الداخل كداخل البيت. ومع لفظة سان التبجيلية يكون أسلوبًا رسميًا لمخاطبة امرأة متزوجة (الكاتبة).

(2) (つづつ) نتوءات، طفح مبقع. (الكاتبة)

أسقطت أمي ذراعي، وقالت «تونديموناي»⁽¹⁾. إنها كدمات من صف الرياضة. لقد كانوا يلعبون لعباً خشناً، أليس هذا صحيحاً يا آنزوة؟»

هززت رأسي فقط وركزت على الاغتسال دون أن أتقيأ أو أهب واقفة وأهرب من صراخهن. عادت أمي إلى حوضها ولم تقل كلمة أخرى حتى أنهينا اغتسالنا، ولكن بعد أن عدنا إلى شقتنا، أدخلتني الحمام وخلعت كل ثيابي مجدداً. ما زال أبي في الحمامات العامة. كان السننو المكان الوحيد خارج البيت الذي استمر في الذهاب إليه وأحب أن يستغرق من الوقت ما شاء ويستمتع بشرب علبة باردة من البيرة بعدها، فكانت الشقة بكاملها لأمي عندما حاصرتني. سحبت مصباح مكتب هالوجين إلى مكان وقوفي وفحصتني، وللمرة المليون ظننت أنني سأموت. وجدت كل الكدمات والندوب الصغيرة والخدوش من رؤوس المقصات، بل وجدت الرقعة الصلعاء من مؤخرة رأسي، حيث كان الولد الجالس في المقعد خلفي ينتف شعري، شعرة شعرة. حاولت أن أكذب وأقول إنها حساسية، ثم قلت إنه تساقط شعر بسبب التوتر، ثم قلت إنه من صف الرياضة فعلاً، ثم ألمحت إلى أنه قد يكون مرض الناعور أو اللوكيميا أو داء قُحون ولبراند⁽²⁾، لكن أمي لم تصدق أيّاً من هذا، لذا اضطررت في النهاية إلى الاستسلام

(1) إنه ليس بشيء (الكاتبة).

(2) داء قُحون ولبراند: اضطراب نزفي مزمن يتسبب في عدم تجلط الدم بشكل طبيعي. وتخفض لدى المصابين به مستويات عامل قُحون ولبراند، وهو بروتين يساعد على تجلط الدم، أو لا يعمل البروتين كما ينبغي. (المترجمة)

وإخبارها بكل ما يجري. حاولت ألا أكبر الأمر، لأنني لم أرد لها أن تذهب إلى المدرسة وتشتكي وتجعلني نمامة.

«لا بأس يا أمي حقًا. الأمر ليس شخصيًا. تعرفين الأولاد. أنا التلميذة المنقولة. إنهم يفعلون الأمر نفسه مع الجميع».

هزت رأسها وقالت «ربما لم تبذلي جهدًا ليكون لك أصدقاء جدد».

«عندي أصدقاء كثير يا أمي، صدقًا. كل شيء على ما يرام».

أرادت تصديقي. أعرف أن القلق ساورها في بداية عودتنا إلى طوكيو بشأن تكيفي في المدرسة الجديدة، لكن قنديل البحر ألهاها، ثم حادثة قطار تشو السريع، وبدوت لبعض الوقت أكثر أفراد العائلة تكيفًا. ثم اتبعت أمي الاتجاه السائد وبدأت تعمل عملاً حقيقياً، فلم يكن عندها وقت كثير لتقلق على وضعي في المدرسة، ناهيك بمراقبة أنشطتي بعد المدرسة. لم ترد لي أن أخالط مضيفات الحانات في الحمامات، لكنها لم ترد لي البقاء في البيت مع أبي وحدي أيضًا، لأنه مكتئب ميال إلى الانتحار. أظنها خشيت من أن يقدم على فعل شيء مجنون كأولئك الآباء في أمريكا الذين يطلقون النار على أبنائهم وزوجاتهم ببنادق صيد أثناء نومهم في غرفهم، ثم ينزلون إلى القبو ويفجرون رؤوسهم، ولكنهم في اليابان يفعلون ذلك بالأشرطة اللاصقة وبالفتح في السيارة العائلية، بسبب قوانين ضبط السلاح الصارمة. أعرف هذا لأنني أخذت أقرأ مقالات الصحف عن الانتحار والميتات العنيفة والمعاناة. أردت أن أعرف قدر ما أمكنني لأجهز نفسي لموت أبي، لكنني أدمنت القصص، وبخاصة في الآونة الأخيرة

عندما بدأت أقرأها بصوت عالٍ على مسامع جيكو لتصلي تلك
البركات بخرزات مسبحة الجوزو.

على أي حال، عرفت أن عليّ المجازفة بحياتي مع أبي بعد
المدرسة، بعد مقارنتها بما يفعله بي زملائي، خاصة وأنا لا
نملك سيارة عائلية ولا بيتاً له قبو. لكن أُمي لم تكن واثقة.
قالت تقترح عليّ «ماذا عن ممارسة أنشطة بعد المدرسة؟ إنه
عام دراسي جديد. ألا يجدر بك الانضمام إلى نادٍ؟ هل استشرت
معلم صفك؟ ربما أكلمه...»

أتعرف كيف تُفاجأ شخصية في الرسوم المتحركة، فتخرج
عينها من محجريهما كأن لهما نوابض أو أشرطة مطاطية؟ أقسم
إن هذا ما حدث، ثم سقط فكي إلى الأرض كنصل جرار جارف.
كنت أقف وسط غرفتنا في سروالي الداخلي القطني الصغير
وقميصي الداخلي بلا أكمام، تحت ضوء مصباحها الهالوجيني،
وفي بطني ثقل كأن سمكة كبيرة باردة تحتضر تحت قلبي. اكتفيت
بالنظر إليها وأنا أفكر يا إلهي ستسعى إلى قتلي. لقد تفحصتني
لتوها ورأت ما فعله بي زملائي، ثم تقترح أن أمضي وقتاً أطول
معهم بعد المدرسة؟

أنا موقنة سلفاً أن أبي مجنون، فقد حدث هذا في وقت كنت
أظن فيه أن المجانين وحدهم من يحاولون قتل أنفسهم، ولكن
في مؤخرة عقلي أحسب أنني تمنيت أن تعود أُمي طبيعية وتمام،
وقد توقفت عن مراقبة قنديل البحر وحصلت على عمل. ولكن
في تلك اللحظة عرفت أنها مجنونة لا يعتمد عليها مثلها مثل
أبي، وأثبت سؤالها ذلك، وهذا يعني أنني لم يبق لي أحد في

الحياة أستطيع الاعتماد عليه لأكون في أمان. لا أذكر أنني شعرت يوماً بهذا القدر من العري والوحدة. خارت ركبتاي وأنا أسقط، وأجثو هناك أهدهد سمكتي. لقد خبطت مرة أخيرة وهي تعلق حتى بلغت حنجرتي، ثم سقطت ثانية واستقرت هناك تبحث عن الهواء. كانت تموت بين ذراعي. جمعت ثيابي من الحصيرة ولبستها، وابتعدت عن أمي لئلا أراقب وجهها وهي تنظر إلى جسدي.

«سأكون بخير يا أمي. أنا لست مهتمة حقاً بأنشطة ما بعد المدرسة».

لكنها لم تسمعني، بل قالت «لا. أتعلمين؟ أظنني سأحدث إلى معلم صفك...»

ارتجفت السمكة في انحناء قفصي الصدري. «لا أرى هذه فكرة سديدة يا أمي».

«ولكن آن يا صغيرتي، يجب أن يتوقف هذا».

«سيتوقف. صدقاً أمي. انسي الأمر فقط».

لكن أمي هزت رأسها. «لا. لن أقف مكتوفة الأيدي وأسمح بحدوث هذا لابنتي». كان في صوتها شيء جديد، حدٌّ من الإصرار بدا أمريكياً جداً. وتماشت مع شخصية وقصة شعر هيلاري كلنتن الجديدين، وأخافني ذلك صدقاً.

«أرجوك يا أمي...»

قالت وهي تعانق كتفي عناقاً صغيراً. «شيمپاي شيناكوتي إي

نويو».

لا تقلقي؟ يا لغباء هذا!

لم يحدث شيء في البداية، وظننت لبضعة أيام أنها نسيت أو غيرت رأيها. منذ أن أصبح أبي هيكيكوموري، توقف عن مسائرتي إلى المدرسة، فذهبت وحدي، واعتدت الوصول في اللحظة الأخيرة، حين يرن الجرس الأخير. كما اعتدت قتل الوقت في المعبد الصغير الواقع على طريقي، أتشمم البخور وأسمع أصوات الطيور والحشرات. لم أصلُ للإله بوذا لأنني حينها ظننته كالرب، وأنا لا أؤمن بالرب، وهذا ليس بالغريب إذا ما نظرت إلى السلطة الذكورية المثيرة للشفقة في حياتي. لكن سلطة شاكاساما ليست كذلك، فهو لم يتظاهر قط بأي شيء إلا المعلم الحكيم، ولم أعد عازفة عن الصلاة له، لأنها كالصلاة لجيكو العجوز.

في الحديقة الواقعة خلف المعبد نتوء صغير من الطحالب الخضراء وفوقه تنمو شجرة قيقب قزمية ومقعد حجري قريب، اعتدت الجلوس هناك ومراقبة براعم القيقب الخضراء الفاتحة تتفتح في أصابع ورقية الشكل. في الخريف عندما تتحول الأوراق نفسها إلى اللون البرونزي وتسقط، يكنسها الراهب من بساط الطحالب الأخضر بمكنسة خيزران صغيرة، وفي الربيع يخرج أحياناً لاقتلاع بعض الحشائش. كان ذاك النتوء الأخضر الصغير جزيرته الصغيرة التي يعتني بها، وتمنيت أكثر من أي شيء آخر لو استطعت الانكماش حتى أكون صغيرة وأعيش تحت شجرة القيقب. كان المكان شديد الهدوء. واعتدت الجلوس على المقعد أتخيل أشياء من هذا القبيل حتى اللحظة الأخيرة حين اضطُر لترك أسوار المعبد العالية التي أكون فيها بأمان، وأركض إلى

المدرسة، التي لا أكون فيها بأمان، أتسلل عبر البوابات وصوت الجرس الأخير يتلاشى.

كانت هذه عادتي، ولكن بعد أسبوع من اكتشاف أُمي للندوب والكدمات، ذهبت إلى الحديقة ووجدت حاجزًا إسمنتيًا يسد الطريق. كانت مرافق المعبد قيد الترميم، فوصلت إلى المدرسة باكراً ذلك اليوم.

من فوري عرفت أن شيئاً ما مختلف. لم ينظر أحد لدى اقترابي أو لاحظني. تلكأت خارج بوابة المدرسة لبعض الوقت ثم تسللت إلى الداخل، ولم يكن أحد ينتظرني أو يراقبني أو يطوقني. استمعت لكني لم أسمع اسمي يترنم به بعذوبة أولادٍ ذوو عيون لامعة. تجاهلني الجميع وواصلوا الكلام مع بعضهم بعضاً كأنني لم أوجد يوماً.

انتابني توتر في بادئ الأمر، ممزوجةً بشيء كالارتياح أو الحماس، لكنني قلت لنفسني عندئذ لا، انتظري لحظة، ربما يخططون لأمر شرير جداً. لا تكوني غبية يا آن! تنهي واستفيقي! فأبقيت عيني مفتوحتين وانتظرت. استمرت دروس الصباح واستمرت -التاريخ الياباني، الرياضيات، التربية الأخلاقية- ولم يزعجني أحد. لم يقرصني أحد ولا بصق عليّ ولا وكزني برأس قلمه. لم يسد أحد أنفه أو هدد باغتصابي أو تظاهر بالنقيض لدى مروره بمقعدي. لم ينتف الولد الجالس خلفي ولا شعرة واحدة، وبعد الظهيرة أخذت أصدق أن الكابوس انتهى أخيراً. أثناء ساعة الغداء تركت وحدي تماماً على مقعدي ومعني حقيبة طعامي، ولم يسقطها أحد على الأرض أو يدوس على كرة الأرز. وقفت

في الفسحة وحدي وأنا أسند ظهري إلى سياج باحة المدرسة وراقبت الآخرين يضحكون ويتكلمون. عندما رن الجرس وانصرف التلاميذ مشيت في الممرات المزدهمة كأني لامرئية، شبح أو روح ميت.

-4-

لا أدري إن كانت زيارة أمي إلى المدرسة قد جعلتهم يكفون عن تعذيبي جسدياً، فأنا أشك في ذلك. لقد سئموا على الأرجح وكانوا على وشك التوقف على أي حال، ونقلتهم شكوى أمي إلى المرحلة التالية. لا أدري من كلمت، لكنه ليس معلم الصف التاسع أوغاو سينسي فهو بديل لمعلمتنا المعتادة لأنها في إجازة أمومة. أظن أمي صعدت الأمر، ربما إلى نائب المدير أو المدير نفسه، والسبب الذي يدعوني إلى هذا الرأي أن أوغاو سينسي جاري زملائي فتجاهلني وتظاهر أنه لا يراني أو يسمعي أيضاً. لم ألاحظ الأمر في البداية، فقد تجاهلني دائماً ولم ينادني، ولأني لا أرفع يدي في الفصل لأجيب عن الأسئلة، يمكنك القول إنني تجاهلته أيضاً. غير أنه بدأ أمراً جديداً أثناء التفقد الصباحي. يقرأ اسمي «ياسوتاني!»، فأجيب «هاي!»، وبدلاً من تسجيل حضوري ينادي ثانية. «التلميذة المنقولة ياسوتاني!» كأنه لم يسمعي. فأجيب ثانية «هاي!» بأعلى صوتي، لكنه يقطب حاجبيه ويهز رأسه ويسجلني غائبة. جرى هذا عدداً من الأيام، حتى لاحظت قرقرة بعض الأولاد، فبدأت أفهم. لقد توقف صوتي عن العمل، ومهما حاولت جهدي لم أستطع إجبار صوتي على الخروج. كأن العضلات في حنجرتي تحولت إلى يدي قاتل تخنقان صوتي وهو

يحاول الارتفاع. أحياناً يجيب عني أحد التلاميذ قائلاً بحماس «ياسوتاني كن وا روسو ديسو يو⁽¹⁾» ثم بدأت بالاكتهاف بالجلوس عندما ينادى اسمي، أصدق بالسطح القديم لطاولتي وأنا أحكم إطباق شفتي، لأنني عرفت أنهم جميعاً مشتركون في الأمر، ويضحكون في صمت.

لكن ذلك هادئ هدوءاً غريباً. لم أكرث بالضحك الصامت كثيراً، لأنه لم يترك ندوباً على جسدي، وكدت أشعر بالسعادة لدى رؤيتي أوغاوا سينسي يحصي العلامات ويساير التلاميذ المحبوبين في فصلنا. المعلمون البدلاء أخط شأناً من التلاميذ المعادين، وكان أوغاوا سينسي فاشلاً أكثر مني، فشعرت بالأسى لأجله. كان لرأسه شكل الإنوكي⁽²⁾ ولونه، وأسنانه مسوسة وشعره خفيف، واعتاد لبس كنزات من البولستر عالية الرقبة عليها رقائق من قشرة الرأس مثل البوغ على الكتفين. رائحته كريهة أيضاً، رائحة جسم عطنة حقاً.

لا أخبرك بهذا لأنني لثيمة، ولكنك ستفهم أي مكان يصبح فيه فاشل مثل أوغاوا سينسي محبوباً مع تلاميذ ذوي سطوة من فصله، ولكنه حقق ذلك والفضل لي. رأيت الحماس في وجهه عندما نادى اسمي وتظاهر بالانتظار. رأيت ذلك في نظراته إلي، ثم نظره من خلالي، شديد الإقناع حتى كدت أصدق أنني لم أكن هناك. عندما سجلني غائبة، فعلها متباهياً سعيداً وقلمه الرصاص في يده، كأنه حقق شيئاً عظيماً.

(1) ياسوتاني غائبة (الكاتبة)

(2) (えのき): فطر صغير أبيض له قبعة مدورة صغيرة على ساق طويلة كالخيوط ينمو في مجموعات في الظلام ولا يرى نور النهار أبداً. (الكاتبة)

أرجو أن تفهم أنني لا أظنه رجلاً سيئاً، بل أظنه مهزوزاً جداً قانعاً بأي شيء، مثلما يفعل المهزوزون. فأبي، مثلاً، أقنع نفسه أن انتحاره لن يضرني أو يضر أُمي لأننا سنكون أفضل حالاً بدونه، وفي وقت ما من المستقبل غير البعيد سندرك هذا ونشكره على قتله نفسه. والأمـر نفسه في حالة أوغـاوا سينسي الذي حسب أنني سأكون أيضاً أسعد حالاً بالأأ أكون هنا، وكان محقاً في هذا. بصورة ما كان يساعـدني في تحقيق هـدفي، ولذلك كنت شاكرة له.

تسللت عبر أيام المدرسة مثل نفخة غيمة، مثل رقعة سائلة من الرطوبة، لا تكاد ترى، وسرت بعد المدرسة عائدة إلى شقتنا وحدي بصورة أو بأخرى، وهو أفضل بكثير من أن ألاحق وأتعثر وأدفع على آلات البيع أو في مضمار الدراجات المزدحم. عرفت أنني لم أكن بمأمن كامل من الخطر لأن زملائي واصلوا ملاحقتي رغم بقائهم بعيدين عني بمسافة نصف حي، ولم يحاولوا لمسي أو التحدث إليّ وإن سخروا بأصوات عالية من حي الغيتو الحقيقـر الذي أسكنه.

يحضّر لي أبي عادة وجبة خفيفة حالما أصل إلى البيت، وأجلس معه لإنهاء فروضي المنزلية أو تصفح الإنترنت لقتل الوقت أو لإرسال رسائل نصية إلى أعز صديقاتي في سنيـقيل، كايلا، التي ما زالت تحبني جداً وتقضي الوقت معي على الشبكة. إن أردت الصدق كان هذا مثيراً للتوتر، لأنها ألحّت في معرفة شكل مدرستي، وما كنت لأحكي لها عن الإيجمي، لأنها ستعرف عندئذ أنني تحولت إلى فاشلة تماماً، فحاولت أن أشرح لها كل

الأشياء الغريبة الطريفة في اليابان. الثقافة اليابانية رائجة جداً بين الشباب في الولايات المتحدة، لذا فإننا غالباً ندرش عن المانغا والجي بوب [نجوم البوب اليابانيين] والأنمي وصيحات الأزياء وما شابه.

كتبت كايلا «تبدين بعيدة جداً. كأن ذلك غير حقيقي». كان هذا صحيحاً. لم أكن حقيقية وحياتي ليست حقيقية، وسنيقيل الحقيقية تبعد جليون ميل في المكان والزمان، مثل الأرض الجميلة من الفضاء الخارجي، وأنا وأبي رائدا فضاء نعيش في مركبة فضائية، ندور في الظلمة الباردة.

-5-

قلت إن أبي انسحب من العالم وأصبح هيكيكوموري⁽¹⁾، لكنني لا أريدك أن تسيء فهم الأمر. أحبني أبي وأرادني أن أكون بأمان. وما كان ليفقد صوابه ويحشر رأسينا في الفرن أو ما شابه. ورغم أن معظم الرجال الهيكيكوموري يظلون في البيوت طوال الليل والنهار يقرؤون المانغا الإباحية ويزورون مواقع هيناتي فتشية، فالشكر للرب أن أبي لم يكن مثيراً للشفقة هكذا. لقد أقلع عن الاتصال بشبكة الإنترنت تماماً، وبدلاً من ذلك أمضى وقته في قراءة كتب عن الفلسفة الغربية وصنع حشرات من ورق

(1) مصطلح يعني حرفياً: (الانسحاب، التوقع) أي الانسحاب الاجتماعي أو العزلة لدى المراهقين والبالغين. وزارة الصحة اليابانية تطلق هذا المصطلح على الأشخاص الذين يرفضون الخروج من منازلهم، والذين يرفضون التفاعل مع المجتمع بانعزالهم في المنزل لفترة زمنية طويلة تزيد عن ستة أشهر. (الترجمة)

الأوريغامي، وهو فن ياباني لطّي الورق، ربما تتذكره من طفولتك. بدأ قراءة الفلسفة لأن شركة أمي كانت تتشر هذه السلسلة من الكتب التي تدعى عقول عظيمة في الفلسفة الغربية. وظنك في محله، فلم تكن العقول العظيمة في الفلسفة الغربية من أفضل المبيعات، وأحضرت إلى البيت مجموعة من البواقي لأجل أبي، ظانة أنها قد تساعد ليغثر على معنى الحياة، كما أنها حصلت عليها بلا مقابل. بدأ بقراءة سقراط وكان يتمّ قراءة فيلسوف في الأسبوع. لا أظنها ساعدته في العثور على معنى الحياة، لكنها منحته على الأقل هدفًا صلبًا، يعني شيئًا. أرى أن معرفته ليست مهمة، ما دمت تستطيع العثور على شيء صلب ييقك منشغلًا وأنت تعيش حياتك التي لا معنى لها.

وأيا كان ما تظن أنك تعرفه عن الأوريغامي فانس أمره، لأن الأشياء التي كان أبي يطويها لم تكن طيور كركي وقوارب وقبعات حفلات وصحون حلوى كالمعتاد. الأشياء التي صنعها كانت أوريغامي مبهرة، غريبة وجميلة كليًا. في الواقع لقد أحب طي صفحات من عقول عظيمة في الفلسفة الغربية، يقطعها من الكتاب بمشرط الصناديق الورقية ومسطرة لها حافة من الفولاذ بعد انتهائه من قراءتها. تعرف أن في الفلسفة الغربية كثيرًا من العقول العظيمة، وقد طبعت الكتب على ورق بالغ الرقة ليتمكنوا من حشر عقول أكثر في السلسلة. يقول أبي إن الورق الرقيق أسهل في الطي، وخاصة إذا كنت تصنع شيئًا معقدًا مثل ترايپوكسيلس دايكومس، وتعني الخنفساء اليابانية وحيدة القرن، أو مانتس رلجيوسا، أي السرعوف المصلي. لقد استخدم العقول

التي لم تتل إعجابه لطبي الورق، فانتهى بنا الأمر إلى الكثير من الحشرات المصنوعة من نيتشه وهوبز.

اعتاد أبي الجلوس على الأرض إلى الكواتسو⁽¹⁾ لساعات، يقرأ ويطوي، ويطوي ويقرأ، وأجلس أنا معه وأنجز فروضي المنزلية إذا وعد أنه لن يكثر من التدخين. اعتاد استخدام السجائر الإلكترونية البلاستيكية بنكهة النعناع لتخفف من تعطشه إلى النيكوتين، وأطلب منه واحدة أحياناً، فنجلس متقابلين، منحنيين على كتبنا، نسند مرافقنا إلى الطاولة، نمج ونمضغ سجائرنا الإلكترونية معاً. كان ذلك حلواً لأنه بعد برهة يعتريه الحماس، وإذا ما اعتراه الحماس يبدأ بالتمايل. فيتمايل ويتمايل وحين يندمج، يمسك إطار نظارته بكلتا يديه كأنها منظار وهو يحاول اختراق الصفحات ليرى من خلال الكلمات أكثر ويستخلص منها معاني أكثر. كان التركيز صعباً وهو مقابلي، يتمايل ويميل رأسه، وخاصة حين يبدأ الكلام. يغمغم: «إذن، إذن، إذننننن...» أو ينفجر فجأة قائلاً «سور! أجل! سور دا يو!»⁽²⁾ وأحياناً يقاطعني ويقول «آن تشان، اسمعي هذا!» ثم يقرأ عليّ صفحة أو اثنتين من هايدغر. كأني سأفهم، صح؟ لكني لم أهتم. كان هذا أكثر إثارة من الفرض المنزلي الغبي الذي يجب إنجازه للمدرسة. كنا ندرس التناصب الطردي في الرياضيات، وكلما رأيت مسألة من قبيل قطار يسافر بسرعة ثلاثة كيلومترات في الدقيقة يسير س كيلومتراً في ص دقيقة، إذن.... إلخ، أصاب الخدر عقلي ولا يخطر

(1) طاولة واطئة أسفلها أداة تدفئة ويطانية لتحفظ الدفء. (الكاتبة)

(2) هذا! هذا هو! (الكاتبة)

لي إلا شكل الجسد لحظة الاصطدام، والمسافة التي سيلقى بها على السكة، وإلى أي مسافة سيتناثر الدم. كانت فلسفة أبي أكثر جفافاً ولم تكن خيالية مثل رياضياتي، ومن يدري لعل شيئاً منها يعلق في ذهني، رغم أنني لا أفهمها. شخصياً أحببت أن أبي لم يمض كل وقته في عمل غبي، أو في ترتيب سيرته الذاتية للبحث عن عمل غبي، أو الجلوس على مقعد في متنزه في يونو متظاهراً أنه ذاهب إلى عمل غبي ويطعم الغريان بدلاً منه. أحببت أنه تخلّى عن فكرة العمل برمتها، فكان عندنا وقت فراغ نقضيه معاً، رغم إحساسي بأنه يفضل الموت.

-6-

بالحديث عن وقت الفراغ، أتعرف الفيوريتا⁽¹⁾ في اليابان أشخاص يُسمون فيوريتا، وتعني من يعمل بوظائف ذات دوام جزئي وعنده متسع من وقت الفراغ لأنه ليس عنده وظيفة لائقة أو منصب في شركة بدوام كامل. وما دفعني للتفكير بها الآن أنني عدت إلى مقهى فيفيز لونلي أپرون، وصادف أنني رفعت نظري ولاحظت أنني محاطة بكل هؤلاء الرجال الأوتاكو وكلهم من الفيوريتا غالباً، ولهذا فإن عندهم وقت فراغ فيجلسون هنا بين وظائفهم ذات الدوام الجزئي، قبل العودة إلى غرفهم في بيوت أهاليهم. والخادومات الفرنسيات فيوريتا بلا شك ويعملن هنا للوقت الحاضر، حتى يجدن أعمالاً أفضل أو عشاقاً أثرياء. والنُدل والرجال في المطبخ كلهم من الفيوريتا، إلا لو كانوا

(1) عامل مستقل، مشتقة من الإنجليزية free تعني حر+ والألمانية arbeiter (آبايتر) [وتعني عامل]. (الكاتبة)

مهاجرين أو عاملين من بلدان أخرى. لا يُسمى المهاجرون أو العاملون من البلدان الأخرى فيوريتا، لأنهم لا أمل لهم أبداً في الحصول على عمل حقيقي في الشركات اليابانية في المقام الأول.

ولكنك قد تقول، ومن يريد عملاً حقيقياً في شركة يابانية على أي حال؟ لعلك سمعت قصصاً مرعبة عن ثقافة الشركات اليابانية وساعات العمل الطويلة والموظفين الذين لا وقت لديهم للخروج مع أسرهم أو عناق أطفالهم والذين يتساقطون موتى من العمل الشاق، وهذا مفهوم آخر تماماً⁽¹⁾. بالمقارنة بين الاثنين، يبدو الفيوريتا رائعاً، لكنه ليس كذلك. اليابان ليست مكاناً رائعاً لتكون حرّاً في أي شيء، لأن الحرية تعني أن تكون وحدك تماماً وخارج البلاد.

يكتبها الناس أحياناً «freeter»، إذا كتبوها بالإنجليزية، فتبدو قريبة من fritter، كما في العبارة لا تضع حياتك سدى، وهذا ما نفعله أنا وأبي، إن سألتني. ما زلت صغيرة، فالأمر ليس محزناً جداً، لكنني أقلق كثيراً لحال أبي. طيب، والآن أين كنت؟

(1) قد يكون كاروشي (過勞死)، الموت من الإفراط في العمل، ظاهرة في ثمانينيات القرن العشرين في ذروة الاقتصاد الفقاعي الياباني. (الكاتبة)

فريتير، فكرت روث. هذا نحن. نضيع حياتنا سدى.

أغلقت اليوميات وتركتهما تستقر على بطنها. أولقر نائم بجانبها. كانت تقرأ له فغط في النوم، وبدلاً من إيقاظه واصلت قراءتها صامتة. عرفت أن قصة الهيكيكوموري ضايقته. فقد وترتها أيضاً.

كان انتقالهما إلى الجزيرة انسحاباً. أمضيا عشية رأس السنة الأولى على الأريكة، وأمها تتدثر ببطانية بينهما، يشربون نبيذاً فواراً رخيصاً ويراقبون العالم ينتقل إلى عام 2000. كانت قناة البي بي سي تغطي احتفالات الألفية، متتبعه المناطق الزمنية وببطء تشق طريقها غرباً حول الكوكب. كلما أضاء انفجار الألعاب النارية شاشة التلفاز، تقدمت أمها إلى الأمام.

«يا إلهي، أليس هذا جميلاً؟ بماذا نحتفل؟»

«إنه رأس السنة يا أمي».

«حقاً؟ وأي سنة؟»

«سنة 2000. إنها الألفية الجديدة».

تقول أمها وهي تضرب ركبتيهما وتسند ظهرها إلى الأريكة.

«لا يا إلهي. تخيلا هذا». ثم تغمض عينيها وتغفو حتى يوقظها

الانفجار التالي للألعاب النارية فتعتدل في جلستها وتتقدم.

«يا إلهي، أليس هذا جميلاً؟ بماذا نحتفل؟»

عندما وصلت الألفية منطقتهم الزمنية أخيراً، أخلد باقي الكوكب إلى الفراش، وعانت روث من صداع نابض. نحتفل بنهاية الزمن يا أمي. انهيار شبكة القوة والنظام المصرفي العالمي. نشوة العالم ونهايته...

يا إلهي. تخيل هذا.

لم يقلقها التكهّن السخيف بمشكلة العام 2000. وكانت المخاوف التي دفعتها للانسحاب أكثر استفاضة ولا تُسمّى، وبنهاية العام الأول، عندما جلست أمام التلفاز وشاهدت الانتخابات الرئاسية تقترب من نهايتها، خامرها شعور أكيد بأن شيئاً مخيفاً سيحدث. كقارب صغير تاه في الضباب، لمحت لمحات خاطفة، خلال الفواصل عندما تبدد الضباب، عالماً بعيداً يتغير فيه كل شيء.

كان الوقت متأخراً. وضعت اليوميّات جانباً وأطفأت المصباح، وسمعت أنفاس أولقّر قريبها. وانهمر مطر خفيف على السطح. حين أغمضت عينيها، رأت صورة حقيقية طعام هلو كتي الحمراء الفاقعة تبرز من الأمواج الرمادية.

-2-

اقتريت من مذكراتها بعزم متجدد في الصباح، وهي مسلحة بكوب كبير من القهوة. إنها بحاجة إلى الإقبال عليها، إذ يتحول الكتاب غير المنتهي المتروك للإهمال شرساً، وسيطلب ترويضه من جديد كل تركيزها وإرادتها وعزمها التي لا تعرف الرحمة. أبعدت القط عن كرسيها، وأفرغت سطح مكتبها، ووضعت أكداً صفحات المخطوط أمامها.

قفز القط مستاءً من فعلها، وعاد إلى مكتبها، لكنها أبعدته بيدها، وأنزلته على الأرض ثم دفعته باتجاه الممر.

«اذهب لزيارة أولثر. إنه من تحب».

أدار القط ظهره ومشى خارجاً من الغرفة، رافعاً ذيله في الهواء، كأنه عزم على المغادرة أصلاً.

وجدت تقسيم المهام مفيداً أحياناً إن واجهتها صعوبة في التركيز، فتضع لنفسها أهدافاً قصيرة الأمد يسهل تحقيقها. ووضعت الساعة القديمة في معصمها كل يوم منذ أن شغلها أولثر، ففكّتها وأزالتها من معصمها. كانت الساعة قبيل التاسعة. ثلاثون دقيقة من العمل تتبعها عشر دقائق راحة. رأت عقرب الثواني يتحرك بسلاسة في مداره، لكنها قربت الساعة من أذنها لتتأكد، واطمأنت للدقات. كانت ساعة أنيقة، فناً زخرفياً حديثاً، بوجهها الأسود وأرقامها الثخينة والقرص المرقم المضيء. تلفت الخلفية الفولاذية لتتقدم الزمن، لكنها عرفت أرقام الكانجي، هل هذا رقم تسلسلي أو شيء آخر؟ وفوق الأرقام حرفان يابانيان آخران. عرفت الأول، الكانجي 空 بمعنى السماء. والثاني هو الكانجي 兵، وبدا مألوفاً أيضاً لكنها لم تفهمه في السياق. فتحت قاموسها وعدّت الخطوط ووجدتها سبعة. بحثت في القائمة الطويلة للكانجي ذي الخطوط السبعة حتى وجدته. قرأتها هي، وتعني جندي.

جندي السماء؟

فتحت كومبيوترها وبحثت في غوغل عن ساعة جندي السماء اليابانية. فظهرت مئات النتائج لمواقع تشاهد فيها مسلسل أنمي اسمه جندي السماء. لا فائدة. جريت أن تكتب ساعة عتيقة،

ثم ساعة من طراز قديم، ثم ساعة عسكرية من طراز قديم، فوجدتها. بل وجدت عالماً كاملاً من جامعي الساعات العسكرية. خمنت تخميناً جديداً، وأضافت الحرب العالمية الثانية وجندي السماء، ولكنها اتبعت حدسها فكتبت كاميكازي بدلاً عن جندي السماء وضغطت إرسال. دار محرك البحث، وفي لحظات وجدت نفسها في منتدى مجموعة هواة الساعات العسكرية، تقرأ عن منشأ الساعة التي تحملها في يدها، وتعاين صوراً لساعات مشابهة، وعرفت أنها من صنع شركة سيكو أثناء الحرب العالمية الثانية، وأنها كانت مفضلة لدى جنود الكاميكازي (الانتحاريين). لم يبق منها إلا القليل، رغم أنها صنعت بأعداد هائلة، والأسباب واضحة. كانت الساعات نادرة ويبحث عنها الجامعون بحماس. كانت الأرقام المحفورة على ظهرها رقمًا تسلسلياً، ليس للساعة، بل لصاحبها الجندي.

هاروكي #91

-3-

بحثت في الإنترنت عن هاروكي ياسوتاني مرفقة اسمه كلما بحثت عن مصطلح تذكركه من يوميات آن: سماء، جندي، كاميكازي، فلسفة، شعر فرنسي، جامعة طوكيو. لا نتائج. انتقلت إلى هاروكي الثاني، مدخلة كلمات جديدة: مبرمج كومبيوتر، أوريفامي، سنيقيل، ورغم أنها توصلت إلى ياسوتاني قلائل وهاروكيين، وحفنة من أهل التقنية يحملون أحد هذين الاسمين، فإنها لم تجد أحداً بالاسمين معاً، ولم يكن أي منهم قريباً لطيار انتحاري أو ابن أخته، أي والد آن.

خيبة. عادت إلى قائمة المفقودين في تسونامي وبحثت عن هاروكي وتوموكو، ولم يُدرج أي منهما مع الياسوتاني المفقودين أو الموتى. فارتاحت لهذا. وانتقلت للبحث عن معابد الزن شمالي اليابان، ولكن لم يكن عندها ما تضيفه إلا القليل لأنها لم تعرف أين يقع ذلك المعبد من الشمال، أو إلى أي طائفة من الزن يعود. جربت إضافة اسم جيكو ياسوتاني إلى بحث المعبد، إلى جانب مصطلحات من قبيل لاسلطوية، نسوية، روائية وراهبة، في توليفات متعددة. لا شيء. بحثت عن معابد في الشمال دمرها تسونامي، فوجدت عددًا منها، ونجت المعابد الأخرى وتصدرت جهود الإغاثة.

دارت العقارب على وجه ساعة جندي السماء، لكنها تجاهلتها وواصلت القراءة، تتقّب في المقالات المنشورة عام 2011، في الأشهر التي أعقبت 11 مارس. عزا زعماء دينيون معانيه وقوع الزلزال إلى عقاب آلهة اليابانيين الغاضبة على كل شيء من ماديتهم وعبادتهم للتقنية إلى اعتمادهم على الطاقة النووية والقتل الأرعن للحيتان. وتظاهر آباء غاضبون في فوكوشيما ليعرفوا لماذا لم تفعل الحكومة شيئاً حيال التلاعب بالأرقام ورفع مستويات التعرض المسموح به، بينما يتساقط عاملو المفاعل النووي صرعى وهم يحاربون الانصهار في فوكوشيما. وتطوعت مجموعة تسمى نفسها الكتيبة العليا للموت المحقق⁽¹⁾، تضم مهندسين متقاعدين في السبعين والثمانين من العمر، ليحلوا

(1) شينيا كيسياتي (シニア決死隊) الكاتبة.

محل العاملين الأصغر سناً. وحل التسرب النووي محل معدل الانتحار بين الناس وكان تسونامي في تصاعد. وطبعت موت محقق وانتحار ثم تذكرت القطار. أضافت قطار تشو السريع، وأخيراً هاريكي، التي أخطأت في كتابتها بسبب العجلة، وسبابتها اليسرى تضغط مطولاً على حرف الراء وإصبعها اليمنى تخطئ في الوصول إلى حرف الواو وتضغط الياء، وقبل أن تتمكن من تصحيح أخطائها، ضغطت خنصرها على زر الإدخال. تدمرت حين دارت عجلة البحث، ثم شهقت عندما نظرت إلى النتائج.

-4-

كان الموقع عائداً إلى د. رونغستاد ليستيكو، الأستاذ الجامعي لعلم النفس في جامعة ستانفورد. كان د. ليستيكو يجري بحثاً حول سرديات بضمير المتكلم عن الانتحار وقتل النفس. ونشر مقتطفاً من رسالة، كتبها إليه أحد مبحوثيه، رجل سمّي «هاري». وهذا المقتطف:

الانتحار موضوع عميق، ولكني سأحاول شرح أفكاري لك ما دام الأمر يهمك.

أعلىنا، نحن اليابانيين، من شأن الانتحار في تاريخنا. فهو في نظرنا أمر جميل يضفي معنى وشكلاً وشرفاً على حياتنا إلى الأبد. إنها طريقة لجعل إحساسنا بأننا على قيد الحياة أكثر واقعية. كان هذا تقليدنا لآلاف السنوات.

فليس سهلاً عيش هذا الإحساس بأننا على قيد الحياة، كما ترى. ورغم أن الحياة شيء له ثقله وشكله، فإن هذا ليس إلا

وهما. إحساسنا بأننا على قيد الحياة ليس له حافة أو حدود حقيقية. لذا نقول نحن اليابانيين إن حياتنا تبدو أحياناً غير حقيقية، كالحلم.

الموت يقين. والحياة في تغير دائم مثل نفحة ريح في الجو، أو موجة في البحر، أو فكرة في العقل. إذن الانتحار هو العثور على طرف الحياة. إنه يوقف الحياة في الزمن، فنستطيع استيعاب شكلها ونشعر أنها حقيقية، للحظة على الأقل. إنها محاولة لجعل شيء ما حقيقياً صلباً من جريان الحياة التي تتغير دوماً.

نسمع اليوم في الثقافة التقنية الحديثة أحياناً من يشتكي أنه لم يعد أي شيء حقيقي. كل شيء في العالم الحديث بلاستيكي أو رقمي أو افتراضي. لكني أقول إن الحياة كانت هكذا دائماً هذه هي الحياة بذاتها! لقد ذكر أفلاطون أن الأشياء في هذه الحياة ليست إلا ظلالاً للأشكال. فهذا ما أقصده بالإحساس المتقلب غير الحقيقي للحياة.

ربما تود أن تسألني كيف يجعل الانتحار الحياة تبدو حقيقية؟ حسناً، بشق الوهم، بحزّ الصور والعثور على الدم. بدخول كهف العقل والمشي نحو النار. بجعل الظلال تنزف. ستشعر بالحياة كلياً عندما تزيلها.

الانتحار أمر أصيل.

الانتحار معنى الحياة.

الانتحار يعني أن تكون لك الكلمة الأخيرة.

الانتحار يعني وقوف الزمن إلى الأبد.

ولكن هذا ليس إلا تضليلاً أيضاً. الانتحار جزء من الحياة، ولذا فإنه جزء من التضليل.

يشيع الانتحار في اليابان اليوم، خاصة بين الموظفين في أواسط أعمارهم مثلي، بسبب تدهور النظام الاقتصادي وتخفيض العمالة. تخفض شركاتهم عملهم ولا يمكنهم إعالة أسرهم. ومنهم من هو مدين بديون كبيرة. لا يمكنهم إخبار زوجاتهم، فيجلسون على مقعد في منتزه كل يوم مثل الغومي. أتعرف معنى الغومي؟ معناها قمامة، مما يرمى ولا يذهب لإعادة التدوير حتى. الرجال خائفون وخجلون كالغومي. إنها حالة محزنة.

أما الطرائق فكثيرة. الشنق أحدها، وأكثر الأماكن شهرة للشنق يقع قرب جبل فوجي في غابات أوكيغاهارا. لهذا المكان اسم مستعار «غابة الانتحار» لأن كثيراً من الموظفين يشنقون أنفسهم على الأغصان في بحر الأشجار.

وبعض الطرائق الأخرى من قبيل:

1 - القفز من رصيف المحطة أمام قطار (قطار تشو السريع مشهور بذلك).

2 - القفز من السطح.

3 - طريقة الانتحار بالفحم الحجري.

4 - طريقة الانتحار بسائل التنظيف.

ثمة الكثير من أفلام الانتحار الشهيرة وكذلك الكتب التي تعلم المرء كيف يتبع هذه الطرائق. عن نفسي جربت طريقة رصيف القطار، لكنني فاشل. يفضل اليافعون #2 طريقة القفز من السطح، ويحبون فعلها أحياناً وهم يمسكون أيدي بعضهم.

مؤسف أن الانتحار شائع بين اليابانيين، وخاصة تلاميذ الابتدائية والإعدادية، بسبب الضغط الدراسي والتتمر. يساورني القلق لأن ابنتي يافعة وليست سعيدة في مدرستها اليابانية.

ظهرت مؤخراً تقليعة نوادي الانتحار كما سمعت. يتعارف الناس على شبكة الإنترنت ويدردشون حول الانتحار. يناقشون طريقة ما ويغيرونها كما يحلو لهم، فيسألون مثلاً أي نوع من الموسيقى ملائم ليكون الموسيقى التصويرية لموتهم؟ ثم إذا وجدوا أصدقاء ينسجمون معهم، خططوا للأمر. فيلتقون في مكان ما، في محطة القطار أو متجر تجزئة أو على مقعد متنزه مثلاً. ربما يحملون شيئاً أو يلبسون شيئاً مميزاً ليتعارفوا. ثم يتبادلون الرسائل النصية حتى تلتقي أعينهم، وهكذا يميز بعضهم بعضاً.

يفضل الكثير من أعضاء النوادي رقم 3#، طريقة الفحم الحجري. ولاتباع هذه الطريقة يستأجرون سيارة سوياً ويقودونها إلى الريف. ثم يضعون موسيقى لطيفة في مشغل الأقراص ويستمعون إليها حتى يموتوا من تنشق غاز ثاني أكسيد الكربون. يفضلون معظم الأحيان الاستماع إلى أغاني حزينة عن الحب.

تأجير السيارات مكلف في اليابان، وكثيرون من الراغبين في الانتحار لا يملكون المال بسبب تخفيض العمالة والإفلاس، إلخ. والأوفر أن يكون عدد الأعضاء أكبر. ولهذا تعثر الشرطة أحياناً على خمس جثث أو ست في سيارة.

كلما قرأت عن هذه الطريقة، تذكرت اليوم الذي أخذتني فيه للتسوق في متجر هوم ديبو. هل تتذكر هذه المرة؟ عرّفتني على

مشواة من طراز وبر والفحم برائحة الينبوت؟ للأسف، لا أستطيع إيجاد فحم برائحة الينبوت في طوكيو، ومشواة وبر ليست معروفة هنا أيضاً.

يخطر لي أحياناً أن الأمريكيين لا يفهمون لماذا يرغب اليابانيون بالانتحار. يتمتع الأمريكيون بحس قوي بأهميتهم. يؤمنون بذات الفرد، كما أن عندهم ربهم الذي يقول لهم إن الانتحار خطأ. هذا بسيط جداً! كنت أقرأ في الآونة الأخيرة بعض الكتب الفلسفية التي ألفتها عقول غربية عظيمة وكلها حول معنى الحياة. إنها مثيرة، وأرجو أن أجد فيها بعض الإجابات الجيدة.

لا أهتم لنفسي، لكنني أخشى أن ميولي ليست مناسبة لابنتي. فكرت في البدء أن أنتحر فلا تشعر بالخزي من فشلي في العثور على وظيفة جيدة بأجر كبير، لكنني أخشى أنني جريت الطريقة رقم 1#، ورأيت حزناً شديداً على وجهها فغيرت رأيي.

أحسب أن عليّ محاولة البقاء على قيد الحياة، ولكن ليس عندي ثقة لفعل ذلك. علمني من فضلك طريقة أمريكية بسيطة لأحب حياتي فلا أحتاج إلى التفكير بالانتحار ثانية. أريد أن أجد معنى حياتي من أجل ابنتي.

المخلص:

«هاري»

-5-

عزيري الأستاذ لسيكو

أكتب إليك لأمر طارئ. أنا روائية، ومؤخراً أثناء بحثي حول موضوع الانتحار في اليابان لأجل مشروع أعمل عليه، وجدت

موقعك وبحثك حول سرديات بضمير المتكلم حول الانتحار وقتل النفس. قرأت باهتمام بالغ الرسالة المؤثرة التي كتبها مبحوث تحت اسم «هاري»، وأكتب إليك لأسألك عن هويته. أثمة احتمال أن يكون «هاري» هذا مهندس برمجيات كومبيوتر ياباني اسمه هاروكي ياسوتاني، عاش في سنيثيل كاليفورنيا، وعمل في سلوك ثالي أيام شركات الإنترنت؟

أدرك أن هذا السؤال يبدو غريباً وسيكون خاضعاً لحفظ الخصوصية قطعاً، لكنني أحاول الوصول إلى السيد ياسوتاني أو ابنته آنزو. أصبحت بعض الأغراض، كدفتر يوميات ورسائل أظنها تعود للابنة، في حوزتي بوسائل غامضة، وأنا قلقة على سلامتها وأود إعادتها إليها بأقصى سرعة.

ويسرني أن أرسل إليك ما تشاء من معلومات. لقد كنت كاتبة مقيمة في قسم الأدب المقارن في جامعة ستانفورد في الماضي، وأنا واثقة أن الأستاذ پ- ل أو أي أستاذ من الكلية سيسعده أن يشهد لي. أرجو أن تتواصل معي في أقرب وقت يناسبك.

المخلصة

إلخ.

أرسلت البريد الإلكتروني، واستتدت إلى ظهر الكرسي، ونظرت إلى ساعة جندي السماء التي تعطي المخطوط الذي لم يمس وقد هجرته قبل ساعات، فشعرت بالخيبة. لقد تجاوزت الساعة الواحدة، وتبدد الصباح بكامله. والأسوأ من هذا أنها سمعت صوت إطارات تدرج في المدخل.

يتفاعل الوقت والوعي بصور غريبة. فمن جانب، بينما استحوذ على روث الهوس القهري وفرط التركيز في بحث الإنترنت، كأنما تجمعت الساعات وانتفخت مثل موجة مبتلعة قطعاً كبيرة من نهارها.

ومن جانب آخر، عندما تشتت انتباهها وتبدد، رأت الزمن في أقصى حالاته الحبيبية، إذ طافت اللحظات في الأرجاء كالجزئيات، متناثرة عالقة في ماء راكد.

وثمة طريق أوسط أيضاً تركز فيه انتباهها ولكنه اتسع، وبدا الوقت مثل بركة رائقة، تطوقها أشنات تثيرها الشمس. ورفد البركة جدولٌ تحت الأرض من الأعماق، خالقاً تياراً رقيقاً من الكلمات التي برزت في فقاعات، وعلى صفحة الماء تلاًل النسيم ولعب.

تذكرت روث تمتعها بهذه الحالة المنعمة ذات يوم عندما كانت وتيرة الكتابة جيدة. أما الآن فقد ضللتها هذه الجنة مهما بذلت من جهد. لقد جف الجدول وغدت البركة عكرة راكدة. فألقت باللوم على الإنترنت، وألقت باللوم على هرموناتها والحمض النووي. وانقضت على المواقع الإلكترونية تجمع معلومات حول اضطراب قلة الانتباه واضطراب قلة الانتباه وفرط النشاط، واضطراب ثنائي القطب، واضطراب الهوية الانفصالية، والطفيليات بل حتى مرض النوم، لكن أكبر مخاوفها هو ألزهايمر. شهدت تدهور عقل أمها، وهي عالمة بالتلف الذي يحدثه ذلك المرض في وظائف الدماغ. كثيراً ما نسيت روث أشياء مثل أمها، فكررت بعض

الحركات، وأضاعت الكلام، وأخطأت في الزمن دخولاً وخروجاً. كانت السيارة سيارة موريل، وها هي تجلس مع أولفر في المطبخ، يشربان الشاي ويتكلمان عن القمامة. جلست بينهما روث التي نزلت إلى الطابق السفلي من باب التهذيب، ضجرة قليلاً، تستمع إلى حديثهما وتلمس كومة الرسائل من حقيبة طعام هلو كتي. على الطاولة، بجانب حقيبة الطعام، علبه معجون أسنان تالفة من علامة ليون التجارية اليابانية، وهي حجة موريل للقدوم. فقد وجدتها على الشاطئ منجرفة عند العزبة اليابانية وجاءت بها في الحال.

لم تسر روث بمرورها. تعجبت في الأيام الأولى لانتقالها إلى الجزيرة من مجيء الناس للزيارة دون اتصال أو إرسال بريد إلكتروني أولاً. وأزعجت هذه العادة أولفر أكثر منها، بل إنه اختبأ ذات مرة في ثلاجة قديمة في القبو عندما سمع صوت عجلات قادمة على حصى المدخل، لكن خطته لم تنجح. إذ دخل الضيوف إلى البيت وجلسوا إلى طاولة المطبخ لينتظروا، ولما عادت روث من الخارج وجدتهم هناك. فقدمت لهم الشاي وسألت عن أولفر بصوت عالٍ.

قالوا لها «أوه إنه ليس في البيت».

تحدثوا وشربوا الشاي وروث تحاول معرفة سبب الزيارة. وسمعت بعد مدة صوتاً خفياً من القبو، ثم ظهر أولفر بالباب. سأله متشككة ومنزعجة لبقائه في الخارج وقتاً طويلاً، وتركها تواجه ذلك وحدها، «أين كنت؟»

قال نافضاً عن شعره شباك العنكبوت «أوه. في الخارج. في الغابة».

غادر الضيوف في النهاية، وألحت عليه فاعترف لها.

«أتعني أنك كنت تجلس في الأسفل؟»

هز رأسه، وقد بدا عليه الخجل.

«في الثلاثية؟ طوال الوقت؟»

«لم يكن وقتاً طويلاً».

«إنها ساعات! ماذا كنت تفعل؟»

«لا شيء».

«هل كنت تسمعنا؟»

«قليلاً. لم أسمع جيداً».

«فماذا كنت تفعل إذن؟»

فهز رأسه وارتسم على وجهه مزيج من العجب والغطرسة. قال

«لا شيء». كنت أجلس هناك فقط. المكان جميل وبارد فقفوت».

أرادت أن تغضب حقاً، لكنها لم تستطع. لقد كان هذا طبعه،

فضحكت. وضحك هو الآخر وقد شعر بالارتياح.

كان طبعه، مثلما كان المرور بلا إخطار طبع أهل الجزيرة.

ولا بد من دعوة الضيوف لشرب الشاي مهما كانت العادة غريبة

ومزعجة.

كان اكتشاف معجون ليون مثيراً، ولطف من موريل أن تشاركهما

ذلك، لكن الحديث تحول إلى نصف حياة البلاستيك في الدوامة،

الذي أثار ملل روث، فأدارت انتباهها إلى الرسائل. نشرت

الصفحات على الطاولة، تبسط كل واحدة وتدقق في الكانجي

المبهم. ربما استطاعت معرفة العنوان في أسوأ الأحوال، وقد يفيدها اسم الولاية. تابع أولثر وموريل حديثهما، رغم أنه ليس بالحديث الهادئ كما لاحظت روث. بل بدا حديثهما أشبه بجلسة في مؤتمر أكاديمي، أستاذان يتبادلان الأدوار على المنبر ويعرضان معلومات يعرفها كلاهما، ويتفقان عليها سلفاً.

قال أولثر «هكذا هو البلاستيك. إنه لا يتحلل عضوياً أبداً. بل يختصّ في الدوامه وينطحن إلى جزيئات. يسميه علماء المحيطات كونفتي [نثار]. وفي حالته الحبيبية يظل عالقاً إلى الأبد».

«البحر مليء بالقصاصات البلاستيكية، فهي تطفو وتأكّلها الأسماك أو يلفظها البحر إلى الشاطئ. إنها في سلاسلنا الغذائية. أنا لا أحسد علماء الإناسة وهم يحاولون إيجاد معنى لثقافتنا المادية من كل القطع الصلبة اللامعة التي سيكتشفونها في نفايات المستقبل».

كانت الرسالة الأخيرة أثخن من الأخرى. ملفوفة بتغليف مصنوع من طبقات عدة من الورق المشمع المدهن. فتحتها روث بحذر، واضعة الورق اللاصق على أحد الجانبين. في داخله دفتر رفيع ملفوف ومطوي عدة طيات، كالذي استخدمه الطلاب في الجامعة ذات يوم لكتابة المقالات في الامتحانات. ففتحت طياته ونظرت داخله، مترقبة رؤية مزيد من الخط الياباني المنقوش، لكنها فوجئت برؤية الأبجدية الرومانية واللفة الفرنسية.

كان دور أولثر، الآن وقد بدأ قوله «علماء الإناسة في المستقبل...» فقاطعته روث.

«أستمحكما عذراً. أكره تغيير الموضوع، ولكن هل يجيد أحدكما قراءة الفرنسية؟»

-7-

عرضت عليهما الدفتر المدرسي وتبادلا الأدوار وهما يحاولان قراءته، لكنهما لم يحرزوا أي تقدم.
قالت موريل «يا سلام على التعليم ثنائي اللغة»، ونظرت إلى ساعتها وخلعت نظارة القراءة، وأخذت تجمع أغراضها. «جربي الاتصال ببنوا».

لم تعرف روث من هو بنوا.
فقالت موريل «بنوا لوبيك. إنه رجل الكناسة، من كيويك، يتردد على م ويقود رافعة شوكية...»
«م؟»

قالت موريل «م م⁽¹⁾. ولكن لا شيء مجهول في هذه الجزيرة، ولذا يسمونها هكذا. تعمل زوجته في المدرسة، وأعرف أنه قارئ نهم. كان أبواه أستاذين للأدب».

وتناولت معجون الأسنان المعصور من علامة ليون التجارية من جانب كيس المجمدة الذي يغطيه محار البرنقيل.
سألت موريل وهي تشير إلى الكيس، الذي انبعثت منه الغازات والمحار يموت رويداً رويداً. «هل اتصلت بكالي من أجل هذا؟»

(1) مدمنو الكحوليات مجهولو الهوية. مجموعة Alcoholics Anonymous: مجموعة تضم أشخاصاً يتعافون من إدمان الكحول ويساعدون بعضهم. كما تضم المجموعة أشخاصاً غير مدمنين، وتعتمد نموذجاً فعالاً يتألف من اثنتي عشرة خطوة للتوصل إلى مرحلة الامتناع التام عن التعاطي. (موقع مايو كلينك- المترجمة)

قالت روث حزينة «لا». عزمت على ذلك، لكنها باتت تستصعب الكلام في الهاتف يوماً بعد يوم. لم تعد تحب الكلام إلى الناس في الزمن الراهن.

«طيب. عرفت صدفة أنها عادت من رحلة بحرية وستقضي بعض الوقت في الجزيرة. لعلك ترغبين بمكالمتها قبل أن تزداد هذه موتاً».

شعرت روث بوخز الندم. «أكان علينا أن نحافظ عليها حية؟ لم يخطر لي...»

رفعت موريل كتفيها ووقفت. «قد لا يكون لهذا أهمية، ولكن اتصلي بها على أي حال. فقد تكون قادرة على إفادتك». غيرت رأيها وتركت معجون الأسنان على الطاولة، ولوحت بيدها بشيء من الأبهة باتجاهه وقالت «سأترك هذا معك إذن. من باب الحرص أقول لك إنني أشعر أنها مجموعة ويجب أن تظل معاً». سارا معها إلى سيارتها. كانت موريل تلبس اليوم سترة صوفية رجالية ذات أزرار فوق تورتها الطويلة وحذائها المطاطي، وفي وقوف روث تراقبها وهي تحاول جاهدة رفع جسدها الثقيل على العتبات، تذكرت وصف آن للسيدات العجائز في أحواض الاستحمام، في أشكالهن وأحجامهن المختلفة. وشعرت روث بتقدمها في السن هي الأخرى في ركبتها وفي وركيها. كانت تمشي في كل مكان أثناء إقامتها في نيويورك فتحصل بذلك على كفايتها من التمارين دون عناء. أما في الجزيرة، فهي تقود السيارة غالباً. تذكرت حيها القديم في إيست فلج والمقاهي والمطاعم ومتاجر الكتب والمتنزه. لم تزل حياتها في نيويورك

حقيقية نابضة بالحياة، مثل سنيفيل عند آن.

... أميال بلا حد بعيداً في الزمان والمكان، مثلما يبدو كوكب الأرض الجميل من الفضاء الخارجي، وأنا وأبي رائدا فضاء، نعيش في مركبة فضائية، ندور في السواد البارد. كانت الساعة الرابعة، وقد خيم الظلام في الخارج. همد المطر، لكن الهواء لا يزال رطباً وبارداً. فساروا في العشب المخضّل، وأمسك أولفر باب السيارة لموريل، عندما لفتت انتباههم حركة في الأعلى، فرفع رأسه وأشار.

«انظرا!»

على غصن شجرة القيقب ضخّم الأوراق، في ظلال الشفق، جنم غراب وحيد. كان أسود لامعاً، له حذبة غريبة في جبينه ومنقار طويل ثخين معقوف.

قالت موريل «يا للغرابة. يبدو غراب أدغال».

أولفر «فصيلة فرعية. كورفُس جابوننسس...».

موريل «يسمى أيضاً الغراب ذو المنقار الكبير. يا للغرابة.

أتظن...؟»

أولفر «نعم. لقد ظهر قبل أيام. أظنه ركب التيار».

موريل «زائر طارئ». عُرِفَت بنفورها من الزوار الطارئين، ووجدت هذا ساخرًا.

بسط الغراب جناحيه وقفز بضعة أقدام على الغصن.

سألت روث «كيف تعرفان أنه ذكر؟»

رفع أولفر كتفيه كأن سؤالها بلا أهمية، لكن موريل هزت رأسها.

«أحسننت. ربما تكون أنثى. غراب جدة، أو تيتس بلغة السليام⁽¹⁾. إنها واحدة من الأسلاف السحرة الذين يتحولون ويتخذون شكل الحيوان أو البشر. لقد أنقذت حياة حفيدتها بعد حملها وأمر أبوها القبيلة بطردها. وأمر الأب الغراب بأن يخمد كل النيران، لكن تيتس أخفت الفحم المتوهج من أجل حفيدتها في قوقعة وأنقذت حياة الفتاة. أنجبت الفتاة سبعة جراء، طرحوا عنهم جلودهم فيما بعد وتحولوا إلى بشر وصاروا شعب السليام، لكن هذه قصة أخرى تمامًا».

لفت ذراعها حول هيكل السيارة وبأناة نزلت إلى مقعد السائق، ومدت روث لها يد العون وأسندت مرفقها.

راقب الغراب ذلك من فوق غصنه. وبعدما صعدت موريل السيارة مطّ جناحيه وأطلق زعقة واحدة خشنة.

قالت موريل وهي تدير المحرك وتلوح بيدها في اتجاهه «ومع السلامة لك أيضًا».

أمال الغراب رأسه والسيارة تتحرك ببطء في الممر الطويل الملتف، وباتت تصغر وتصغر حتى اختفت عند منعطف وسط أشجار باسقة. ذهب أولفر إلى الحديقة ليقطف خضارًا للعشاء، لكن روث وقفت بجوار الحطب قليلاً بعد تراقب الغراب، وقالت «أيها الغراب».

أمال الغراب رأسه وأجابها كي كي كي.

(1) وتعرف بلغة الكوموكس، من عائلة اللغات الساليشية تتحدث بها شعوب في ساحل الشمالي الغربي للمحيط الهادئ والمناطق المجاورة مثل آيداهو ومونتانا وجنوبي كولومبيا البريطانية. (المترجمة)

«ماذا تفعل هنا؟ ماذا تريد؟»

لكن الغراب لم يجب هذه المرة، بل بادلها الحملقة بعينية السوداوين الفاحمتين. إنه ينتظر. كانت روث واثقة من أنه ينتظر.

يصعب الكتابة عن أمور وقعت في الماضي السحيق. فإذا أخبرتني جيكو قصصاً مثيرة من حياتها، كشنق قدوتها الفوضوية والإرهابية المناهضة للإمبريالية الشهيرة كانو سوغاكو بتهمة الخيانة، أو كموت خالي الكبير هاروكي¹ أثناء تنفيذ هجوماً انتحارياً على سفينة حربية أمريكية، تكون القصص حقيقية جداً أثناء كلامها، لكنها لاحقاً تتسرب مني إذا ما جلست لكتابتها وتصبح خيالية مجدداً. الماضي غريب، أعني هل هو موجود حقاً، ولكن أين هو؟ وإذا وُجد لكنه لم يعد كذلك الآن، فأين ذهب؟

تحدث جيكو العجوز عن الماضي، فتحولَ عيناها، كأنها ترمق شيئاً مدفوناً في أعماق جسدها في نخاع عظامها. عيناها زرقاوان حليبيتان من المياه البيضاء، وعندما تحولان، فكأنها تتحرك في عالم آخر جامد في جليد عميق. تسمي جيكو مياهها البيضاء كوغي⁽¹⁾ «زهور الفراغ». وأرى هذا جميلاً.

(1) كوغي: 空華 تعني زهور «الفراغ» أو «السماء»، مصطلح للمياه البيضاء، كما أنه عنوان الفصل 43 من كتاب المعلم دوغن شويوغنزو. لحرف كو الكانجي معانٍ عدة منها «السماء» أو «الفضاء» أو «الفراغ» مثل 空兵 (محارب السماء). تشير عبارة زهور الفراغ إلى إعتام الرؤية بسبب المياه البيضاء، ولكن في التعاليم البوذية التقليدية تشير عبارة زهور في السماء إلى أوهام يحدثها انحباس كارما المرء. أعاد دوغن تفسيرها بأنها «إزهار الفراغ»، أو حالة التتوير. يقول إن كل شيء في العالم إزهار كوني للفراغ. (الكاتبة)

ماضي جيڪو العجوز بعيد جدًا، ولكن حتى إذا لم يحدث الماضي منذ زمن بعيد، كحياتي السعيدة في سنيفيل، فما زالت الكتابة عنه صعبة. تبدو تلك الحياة السعيدة أكثر واقعية من حياتي الآن، لكنها في الوقت نفسه من ذكريات آن ياسوتاني مختلفة كل الاختلاف. ربما لم تعيش آن الماضي إلا في مخيلة آن الحاضر، الجالسة في مقهى الخدمة المنزلية الفرنسي في مدينة أكيبا الكهربائية. وربما العكس بالعكس صحيح.

إذا جريت تدوين يومياتك، فلعلك تعرف أن مشكلة الكتابة عن الماضي تبدأ في الحاضر، مهما كنت سريعاً في الكتابة، فستبقى عالقاً في حينها ولن تواكب أبداً ما يحدث الآن، وهذا يعني أن الآن محكومة بالاندثار. هذا أمر ميؤوس منه صدقاً. لا يعني أن الآن مثيرة للاهتمام، فالآن هي أنا عادة، أجلس في مقهى خدمة منزلية وضيق أو على مقعد حجري في معبد يقع على طريق المدرسة، أحرك القلم جيئةً وذهاباً مئة مليار مرة في الصفحة، وأحاول مجازاة نفسي.

عندما كنت بنتاً صغيرة في سنيفيل، فُتت بكلمة الآن. تتكلم أمي وأبي اليابانية في البيت، ولكن الآخرين كلهم يتكلمون الإنجليزية، وأحترار بين اللغتين أحياناً. عندها ينفكّ الاتصال بين كلمات الحياة اليومية ومعانيها، فيغدو العالم غريباً وخيالياً. لطالما وجدت كلمة الآن غريبة وخيالية في نظري، لأنها أنا، أو لفظها على الأقل. آن هي الآن ولكنها تحمل معنى مختلفاً.

بعض الكلمات في اليابان لها كوتوداما⁽¹⁾، أي أرواح تعيش في كلمة وتمنحها قوة خاصة. وبدأت كوتوداما الآن شبيهة بسمكة زلقة، سمكة تونا بدينة ملساء لها بطن كبير ورأس صغير وذيل يشبه هذا:



بدأت كلمة الآن شبيهة بسمكة كبيرة تأكل سمكة صغيرة، وأردت أن أمسكها وأوقفها. كنت صغيرة، وخطر لي أنني لو استطعت حقاً إدراك معنى السمكة الكبيرة الآن، لبتّ قادرة على إنقاذ السمكة الصغيرة آنزو، لكن الكلمة انزلقت بعيداً عني.

أظن أنني وقتئذ كنت في السادسة أو السابعة، واعتدت الجلوس في المقعد الخلفي في سيارتنا العائلية من طراز الفولفو، أطل على ملاعب الغولف والمجمعات التجارية والعمران والمصانع والملاحات المترققة⁽²⁾ بمحاذاة بي شور فريوي، ومن بعيد كانت مياه خليج سان فرانسيسكو زرقاء متلألئة، وأبقي النافذة مفتوحة كي يلفح وجهي الضباب الدخاني الحار الجاف وأنا أهمس الآن!... الآن!... الآن!... مرة بعد مرة، أسرع فأسرع، في الريح والعالم يخطف بي، أحاول القبض على اللحظة التي

(1) 言霊 حرفياً كوتو تعني «الكلام»+ تاما تعني الروح أو النفس. (الكاتبة)

(2) مواقع استخراج ملح الطعام من المياه المالحة، من خلال الحجر عليها في بحيرات أو برك ضحلة وتركها لأشعة الشمس كي تجف الماء فيبقى الملح خالصاً. (المترجمة)

كانت فيها الكلمة ما هي عليه: عندما تصبح الآن هي الآن.
ولكن في الوقت الذي تستغرقه لنطق كلمة الآن، ينتهي الآن
سلفاً. إنها آنذاك سلفاً.

آنذاك هي ضد الآن. قول الآن يبطل معناها، ويحولها إلى
ما ليست عليه تماماً. كأنما الكلمة تتحرر أو ما شابه. فبدأت
عندها أجعلها أقصر... الآن، آن، آه، آ... حتى لا تعود إلا جمعاً
من أصوات النخير وليست بكلمة. إنه محال، كمحاولة الإمساك
برقاقة ثلج بلسانك أو فقاعة صابون بين أناملك. إمساكها يُفنيها،
وشعرت أنني أفنى أيضاً.

تسبب أشياء من هذا القبيل لك الجنون. هذه هي الأمور التي
تشغل ذهن أبي كل الوقت، يقرأ سلسلة عقول عظيمة في الفلسفة
الغريبة، وبعد مراقبته أدرك أن على المرء الاهتمام بعقله، وإن لم
يكن عظيماً، وإن لم تفعل انتهى أمرك وأنت تضع رأسك على
سكة الحديد.

-2-

كان عيد ميلاد أبي في مايو، وجنازتي بعد شهر. كان أبي
شديد التفاؤل، لأنه نجح في البقاء حيًا سنة أخرى، وحل ثالثاً
في مسابقة حرب الحشرات الكبيرة لصنعه الإمبراطور الجوّاس⁽¹⁾،
وكانت حدثاً كبيراً إذ يصعب طيّ الأجنحة المنشورة. وهكذا فقد

(1) خنافس عملاقة من فصيلة خنافس الآيل (الكاتبة). من رتبة غمديات الأجنحة.
أنواع المعروفة قليلة. خنافسها ويرقاتها دامنة تعيش على المواد النباتية المنحلة.
(المترجمة)

كان أبي يبلي بلاء حسناً وهو امرؤ نزاع إلى الانتحار، وكنت أنا على ما يرام أيضاً وأنا ضحية التعذيب. ما زال الأولاد في المدرسة يتظاهرون بأنهم لامرئية، لكن الجميع في الصف التاسع بات يفعل ذلك، لا فصلي فقط. أعرف أن هذا يبدو مبالغاً، لكنه عادي في اليابان، بل إن هذا الفعل يسمى زن-إن شيكاتو⁽¹⁾. كنت أحصل على أفعال كبيرة من الزن-إن شيكاتو، وعندما أكون في الباحة أو الممر أو أسير نحو مقعدي، أسمع زملائي يقولون أشياء من قبيل «لم تأت التلميذة المنقولة ياسوتاني إلى المدرسة منذ أسابيع!» لم ينادوني آن أو آنزو قط. بل الطالبة المنقولة ياسوتاني أو الطالبة المنقولة فقط، كأني لا اسم لي. «هل الطالبة المنقولة مريضة؟ ربما أصيبت الطالبة المنقولة بمرض أمريكي مقرف. ربما فرضت عليها وزارة الصحة حجراً. يجب أن يفرض الحجر على الطالبة المنقولة. إنها بيكن⁽²⁾. ياع، أرجو أنها ليست معدية! إنها معدية إذا ضاجعتها. قرف! إنها عاهرة. لن أضاجعها! نعم، ذاك لأنك عتّين. اخرس!»

عادي. هذه الأمور التي اعتادوا قولها في وجهي، لكنهم الآن باتوا يقولونها فيما بينهم، في حضوري وأسمعهم. كما فعلوا أشياء أخرى أيضاً. لدى دخولك مدرسة يابانية، تجد مكاناً فيه خزائن تخلع عندها حذاءك المخصص للخارج وتلبس خفّاً للداخل. كانوا ينتظروني حتى أخلع فردة من حذائي، وأقف على قدم واحدة

(1) 全員しかと حرفياً النبذ من الجميع، أو «التجاهل الجماعي». (الكاتبة)

(2) ばい菌 جرثومة (الكاتبة)

فيصطدمون بي ويطرحوني أرضاً ويدوسون عليّ كأنني لست موجودة، ويقولون «أوه، يا للقرف! هل وطئ أحدكم روث كلب؟» قبل حصة التربية البدنية، عليك أن تبدل ثيابك فتلبس بدلة الرياضة، لكن مدرستي هنا بائسة جداً وليس فيها غرفة للخزائن كما هي الحال في سنيفيل، فيبدل الجميع ثيابهم في الفصل في مقاعدهم. تأخذ البنات فصلاً ويأخذ الأولاد فصلاً آخر، ويجب أن تقف هناك وتخلع ثيابك وتلبس هذه البدلات المتخلفة، وإذا ما خلعت ثيابي، تغطي البنات أنوفهن وأفواههن ويجلن أنظارهن ويقلن «نانكا كوساي يو»⁽¹⁾ هل مات شيء ما؟ وربما هذا ما أوحى لهم بفكرة الجنازة.

-3-

راودني إحساس مخيف بأن شيئاً ما قد تغير قبل عطلة الصيف بأسبوع. كان الأمر فائق الغموض، لكنك تحدسه وإذا كنت يوماً هدفاً للعمليات العسكرية النفسية، أو تعرضت للتعذيب أو المطاردة أو التعقب، فستعرف أن ما أقوله صحيح. يمكنك قراءة العلامات لأن حياتك تعتمد عليها، غير أن الذي حدث هذه المرة هو اللاشيء جوهرياً. لم يعد أحد يدفعني أو يدوسني في الجنكن⁽²⁾، ولم يعلق أحد بأني نتنة الرائحة أو مريضة. بل كان الجميع يمشون بهدوء شديد بادٍ على وجوههم الحزن، وعندما فقد أحد الأولاد الصغار المكروهين السيطرة وأخذ يقهقه عند

(1) رائحة مقرفة (الكاتبه)

(2) 玄関، المدخل أو الردهة (الكاتبه).

مروري، نال لكمة في الحال. عرفت أن شيئاً سيحدث، وكدت أجنّ من ذلك. ولاحظت أثناء فسحة الغداء أنهم يمررون بينهم شيئاً، ورقة مطوية كالبطاقات أو ما شابه، ولكن لم يعطني أحداً منها طبعاً، فاضطرت إلى الانتظار حتى انتهاء النوادي المدرسية عصرًا لأعرف.

عدت إلى البيت بعد المدرسة كالمعتاد، وكنت أتسلى في البيت، متظاهرة بأنني أنجز فروضي المدرسية وأحاول إيجاد حجة للخروج ثانية، فأخذ أبي يفتش عن شيء وسمعه يتهدد، وهذا يعني أنه يبحث عن سجائر والعلبة فارغة.

فقلت متذمرة «أورساي يولا تاباك وكاتيه كويو كا»⁽¹⁾

كان عرضي كبيراً في نظري. لا يحب أبي الخروج رغم أن آلة بيع السجائر تقع على مبعدة بضع مربعات سكنية، لكنني عادة أرفض شراء السجائر له فمن بين كل طرق الانتحار، كان التدخين أشدها غباء وأعظمها كلفة. أعني لماذا تزيد ثراء شركات التبغ الغنية بقتلك، صحيح؟ لكن عاداته المقرفة منحتي الحجة هذه المرة، وكان شاكرًا لي، وأعطاني نقوداً إضافية لأشتري لنفسني الصودا. لبست حذاء الجري بدلاً من الخف البلاستيكي الذي نلبسه عادة لقضاء الحاجات في المنطقة، وفي طريق خروجي من البيت، دسست في جيبني سكين مطبخ صغيرة. قطعت الزقاق واختبأت خلف صف من آلات بيع السجائر والمجلات الإباحية ومشروبات الطاقة.

(1) أنت مزعج! أتريدني أن أجلب لك بعض السجائر؟ (الكاتبة)

كنت أنتظر دايسوكه كُون⁽¹⁾. إنه في صفّي ويسكن مع أمه في بنايتنا. كان أصغر مني، ولد نحيف كالعصا، وأمّه عازبة وتعمل في حانة وفقيرة، لذلك فإنه يتعرض للمضايقة بقدري تقريباً. كان دايسوكه كُون مثيراً للشفقة صدقاً، ورأيتّه بعد قليل يحمل حقيبة كتبه أمامه ويتخبط في الشارع، مديراً ظهره للجدار الأسمنتي. كان من الأولاد الذين يجب أن يلبسوا السراويل القصيرة وإن لبسوا الطويلة منها. إن رؤية رأسه الغبي يدور على عنقه الضامر، وعينيّه الجاحظتين في كل الاتجاهات على الرغم من أنه ليس ملاحقاً من أحد، أصابتنّي بالجنون وامتألت غضباً، ولدى مروره أمام آلات البيع، قفزت وجذبتّه إلى الزقاق، وأحسب أن الأدرينالين من غضبي منحني قوة الرجل الخارق، لأن الإطاحة به كانت سهلة كنزع جورب من حبل الغسيل. الحقيقة أنه شعور رائع. شعرت بإحساس رائع. مثلما أرجو أن أشعر عندما أتخيل الأخذ بثأري. أطحت بقبعة المدرسة وشدّدت من شعره وأركعته أمامي. فتشنج وشل هناك، مثلما يفعل صغير الصرصار عندما تشغل مصباح المطبخ، قبل أن تسحقه بنعلك. سحبت رأسه ووضعت سكين المطبخ الصغيرة على عنقه. كانت السكين حادة، ورأيت نبض عرقه في رقبتّه الضعيفة. ما كان حز رقبتّه بالأمر العسير، بل لم يكن شيئاً.

(1) كُون لقب شبه رسمي لرجل أصغر من المتكلم أو يماثلّه عمراً، ويعني الصغير. تستخدم الكلمة كثيراً للفتيات أو للأطفال الصغار أو الأصدقاء المقربين أو العشاق. وتستخدم أحياناً للإشارة إلى صبي، لكن ذلك ليس لائقاً في معظم الحالات. (المترجمة)

قلت وأنا أركل حقيبة كتبه بقدمي «ناكامي أو ميزرو»⁽¹⁾ أفرغها!»،
كان صوتي خفيضاً وخشناً مثل سكين⁽²⁾. وهذا أدهشني.
فتح حقيبة كتبه وأخذ يلقي ما بداخلها عند قدمي. قال
متلثماً «ليس عندي نقود. لقد أخذوها سلفاً».
أخذوها طبعاً. فقد أقدم الأولاد الأقوياء تقودهم سكين
حقيقية اسمها ريكو، على عملية سلب للأولاد المساكين مثلي
ومثل دايسوكه.
قلت «لا أريد نقودك النتة. أريد البطاقة».

«البطاقة»

«البطاقة التي وزعوها في المدرسة. أعرف أنها بحوزتك.
أعطها لي». ركلت مقلته الأترامان وجعلت أقلام الرصاص
والحبر تتطاير. فخر على ركبته ويديه، يبحث بين كتبه. ناولني
أخيراً بطاقة ورقية مطوية، حريضاً على ألا ينظر إلى عيني،
فأخذتها منه.

«على ركبتك. أغمض عينيك وأخفض رأسك. اجلس على
يديك».

دس يديه تحت فخذه. كانت جلسة يعرفها حق المعرفة، وأنا
أيضاً. فهي من لعبة تسمى كاغومي كاغومي⁽³⁾ التي يلعبها الأولاد

(1) أرني ماذا هي داخل الحقيبة. (الكاتبة)

(2) スケ番 فتاة متسلطة، فتاة جانحة (الكاتبة).

(3) 籠目 نمط من الخيزران المضفور يستخدم لصناعة السلال والأقفاص.
(الكاتبة)

الصفار، لعبة شبيهة بدوروا حول الورد⁽¹⁾. والولد الذي يصبح
الأوني⁽²⁾ يجب أن يجثو على الأرض في الوسط، معصوب العينين
ويمسك البقية بأيدي بعضهم بعضاً ويقفزون حوله في حلقة
يغنون أغنية تقول:

كاغومي كاغومي

كاغو نو ناكا توري وا

إيتسو إيتسو ديارو؟ يواكي نو بان ني

تسورو تو كامى غا سوبييتا

يوشيرو نو شومن داري؟

وتعني بالإنجليزية:

كاغومي كاغومي

عصفور في قفص

متى، آه متى ستهرب؟ في مساء الفجر

لقد سقط طائر الكركي والسلحفاة

من يقف خلفك الآن؟

(1) لعبة يشكّل فيها الصفار حلقة ويدورون وهم يقفزون ويرددون الكلمات دوروا
حول المتوردين، حفنة من طاقات الزهر، رماد رماد، وتتساقط كلنا. يرجع النقاد
والمؤرخون أن الأغنية تعود إلى حقبة طاعون لندن العظيم الكبير في عام 1666،
والمقصود بالتورد أحد أعراض الطاعون الدملي، وكان الأطباء يخففون بالزهور
من رائحة الحرق، والرماد يشير إلى حرق الجثث، أما سطرها الأخير فيشير إلى
أن الموت سيأتي علي الكل. ليست النسخة اليابانية بأقل رعباً، وتتعدد التفسيرات
حول معناها منها مثلاً أن الطائر الحبيس هو سجين ينتظر الإعدام، وأن السلحفاة
والكركي رمزان للعمر الطويل وسقوطهما هو نذير بقرب الموت، أما السؤال عمن
يقف في الخلف، فهو منفذ حكم الإعدام! اللعبة تشبه في حركاتها ما يعرف في
البلاد العربية «فتحّي يا وردة»، رغم أن النسخة العربية أكثر تفاؤلاً! (المترجمة)

(2) 鬼 العفريت أو الغول (الكاتبة).

يتوقف الجميع عن الدوران في نهاية اللعبة، ويحاول الأوني

تخمين الولد الواقف خلفه، فإذا أصاب تبادل الأماكن ويصبح الولد الجديد هو الأوني.

هكذا تُلعب اللعبة، غير أن التي نلعبها في المدرسة مختلفة. في وسعك القول إنها نسخة محدّثة، تسمى كاغومي رينشي⁽¹⁾، وهي شائعة جدًا بين تلاميذ المدرسة الإعدادية اليوم. إذا كنت الأوني في هذه اللعبة، عليك أن تبرك على الأرض واضعًا يديك تحت فخذيك، ويدور الأولاد حولك يلكمونك ويركلونك ويفنون أغنية كاغومي. بعد انتهائها لن تجرؤ على تخمين اسم الواقف خلفك، وإن كنت لا تزال قادرًا على استخدام صوتك، لأنك ستظل مخطئًا ولو أصبت في تخمينك وسيعيدون الكرة من جديد. في كاغومي رنشي، إن كنت الأوني مرة فأنت الأوني دائمًا. وتنتهي اللعبة عادة عندما لا يعود في وسعك الجلوس أكثر فتسقط.

كان دايسوكه كون على ركبتيه في الزقاق يعصر عينيه وهو يغمضهما، ينتظر لكمة أو ركلة مني أو أن أجرحه بسكيني، لكني كنت آخذ الأمور بروية. ما زال الوقت باكراً وليس في الزقاق أحد في تلك الساعة، فلا يمكن للمضيفات أن يتحلين بشيء من العقل ويُخرجن القمامة القابلة للتدوير قبل حلول الظلام. فتحت البطاقة التي أعطانيها. كانت إعلانًا كُتب بخط فرشاة جميل، لصلاة جنازة. كان الخط رسميًا وأنيقًا، كخط البالغين، وتساءلت إذا كان أوغواو سينسي من كتبه. أزمعت إقامة صلاة الجنازة

(1) مستوحاة من الكلمة الإنجليزية Lynch (الكاتبة). يقصد بها الإعدام دون محاكمة على يد الفوجاء. (المترجمة)

اليوم التالي أثناء الحصة الأخيرة قبل عطلة الصيف الانتصافية. والميت هو الطالبة المنقولة السابقة ياسوتاني آنزو. لم يزل دايسوكه رابضاً عند قدمي، مطرقاً رأسه مغمضاً عينيه. جذبت حفنة من شعره ونترت رأسه ودفعت الورقة أمام أنفه.

«أيسعدك هذا؟»

قال متأثناً «لا.. لا».

قلت وأنا أخضّ رأسه «يوسوتسكي...»⁽¹⁾. كان الحشرة البائس يكذب طبعاً. إذا كنت نكرة، فسيسرك أن يُعذّب أحدٌ غيرك، وأردت معاقبته على ذلك. كان ملمس شعره على أصابعي مقرقاً، شعره خشن جداً على ولد في مثل عمره، كأنه شعر رجل مسنّ على رأس ولد يافع، وكان مدهناً أيضاً، كأنه استخدم شيئاً من هلام تصفيف الشعر الذي يخص خليل أمه. أطار ذلك صوابي، فأحكمت قبضتي وشددته أكثر حتى بت أستشعر جريبات الشعر تبرز من مسامها. أخذت السكين وضغطت نصلها على عنقه. كان الجلد شاحباً مائلاً إلى الزرقة كحنجرة فتاة، والأوتار مشدودة جداً وتهتز، والعروق تتبض على المعدن المسنن الرفيع. تبأطاً الوقت، وانكشفت كل لحظة في مستقبل تملؤه الاحتمالات اللانهائية. سيكون أمراً سهلاً. أحز الشريان الأورطي وأراقب الدم الأحمر ينبجس ويبقع الأرض، نازقاً حياته الغبية الفارغة من جسده الغبي الفارغ. أو أطلق سراحه. أترك الحشرة البائسة يذهب، لا يهم أي

(1) كاذباً (الكاتبة)

الأمرين. ضغطت النصل أكثر قليلاً. كم من الضغط يحتاج بعد؟
لو نظرت يوماً إلى خلايا الجلد تحت المجهر في حصة علم
الأحياء، لفهمت كيف تفرق الأسنان المشرشرة للسكين الخلايا
حتى ينزّ الدم. فكرت في جنازتي غداً، وأن هذه طريقة جيدة
لوضع حد لها، أمنحهم جثة حقيقية. ليست جثتي.

تأوه دايسوكه. كانت عيناه مغمضتين لكن فمه جامد ووجهه
مرتخ ارتخاء غريباً. سألت قطرة صغيرة من اللعاب من زاوية
شفتيه المشقوقتين. كان كمن يبتسم.

قبضتي المحكمة على السكين، أشعرتني أن الأمر جاد، وذراعي
قوية وباطشة أيضاً. أعجبنى هذا. في وقوفنا هنا، كنا جامدين
في الزمن، أنا ودايسوكه كون، والمستقبل لي. لا يهم ما عزمت
على فعله، ففي هذه اللحظة امتلكت دايسوكه وامتلكت مستقبله.
كان شعوراً غريباً، مخيفاً وفيه شيء من الحميمية أيضاً، لأنني
إن قتلته الآن فسننجد طوال الحياة، إلى الأبد، فأطلقت سراحه.
وتهاوى عند قدمي.

نظرت إلى يديّ كأنهما يدا أحد آخر. علقت خصل من الشعر
المقرف في أصابعي من البصيلات البيضاء للجريبات. فمسحتها
بتورتي.

«ارحل من هنا. اذهب إلى البيت».

نهض دايسوكه بأناة ونفض ركبتيه وقال «كان عليك أن تفعلها».

فاجأتني كلماته فسألته بغباء. «أفعل أي شيء؟»

فقرص على الرصيف وأخذ يللم كته في حقيبته ببطء.

قال وهو ينظر إليّ ويرمش «تجرحيني. تحزني عنقي. أريد أن
أموت».

فهز رأسه إيجاباً وقال «طبعاً»، ثم عاد إلى جمع أوراقه.
راقبته لبعض الوقت، وأسيت لحاله لأنني أعرف ما يعنيه، بل
إنني فكرت في أن أعرض عليه تكرار الأمر، لكن اللحظة ولت.
أوه طيب.
«آسفة».

فهز رأسه وغمغم «لا بأس».

راقبته وقتاً أطول وهو يحبو على ركبتيه، يبحث تحت آلة
البيع عن أقلامه الرصاص. كدت أرغب في مساعدته، لكنني
أدرت ظهري ورحلت. لم أنظر إلى الوراء. ولم أخش من أنه
سيخبر أحداً. فهو يفهم الأمر جيداً، مثلما أفهمه. سرت الطريق
كله إلى المحطة، التي تضم آلات بيع أحسن واشترت لأبي علبة
من شورت هويز [آمال قصيرة] لأن هذه العلامة الوحيدة التي
سأشتريها له من أجل اسمها، ومن آلة المشروبات ابتعت لنفسني
علبة من بلبي، وهو عصير برتقال فيه قطع كبيرة من اللب أحب
فرقتها بين أسناني.

-4-

كانت جنازتي جميلة وحقيقية جداً. لبس كل التلاميذ في
فصلي شاراتٍ سوداً، ونصبوا مذبحاً على طاولتي فيه شمعة
ومبخرة وصورتني المدرسية، مكبرة تؤطرها شرائط بيض وسود.
واحداً تلو الآخر مر أعدائي بطاولتي يظهرون احترامهم لي،
واضعين زهرة ورقية بيضاء أمام صورتني، ووقف باقي التلاميذ
عند طاولاتهم ضامين أيديهم مسمرين أنظارهم إلى الأرض. ربما

كانوا يتجنبون الضحك، لكني لا أظن ذلك. كان الجو رصيناً كأنه جنازة حقيقية. كان دايسوكه كون شاحباً عندما حان دوره في المرور، لكنه فعلها وقدم لي زهرته وانحنى بقوة، وكدت أشعر بالفخر به، وأعرف أن هذا يبدو حماقة لكني أحسب أن المرء يهوى قليلاً الأشخاص الذين عذبهم وحاز مستقبلهم.

طوال فعلهم هذا، كان أوغاوا سينسي ينشد ترنيمة بوذية. لم أميزها حينئذ لأنني نشأت في سنيفيل ولم يكن اطلاعي كبيراً على التقاليد البوذية، ولكني في وقت لاحق، عندما سمعتها ثانية في معبد جنكو العجوز، سألتها عنها. فقالت لي إنها تدعى ماكا هانيا هاراميتا شنغيو⁽¹⁾، التي تعني شيئاً من قبيل سوترا الحكمة الأعظم والأروع للقلب. والجزء الوحيد الذي أتذكره منها يقول: شيكي فو آي كو، كو فو آي شيكي⁽²⁾.

إنه أمر عويص على الفهم. حاولت جيكو العجوز أن تشرحه لي، ولا أدري إذا ما فهمته فهماً صحيحاً أم لا، لكني أظنه يعني ألا شيء في العالم ثابت أو حقيقي، فلا دوام لشيء، وكل الأشياء - منها الأشجار والحيوانات والحصى والجبال والأنهار وأنا وأنت - تسبح في الزمن الحاضر. وأرى هذا صحيحاً، ويبعث الطمأنينة،

(1) نص جوهرى في بوذية الماهايانا (الكاتبة). (بالسنسكريتية: المركبة الكبرى) أحد المذهبين الرئيسيين للبوذية. ينتشر غالباً في دول شرق آسيا مثل الصين وكوريا واليابان ومنغوليا وهيتام، وأقطار الهمالايا مثل التبت والنيبال وبوتان. يهدف إلى خلاص جميع الكائنات الحاسة. يتميز بالتعقيد وبالتوحيد والتأكيد على روح الجماعة. سمي بالمركبة الكبرى لأنه يساعد عدداً أكبر من الكائنات الحية. (المترجمة)

(2) «الشكل فراغ والفراغ شكل». (الكاتبة)

وليتني فهمت ذلك في جنازتي عندما كان أوغاوا سينسي ينشد، لكان فيه راحة عظيمة لي، لكني لم أفهم طبعاً لأن هذه السوترا باللغة العتيقة ولم يعد أحد يفهمها، إلا إذا كنت مثل جيكو وهذا عملك. غير أن هذا ليس مهمًا حقًا، فحتى إن لم تفهم الكلمات حق الفهم، لكنك تعرف أنها جميلة وبليغة، وصوت أوغاوا سينسي، الذي يكون عادة مغمغماً وكريها، بات فجأة ناعماً وحزيناً ورقيقاً، وكان ينشد بإحساس مرهف، كأنه يعني ذلك. وعندما مر بطاولتي وقدم لي زهرة، أثارت النظرة على وجهه في نفسي رغبة في البكاء لأنه متألم ومفعم بحزنه الخاص. بكيت عددًا من المرات، عندما رأيت صورتني معلقة وعليها شرائط الحداد باللونين الأبيض والأسود، وعندما رأيت احترام زملائي لي، برؤوسهم المطرقة وزهورهم الورقية. لا بد أنهم اجتمعوا في نادٍ بعد المدرسة ليصنعوا الزهور ويزينوا صورتي. كانوا جادين ووقورين. كدت أحبهم.

-5-

لم أذهب إلى المدرسة ذلك اليوم، فلم أحضر جنازتي فعلياً. رأيتها لاحقاً. عدت إلى البيت بعد حادثتي مع دايسوكة وأعطيت أبي سجائره وأخلدت إلى الفراش. عندما عادت أمي إلى البيت مساءً، أجبرت نفسي على التقيؤ على أرض الحمام وأخبرتها بأنني متوعكة، وتقيأت ثانية في الصباح التالي تحسباً، ولما كان اليوم الأخير قبل الإجازة الصيفية، فقد سمحت لي بالمكوث في البيت. كنت شديدة السعادة، ظانة أنني سأهرب من الأمر كله، ولكن في مساء اليوم نفسه وصلني بريد إلكتروني من مجهول

عنوانه يقول «الموت المأساوي والمبكر للطالبة المنقولة ياسوتاني آنزو». كانت الرسالة رابط موقع لمشاركة المقاطع المرئية. سجل أحدهم مقطعاً مرئياً لجنازتي بهاتفه الكيتاي⁽¹⁾ ونشره على شبكة الإنترنت، وخلال الساعات القليلة القادمة، رأيت عدد الزيارات يرتفع. لا أدري من الذي يشاهده، لكن المقطع حصد مئات ثم آلاف المشاهدات، كأنه آخذ في الانتشار. غريب، لكنني كنت فخورة. جميل أن يكون المرء مشهوراً.

-6-

تذكرت السطر الأخير من سوترا القلب الذي يقول:

غاتي غاتي، پارا غاتي،

پاراسام غاتي، بوجي سوا كا ...

هذه كلمات من لغة هندية قديمة⁽²⁾ وليست باليابانية، لكن جيکو

أخبرتني بأنها تعني شيئاً من هذا القبيل:

رحل رحل، رحل بعيداً

رحل بعيداً، متيقظاً، متعجلاً ...

أظل أفكر في جيکو، وما تشعر به من ارتياح عندما تستيقظ كل

الكائنات الحاسة، حتى زملائي الأغبياء، وتتور وترحل، حتى ترقد

بسلام أخيراً. لا بد أنها منهكة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

(1) الجوال (الترجمة)

(2) السنسكريتية (الكاتبة)

الجزء الثاني

في عالم الواقع كل قارئ أثناء قراءته هو قارئ لذاته . عمل الكاتب ليس إلا أداة بصرية يقدمها إلى القارئ ليتيح له أن يستشف ما لن يراه في نفسه من غير الكتاب . إدراك القارئ في نفسه ما يقوله الكتاب هو دليل على صدقه .

مارسيل بروست، الزمن المستعاد

تُظهر الصورة على الشاشة رجلاً في أواخر الثلاثينات أو بدايات الأربعين، يقف أمام حقل شاسع من مخلفات التسونامي التي تمتد بعيداً، بقدر ما تصل إليه عدسة الكاميرا. يلبس الرجل قناعاً ورقياً أبيض، لكنه ينزله إلى أسفل ذقنه كي يتحدث إلى المراسل. يلبس بنطالاً رياضياً وقفازي عمل وسترة ذات سحب وجزمة. يرفع ذراعه ليشير إلى الحطام خلفه.

يقول «إنه كالحلم. حلم فظيع. أظن أستيقظ، ويخطر لي عندما أستيقظ أن ابنتي ستعود».

صوته حيادي، وكلماته قصيرة. «فقدت كل شيء، ابنتي وابني وزوجتي وأمي. بيتنا وجيراننا، ومدينتنا بكاملها».

يعرض التعليق في أسفل الشاشة اسم الرجل: ت. نوجيما، عامل نظافة، منطقة أو، ولاية مياجي.

يتحدث المراسل الإخباري إلى الكاميرا مكتوم الصوت بسبب قناع الوجه. ويشير إلى وقوفهم في موقع بيت السيد نوجيما سابقاً. المشهد مشهد خراب كامل، لكن الكاميرا لا تستطيع تصوير الرائحة النتنة. ينزل قناع الوجه، ويقول إن الرائحة لا تطاق، رائحة خانقة لسمك ولحم متعفن مدفون تحت الأنقاض. يبحث السيد نوجيما عن ابنته ذات الأعوام الستة. لديه أمل صغير في أن يعثر عليها حيّة، ويبحث عن حقيبتها الظهرية التي كانت تحملها صباح يوم الحادي عشر من مارس عندما ضرب التسونامي.

يقول «الحقيبة حمراء، عليها صورة لهلوكتي. اشتريتها لها قبل وقت قصير. كان العام الدراسي على الأبواب، وهي سعيدة بها. فحملتها في البيت. كانت ستدخل الصف الأول».

كانت ابنة نوجيما في المطبخ عندما حطم بيتهم جداراً من الماء الأسود والأنقاض. في ثوانٍ دُفع بنوجيما إلى السقف واختفت ابنته. ظن أنه سيفرق، ولكن المعجزة أن البيت أُقْلِع من أساساته فتحطم السقف، ودُفع إلى الطابق العلوي وإلى غرفة النوم حيث كانت زوجته رابضة في ركن تمسك ابنتها الرضيع. «حاولت أن أمسك يدها، وكدت أفعل لكن البيت انقلب وانفلق شطرين».

انجرفت زوجته وابنه، وحسب أن في وسعه الوصول إليهما. واستطاع التسلق على سطح مبنى أسمنتي عابر، ورأى زوجته في زاوية غرفتهما العائمة، تمسك الطفل، لكنها تبتعد أكثر وأكثر. ناداها. كان هدير الماء وارتطام المخلفات يصمّان الآذان.

«الصوت عالٍ جداً، لكنني أظنها سمعتني. رنت إليّ، عيناها واسعتان لكنها لم تصرخ مرة. لم تشأ إفزع الطفل، وظلت تراقبني حتى النهاية».

هز رأسه كأنما يريد إبعاد مزيد من الذكريات عنه. ومدّ بصره إلى حقل المخلفات - بيوت متشظية وسيارات معجونة، وكتل رماد وحديد مسلح متشابك، وقوارب وقطع أثاث وأجهزة كهربائية محطمة، وبلاط الأسطح والثياب والمتاع- ونفايات مروعة عمقها عدة أمتار. نظر إلى قدميه، يلكز برأس حذائه كومة متشابكة من القماش ملطخة بالطين.

يقول وهو يبتلع ريقه بصعوبة ثم يأخذ نفساً عميقاً. «لن أجد عائلتي أبداً. فقدت أُملي في إقامة جنازة لائقة لهم. ولكن لو أني أجد شيئاً، شيئاً واحداً من متعلقات ابنتي، لأرحت ذهني وتركت هذا المكان».

يقول ويشير ناحية مشهد الخراب «الحياة مع عائلتي هي الحلم. وهذا هو الواقع. كل شيء ولى. يجب أن نستيقظ ونفهم ذلك».

-2-

جلست روث في الأيام التي أعقبت وقوع الزلزال والتسونامي أمام شاشة حاسوبها، تفتش شبكة الإنترنت عن أخبار الأصدقاء والعائلة. وتلقت في غضون أيام تأكيدات بأن الناس الذين تعرفهم بأمان، لكنها لم تتوقف عن المشاهدة. فقد أخذت بالصور المنهمرة من اليابان. إذ يظهر تصوير مروّع مرة كل بضع ساعات، فتعيد تشغيله مراراً وتكراراً، تعاين الموجة وهي تمر من فوق أعالي الأسوار البحرية حاملة سفناً إلى شوارع المدينة، فتقتلع السيارات والشاحنات وتلقي بها على أسطح البنايات. شاهدت مدناً كاملة تتحطم ويجرفها الماء في لحظات، وهي مدركة أن هذه اللحظات حبست في شبكة الإنترنت، بينما تلاشت لحظات عديدة أخرى.

صُورت معظم المقاطع من فوق الهضاب أو سطوح البنايات العالية بهواتف نقالة لأناس مذعورين، وكان في الصور شيء من العشوائية، كأن المصورين لم يدركوا ما يصورونه، لكنهم عرفوا

أنه بالغ الأهمية، فشغلوا هواتفهم ورفعوها إلى الموجة المقبلة. قد تغبش صورة فجأة وتفقد تركيزها عندما يهرب المصور إلى أرض أعلى. وظهرت أحياناً في زوايا الإطار وأطرافه سيارات صغيرة وأشخاص يهربون من الجدار القادم للماء الأسود. وارتسمت الحيرة على وجوه الناس أحياناً أخرى. وبدوا أحياناً يتمهلون في الحركة بل ويستديرون ليروا، دون إدراك للخطر المحقق بهم. ولكن المرء دائماً، من منظور الكاميرا، يرى سرعة حركة الموجة وضخامتها. ليس لهؤلاء الناس الصغار حظ في النجاة، والواقفون خارج الصورة يعرفون ذلك. أسرع! أسرع! نادى أصواتهم المفصولة من خلف الكاميرا. لا تتوقف! اركض! أوه، لا! أين جدتي؟ أوه لا! انظروا هناك! أوه، هذا مروّع! أسرع! اركض! اركض!

-3-

غرقت حزمة النطاق الترددي العالمي بصور وتقارير من اليابان في الأسبوعين التاليين على وقوع الزلزال والتسونامي وانصهار مفاعل فوكوشيما النووي. وبتنا كلنا خبراء في التعرض للإشعاع والمايكروزيفر⁽¹⁾ والصفائح التكتونية والاندساس⁽²⁾ في تلك المدة القصيرة من الزمن. لكن انتفاضة ليبيا وإعصار جوبلن

(1) وحدة لقياس الإشعاع (المترجمة).

(2) العملية التي تحدث عند الحدود المتقاربة وتنتقل وفقها الطبقة البنائية أسفل طبقة أخرى وتغوص في الغطاء حيث تتجمع الصفائح. وتعرف المناطق التي تحدث عندها هذه العملية باسم نطاقات الاندساس (المترجمة)

حلا محل الزلزال وتحولت غيمة الوسوم⁽¹⁾ إلى ثورة وجفاف وكتل هوائية غير مستقرة وانحسر تيار الأخبار القادمة من اليابان. ونُشر بين حين وآخر مقال في نيويورك تايمز عن سوء إدارة شركة [الطاقة الكهربائية] تپكو لانصهار المفاعل النووي، أو فشل الحكومة في الاستجابة للمواطنين وحمايتهم، لكن هذه الأخبار لم تعد أخبارًا تنشر في الصفحة الأولى. ونشر قسم الأعمال في الصحف تقارير كئيبة عن تكلفة كوارث اليابان المتتالية، لتعدّ الأعلى في التاريخ، واحتمالات مروعة لمستقبل اقتصاد البلاد. ما عمر النصف⁽²⁾ للأخبار؟ هل يرتبط معدل اضمحلالها بالوسيلة التي تنقلها؟ تحتاج البكسلات إلى الكهرباء، فالورق لا يصمد أمام الحرائق والفيضانات. والحروف المنقوشة في الحجر تدوم أكثر، رغم أن توزيعها صعب، لكن الجمود أمر حسن. وُجدت علامات إرشادية حجرية على الهضاب في المدن الواقعة على ساحل اليابان، نقش عليها التحذير القديم:

لا تبني بيتك أسفل هذه النقطة!

يبلغ عمر بعض هذه العلامات الحجرية ما ينوف على ستة قرون، انزاح بعضها بفعل التسونامي، لكن معظمها ظل في مأمن

(1) أو سحابة الكلمات الدلالية: هي تمثيل بصري للبيانات النصية والذي يستخدم في معظم الأحيان لإظهار البيانات الوصفية للكلمات المفتاحية. أو لتمثيل النصوص الحرة. وعادة ما تكون الوسوم مؤلفة من كلمة واحدة ويتم إبراز كل وسم بحسب أهميته عبر حجم الخط واللون. كما يمكن استخدام غيمة وسوم كأداة مساعدة للتنقل في الموقع أو المقال وعندها يتم إنشاء روابط تشير إلى ما يمثلته الوسوم. (المترجمة)

(2) لمادة نشطة إشعاعيًا هو مقدار الوقت اللازم للكمية لتتخفض إلى نصف قيمتها لدى قياسها في بداية الفترة الزمنية للتحلل الإشعاعي. (المترجمة)

بعيداً عن متناوله.

قال عمدة مدينة هدمتها الموجة «إنها صوت أسلافنا. كانوا يكلموننا عبر الزمن، لكننا لم نصغ».

هل يرتبط عمر النصف للأخبار بانحسار اهتمامنا؟ هل الإنترنت ضرب من حركة تيارية محيطية زائلة، تشفط القصص في مدارها، مثل انجراف أرضي؟ وما ذاكرة دوامتها؟ وكيف نقيس عمر النصف لانجرافها؟

تنهار موجة المدّ، عند مراقبتها، إلى أجزاء صغيرة كل منها يضم قصة:

- هاتف جوال يرن في أعماق جبل من الرواسب الطينية والأنقاض.
 - حلقة جنود ينحنون أمام جثمان غطوه بالعلم.
 - عامل صحي يلبس بدلة واقية من المواد المشعة الخطرة، يفحص بجهاز الكشف اليدوي طفلاً عاري الوجه يتلوى بين ذراعي أمه.
 - صف من الأطفال الدارجين ينتظرون بهدوء دورهم في الفحص.
- هذه الصور، قلائل مصغرة تمثل كثيراً لا تصدق، تدور وتكبر، ترتد مع كل مدار حول الدوامة، وتتكرر ببطء إلى كسر لها حدة الموسيقى وشظايا زاهية الألوان. كالنثار البلاستيكي، تتسحب إلى بؤرة الدوامة الهادئة، رقعة نفايات التاريخ والزمان. ذاكرة الدوامة هي كل الأشياء التي نسيناها.

كان عقل روث شبيهاً برقعة النفايات، حصيرة مشوهة للبكسلات المكسورة والساكنة. استرخت في جلستها، بعيداً عن الشاشة الوامضة، وأغمضت عينيها. تلكأت البكسلات، تتراقص خلف جفنيها في الظلمة. قضت العصر في مشاهدة مقاطع للتمر والمضايقات في اليوتيوب ومواقع أخرى لمشاركة المقاطع المرئية في الولايات المتحدة واليابان، لكن المقطع الذي تبحث عنه «الموت المأساوي المبكر للطالبة المنقولة ياسوتاني آنزو»، الذي انتشر كالنار في الهشيم بحسب قول آن، لم تجده في أي مكان.

فركت وجهها بيديها، تعجن صدغيها وتضغط أصابعها على محجري عينيها. كأنها تحاول شطف الفتاة من الشاشة الوامضة بكل قوة إرادتها وتسمير عينيها. لماذا يهمها الأمر إلى هذا الحد؟ لكنه يهمها. أرادت أن تعرف إن كانت آن حية أم ميتة. كانت تبحث عن جثة.

وقفت وتمطت ثم ذهبت تتجول في الطابق السفلي. كان البيت خالياً، فقد تلقى أولفر شحنة كبيرة من باكورة فسائل شجر السكوية، التي يزرعها في أنحاء براح نيوايوسين. غادر باكراً هذا الصباح، وهو يصفّر لحن الأقزام من سنو وايت. ها هو، هاي هو. لا شيء يسعده أكثر من زرع صغيرات الشجر. كان القط في الرواق خارجاً ينتظر عودته.

كانت الساعة الرابعة والنصف وحان الوقت للبدء بالتفكير في أمر العشاء. مرت بغرفة الطعام فشمت نفحة من رائحة موت

محار البرنقيل الزنخة. غدت الرائحة أقوى. فذهبت إلى الهاتف، ورفعت السماعة وطلبت رقم كالي.

-5-

قالت كالي وهي تعاین محار البرنقيل على كيس المجمدة «هذا محار عنق الأوز. پوليسيبيس پوليمرس. من رتبة الپیدنكولاتا. فصيلة قطيعية تستوطن البحار، ليست من الواطنات الأصلية، ولكن يعثر عليها أحياناً على مخلفات المد التي انجرفت من مكان بعيد من البحر».

نظرت عبر المطبخ إلى روٹ التي تسخن ماء لإعداد الشاي. «أهذا هو الكيس الذي وجدته أسفل بيت غودرن وهورست؟»

لم تذكر روٹ المكان الذي عثرت فيه على الكيس لكالي في حديثهما الهاتفی، لكن كالي دهشت لما سمعته منها وعرضت أن تأتي في الحال. كأنها ترقبت الاتصال، وقد ساعدتها هكذا. كانت عالمة أحياء بحرية وناشطة بيئية تدير برنامج مراقبة حزام الشاطئ في الجزيرة ومتطوعة للعمل لمنظمة حماية الثدييات البحرية. وتكسب عيشها من عملها بصفتها عالمة تاريخ طبيعي مع بواخر الرحلات البحرية الكبيرة التي مخرت عباب مياه الممر الداخلي وحمتها في طريق ذهابها إلى ألاسكا وإيابها منها.

قالت كالي «بطن الوحش. هؤلاء المسافرون هم الذين يجب أن نصل إليهم. فهم من يملكون الوسائل لإحداث التغيير». كثيراً ما قصت حكاية عن المرة التي وقفت فيها على سطح سفينة في طريقها إلى المرسى، فأشارت تنبه المسافرين المتحمسين إلى قطيع من الحيتان الحدباء، وتجمعوا حول الحاجز يلتقطون الصور

ويسجلون مقاطع فيديو. وقف رجل مسن بعيداً عن الآخرين، وعرضت عليه كالي أن يقف مكانها عند الحاجز ليحظى بإطلالة أفضل، فضحك ساخرًا.

«إنها ليست سوى حيتان».

ألقت محاضرة عن رتبة الحوتيات في وقت لاحق من الرحلة البحرية. وعرضت مقطعاً مرئياً وتكلمت عن مجتمعاتها المعقدة وسلوكها الاجتماعي، وعن شبكة فقاعات الصيد وتحديد موقع الصدى وانفعالاتها المختلفة. وشغلت تسجيلاً لترنيماها يظهر نقراتها وأغانيها. وفوجئت بالرجل المسن جالساً بين الجمهور يصغي.

ثم لمحوا قطعاً آخر اقترب أكثر هذه المرة، مسلماً إياهم بعرض بديع من حركاته في الخروج إلى سطح الماء، والقفز والاستطلاع واللعب بالذيل والطرششة. وصعد الرجل المسن إلى ظهر السفينة ليشاهد.

في نهاية الرحلة البحرية، وأثناء اقترابهم من الميناء في هانكوفر، تبعها الرجل المسن وناولها مغلفاً.

قال «هذا من أجل حيتانك».

شكرته فhez رأسه قائلاً «لا تشكريني».

رست السفينة ونسيت كالي أمر المغلف. وجدته بعد عودتها إلى البيت ففتحته. في داخله صك باسم منظمة حماية الثدييات البحرية بقيمة نصف مليون دولار. ظنت في الأمر مزحة، وظنت أنها أخطأت في عدّ الأصفار. فأرسلته إلى المكتب وصرفوه، وحوّل مبلغ الصك.

استعرضت قوائم المسافرين، وتعبت مسار الرجل حتى عرفت بيته في بثزدا وسألته. تردد في بادئ الأمر، ثم أوضح لها. فقال إنه كان طياراً لقاذفة قنابل في الحرب العالمية الثانية يقيم في قاعدة جوية في جزر ألوشن، واعتادوا الطيران كل يوم بحثاً عن أهداف يابانية. وإذا لم يعثروا على أي سفينة للأعداء، أو إذا ساءت الأحوال الجوية اضطروا إلى التخلي عن مهمتهم والعودة إلى القاعدة، لكن الهبوط بالشحنة المتفجرة الكاملة خطر، فيتخلصون من القنابل في البحر. ومن قمرة القيادة في الطائرة رأوا ظلالاً كبيرة للحيتان، تتحرك تحت سطح الماء. ومن الأعالي بدت الحيتان صغيرة، وجعلوا منها أهدافاً للتمرين.

قال الرجل لكالي على الهاتف «كان الأمر ممتعاً. أنى لنا أن نعرف؟»

قالت كالي عن البرنقيل «إنها متغذيات بالترشيح⁽¹⁾. لكنها ليست بارعة في هُدَّاباتها، فتعتمد على الحركة النشطة للمياه لتحصل على غذائها. ولهذا تفضل شواطئ مكشوفة أكثر من شاطئنا».

(1) مجموعة فرعية من الحيوانات المتوقفة عن الطعام (لا تتغذى بالأكل) والتي تتغذى عن طريق تصفية المحتويات العالقة في المياه بطرق مختلفة، وبعض الحيوانات التي تستخدم هذه الطريقة للتغذي مثل: المحار والكريل والإسفنج، والحوث البالي، وبعض الأسماك (بما فيها بعض أنواع القروش)، وبعض الطيور. ولاكالات العوالق دور مهم في تصفية المياه ولذا فإنها جزء كبير من هندسة البيئة، وهي أيضاً أكثر عرضة للتراكم البيولوجي وتعد مؤشراً حيوياً لتلوث البيئة. (المترجمة)

سألتها روث وهي تضع كوبيين من الشاي، ثم صبت ثالثاً لأولفر الذي عاد من غرس الأشجار. خلع سترته وعلقها وانضم إليهما، والقط على أثره. «وما الهدابات؟»

قالت كالي ورشفت من الشاي «نخبكما. الهدابات هي أذرع البرنقيل وسيقانها. مجسات مريشة تستخدمها لسحب العوالق». قالت روث «لا أرى أي مجسات مريشة». لم تحب البرنقيل، فقد كان قبيحاً ويثير خوفها.

قال أولفر مطوّقاً الكوب الدافئ بأصابعه المحمرة. «لا تمدّها إلا عندما تكون تحت الماء، لكن هؤلاء الرفاق ميتون».

عاينت روث البرنقيل، الذي بدا كهيئته وهو على قيد الحياة. وقد اتصل بكيس المجمدة بسيقان طويلة داكنة قوية مطاطية تغطيها عُجَر صغيرة. وفي الطرف الآخر من كل ساق مجموعة قاسية بيضاء من الأصداغ الملساء تشبه الأظافر. استخدمت كالي رأس قلمها لتشير إلى واحدة من السوق المطاطية، وقفز PSTO إلى المنضدة ليشاهد.

«هذه القدم، أو السويقة. وهذا الجزء الأبيض القاسي هو

الهامة، أو الرأس».

تشمم القط البرنقيل فدفعته روث جانباً وسألت «ألها وجه؟»

«ليس تماماً. لكن لها جانباً ظهرياً وهو في الأعلى، وجانباً بطنياً

وهو في الأسفل».

وأخرجت علبة بلاستيكية صغيرة من جيب صدار الصيد الذي تلبسه وفتحتها. كان في داخلها مجموعة أدوات فحوص جنائية: مبضع وملقط وكلاية ومقص ومسطرة صغيرة. اختارت

أكبر محارات البرنقيل واستخدمت الموضع لتفصل بحذر بين الكيس البلاستيكي وقاعدة السويقة. ورفعت البرنقيل ووضعت على المنضدة أمامها، وأخرجت المسطرة وقاست طول الكائن من القدم إلى الرأس.

سأل أولفر «أتعرفين كم عمرها؟»

«يصعب الجزم. لكنها تبلغ نضجها الجنسي في عمر السنة، ونضجها الكامل في عمر الخامسة. وقد يمتد بها العمر إلى عشرين سنة أو أكثر. هذا الرفيق أو الرفيقة - الحقيقة أن هذا ليس مهمًا لأن محار البرنقيل خنثوي - بالغ ناضج. قد يصل طوله إلى عشرين سنتيمترًا، أو ثمانية إنشات، لكن طول هذا ثلاثة إنشات فقط، ويدل هذا على أن المستعمرة يانعة جدًا، أو أن الظروف لم تكن مناسبة، أو كلا الأمرين. هي أولفر، هل أستطيع تجربة ذلك المجهر في هاتفك الآيفون؟»

أضاف مؤخرًا إلى هاتفه بعض التحسينات بأن ألصق بالغراء على غطاءه مجهرًا رقميًا صغيرًا دقة عدسته 45X. عرفت كالي هذا سلفًا بصورة ما أيضًا. لقد عادت إلى الجزيرة منذ وقت قصير، فكيف عرفت؟ مدت يدها ففتح القطعة المضافة إلى الهاتف، وفتح التطبيق وناولها إياه. وشغل التطبيق مصباح الآيفون عندما وجهت العدسات إلى رأس البرنقيل. فظهرت صورة مقربة على الشاشة الصغيرة. قالت «هذا مذهش! أترين هذه الصفائح الكلسية الفاتحة؟»

نظرت روث من فوق كتفها إلى الشاشة الصغيرة. كانت الصفائح شبيهة بأظافر قدم زاحف مما قبل التاريخ.

«تكون الصفائح لامعة ولؤلؤية عند بروزها أول مرة، لكن الموج يسحقها شيئاً فشيئاً، فتنتقب ويكمد لونها».

قالت روث وهي تعود للجلوس «مثلنا».

«بالضبط. وهذه إشارة أخرى للتقدم في العمر. إجمالاً أقول إن هذه المستعمرة كانت تسبح هنا عددًا من السنوات، ثلاث سنوات أو أربع غالباً».

قال أولفر «ثلاث سنوات يعني أن هذا حدث قبل التسونامي».

«حسن، مثلما قلت، الدقة في التحديد صعبة. ولكني لا أرجح أننا سنرى أشياء من التسونامي تتجرف إلى شاطئنا. فنحن بعيدون جدًا».

أطفأت مصباح المجهر وأبدت إعجابها بالعدسة. «كيف أوصلتها؟»

شرح لها أولفر الطريقة، فأخذت روث عددًا من المحارات بين أصابعها وعاینتها. زادتها هذه المعلومات الجديدة قناعة بنظرية التسونامي. ربما كانت موريل محقة. ربما انقذف كيس المجمدة من سفينة، وإن لم تبدُ آن ممن يذهبون في رحلة بحرية إلى ألاسكا. ربما قذفت به إلى البحر، كرسالة في زجاجة، قبل وقوع التسونامي، أو ربما كان في جيبها، مع الحجارة، عندما دخلت المحيط وغرقت. كل واحد من هذه التفسيرات مقبول، ولكن لا شيء منها بدا صحيحًا. لم تحب روث محارات البرنقيل في البداية، وباتت تبغضها الآن لأنها لم تقدم لها الدليل الذي تبحث عنه.

سألت «لماذا تسمى عنق الإوز؟ فهي لا تشبه الإوز في شيء».

أعادت كالي الهاتف إلى أولفر وأخذت تحزم عدتها. «بل تشبهها. ثمة نوع من الإوز يدعى البرنقيل، له عنق أسود طويل ورأس أبيض، وسميَ أصدقاؤك الصغار تيمناً بها. اعتاد الناس أن يعثروا على هذا المحار متصلاً على قطعة خشب جرفت إلى الشاطئ، فحسبوها فرعاً من شجرة برنقيل. وظنوا الهامات بيضاً وضع في الشجرة، وأن إوز البرنقيل فقست منها. إنها سلسلة معقولة من الافتراضات، لكنها طبعاً خاطئة تماماً».

قالت روث «الافتراضات كريهة». وأنزلت المحار على المنضدة واختطفها پستو الذي كان يتحين الفرصة وهرب بها. حملها إلى وسط أرض المطبخ ورمها، وتشممها ثانية ثم رفع أنفه. لن يتنازل لياكل شيئاً مات سلفاً.

«يعد هذا المحار طعاماً شهياً في أسبانيا. فالسويقة طرية جداً، تسلقينها بضع دقائق، وتترعين عنها القشر، وتمسكينها من الصدفة وتضعين القدم في فمك و... پوپا»، ومثلت هذا إيماء، مصدرة الصوت بشفتيها. «ينزلق لحمها من الصدفة. تُغمس بقليل من الثوم والزبدة والليمون.... يم!»

لم تصبح الساعة السادسة بعد، لكن الظلام خيم في الخارج. فأخذت روث مصباحاً رأسياً وأوصلا كالي إلى شاحنتها. نظرت إلى السماء فرأت الغيوم تفرقت والبدر يضيء السماء. في ضوء القمر، تخلل رؤوس الشجر مجسات شاحبة من الضباب، أما في الأسفل، فكانت أغصان الأرز داكنة ثقيلة من المطر الذي هطل طوال النهار. وقع شعاع مصباحها على شيء في الأغصان.

سألت كالي «هي، أهذا غراب الأدغال؟»

ركزت روث مصباحها، فرأت لمعان الريش الأسود وبريق العين الفاحمة السوداء. وقالت «موريل»، كأن في هذا ردًا على سؤال كالي.

ضحكت كالي وقالت «طبعًا. ولكن الجميع يتكلمون عنه. لقد أثار استياء الأهلانيين⁽¹⁾ من السكان». «ولماذا؟»

«لماذا برأيك؟ إنها أنواع غازية. دخيلة. بزاقات سود، ولِزان مكسي وعليق الهمالايا الأسود. والآن غريان الأدغال؟»، والتفتت إلى أولفر. «بالحديث عن الدخلاء، ما أخبار حرب التعهد؟» فبدأ على وجهه الاستياء. موقع نيوايوسين، الذي زرع فيه غابة التغير المناخي، قطعتها شركة تحطيط ثم ألزمتها بتعهد اشترط أن تقتصر إعادة الزرع على أنواع واطنة في المنطقة الجغرافية المناخية الموجودة. عُدت أشجاره دخيلة ولذا فإنها مخالفة للاتفاقية. لم يعرف أولفر ولا صديقه العالم بالنبات مالك الأرض. قال وقد بدت عليه الخيبة «ليست أخبارًا سارة. يريد مني صاحب الاتفاق أن أتوقف عن الزراعة، لكني أقول إننا بحاجة ماسة إلى إعادة تعريف كلمة واطنة، نظرًا للتغير المناخي السريع، وتوسيع نطاقها لتشمل الأنواع الواطنة سابقًا أو حتى مما قبل التاريخ. مدلول الكلمات. غباء كبير».

زعم الغراب بنعيق أجش كأنه يوافق الرأي، وضحكت كالي وقالت «أترى؟ إنه يتكيف. فلا تعجب إذا رأيت كارهي الأجانب

(1) نهج سياسي يقوم على حماية مصالح أهل البلاد الأصليين وتقديمها على مصالح المهاجرين. (الترجمة)

من أهل الجزيرة ينقضون على هذا المكان، مدججين بشباك الصيد ومشاعل الكيروسين».

نظرت روث إلى الشجرة إلى هيئة الغراب في الظلام ونادته قائلة «هل سمعت هذا؟ يجدر بك توخي الحذر».

صفق الغراب بجناحيه وقفز على الغصن، مرسلاً وابلاً من مياه المطر على رأس كالي.

قالت وهي تمسح الماء عن وجهها. «هي، توقف عن هذا. أنا معك»، والتفتت إلى روث. «الغريان فائقة الذكاء. هل تعرفين...» رفعت روث يدها وقالت «أعرف»، لكن كالي استمرت في الحديث.

«أنها في أساطير السليمان أسلاف سحرية تغير أشكالها وتتحول إلى هيئة بشر».

قالت روث «لا عجب في ذلك». ابتسمت كالي. «عليك أن تقولي لموريل أن تحدثك عن ذلك يوماً ما...»

-6-

قرأت روث في فراشها تلك الليلة حصة اليوم من المذكرات. رقد پستو على بطن أولفر يخرخر، وأولفر يبخلق في السقف ويمسد جبين القط. قرأت الجزء المتعلق بجنازة آن والمقطع المرئي الذي انتشر في شبكة الإنترنت.

رحل رحل، رحل بعيداً

رحل بعيداً تماماً...

أثارت غضبه حكاية التمر فقال «أكره هذا. كيف تسمح المدرسة بحدوث هذا؟ كيف يشارك ذلك المعلم؟»
ليس لدى روث إجابة. كف يستو عن الخرخرة ونظر إلى أولفر قلقاً.

قال حزينا «لكنه مفهوم تماماً. نحن نعيش في ثقافة متمرة. السياسيون والشركات والمصارف والجيش. كلهم متمرون ومعاتيه. يسرقون ويعذبون الناس، ويصدرون القوانين المجنونة ويهيئون الأجواء».

دست يدها بين الوسادة ورأسه ومسدت قفا عنقه. مد القط كفاً ووضعته على ذقنه.

«انظري إلى غوانتانامو. إلى أبو غريب، أمريكا شريرة، لكن كندا ليست بأفضل حالاً. يخضع الناس للسائد، خائفين جداً من المجاهرة بآرائهم. انظري إلى رمال القطران⁽¹⁾. شأنها شأن تيكو. أنا أكرهها».

انقلب على جنبه، قاذفًا بالقط إلى المرتبة، فقفز القط عن الفراش وخرج.

نهضت روث بعد أن نام أولفر وذهبت إلى النافذة. في مكان ما في الخارج، ربض الغراب على الأغصان. غرابهما الذي ينشط في الفسق. لم تره لكنها أحبت اختباء الغراب الأسود في الظلال،

(1) نفط أثاباسكا الرملي هو نفط رملي موجود على شكل توضعات من الأسفلت (بيتومين) والنفط الثقيل في شمالي شرق مقاطعة ألبرتا الكندية. وبذلك تكون كندا ثالث دولة في العالم من حيث الترتيب من حيث الاحتياطات النفطية المؤكدة بعد فنزويلا والسعودية. (المتجمة)

وتساءلت إن صادق أياً من العقاقق. ثم عادت إلى الفراش وغطت في النوم.

رأت تلك الليلة ثاني أحلامها بالراهبة. كان المعبد نفسه، والغرفة المظلمة ذات الساتر الورقي الممزق، والراهبة العجوز ذاتها، تلبس ثوباً طويلاً أسود، جالسة إلى طاولة على الأرض. في الخارج تلاًلاً ضوء القمر ناعماً في الحديقة، لكن الآن من بعيد، خلف بوابة الحديقة، ميّزت روث بلا وضوح ما بدا شبيهاً بخطوط المقبرة، الظلال المتعرجة للأنصبية التذكارية والحجارة، موحشة في سماء الليل الشاحبة.

داخل الغرفة، أضواء الوميض المزعج من الحاسوب وجه الراهبة العجوز، فتبدو فيه عيلة سقيمة. رفعت نظرها عن الشاشة. كانت تضع النظارة السوداء الشبيهة بنظارة روث. فخلعتها وفركت عينيها المتعبتين، ثم لمحت روث. بسطت الجناح الواسع الأسود لقمها، ودعتها، ونادتها لتتقرب فكانت روث بجوارها. مدت الراهبة نظارتها، فأخذتها روث إذ أدركت أنها تركت نظارتها على الطاولة الجانبية. عرفت أنها يجب أن تضعها، فطرفت بعينيها. كانت العدستان ثخينتين ومغبشتين. ستحتاج عيناها لحظة لتكيفان بها. لا، هذا لا ينفع. عدستا الراهبة ثخينتان وقويتان، تلتطخان العالم الذي عرفته وتفككانه. بدأت تهلع. حاولت أن تنزع النظارة عن وجهها، لكنها التصقت وحاولت جهداً، فأخذت لطخة العالم تمتصها، تدوم وتعوي كريح عاصفة وتقذفها من جديد إلى مكان أو ظرف لا شكل له، لا تجد كلمات له. كيف تصفه؟ ليس مكاناً، بل شعوراً بانعدام الوجود، مفاجئاً ومظلماً وقبل بشري، ملأها

برعب بدائي فصرخت ووضعت يديها على وجهها، لتجد أنها لم يعد لها وجه. لا شيء هناك. لا يدين ولا وجه ولا عينيّن ولا نظارة، ولا روث. لا شيء إلا عنف فارغ وشاسع.

صرخت ولم يخرج صوت. قاومت في الفسحة، تضغط باتجاه بدا شبيهًا بالأمام أو الخلال، ولكن من غير وجه لا وجود للأمام أو الخلف أيضًا. لا أعلى ولا أسفل. لا ماضي ولا مستقبل. لا شيء إلا هذا، هذه الحالة السرمدية من الاتحاد والذوبان في شيء لا يُسمّى استمر واستمر في كل الاتجاهات إلى الأبد.

ثم شعرت بشيء ما، بلمسة بخفة الريشة، وسمعت شيئاً له صوت القهقهة والفرقة، وفي لحظة تلاشى خوفها القاتم وحل محله شعور بهدوء وسرور مطلقين. لا يعني هذا أن لها جسداً تشعر به، أو عينيّن ترى بهما، أو أذنين تسمع بهما، لكنها شعرت بكل الأحاسيس. كأنها وُسّدت بين يدي الزمن نفسه، وظلت معلقة في هذه الحالة المباركة لخلود أو اثنين. وعندما استيقظت على شعاع تافه لشمس الشتاء يتخلل من الخيزران خارج نافذتها، شعرت بسلام غريب وراحة كاملة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

هل سمعت يوماً بالوثاق المعدني⁽¹⁾ هذا شيء يعرفه الكل في اليابان، ولكن لم يسمع به أحد قط في سنيثيل. أعرف ذلك لأنني سألت كايل، ربما لا يصيب الأمريكيين. لم يصبني حتى انتقلت إلى طوكيو.

الوثاق المعدني هو ما يحدث عندما تستيقظ منتصف الليل ولا تستطيع الحركة، كأن شيطاناً بديناً عملاقاً يجثم على صدرك. إنه مخيف صدقاً. بعد حادثة قطار تشو السريع، اعتدت الاستيقاظ ظانة أن أبي جاثم على صدري، وهذا يعني أنه شبح أي أنه ميت، لكنني أسمعه يشخر في الغرفة وأدرك أنه وثاق معدني. تفتح عينيك وتحملق إلى الظلمة. تسمع أصواتاً أحياناً كعفاريت غاضبة، لكنك لا تتكلم أو تأتي بنأمة. وتشعر أحياناً بأن جسدك يسبح وأنت مستلق في مكانك.

قبل جنازتي، كنت أصاب بالوثاق المعدني كثيراً، لكنه توقف بعدها، ربما لأنني غدت شبحاً. أكلت ونمت وكتبت رسائل إلكترونية إلى كايل أحياناً، ولكنني أيقنت في قرارة نفسي أنني ميتة، وإن لم يلاحظ أبواي.

لكن كايل شعرت بالأمر. فقد توقفنا عن الدردشة الحية بسبب اختلاف التوقيت. فطوكيو متقدمة بست عشرة ساعة، وهذا يعني

(1) 金縛り كاناشيباري، حرفياً تعني معدن + رباط. نوع من شلل النوم. (الكاتبة)

أن الوقت نهار في سنيفيل وليل هنا، ولما كنت أسكن شقة مؤلفة من غرفتين تعادل مساحتها خزانة ثياب كايلا، فما كنت قادرة على الاستيقاظ منتصف الليل وتشغيل الحاسوب والدردشة، لذا كنا نتبادل الرسائل الإلكترونية أنا وكايلا معظم الوقت، وهذا ممل. أكره البريد الإلكتروني، فهو بطيء. في البريد الإلكتروني لا يتحقق الآن، بل هي دائماً حينئذ، ولهذا يسهل عليك التكاسل وترك صندوق الوارد يمتلئ. لا يعني هذا أن صندوق الوارد عندي ممتلئ اليوم، لكنه كان كذلك. بعد رحيلنا عن سنيفيل، أرسل لي الجميع رسائل إلكترونية كالمجانين يسألوني عن اليابان، لكن أبي استغرق بضعة أسابيع لتصيب الاتصال بالشبكة، فانشغل كل أصدقائي بإجازاتهم الصيفية، ثم بدأ العام الدراسي وهجروني. حاولت أن أكتب في مدونة لبعض الوقت. أخبرني معلم الصف الثامن في سنيفيل أن أنشئ مدونة أكتب فيها انطباعاتي وملاحظاتني وكل الأمور المثيرة التي ستحدث لي في اليابان. وساعدني أبي في إنشائها قبل الرحيل، وسميتها المستقبل هو أن! لأنني ظننت مستقبلي في اليابان سيكون مغامرة كبرى على الطراز الأمريكي. يا لغباء ذلك!

في الحقيقة لم يكن غيباً تماماً. فقد راودني الأمل أحياناً، وأجد هذا جسوراً وحزناً. ليس ذنبي أنني لم أفهم ما يجري. لم يصارحني أبوي بأسباب تركنا لكاليفورنيا، كانا يحفظان ماء وجهيهما ويتظاهران بأن كل شيء على ما يرام، ولم أعرف صدقاً أننا مفلسون وعاطلون عن العمل حتى وصلنا إلى هنا. عندما رأيت قبح شقتنا في طوكيو، اتضحت لي الصورة، وأدركت أنني

لن أعيش مغامرات كبرى، وأني لن يكون عندي أساسًا ما أنشره في المدونة ولن يشعرني بأني فاشلة كبيرة. كان أبواي مثيرين للشفقة، وحياتي المدرسية مريحة، والمستقبل مقرف. فما الذي أكتب عنه؟

«نحب أنا وأمي التمتع في حوض الاستحمام الساخن في الحمامات العامة».

«قضيت في المدرسة اليوم وقتًا مضحكًا وأنا ألعب كاكورينبو مع أصدقائي الجدد. كاكورينبو لعبة تشبه الغمضة، وأنا من يغمض عينيه!»

«تقدم أبي إلى وظيفة جديدة بصفته مفتش مسار في قطار تشو السريع».

واظبت لبعض الوقت على نشر هذه المنشورات المبتهجة المرححة في المستقبل هو أن! لكنني شعرت بأني محتالة كبيرة. وفي أحد الأيام، بعد مرور بضعة أشهر على العودة، تفقدت إحصائيات المدونة، ورأيت أن اثني عشر شخصًا زاروا المدونة منذ إنشائها، ومكث كل منهم دقيقة، ولم يكن لي أي منشور رائع، فتوقفت. لا شيء أكثر حزنًا من فضاء إنترنتي تسبح فيه وحدك وتكلم نفسك.

على أي حال، لم يطل الوقت بكايلا حتى تعرف أنني ربما أغدو فاشلة مثيرة للشفقة ولن تعود صداقتي بالأمر الطريف. أقسم إن الناس يطلقون رائحة افتراضية على الشبكة فيستشعرها الآخرون، على الرغم من أنني لا أعرف كيف يمكن لهذا أن يحدث. لا أعني رائحة حقيقية، فيها جزيئات ومستقبلات للفيرومونات وما شابه،

لكن الأمر واضح بقدر نتانة الخوف في إبطيك أو الذبذبات التي تتبعث منك عندما تكون فقيراً وتعوزك الثقة والأشياء الجميلة. ربما كان شيئاً متعلقاً بسلوك بكسلاتك، لكنني قطعاً بدأت أتمس بها، وتشممتها كايلا من الجانب المقابل للمحيط.

كايلا على النقيض مني. فهي فائقة الثقة بنفسها وعندها مال وفير ولا تخشى شيئاً. وعلى الرغم من أننا لم نتراسل منذ مدة، ولا أدري أي ثانوية ترتادها، فإنني واثقة 100 بالمئة أنها أكثر الفتيات شعبية، لأنها من الفتيات اللاتي ينلن شعبية كبيرة أينما ذهبن. أن تكون رقمًا فقط ليس من الاحتمالات القائمة عند كايلا، وهكذا كانت الحال في الصف الثاني، عندما اصطفتني وسمحت لي بالجلوس معها في فسحة الغداء. أفكر في الأمر الآن، فأرى أن صداقتي معها معجزة.

أخذت الأمور تسوء كثيرًا عندما أرسلت لها في البريد الإلكتروني صورة لي في زي المدرسي الجديد، وردت عليّ بهذه الرسالة المفردة السخرية التي تقول شيئاً من قبيل «يا إلهي أحب زيك! إنه شبيه بشخصيات المانغا! عليك أن ترسلي لي واحدًا فأتكر في زي تلميذة جاپ في الهالوين!»

في نظرها كانت حياتي تتكرر⁽¹⁾، لكنها في نظري حقيقية تمامًا. لم يعد بيننا قواسم مشتركة. ما عاد في وسعنا الكلام عن الأزياء أو الأولاد في المدرسة، أو الفاشلين، أو المعلمين الذين نحبههم أو نكرههم. لم تتطور رسائلنا ودرشاتنا، ثم أخذ الوقت

(1) cosplay التكر في زي وخاصة في زي شخصية مفضلة من المانغا والأنمي اليابانية، عامية تجمع بين التكر واللعب (الكاتبة)

الذي يفصل بين رسائلنا يطول، ثم اختفت بعد بعض الوقت. حاولت العثور عليها متصلة لكنها دائماً غير متصلة فعرفت أنها متصلة لكنها حظرتني من قائمة أصحابها.

ما زلت أكتب لها بعض الرسائل الإلكترونية، لكنها لم ترد قط. وحاولت أن أسرّ لها بمشاعري بعد جنازتي وأخبرها بأنني أكره مدرستي وإقامتي في اليابان، وبأنني أفقد سنيڤيل كثيراً، لكنني لم أستطع إخبارها بأمر الإيجمي أو أبي أو حالنا، ولأكن عادلة تماماً، لم يكن عندها ما يشجعها على الاستمرار. لا ألومها لأنها لم تتفهم. وعندما ردت عليّ أخيراً، كانت رسالة مقتضبة مبهجة مرحة قصيرة أوضحت أنها لن تهتم بي إذا ما أصبحت شكاءة بكاءة.

حولت لها بعدها رابط جنازتي «الموت المأساوي المبكر للطالبة المنقولة ياسوتاني آنزو». كان صادمًا لها، ولكنني مثلما قلت، كنت فخورة بأرقام المشاهدات أيضاً. انتظرت وانتظرت رسالة منها، لكنها لم تفعل قط. ربما هذا ما يحدث عندما تموت، يظل صندوق الوارد فارغاً. تظن بادئ الأمر ألا أحد يرد عليك، فتتفقد صندوق المرسل لتتأكد من أن الإرسال شغال عندك، ثم تتفقد مزود خدمة الإنترنت لتتأكد أن حسابك لا يزال نشطاً، ثم تخلص أخيراً إلى أنك ميت.

ها أنت تفهم لماذا شعرت بأنني شبح. الأشباح في اليابان قوية. ليست كالأشباح التي تصادفها في أمريكا وتطوف في الأنحاء وهي تلبس الملاءات. الأشباح في اليابان تلبس الكيمونو الأبيض، ولها شعر أسود طويل ينسدل على وجوهها، وليس لها

أقدام. الأشباح في العادة نساء غضبن غضباً محقاً لإساءة أحد
لهن إساءة مريضة. إذا تلقت المرأة معاملة سيئة، فقد تتحول
أحياناً إلى إيكيسوداما⁽¹⁾، وتغادر روحها جسدها النائم وتجوب
المدينة ليلاً تشن تاتاري⁽²⁾ وتأخذ بثأرها من كل زملائها القذرين
الذين عذبوها فتجلس على صدورهم. كان هذا هدفي في الإجازة
الصيفية. أن أصبح شبحاً حياً.

لم يكن الأمر مجنوناً كما يبدو، لأن سكنى الأشباح موروثه
في عائلتي، رغم أنني بدأت أدرك هذا. ازدادت غرابة أفعال أبي.
فيمكث في البيت ساعات النهار، ويخرج للتنزه كل ليلة بعد نومنا
أنا وأمي يخرج. لماذا يتسلل ليلاً؟ أيطارد أحداً هو الآخر؟ أكان
يتحول إلى مصاص دماء أو مستذئب؟ أكان يواعد أحداً؟

اعتدت الرقود ساهرة في فراشي، مشدوداً عليّ وثاق معدني
وعاجزة عن الحركة، أتخيله يلبس خفاً بلاستيكيّاً بالياً، ويجرجر
قدميه في الشوارع الطويلة المظلمة لشيئاماتشي⁽³⁾، في أحياء
أراكاوا وسنجو والمناطق القديمة في أساكوسا وسوميدا، التي
تسكنها الطبقة العاملة، والتي تكون خالية في ذلك الوقت من
الليل لأن الكل نيام. ينتهي به الأمر بعد بضع ساعات إلى متنزه
صغير على ضفاف نهر سوميدا، الذي يحفّه سور أسمنتي واطئ
يحمي الأطفال من الوقوع في الماء، وأتخيله مستنداً إلى السور،
يراقب انجراف الأوساخ. بل إنني أسمعه أحياناً يكلم القطط

(1) 生き魑魅 شبح حي (الكاتبة).

(2) 祟り هجمات أشباح (الكاتبة)

(3) 下町 وسط المدينة (الكاتبة)

الضالة، التي تقفز إلى القمامة والظلال وتتسلل خارجة منها. يجلس على أرجوحة أحياناً، يدخن آخر آماله القصيرة [سجائر شورت هوبز]، ويحاول أن يجيد إغراق جسد حي. بعدما تنفذ سجائره يعود ثانية ويدخل إلى الشقة خلسة. أسمع دائماً نقرة المزلاج على باب البيت، لأنني أنتظرها. المزلاج في مغلاقه يكسر التعويذة. لا أستطيع الحركة حتى أسمع.

-2-

ذات ليلة، بعد انقضاء أسبوع على جنازتي ربما، رأيت حلمًا كونيًا مجنونًا في أحد زملائي، السكين المدعوة ريكو. أظنني حدثك عنها قبلاً. كانت فائقة الذكاء ومحبوبة، كأنها كايلا يابانية. لم تتمر عليّ تمرًا مباشرًا قط، وأقصد بهذا أنها لم تقرصني أو تدفعني أو تلكزني بمقصها. ليست بحاجة إلى ذلك، لأن كل الأولاد الآخرين يصطفون لفعل ذلك من أجلها. كل ما عليها فعله هو أن تنظر إليّ بتلك الملامح، كأنها لمحت شيئًا مقررًا أو نصف ميت، ويتكفل أصدقاؤها بإنجاز المهمة. بل إنها أكثر المرات لا تتعب نفسها بالمشاهدة، لكني رأيت نظرتها وهي تشيح بوجهها أحياناً، وكانت نظرتها أكثر شيء في العالم قسوة وفراغًا.

وهذا ما رأيته في حلمي، عينها القاسية، سوى أنها كانت عملاقة، كبيرة كالسما. لا أعرف كيف أشرح لك. الوقت ليل وأنا في باحة المدرسة، مشلولة وأرقد على ظهري في صندوق، وربما كان تابوتًا. كان زملائي ينظرون إليّ وأعينهم تلمع كالحيوانات في الغابة المظلمة. ثم أخذوا يرمشون، وواحدًا تلو الآخر اختفوا،

حتى لم يبقَ إلا عين ريكو، تحملق إليّ وتطلق شعاعاً ليزرياً من الضوء، لكنه بعكس الضوء، لأنه بارد وأسود وفارغ. كانت تكبر وتكبر، تضغطني وتطوقني والعالم بكامله وكل شيء، وليس أمامي لإنقاذ العالم إلا أن أغمد سكين المطبخ الصغيرة في الحديقة، ففعلت. أغمضت عينيّ وأقحمت السكين في الثقب الأسود، مرة بعد مرة حتى شعرت به يتمزق. أخذ سائل ثخين بارد كالنتروجين ينزّ ببطء من الشق في الغشاء. عرفت أن عليّ التحرك لكنني لم أستطع، ثم انفجر الجراب وانبجس السائل المثلج، وفات الألوان، وعلى الرغم من يقيني من أنني سأموت برداً، فإن العالم سيكون بمأمن من عين ريكو الرهيبة، والفضل لي.

أيقظتني نقرة المزلاج في الباب. هذا أبي، عائد من نزته الليلية، وأدركت أنني كنت أحلم. إنه يوليو والطقس حار ورطب حتى في الليل، لكنني أرتجف بقوة وأسناني تصطك. حضنت نفسي بقوة، متظاهرة بالنوم حتى سمعت أبي يدخل الغرفة ويتقدم نحو حشيته. انتظرت مصغية حتى أسمع صوت نومه. نامت أُمي بصمت، لكن أبي يصدر صوت پو پو پو من شفثيه في زفيره وشهيقه. تأكدت أنه نائم فنهضت ووقفت بجانبه أراقبه قليلاً. بعثت المصابيح من الحاسوب في الزاوية ما يكفي من الضوء لأرى انفراجة شفثيه، وتساءلت عما سيحدث لو ضغطت إبهامي على الفتحة، لكنني لم أفعل. تسللت إلى غرفة المعيشة. كانت سترته معلقة على الخطاف في المدخل، فألقيت بها على كتفيّ. كانت سترة حصل عليها من شركته في سنيفيل، سترة عصرية عالية الجودة كالتي يعطونها لك في تصوير الأفلام،

مصنوعة من قماش غور تكس [المقاوم للماء] وعلى ظهرها شعار شركة تقنية المعلومات، اعتاد أن يلبسها فوق كنزة ذات قلنسوة، يوم كان عصرياً عالي الجودة هو الآخر، قبل بدلات البولستر. لم تزل البطانة الناعمة الحريرية دافئة من جسده، ولكنها على جلدي المكشوف أصابتي بالرجفة أكثر. لفتتها حولي وعاد إليّ الدفء من جديد.

ذهبت إلى الأبواب التي تفضي إلى شرفة صغيرة وألصقت جبيني بالزجاج. لم تكن الإطلالة من الشرفة جميلة، فالمنطقة التي نسكنها ليست كما يتخيل طوكيو معظم الناس، أنيقة وحديثة مثل شنجوكو أو شيبويا، بناطحات سحابها المبنية من الزجاج والخرسانة. هذه المنطقة تميل إلى كونها عشوائيات، قديمة ومكتظة وفيها بنايات سكنية صغيرة قبيحة من الأسمنت الملطخ من الماء رُصت كلها في هذا الشارع المتعرج. لا أرى من شرفتنا إلا الجدران والسطوح وبلاطات السطوح القديمة، تتلاقى بزوايا غريبة. كانت شبيهة بمربعة متعرجة من السهول والمسطحات المفصولة، سلكت بأسلاك الهاتف والكهرباء التي تدلت في كل مكان كالحلقات.

أثناء النهار يتسنى لنا رؤية رقع من السماء، لكن الظلام دامس في الليل إلا بَرَكَ الأضواء من أعمدة الإنارة، والمصابيح الرأسية لسيارات الأجرة تقطع الأبنية، والأشعة المتذبذبة من الدراجات تدغدغ الجدران. كانت هادئة أيضاً. يمكنك سماع خرمشة الجرذان في القمامة، والضحك الرقيق للمضيفات وهن يتخبطن عائدات إلى البيت من الحانات مع أخلائهن. وأذكر أن كل شيء كان شديد

الظلام والهدوء تلك الليلة، كأن المدينة كلها استشعرت الرعب في حلمي وشلت. لم يتحرك شيء، ولا ظل قطرة.

كان حلمي حقيقياً جداً. ربما أسمع اليوم التالي أن ريكو شنقت نفسها أو قتلت تلك الليلة. هل سيكون ذنبي؟ وهنا خطر لي أنني ربما تحولت إلى إيكيسوداما، وإن لم أتحوّل فلعلي أستطيع. يحتاج الأمر إلى التمرين، لكن إجازة الصيف بدأت، وماذا أفعل في وقت فراغي؟ كلما فكرت في الأمر أكثر، ازدادت حماساً، وطوال اليوم التالي والأيام التي أعقبته، تسقطت أخبار ريكو بل حاصرت دايسوكه لأعرف ما إذا رآها. يرتاد دايسوكه وريكو مدرسة التأهيل نفسها في الإجازة الصيفية. يرتاد معظم زملائي مدارس التأهيل بغية الاستعداد لامتحانات دخول المدرسة الثانوية التي تخضع لها في النصف الثاني من الصف التاسع. إذا كنت ولداً يابانياً، فإن هذه الامتحانات تحدد مستقبلك بكامله، وبقية حياتك، بل حتى حياتك في الآخرة. ما أعنيه:

مكان دراستك الثانوية يحدد أي جامعة سترتاد، وهذا يحدد الشركة التي تعمل فيها، وهذا يحدد المال الذي تجنيه، وهذا يحدد من تتزوج، وهذا يحدد الأبناء الذين ستجبههم وأسلوب تربيتهم، وأين ستعيش وأين ستموت، وإذا كان لأولادك مال يكفي ليقيموا لك جنازة راقية يؤدي فيها كهنة بوذيون رفيعو المقام طقوس جنازة لائقة ليتأكدوا من أنك وصلت إلى أرض النقاء،

والا، أصبحت شبحاً جائعاً راغباً بالانتقام، حُكم عليه بملاحقة الأحياء بسبب رغباته التي لم تُشبع، وبدأ هذا كله لأنك رسبت في امتحانات الدخول ولم ترتد مدرسة ثانوية جيدة.

ها أنت ترى إذن أهمية مدرسة التأهيل، إذا كنت تعبأ بحياتك. أخذ معظم زملائي وذووهم الأمر على محمل الجد، لكن أبوي لا يطيقان دفع نفقات إضافية، كما أنني لا أهتم. أعني أنني كنت شبحاً راغباً بالانتقام سلفاً ألاحق الأحياء، فلا يهم حقاً إن عشت أو مت، كما أنني نشأت في سنيفيل، ورؤيتي لهذه الأمور مختلفة. أنا أمريكية في صميمي، وأؤمن أنني حرة الإرادة وأستطيع تقرير مصيري.

ولكن بالعودة إلى دايسوكه، حاصرته قرب آلة بيع المشروبات الباردة مرة أخرى ودفعته قليلاً، وسألته عن ريكو إن كان حدث لها أمر أو إن كانت غائبة، لكنه أخبرني أنها بخير وأنها تأتي إلى المدرسة كل يوم.

استجوبته أكثر. وقلت وأنا أقرص ذراعه ربما أصابها زكام الصيف، أو أصيبت بحساسية؟ سيلان أنفي؟ عيان دامعتان؟ فقال وقد أتيت على ذكر ذلك نعم جاءت إلى الصف تضع رقعة على عينها قبل بضعة أيام.

كاد قلبي يتوقف عن النبض فتركته. سألته متى؟ فعُدّ الأيام على أصابعه.

قال يوم الاثنين. جاءت بالرقعة إلى المدرسة يوم الاثنين. فحبست نفسي، فقد رأيت الحلم ليل الأحد.

سمرته على آلة بيع المشروبات الباردة وأجبرته على أن يخبرني بالحكاية كلها. قال إن الكل ظنوا في بادئ الأمر أنها مصابة بشحاذ العين⁽¹⁾، وهذا مقرف، وتجراً صبي على تسميتها بالجرثومة. لكن ريكو ضحكت ضحكة فاتنة وقالت له إنها متكرة، وتتخذ دور جوبي شان فتاة الساموراي في أنمي سررقة العين الجميلة. وهذا صحيح، قال لي دايسوكه، فرقتها زهرية اللون لها شكل القلب، مثل الرقعة الجميلة التي تضعها جوبي شان، فلما التفتت ريكو إلى الولد الذي سمّاها بالبكتريا وضربته ضرباً مبرحاً، أدرك الجميع أن رقعة العين أعطتها القوة القتالية السحرية الآسرة لفتاة الساموراي. كانت أول مرة يراها فيها أحد وهي تتشاجر، فكان ذلك خارقاً، كما قال دايسوكه.

أخبرني بكل هذا في دفع هامس من الكلمات في الزقاق.

قلت «وصدقتها؟ يا لك من غبي!»

فرفع كتفيه النحيلتين. لم يكن يلبس زي المدرسة، وبرزت عظامه من تحت قميصه قصير الأكمام، ل يبدو أكثر شبهاً بالحشرة. إنه مثير للشفقة صدقاً.

غمغم قائلاً «إنها تشبه جوبي شان. فلها قوام جميل».

صحيح أن لريكو قواماً متناسقاً جميلاً لفتاة في سنّها، وأثار هذا غضبي، ثم إن قول دايسوكه لهذا أثار قشعريرتي. هذا يعني أنه حتى حشرة مثله قادر على ملاحظة أمور كانهدين والساقين، فضربته ولكمته بقوة أكبر مما أحتاج، وهذا يظهر أنك لا تحتاج

(1) أو الجليجل أو تبزل العين أو جنجل العين أسماء لدمل الجفن، وهو التهاب يصيب الغدة الدهنية في طرف الجفن. (المترجمة)

رقعة عين جميلة ليكون لك القوة على إثارة بكاء أحد . بعدما انتهيت وسمحت له بالذهاب وسرت عائدة إلى شقتنا، استرجعت ما قاله دايسوكه وغمرني إحساس بالدهشة مما فعلت. أعني ما الذي كان تحت رقعة العين في رأيك؟ شحاذ العين وربما جرح حقيقي، وهذا يعني أنني حققت هدفي. بينما كنت نائمة وأحلم، خرجت روحي من جسدي فعلاً وشفيت غليلي من عدوي. كنت شبحاً حياً، وملأني هذا الإدراك بإحساس رائع بالقوة.

-3-

ظهرت جيكو العجوز في شقتنا بعد أسبوع من تحولي إلى شبح حي. كنت أقرأ مانغا في غرفة المعيشة، وأبي في الشرفة يجلس على دلو بجانب الفسالة ويدخن السجائر عندما رن جرس الباب. نتجاهل عادة جرس الباب، فلا أصدقاء لنا ويكون هؤلاء عادة محصلو الفواتير أو أحد من معارف الجيران، لكنه رن مرة ثانية فثالثة. نظرت إلى أبي في الشرفة لأرى ماذا يريدني أن أفعل. كان يقف هناك وفي عينه نظرة الهلع، ويظهر نصف رأسه من الغسيل الرطب، والجوارب والسرراويل الداخلية تتدلى حول أذنيه كالشعر المستعار.

أصابه الارتياح منذ اعتقاله لوقوعه على سكة القطار وهذا أمر مألوف عند الأشخاص الهيكيكوموري. قلت قبلاً إنه لم يذهب إلى أي مكان، إضافة إلى النزعات الليلية، سوى الحمامات العامة، ويذهب إليها بعد أن يخيم الظلام وبعد أن تتبعث منه رائحة نتنة وتهدهده أُمي بالنوم في الشرفة إذا لم يستحم. ولعله كان يفضل ذلك.

فقد أحب الشرفة لأنه يستطيع التدخين فيها، وهذه حصته من الهواء النقي أثناء النهار. فيجلس هناك على دلو مقلوبة ويقرأ المانغا القديمة التي وجدتها في سلال إعادة التدوير، وبعد إنهاء سيجارته يدخل ويقرأ عقول عظيمة في الفلسفة الغربية ويطوي حشرات الورقية. لم يعد يعمل على كومبيوتره أو يتصفح شبكة الإنترنت، وهذا غريب كل الغرابة، فهذا كل ما اعتاد فعله في سنيثيل. ولا يكاد يكون متصلاً، إلا إذا أراد إرسال بريد إلكتروني لأحد الأصدقاء السابقين من سنيثيل. وبدأت أقول إنه ربما كان إيكيسوداما هو الآخر، أو ربما سكنه وحش، سويكو أو كايا عملاق⁽¹⁾ من مياه نهر سوميدا الداكنة، التي امتصت دمه وأعادت جسده الفارغ إلى الشاطئ. هكذا بدا الأمر.

على أي حال، بعد رنين الجرس لأربع مرات أو خمس، نهضت لأفتح. ورجحت أن تكون زوجة المالك أو رجل الغاز أو موظف الإحصاء أو زوجين بوجهين لامعين من طائفة المورمون في مهمة تبشيرية. لماذا يبدو أتباع المورمون المبشرين كأنهم توائم متطابقة، وإن كانوا ذوي أطوال وأعراق مختلفة؟ هذا ما شغلني، ولهذا لم أفاجأ كثيراً عندما فتحت الباب ورأيت هذين الرفيقين يلبسان منامتين رماديتين رقيقتين متماثلتين وقبعتين شمسييتين

(1) 河童 تعني حرفياً طفل الماء. كائن أسطوري مأكراً، مثل جنّي الماء له يدان وقدمان مكففتا الأصابع، وجلد محرشف أخضر أو أزرق أو أصفر كجلد الزواحف. له قوقعة تشبه صدفة السلحفاة، ونقرة كالوعاء على رأسه، يجب أن تظل مليئة بالماء. إذا تسرب الماء من الوعاء أصاب الشلل الكايا. (الكاتبة) والسويكو: تعني نمر الماء وهو جنّي ماء أيضاً يخلط بينه وبين الكايا ويعرف في اليابان والصين (المترجمة)

من القش. لم يكونا من المورمون، بل كانا مستسخنين ووجهاهما لاعمين مشرقين، فحسبتهما من مجموعة دينية أخرى يتقلون أزواجًا. لماذا تبدو وجوه المتدينين كلها لامعة؟ ربما ليس كلهم، بل الملهمون فقط، كأن نور الرب يتسرب من مسامهم.

ويمكن القول إن هذين الرفيقيين ملهمين صدقًا لإشراق وجهيهما، على الرغم من أنهما قصيران جدًا. كان أحدهما مسنًا والآخر شابًا، ورأيت صلعتيهما من تحت قبعتيهما. كانت مناماتهما شبيهتين بالثياب التي يلبسها الكهنة في المعبد الواقع على طريق المدرسة، فخمنت أنهما بوذيان جاءا يتسولان المال، وإذا صدق ظني، فيا للهول، لأنهما جاءا إلى المكان الخطأ.

انحنى كلاهما بقوة، فرددت عليهما بإيماءة، فأنا لست شديدة التهذيب وفقًا للأعراف اليابانية.

سأل الشاب «أوجاما إيتاشيماسو أوتوسان وا إيراشايماسوكا؟»، ومعنى هذا «اعذرونا على التطفل رجاء. هل والدك المحترم موجود في هذه اللحظة من الوقت؟»

ناديته في الغرفة بالإنجليزية «هي بابا! يود قزمان أصلعان يلبسان منامتين رؤيتك».

اعتدت فعل هذا لأنني رفضت التحدث إلى بابا وماما باليابانية. أفعل هذا كثيرًا أثناء مكوثنا في البيت، وأحيانًا عندما نخرج للتسوق أو في السنتو. اليابانيون ضعيفون في فهم الإنجليزية المحكية، ففي وسعك أن تقول تعليقات ساخرة ولن يعرفوا عادة ما تقول. كان فعلي هذا يثير جنون أمي. لم أكن لثيمة كثيرًا، بل قليلًا، ووجد أبي الأمر مضحكًا عادة. كنت أحب أن أضحكه.

على أي حال، هذه المرة أخذ الكاهن الشاب يقهقه، فقلت في نفسي أو اللعنة. يا لي من حمقاء، فاستدرت وألقيت نظرة أخرى، وتبينت أن هذين الراهبين أنثيان، مرت بي العجوز وخلعت الزوري⁽¹⁾ والقبعة ودلفت إلى غرفة المعيشة، وفي اللحظة التالية خرجت إلى الشرفة بجوار أبي الذي كان يميل على الحاجز، يطل على الرصيف في الأسفل كأنه سيقفز. صعدت الكاهنة العجوز على الدلو ومالت من فوق الحاجز بجواره كولد صغير يوشك أن يتشقلب على قضبان التسلق. كانت قصيرة كطفل أيضاً، وربما لهذا فعل أبي ما فعل، ماداً ذراعيه في الهواء ليمنعها من السقوط. كانت ردة فعل أبوية فطرية، الحركة نفسها التي أنقذتني من كسر رقبتني أو أن ألقى حتفي مئات المرات، عدا أنني لم أر الفعل من هذه الزاوية قبلاً، وذهلت من سرعته ودقته. مؤسف جداً أنه لم يكن له ذراع كهذه يستخدمها لإنقاذ نفسه. قالت الكاهنة شيئاً عندئذ، لا أدري ما هو، لكن أبي التفت وحملني إليها، ثم ابتعد عن الحاجز وجلس على الدلو ودفن وجهه بين يديه. شعرت أن الهلع يصيبني. لا أدري ما إذا كان أبوك كثير البكاء، ولكن في رأيي، إنه لشيء شنيع أن تضطر إلى المشاهدة، وقد شهدتها مرة بعد حادثة قطار تشو السريع ولا أريد قطعاً تكرار التجربة، خاصة أمام الغريباء. لم تأبه العجوز كما يبدو، أو لعلها كانت تمنحه فسحة. واصلت النظر إلى الشارع في الأسفل، وبعد أن رأت كفايتها، التفتت وعدلت منامتها وأخذت تربت على

(1) 草履 صندل الإصبع (الكاتبة)

رأس أبي شاردة الذهن قليلاً مثلما تربت على طفل صغير سقط وجرح نفسه لكن الجرح ليس بليغاً. أثناء ذلك أجالت نظرها بعناية بعينيها الوئيدتين الغائمتين، تتقلان على كل أسطح الشقة، المنفضة الطافحة وأكوام الثياب وأجزاء الكمبيوتر والمانغا والصحون في المغسلة، حتى استقرتا عليّ أخيراً.

قالت «آن شان ديسو ني»⁽¹⁾ أوهيساشيبوري»⁽²⁾.

أشحت بوجهي، غير راغبة في الإقرار سريعاً بأني آنزو. «أوكيكو ناتا ني»⁽³⁾.

أكره أن يشير الناس إلى أنني كبرت، وهذه العجوز قزمة، فماذا تعرف، ثم من تظن نفسها على أي حال وهي تقتحم شقق الناس وتعلق تعليقات شخصية؟

وأثناء تفكيري في هذا، تحرك أبي على دلوه ورفع رأسه وتهدد، أوباشاما...⁽⁴⁾، فكنت كمن شل! لأن هذه طبعاً جدته العجوز الحبيبة. كان يحرق إليها، ورأيت أنه لم يكن يبكي، لكن خديه محمران، مثلما يصبحان عندما يسكر، رغم يقيني بخلو البيت من أي مسكر منذ حادثة قطار تشو السريع، لذا فأنت تدرك أن هذا حرج أو خجل. وصدقاً شعرت أنا بالخجل أيضاً، أنظر إلى وجهه المبقع وعينييه الحمراروين وقد التصقت بأهدابهما شذرات يابسة، وإلى القطع الكبيرة من قشرة الرأس المستوطنة في شعره

(1) أنت آن العزيزة، صحيح؟ (الكاتبة)

(2) مر وقت طويل. (الكاتبة)

(3) لقد كبرت كثيراً، ها؟ (الكاتبة)

(4) كلمة تبجيل لكنها حميمية لخطاب الجدة. (الكاتبة)

المدهن. كان يلبس قميصًا داخليًا بلا أكمام مبقعًا ومصفراً عند الإبطين، ولاحظت عند وقوفه لأول مرة أن عموده الفقري اتخذ انحناءة S، وبطنه بارز، وصدره غائر، وكتفاه مهدلتان. سمعت صوتًا خلفي.

«شيتسوري إيتاشيما سو...»⁽¹⁾، كان صوت الشابة. لقد نسيت أمرها، لكنني استدرت ونظرت إليها بحرص أكبر ورأيت أنها ليست شابة كما ظننتها أول وهلة. يصعب الجزم مع السيدات الصلعاوات. لم أر سيدة صلعاء من كذب إلا والدة كايل في سنيفيل التي أصيبت بسرطان الثدي، وتساقط شعرها كله، حتى حاجباها، لكن وجهها لم يكن لامعًا مشرقًا كوجهي هاتين الاثنتين، بل كان جافًا كامدًا مثل الورق المقوى.

كان لكل منهما حقيبة صغيرة مدولبة، حاولت الأصغر جرهما إلى الجنكن⁽²⁾، لكن الأحذية والصنادل احتلت الأرضية، فاضطرت أن تدرج الحقيبتين فوقها. خلعت صندلها ودخلت إلى الشقة بجواري وانحنيت.

سألتُ بإنجليزية حذرة «من فضلك، أدخل؟»، كأني كنت الضيف القادم من أمريكا. فهزرت رأسي فقط، لأنني صدقًا شعرت بأني أجنبية تعيش في تلك الشقة الغبية في طوكيو مع هذين الغريبين اللذين يقولان إنهما والداي لكني لم أعد أعرف.

لطالما ظننت أنني متبناة في سنيفيل. كانت بعض صديقاتي صينيات تنباهن أشخاص عاديون من كاليفورنيا، لكني شعرت

(1) اعتذرانا على التطفل. (الكاتبة)

(2) المدخل باليابانية (المترجمة).

بالعكس، بأي فتاة عادية من كاليفورنيا تنبأها أبوان يابانيان، غريبان ومختلفان، لكنهما مقبولان، لأن المرء يكون مميزاً في سنيثيل إذا كان يابانياً. تسأل الأمهات الأخريات أمي أن تعلمهن صنع السوشي وتنسيق الأزهار، وعامل الآباء أبي معاملة حيوان أليف يأخذونه معهم لمباراة في ملعب الغولف ويعلمونه حياً جديدة. كان يعود إلى البيت دائماً بأجهزة جديدة عالية التقنية، مثل مشواة وبر وحاويات التسميد، التي لم تعرف أمي كيف تستخدمها، لكنها ظريفة. كان لدينا أسلوب حياة، لكننا هنا بالكاد نتدبر الحياة.

-4-

اسمع هذه الفكرة: لو كنت مسيحية، لكنت ربي.

ألا ترى؟ لأن طريقتي في الكلام معك هي طريقة كلام بعض المسيحيين مع الرب. لا أقصد الصلاة تحديداً، لأنك عندما تصلي فأنت تطلب شيئاً عادة، أو هذا ما قالته كايلا على الأقل. اعتادت أن تصلي لأجل أشياء ثم تخبر والديها بما صلت من أجله، وتحصل عادة على ما تريد. لعلهما حاولا دفعها إلى الإيمان بالرب، لكنني أعرف أن هذا لم ينفع.

على أي حال، لا أظنك الرب حقاً ولا أنتظر منك أن تحقق لي أمنيات أو أي شيء. بل أؤمن قدرتي على الحديث إليك ورغبتك في الاستماع. لكن يجدر بي الإسراع وإلا لن أصل إلى ما يفترض بي الوصول إليه.

ما زالت جيكو وأبي يتكلمان في الشرفة، والأصغر عمراً، واسمها موجي، ساعدتي في إعداد الشاي، ثم تجاذبنا كلنا

أطراف الحديث على الطريقة اليابانية المهدبة عن لا شيء حتى عادت أمي، وأجزم من تظاهرها بالدهشة لرؤية راهبتين بوذيتين في غرفة معيشتها أنها رتبت الأمر كله. ثم إنها ذهبت للتسوق وجلبت معها غداء خارجياً من السوشي يكفي خمسة أشخاص، وزجاجة كبيرة من البيرة، وهذا ما لم تكن لتفعله من أجلي أنا وأبي فقط.

بعد تناول الطعام هربت إلى غرفة النوم واتصلت بالشبكة لأرى إحصائيات «الموت المأساوي والمبكر للطالبة المنقولة ياسوتاني آنزو»، لكن عدد مرات الزيارة لم يزد منذ تفقدته آخر مرة، وهذا محبط، فقد مر أقل من أسبوعين على موتي وأصبحت طي النسيان سلفاً. لا شيء أكثر حزناً من فضاء الإنترنت... لكنني قلت هذا قبلاً.

في غرفة المعيشة سمعتهم يتكلمون عن حاجة معبد جيكو إلى الإصلاحات، وأن الدانكا⁽¹⁾ لا تستطيع دفع تكاليف العمل لأن الشبان ينتقلون إلى المدن، والمستنّون الباقون لا يملكون مالاً وفيراً. ثم خفت الكلام وانخفضت أصواتهم، وسمعت كلمات إيجمي وهوموشيكو⁽²⁾ ونيوغاكوشيكن⁽³⁾، فوضعت سماعتي الرأس لئلا أستمع. لا شيء أكثر وحدة من فضاء الإنترنت إلا أن تكون

(1) 檀家 رعية المعبد (الكاتبة) (أو نظام الرعاية) نظام من العمل التطوعي والاتحاد طويل الأجل بين البوذية والأسر في اليابان وما زال سارياً. وفي هذا النظام تدعم الأسر المعبد البوذي مالياً وفي المقابل يلبي المعبد احتياجات الأسر الروحانية (المترجمة)

(2) ホームシック من الإنجليزية وتعني الحنين إلى الديار (الكاتبة)

(3) 入学試験 امتحانات القبول (الكاتبة)

مراهقًا، تجلس في غرفة النوم التي تتقاسمها مع أبويك الفاشلين لأنهما فقيران جدًا ولا يستطيعان دفع إيجار شقة كبيرة يكون لك فيها غرفتك وحدك، ثم تسمعهما يناقشان ما يدعوانه مشاكلك. رفعت الصوت وشغلت بضع أغاني من أغنيات نيك دريك القديمة التي أعطاهما لي أبي وبدأت تعجبني. «قال لي الزمن»، «النهار انقضى». أغاني نيك دريك حزينة جدًا، وقد انتحر أيضًا. أخيرًا لم أعد أطيق ذلك، فاستسلمت وذهبت إلى غرفة المعيشة.

ما زالوا جالسين حول الطاولة التي أكلنا عليها، وعليها صحن صغير من الموشي⁽¹⁾ الأخضر الزاهي يغطيه معجون ما، بدلًا من السوشي، وكيس من الواسابي الأخضر، وكانوا يشربون البيرة من كؤوس صغيرة أمامهم، كلهم عدا أُمي التي تشرب الشاي، وأبي الذي أخذ بيرته إلى الشرفة ليدخن.

سألت بالإنجليزية مشيرة إلى الموشي «من أين جاءت هذه؟» لا أهتم لكرات الأرز الحلوة، لكنني أحب أن تُعرض علي، تفهم؟ عبت أُمي وهزت رأسها، وهذا يعني أنني لا يفترض بي أن أشير ولا أن أتكلم بالإنجليزية. فقالت تربت على المخذة، «تشاتو، أوسواري...»، وهذا يعني أن عليّ الجلوس بجوارها مثل كلب تشيواوا مدرب. كانت أطراف عينيها حمرة كأنها تبكي. تراجعتم وقلت لها بالإنجليزية أيضًا. «سأخذ إلى الفراش. كنت أدرس، أنا متعبة».

(1) ちも كرات الأرز الحلوة. (الكاتبة)

كان جميعهم يراقبوني، أبي من الشرفة، وجيكو بعينيهما نصف المغمضتين من وراء الطاولة، وموجي تجثو عند قدمي، ووجهها أحمر زاهٍ وأكثر لمعاناً إن كان هذا ممكناً. حملت صحن كرات الأرز الخضراء ومدته نحوي.

«رجاء! هذه زوندا موشي. إنها أطعمة خاصة من فول الصويا من مكان سنداي الإقليمي».

هززت رأسي أدباً كأني فهمت ما تتكلم عنه، ولكني لم أفهم. انتظرت، وحين لم أقبل عرضها، أنزلت الصحن وتناولت زجاجة البيرة، تصب آخرها في كأس جيكو العجوز. لقد اعتادت خدمة الآخرين.

قالت «جيكو سينسي مستمتع كثيراً. سينسي قوية لشرب الساكي، لكني ضعيفة جداً»، وضحكت وتجشأت، ثم غطت فمها بيدها. صارت عيناها مدورتين، ودارت مقلتاها في محجريهما كالجوز المحمص. نزلت إلى المخدة بجوارها. كانت سخيفة وبدأت تعجبي. في الجانب الآخر من الطاولة، غطت جيكو في النوم.

قالت أمي «آن شان»، كانت تتكلم اليابانية وصوتها مبتهج ومتكلف. «جدتك الكبرى جيكو عندها فكرة رائعة. لقد تكرمت بدعوتك لقضاء عطلة الصيف في معبدها في مياجي...»⁽¹⁾

غير معقول! الأمر كله مدبر. كانوا كلهم يراقبوني جيداً، أمي وموجي وجيكو، التي أحسست أنها ترى من جفنيها المطبقين،

(1) مياجي... سنداي هي مياجي! (الكاتبة)

وأبي الذي لم يزل في الشرفة يتظاهر بالفتور واللامبالاة. أكره مراقبة الراشدين هكذا. تشعرك بأنك إنسان معطوب مسير آلياً، لست بشرياً تماماً.

زقزقت أُمي «هذا مثير، ألا توافقين؟ المكان جميل على الساحل، وأبرد من المدينة بكثير. والمحيط قريب فتذهبين للسباحة. أليس هذا ممتعاً؟ أخبرتها أنك تحبين الذهاب...» عندما يكلمك الراشدون أحياناً، وتحقق إليهم، يخيل إليك أنهم داخل جهاز من أجهزة التلفاز العتيقة الطراز، من ذوات الزجاج الثخين الداكن، وترى أفواههم تتحرك، لكن الكلمات بحد ذاتها تفرق في ضوضاء بيضاء مشوشة فلا تفهم منها شيئاً، وهذا لا يهم لأنني لم أكن أصغي. واصلت أُمي الكلام كأنها مذيعة في برنامج تلفزيوني وقت الإفطار، وموجي تتجشأ وتردد كأنها دوري سكران، وجيكو تتظاهر بالنوم، وأبي ينفث غيوماً من دخان السجائر في سراويلي الداخلية النظيفة المنشورة على حبل الغسيل لأنني نسيت إنزالها في خضم كل هذه الصخب، ولكن لا يهم أي شيء من هذا لأنني كنت في أعماق عقلي، المكان الذي أتردد عليه كلما اشتدت الخطوب. ليس عليّ سوى انتظارهم ليسكتوا، وأنا بارعة في الانتظار، إذ تلقيت تدريباً كثيراً في المدرسة. إحدى حيل الانتظار أن تتظاهر بأنك تحت الماء، والأفضل أن تكون متجمداً تحت جبل جليدي، وإن ركزت على الأمر بقوة، سترى شكل وجهك إذا تجمد تحت الجليد، أزرق باهتاً مجمداً.

عاد أبي إلى الغرفة من الشرفة وجلس مقابلي.

ما زلت لا أسمع صوته بسبب الشواش، لكني قرأت شفتيه.
يجب. أن. تذهبي.

كان هذا ما أردته. أبطأت نبضي، وامتنعت عن التنفس،
وكففت عن الحركة تمامًا.

فتحت جيكو عينيها عندئذ. لا أدري كيف عرفت هذا، لأنني لم
أكن أنظر إليها، لكني شعرت بقدوم طاقة من جانبها من الطاولة،
وعندما تقدمت إلى الأمام ووضعت يدها العجوز فوق يدي، لم
أفاجأ. كانت يدها خفيفة جدًا، مثل دغدغة نسيم دافئ، وأخذ
جلدي يخزني. كانت تراقبني، ولم أرها، لكني شعرت بها تذيب
الجليد، وتشد عقلي نحو عقلها خلال البرودة. وشعرت بنبضي
يعود ودمي يبدأ في الجريان من جديد. طرفت بعيني، لم يزل
أبي يتكلم.

كان يقول «سيدوم هذا بعض الوقت. رتبت أمك كل شيء.
عندهم أطباء متخصصون سيعلموني التكيف مع مشاكلي. سأكون
أحسن عند عودتك. صدقًا. أعدك. أنت تصدقيني، أليس كذلك؟»
حين سمعت ورأيت كم يبدو متعبًا وحزينًا، ذاب ما بقي مني.
قلت محاولة العثور على صوتي «ولكن...». لم أصدق طبعًا،
ولكن ماذا أقول؟ فهزرت رأسي إيجابًا، وانتهى الأمر.

تقع ولاية مياجي في إقليم توهوكو، في الجزء الشمالي الشرقي من اليابان. كانت هذه المنطقة واحدة من آخر قطع الأراضي القبلية التي سُلبت من السكان الأصليين الإيميشي، سلالة شعب جومون الذين عاشوا من أزمنة ما قبل التاريخ حتى هُزموا على يد الجيش الياباني الإمبراطوري في القرن الثامن. كان ساحل مياجي هو الآخر واحداً من أكثر المناطق المنكوبة في زلزال 2011 وتسونامي. ويقع معبد جيكو العجوز في مكان ما على امتداد هذا الساحل.

كما كانت ولاية فوكوشيما، الواقعة جنوب مياجي، جزءاً من أراضي أسلاف الإيميشي. أما اليوم ففوكوشيما مقر محطة فوكوشيما النووية الثانية لتوليد الطاقة. يعني اسم فوكوشيما «الجزيرة السعيدة». قبل تسبب التسونامي بالانصهار الكارثي لمحطة الطاقة النووية، رأى الناس فوكوشيما مكاناً سعيداً، ورفرفت الأعلام في الشوارع الرئيسة للمدن القريبة لتعكس حس التفاؤل.

الطاقة النووية طاقة لمستقبل أكثر إشراقاً!

الفهم الصحيح للطاقة النووية يؤدي إلى حياة أفضل!

سُميت الجزيرة التي تعيش فيها روث وأولفر باسم فاتح أسباني شهير أطاح بإمبراطورية الأزتك. وعلى الرغم من أنه لم يصل إلى جزيرته المسماة باسمه، فإن رجاله وصلوها، ولهذا تتأثرت أسماء مشاهير الأسبان الذين ارتكبوا جرائم قتل جماعية على خلجان كولومبيا البريطانية ومنافذها. وكانت جزيرتهما سعيدة أنيسة صغيرة، وإن كان اسمها دموياً. تغدو الجزيرة فردوساً بديعاً طوال شهرين من العام، إذ تغص بالمصطافين خليي البال أصحاب اليخوت وبيوت الإجازات، وبمزارعين هيببيين سعيدين يزرعون الخضار العضوية ويربون أطفالاً لا يلبسون السراويل. فيها معلمو يوغا، ومعالجون، ومداوون في كل شكل، طبالون وشامان ومعلمون روحانيون كثر. تشرق الشمس طوال شهرين من السنة.

ولكن بعد مغادرة السياح والمصطافين، تتبدل السماوات الزرق بالغيوم وتكشر الجزيرة عن أسنانها، مظهرة جانبها النزق. فيقصر النهار ويطول الليل، وتمطر طوال الأشهر العشرة القادمة. أهل الجزيرة الذين يعيشون هناك طوال العام يحبونها هكذا.

لجزيرتهم اسم مستعار أيضاً، اسم خفي لا ينطق إلا نادراً: جزيرة الموتى. يقول البعض إن الاسم يعود إلى الحروب الدموية بين القبائل، أو وباء الجدري عام 1862 الذي قضى على معظم السكان الأصليين في ساحل ساليش. يقول آخرون لا، إن الجزيرة كانت دائماً أرضاً لمقابر القبائل، تتخللها كهوف خفية لا يعرفها إلا كبار السن، حيث دفنوا الموتى. غير أن آخرين يصرون على أن الاسم المستعار لا يمت بصلة إلى التراث المحلي، مشيرين

إلى الشيخوخة السكانية للمتقاعدين البيض، الذين يأتون لقضاء سنيهم الأخيرة على الجزيرة، محولين إياها إلى مجتمع مغلق، مثل مدينة بوكا راتون عدا أنها ذات طقس سيء وتخلو من أسباب الرفاهية.

أحبت روث الاسم المستعار. فهو يتسم بالوقار، وقد جاءت بأمرها إلى هنا لتموت. وجاءت برماد أبيها أيضًا في صندوق، وبعد ترميد أمها دفنت بقايا والديها في مقبرة ويلتاون الصغيرة، في رقعة أرض فيها مساحة تكفيها وتكفي أولهر أيضًا. قال لها أصدقائها النيويوركيون عندما أخبرتهم بهذا إن حياتها الريفية في الجزيرة تجعلها مضجرة سقيمة، لكنها خالفتهم الرأي. صحيح أن الجزيرة تخلو من الإثارة التي تتمتع بها مانهاتن، ولكن ما مقدار الإثارة التي تحتاجها وأنت ميت؟

-3-

كان مكتب البريد في ويلتاون عرزالاً خشبياً صغيراً، يتشبث بنتوء صخري على حافة خليج ويلتاون. يصل البريد منقولاً في عبّارة ثلاث مرات في الأسبوع، وثلاث مرات في الأسبوع يركب ممثل من كل عائلة في ويلتان سيارة أو شاحنة أو سيارة من سيارات الدفع الرباعي ويقودها إلى مكتب البريد لاستلام الرسائل. وأثار تبديد الوقود الأحفوري هكذا جنون أولهر. قال متذمراً «لماذا لا يكون لنا ساعي بريد. ساع واحد، سيارة واحدة، يقلل الكربون، ويوصل كل البريد. ما صعوبة هذا الأمر؟» رفض أن يقود السيارة فهو يركب الدراجة دائماً، وإذا حان دور روث في الذهاب أصر عليها بأن تمشي حتى في الأيام الماطرة.

حتى والعواصف تتجمع. تبلغ المسافة إلى مكتب البريد ثلاثة أميال.

قال لها «أنت بحاجة إلى التريض».

بدأت الريح تعصف والمطر يتساقط غزيراً، وكانت روث مبلة عندما وصلت البريد. فأخرجت من جيبها رسائلها الندية التي تود إرسالها وطلبت طوابع.

قالت دورا من وراء شباك العمل «جنوشرقية. الريح تعصف. ستتقطع الكهرباء وقت العشاء. هذه ليلة مناسبة للكتابة، ها؟» دورا موظفة البريد، امرأة قصيرة ويوحى مظهرها الخادع بهدوء الطباع ولها لسان سليط وشهرة بإبكاء جيرانها لتقصيرهم في أخذ بريدهم بصورة منتظمة، أو وصولهم مبكرين قبل أن تنتهي الفرز، أو كتابة عناوينهم بخط غير مقروء. كانت ممرضة متقاعدة تقرض الشعر الذي ترسله بصورة دورية منتظمة إلى الحوليات والمجلات الأدبية. أقرت بأنها لا تحب كثيراً من الناس، وخاصة الوافدين الجدد منهم، لكنها أعجبت بروث مباشرة، وليس هذا إلا لاشتراك روث بمجلة ذا نيويوركركر، التي -كما أعلمتها موريل ذات يوم عندما اشتكت من بطء وصول المجلة- كان من عادة دورا أن تسرقها وتأخذها إلى البيت لتقرأها قبل توصيلها، متأخرة، في صندوق بريد روث. كلا، السبب الحقيقي لإعجاب دورا بروث يعود إلى أن روث كاتبة، زميلة، وكلما جاءت إلى مكتب البريد، أعلمتها دورا بآخر أخبار ما أرسلته من أشعار. طوال سنوات معرفة روث بدورا، قبل عدد من قصائدها للنشر في مجلات صغيرة، لكن ذا نيويوركركر ظلت غايتها المنشودة، وأصرّت على رفض الاشتراك

حتى ينشروا لها إحدى قصائدها. وكان هذا التدبير ناجحاً ما دامت روث تجدد اشتراكها، ولا مانع لدى دورا. فقد زعمت أن جمع إشعارات الرفض جزء نبيل وضروري من مسيرة الشاعر، وهي فخورة بمجموعتها، فورّقت بها المرحاض الخارجي إذ سمعت أن تشارلز بوكوفسكي فعل ذلك بإشعاراته. أعجبت بها روث لإعجابها ببوكوفسكي. عرفت دورا كل شيء عن كل أحد، وليس ذلك لأنها تقرأ رسائل الناس فحسب، بل لأنها تتمتع باهتمام راسخ لا يعرف الندم في شؤون الآخرين، وكانت طيبة أيضاً، على الرغم من فظاظة طبعها. تعلقت بوالدة روث واعتادت أن تجلب لها باقات مبهرجة من مختلف أنواع الزهور من حديقتها. كما أنها تطمئن دائماً على صحة جيرانها، وعندها مخزون من المورفين من مخلفات أيام التمريض توزعه عند الحاجة، عندما يصاب أحد أو يحتضر، أو عند الحاجة لقتل حيوان أليف محبوب. وكانت تحيك حوائج المواليد للأمهات العازبات الحوامل في الجزيرة، وتخبز البسكويت الذي يشبه الأصابع المبتورة للأطفال في الهالوين، وقد زينته باللوز لتكون الأظافر وبعجينة سكر حمراء للدم. كان مكتب البريد كبئر القرية، يطيل الناس مكوثهم فيه، وإليه يذهب المرء إذا احتاج إلى معرفة الأخبار.

تغلبت روث على نفورها من المكالمات الهاتفية مرتين ذلك الأسبوع، المرة الأولى لتهاتف كالي، والثانية لمهاتفة بنوا لوبيك. تركت له رسالة، وخطر لها أن دورا تعرف سبب عدم اتصاله بها. قالت دورا وهي تدق الطوابع على رسائل روث المبللة بختم بريد ويلتاون «أوه، إنهما مسافران». كانت تفخر بهذا الختم، لأنه

أقدم ختم لا يزال مستخدماً في كندا، يعود تاريخه إلى عام 1892، عندما افتتح أول مكتب للبريد في ويلتاون.

«ذهبنا إلى مونتريال لحضور زفاف ابنة الأخت، وسيعودان غداً في موعد الاجتماع. ماذا تريدان من بنوا؟»

تراجعت روث عن الشباك وتظاهرت بالبحث عن قطع نقدية. كانت واثقة من وجود إشارات في الدفتر الفرنسي تساعد في اقتفاء أثر ياسوتاني، وأرادت أن يُترجم لها بأقصى سرعة، لكنها ما كانت لتخبر دورا بهذا. وإذا ما اشتهرت موريل بنقل الأحاديث، فإن دورا أسوأ منها، فقد رأت في هذا الفعل جزءاً من مهام منصبها في مكتب البريد، وانتابت روث رغبة غريبة في حماية آن ويومياتها ولم ترغب أن يعرف بهما أحد. كان في المكتب آخرون يتوانون أمام صناديقهم البريدية، متظاهرين بأنهم يقرؤون رسائلهم؛ مربّي محار اسمه بليك، ومعلمة متقاعدة من مدينة موس جاو اسمها تشاندين، وفتاة هيبية شابة كانت تدعى كارن حتى غيرت اسمها إلى بيورتي [نقاء]. لم يتكلم أحد كأن الجميع ينتظرون جوابها.

قالت روث وهي تتناول دورا ثمن الطوابع «أوه. لا شيء مهم. أردت مساعدته في الترجمة فقط».

سألتها دورا «أتقصدان دفتر الفرنسية الذي وجدته على الشاطئ؟»

قالت روث في نفسها اللعنة. إنها موريل. لا شيء يخفى في هذه الجزيرة اللعينة.

سألت دورا «يوميّات أيضاً، ها؟ وبعض الرسائل؟»

لا فائدة من الإنكار. اقترب الآخرون في المكتب من الشباك.
سأل بليك مربى المحار «هل جرفه التيار من اليابان حقاً؟»
قالت روث «محتمل. يصعب القطع بذلك».

سألت تشاندينى «ألا ترين أنك يجب أن تسلميه؟». كانت امرأة
نحيلة متوترة لها شعر أشقر كالخيوط، درّست الرياضيات قبل
تقاعدتها.

سألت روث وهي تمد يدها وتفتح صندوق بريدها «لماذا؟
أسلمه لمن؟»

«إدارة السمك والحياة البرية؟ إلى شرطة الخيالة الملكية
الكندية؟ إذا كان الشيء قد انجرف من اليابان، فأنا خائفة من
الإشعاع، ولا أدري ما رأيك».

اتسعت عينا بيورتي وقالت «أوه، واو. التسرب النووي. هذا
سيمتص تماماً...»

بليك: «سيكون خطراً على المحار».

تشاندينى: «وسمك السلمون أيضاً. كل طعامنا».

قالت بيورتي وهي تزفر وتسحب الكلمات إلى الخارج «قطعاً.
لأنه موجود في الهواء أيضاً، ثم ينزل المطر في الأحواض المائية،
إلى كل السلسلة الغذائية، ثم إلى أجسامنا وما شابه».

نظرت إليها دورا.

قالت الفتاة «ما الأمر؟ لا أريد أن أصاب بسرطان وأنجب
أطفالاً مشوهين.....»

مسد بليك لحيته ثم دس يديه في جيبه. كانت عيناه لامعتين وقال «سمعت أن معها ساعة أيضاً. ساعة كاميكازي⁽¹⁾ حقيقي». قلبت روث بريدها وحاولت تجاهله.

«أنا مهتم بالأشياء التاريخية. هل تسمحين لي برؤيتها يوماً؟» لا جدوى. مدت روث يدها، وتحلق حولها بليك وتشانديني ليشاهدا، لكن بيورتي تراجعت.

قالت «قد تكون هذه ملوثة أيضاً، صحيح؟» روث: «ربما. وما دمت أتيت على ذكر ذلك فأني واثقة منه». مالت دورا من الشباك وقالت «دعيني أرى».

فتحت روث إبريم ساعة جندي السماء وأعطتها إياها، وهي تتدلى من سيرها. كانت الريح في الخارج تعوي، فأخذت دورا الساعة وصفرت.

قالت وهي تلفها حول معصمها «أنيقة». قالت الفتاة «ألا تخافين من التسمم؟» دورا: «عزيزتي، لقد نجوت من سرطان الثدي. لن يؤذيني مزيد من الإشعاع». أبدت إعجابها بالساعة ثم فكت الإبريم وأعادتها إلى روث وقالت «خذي»، ثم غمزت. «مادة مناسبة، ها؟ كيف تجري أمور الكتاب الجديد؟»

(1) كامي تعني «الإله» أو «الرب» وكازي تعني «رياح»، تترجم عادة بالرياح المقدسة أو الرياح الإلهية، وتستخدم للإشارة إلى إعصار يقال إنه أنقذ اليابان من غزو اسطول مغولي بقيادة قبلاي خان في 1281. تشير الكلمة في اليابان إلى هذا الإعصار فقط. أما في اللغات الأخرى فتشير إلى هجمات انتحارية نفذها الطيارون اليابانيون ضد سفن الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، فكانوا يصطدمون بسفن الحلفاء عمداً بطائراتهم المحملة بالمتفجرات والطوربيدات وخزانات الوقود المملوءة بهدف تفجيرها. أصبحت الكلمة تدل على كل العمليات التي يضحي فيها منفذها بنفسه طوعاً. (المترجمة)

أوصل بليك روث بشاحنته، التي تفوح فيها رائحة المحار والبحر. أنزلها في آخر شارعها، وركضت في ممر السيارة الطويل إلى البيت تحت قصف المطر. ساطت هبات الرياح أشجارَ التوب الباسقة، وتأوهت أغصان أشجار القيقب. هذا الشجر سهل الانكسار. قبل بضع سنوات، مات أحد الجيران جراء سقوط غصن كبير على رأسه في العاصفة. يسمونها مرملة الزوجات. وظلت تنظر حذرة إلى الأعلى في جريها، وتساءلت عن مكان الغراب.

كانت الكهرباء متذبذبة، كما قال لها أولفر، فصعدت مسرعة إلى الطابق العلوي لتتفقد بريدها الإلكتروني. حاولت أن تقلل من انشغالها بالبريد الإلكتروني، ولكن انقضت أكثر من ثمانٍ وأربعين ساعة على كتابتها للأستاذ ليستكو وتحرق شوقاً بانتظار الرد. استعرضت صندوق الوارد سريعاً. لا شيء من الأستاذ. ما الخطوة التالية؟

سمعت أولفر في القبو، يعبث بمولد الغاز القديم ويحاول تشغيله. يتبعان نظاماً وقت انقطاع الكهرباء يقوم على إدارة المولد لبث الكهرباء في سلك متشابك يمتد بضعمة متر ويلتف كالأفعى صاعداً من القبو، ويوصل الكهرباء إلى المجمدة والثلاجة قبل أن يلتف في المطبخ ويصعد السلالم إلى مكتبهما. كان السلك خطراً، إذ يسهل أن يتعثر المرء بحلقة من حلقاته ويقع من السلالم. إذا لم يعمل المولد لجأً إلى الشموع والمصابيح اليدوية والقناديل. كان المولد مزعجاً. لولاه ولولا الحضور المطوق للأجهزة -الطنين

ودوران المراوح والمضخات والمحولات- لكان الصمت في البيت مطبقاً. أحبت روث الصمت. لكن المشكلة أنك لا تستطيع تشغيل كومبيوتر أو تصفح الشبكة باستخدام القنديل.

كانت شبكة الإنترنت نافذتهما الأساسية على العالم، ونافذة تُغلق دائماً. فمزود الخدمة لديهما شبكة خلوية من الجيل الثالث، لكن شركة الاتصالات الكبيرة التي زودتهما بالخدمة المزعومة اشتهرت ببيع نطاق حزمة أكبر مما في وسعها تقديمه. يقع أقرب الأبراج على الجزيرة المجاورة، وكان اتصالهما بطيئاً بطئاً ممضاً. تكبر المشكلة صيفاً بسبب الأحمال الزائدة وتزاحم الإشارات، أما في الشتاء فالسبب هو العواصف. يجب أن تنتقل الإشارة عابرة أميالاً من المحيطات المتلاطمة، من خلال الهواء المشبع بالماء، وحالما تصل الإشارة شاطئهما، تسلك طريقها عبر الأشجار الباسقة التي تسوطها الريح.

لكن الشبكة تعمل الآن وتود استغلالها قبل انقطاع الكهرباء. عادت إلى قائمتها الممتدة من الكلمات المفتاحية والإشارات. فطُبعت المستقبل هو أن! فأظهر محرك البحث بضع نتائج عديمة الفائدة: مقاطع مرئية لرجل آلي فرنسي مجهول قابل للبرمجة له مواصفات البشر واسمه آن، وتقرير من المكتب الوطني لمراجعة الحسابات حول ضرورة حماية الصحة المستقبلية للنحل.

«هل قصدت البحث عن: المستقبل هو الآن؟»، سألها محرك البحث مساعداً.

لم تقصد ذلك. عرفت أن الكهرباء إذا انقطعت لن تعود إلا بعد بضعة أيام، فانتقلت إلى المصطلح التالي في قائمتها. لقد

بحثت مطولاً عددًا من المرات عن جيكو ياسوتاني، فوضوية نسوية روائية بوذية، راهبة زن تايشو بل حتى المرأة الجديدة، في توليفات مختلفة. وأضافت لها الآن كلمة جديدة، نبشتها من قراءتها الليلة الفائتة. مياجي، فاسترخت في جلستها وانتظرت. أظلمت الغرفة وكان المصدر الوحيد للإضاءة وميض شاشة الكمبيوتر على وجهها، مربع صغير من الضوء على جزيرة في عاصفة. أحست بالضالة أيضًا. فخلعت نظارتها وأغمضت عينيها وفركتهما.

في الخارج كانت الريح تعوي فعلاً، تلف المطر في دوائر وتجعل البيت بكامله يرتعش ويتأوه. كانت العواصف في الجزيرة بدائية، تقذف كل شيء إلى الورا في الزمن. فكرت في حلمها الثاني في الراهبة، وتذكرت كمّ المرأة العجوز الأسود وهي تومئ، كيف حولت نظارتها الثخينة العدستين العالم إلى لطخة. العاصفة فعلت الأمر نفسه. وهذا الإحساس المروع للانقذاف في العدم، اللاوجود، تحسّس وجهها وعدم العثور عليه. كان الحلم نابضًا بالحياة، مروّعًا جدًا، لكنها نامت بهدوء شديد بعد انتهائه، ولم يوقظها إلا لمسة الراهبة الخفيفة وصوت ضحكة وفرقة.

فتحت عينيها ولبست نظارتها. لم تنزل عجلة المتصفح تدور، وهذه ليست علامة جيدة. الإشارة لا تصل، وفي ربح كهذه فلن يمر وقت طويل قبل أن تسقط شجرة على أسلاك الكهرباء. كانت على وشك أن تحدّث الصفحة وتعيد البحث من جديد عندما أضاء الشاشة وميض ساطع، أم كان برقًا في السماء خارجًا لا تدري، لكن الشاشة أظلمت بعد لحظة، مفرقة الغرفة في العتمة. قُضي الأمر.

نهضت وتلمست طاولة الكتابة باحثاً عن الكشف الذي تحتفظ به على رف قريب، ووجدته وكادت أن تشغله، فدارت سواقة الأقراص وأومضت الشاشة، وأضاء العتمة صفحة نتائج البحث المضيئة. غريب. عادت إلى الطاولة ونظرت إلى الصفحة. لم تكن النتائج كثيرة. نتيجة واحدة فقط، لكنها واعدة. نبض قلبها أسرع لدى قراءتها:

النتائج 1-1 من 1 عن «ياسوتاني جيكو» و«زن» و«راهبة» و«روائية» و«تاييشو» و«مياجي».

جلست وقرّيت كرسيتها أكثر، وتتبع الرابط بسرعة، فاقتادها إلى صفحة لأرشيف على الشبكة لحوليات بحثية. كان الوصول إلى الأرشيف محصوراً بالمكتبات الأكاديمية والمؤسسات المشتركة الأخرى. من دون اشتراك، لا يتوفر إلا عنوان المقال ونبذة قصيرة، ومعلومات النشر. لكنها بداية.

كان عنوان المقال «الشيشوسيتسو»⁽¹⁾ الياباني وتقلب «الأنثى» تقدمت روث وقرأت الملخص الذي يبدأ باقتباس: شوسيتسو وشيشوسيتسو. كلاهما غريب جداً. كما ترى لا رب في التقاليد اليابانية، ليس في السرد وكالة أحادية، وهذا يصنع الفرق كله»

ايروكاوا بوداي

يشير المصطلح شيشوسيتسو، والمصطلح الأكثر رسمية واتاكوشي شوسيتسو إلى فن أدبي ياباني من الرواية السيرية،

(1) فن أدبي من الرواية السيرية. (المترجمة)

يترجم عادة إلى الإنجليزية «برواية الأنا». ازدهرت الشيشوسيتسو إبان حقبة قصيرة من التحرر الاجتماعي السياسي في ديمقراطية تايشو (1912-1926)، وظلت أصداؤها تؤثر في أدب اليابان اليوم. قيل الكثير عن الشكل، عن أسلوبه «الاعترافي»، عن «شفافية» النص و«الصدق» و«الأصالة» في صوت المؤلف. كما استشهد بها في فضاء التدوين بإحالة إلى مسائل الصدق والاختلاق، مبرزة التوتر بين أفعال كشف الذات وحجبها ومحوها.

لوحظ أن رواد الشيشوسيتسو من الذكور بالدرجة الأولى. أما أوائل الكاتبات في الشيشوسيتسو فقد تعرضن للتجاهل، ولعل هذا عائد في الحقيقة إلى قلة الكاتبات المعروفات حينئذ، كما هي الحال اليوم، ولعله بسبب «أن طاقة الكاتبات البارزات العاملات في العقد الأول والثاني من القرن العشرين كانت مكرسة للقضايا النسوية إلى جانب الإنتاج الأدبي»، كما ذكر إدوارد فاوئر في كتابه بلاغة الاعتراف.⁽¹⁾

أناقش هذا الجزم، بأن الإقبال على القضايا النسوية أضرّ بالإنتاج الأدبي، مشيراً إلى أن واحدة من أوائل كاتبات للشيشوسيتسو وظفت الشكل بصورة مبتكرة حية أصيلة. لم يكن هذا التطبيق الأدبي في نظرها، وفي نظر من جاء بعدها من الكتاب، أقل من ثورة.

لا يعرف الغرب هذه الكاتبة. ولدت في ولاية مياجي وانتقلت إلى طوكيو، حيث انصرفت إلى اعتناق سياسة اليسار

(1) بلاغة الاعتراف إدوارد فاوئر. انظر ثبت المصادر (الكاتبة).

المتطرف. وعملت مع جماعات نسوية عديدة، منها سييتوشا⁽¹⁾ وسيكيرانكا⁽²⁾، وكتبت إلى جانب المقالات والبحوث والقصائد رواية سيرية عنوانها أنا-أنا⁽³⁾.

عام 1945 مات ابنها، الذي كان متطوعاً وطياراً مجنداً في التوكتاي (القوات اليابانية الخاصة التي تعرف أيضاً باسم كاميكازي)، فجرت شعرها ترهباً وأقسمت يمين راهبة الزن البوذية.

اسمها ياسوتاني جيكو، رائدة «لرواية الأنا» التي أبعدت نفسها من....

<اقرأ المزيد...>

ها هو، الاسم، ياسوتاني جيكو، على شاشة الكمبيوتر. لم تدرك روث كم انتظرت بشوق هذا التأكيد من العالم الخارجي على وجود راهبة أحلامها، وأن آن ويومياتها حقيقية ويمكن اقتفاء أثرها.

تقدمت إلى الأمام عازمة على الفوص أكثر في طبقات المعلومات التي كان الملخص بوابة لها. أرادت معرفة كل شيء

(1) جمعية الجوارب الزرقاء (الكاتبة) حركة نسائية تعليمية واجتماعية غير رسمية نشأت في إنجلترا منتصف القرن 18، وقد ركزت الحركة على التعليم والتعاون المتبادل. تأسست في بدايات 1750. تفيد بعض الروايات رواية بأن ستيلنجفليت كان فقيراً ولم يتمكن من لبس الزي الرسمي الذي يشمل جوارب حريرية سوداء، فكان يلبس الجوارب الصوفية الزرقاء؛ ومن هنا جاء الاسم ليعبر عن عدم رسمية هذه التجمعات. (المترجمة)

(2) جمعية الموجة الحمراء (الكاتبة)

(3) العنوان مقتبس من قصيدة ليوسانو أكيكو عنوانها «خواطر حائرة»، نشرت في العدد الأول من مجلة سييتو. انظر الملحق ج (الكاتبة)

عن جيكو ياسوتاني، وألا تكتفي بشذرات المعلومات التي لاحت
بغير نظام في يوميات حفيدتها. وانتابها إحساس صادق ومفاجئ
بالقربة مع هذه المرأة التي تنتمي إلى زمان ومكان آخرين،
المنصرفة إلى أفعال من كشف الذات وحجبها ومحوها. كانت
تأمل أن يضم المقال ترجمة لجزء من رواية الأنا، التي باتت
تواقة إلى قراءتها. سيجدي نفعا إدراك صوت جيكو وأسلوبها في
الكتابة.

نقرت على رابط < اقرأ المزيد... > في نهاية الملخص
وانتظرت. أخذت الصفحة تحمّل ولكن حل محلها «لم يعثر على
الخادم». مزعج. ضغطت زر الرجوع، لكنها حصلت على النتائج
نفسها. تذبذب ضوء الشاشة. حاولت العودة واستعادة الصفحة
الأصلية، وقبل التحديث انطفأت الشاشة وانقطعت الكهرباء،
بهدوء هذه المرة، ولكنه انقطاع حاسم. انتابتها رغبة في البكاء.
من أعماق القبو سمعت أولفر يكيل الشتائم، وهبت رائحة الغاز
صاعدة السلالم. تعطل المولد من جديد، وفاض المحرك. أحيانا
تستغرق شركة الكهرباء أياما لإصلاح الخطوط وإعادة الخدمة.
حتى ذلك الحين، سيبقيان في الظلمة.

-5-

استمر انقطاع الكهرباء الصباح التالي، لكن الريح همدت
وتوقف المطر. أراد أولفر بعد الإفطار الذهاب لجمع أعشاب
البحر من أجل الحديقة. فأعشاب البحر سماد ممتاز، والشواطئ
مغطاة بها بعد هبوب الريح الجنوبية الشرقية. حملا الشاحنة
بالمذاري والقماش المشمع وقطعا الجزيرة. لدى اقترابهما من

الطريق الفرعي المؤدي إلى جاب رانش، شاهدًا سيارات مركونة على امتداد الطريق.

قال أولفر «فكر كثيرون بالأمر نفسه».

لكن هذا غريب. كانت السيارات كثيرة جدًا، أشبه بحفلة صاخبة أو جنازة لا بضعة بستانيين يجمعون أعشاب البحر بعد عاصفة. قالت روث «تُرى هل يحدث أمر آخر؟ هذا محبط. يجب أن نركن السيارة ونمشي».

أفرغا حمولة الشاحنة واتجها نحو الشاطئ. وعند وصولهما إلى الساتر الترابي لمحا موريل. كانت تقف على الحافة وتطل على الشاطئ. فأشارت لدى رؤيتها أولفر وروث يقتربان قائلة «انظرا».

تفرق الناس على الشاطئ، وهذا أمر غريب في حد ذاته. حتى في الصيف، في ذروة موسم السياحة، لم تزدهم شواطئ الجزيرة قط، وفي وسعك قضاء النهار كله في السباحة والتنزه والبحث عن البقايا الأثرية، ولن ترى أكثر من حفنة أشخاص آخرين يفعلون ما تفعل.

لكن الناس اليوم انتشروا بين الحين والحين في طول الشاطئ وعرضه. حمل بعضهم القماش المشمع وجمع أعشاب البحر، لكن الآخرين اكتفوا بالتنزه وأنظارهم مسمرة إلى الأمام، يتجولون جيئةً وزهابًا كالآلات. عرفت روث بعضًا منهم، وآخرون لم ترهم قط.

سأل أولفر «ما الذي يحدث؟»

موريل: «قمّامون. يبحثون عن أشياء من اليابان. في مضماري». كانت تلف طرف جديلتها الطويلة الشبياء حول إصبعها، علامة أكيدة على حنقها. وصلت إلى هناك باكراً، وسرعان ما بدأ الآخرون يتوافدون.

قالت ساخرة «هواة. هذا كله بسببك كما تعرفين. لقد انتشر الخبر عن كيس المجمدة، وأخذ أحدهم في مكتب البريد يتكلم عن المال الذي انجرف من اليابان».

تذكرت روث أنها قرأت الخبر في موقع جاپان تايمز. كان غالبية ضحايا التسونامي مسنين خبؤوا مدخراتهم في البيوت، يخفونها في الخزائن أو تحت أرضية التاتامي. وبعد أن جرفت الموجة بيوتهم، انجرفت مدخراتهم وابتلعها البحر. أخذ البحر بعد بضعة أشهر يلفظ سرقاته ثانية، وبدأت خزانات الأموال والقاصات تنجرف إلى الشواطئ. كانت مليئة بالنقد وغيره من الأشياء الثمينة، لكن السلطات رأت استحالة معرفة هوية مالكيها، أو معرفة إن كانوا على قيد الحياة. أما من عثر على شيء منها فأبقاه لنفسه.

عاينت روث الشاطئ. كان القمامون ذاهلين، كأنهم زومبي، أموات يمشون. هذا مروع. «هل وجد أحد منهم شيئاً؟» «لم أسمع بشيء من هذا. صدقاً، كان كيس المجمدة ضربة حظ، ومعجون الأسنان أيضاً. واصلت إخبارهم بأننا بعيدون جداً داخل البلاد، لكن اللُقط الحقيقية تكمن في المحيط الفسيح، على امتداد الساحل الخارجي. لن نرى أشياء جيدة كثيرة تنجرف إلى هذه المسافة. لكن أصدقاءنا هنا لا يصغون».

«لا يمكنهم الاحتفاظ بالمال إن عثروا على شيء منه».

«ولم لا؟»

«لأنه مال الضحايا. هذه مدخراتهم. معظمهم مسنون...»

«هذه الحال هنا».

قال أولفر «عدا ألا أحد يملك خزنة. لا يملكون المال».

ضحكت موريل. «أنت محق. الشيء الوحيد الذي سينجرف

من هنا أكياس الحشيش».

شعرت روث باحمرار وجهها فقالت «هذه ليست مزحة. أنتما

مريعان، كلاكما».

رفعت موريل حاجبها «قانون تمشييط الشواطئ يقول الساقط

للاقط. هذا قانون قديم جداً. ثم أرى أنك ما زلت تضعين

الساعة...»

نظرت روث إليها شزراً ووضعت مذكراتها على كتفها فقالت

«أحاول العثور على مالكها. وأنوي الاستمرار في المحاولة حتى

أجده»، والتفتت إلى أولفر «هل سنجمع أعشاب البحر؟»

تقدمت نحو الشاطئ. ومن زاوية عينيها رأت أولفر يرفع

كتفيه ويبتسم لموريل ابتسامة خانعة فزادها هذا حنقاً. توقفت

واستدارت نحو موريل «ثم إن هذه ليست غلطتي. ما كان عليك

إخبار الجزيرة اللينة بكاملها عن كيس المجمدة».

هزت موريل رأسها. وتهدلت خصل من الشعر الأشيب على

وجهها فأبعدتها. «صحيح. أنا آسفة. الحقيقة أنني أخبرت بضعة

أشخاص، لكنك تعرفين مجرى الأمور. لم أتمالك نفسي، فالأمر

مثير. أنا أعيش من أجل القمامة».

جيكو العجوز تحب أبي صدقًا، على الرغم من كل مشكلاته، وهو يحبها أيضًا. لطالما قالت إنه حفيدها المفضل. صحيح أنه حفيدها الوحيد، لكنها كانت تمزح، وعلى أي حال عرفت أنه لا يجدر بالراهبات أن يكون لهن مفضلات في الكائنات الحاسة. وحين أفكر في الأمر الآن، أرى أنها ربما أحبته لأن مشكلاته تمنحها الكثير لتصلي من أجله، وإذا بلغت من العمر ما بلغت وجسدك مكتفٍ سلفًا، فأنت تحتاج أسبابًا قوية للبقاء على قيد الحياة.

تعيش في معبد صغير بجانب جبل يقع قرب الشاطئ، وعلى الرغم من صغر المعبد، فإن له اسمين: هيوزان جيفنجي⁽¹⁾. تشبث المباني الصغيرة بجانب الجبل الشاهق وأحاطتها غابات من السوغي⁽²⁾ والخيزران. لن يخطر لك عدد العتبات التي عليك ارتقاؤها كي تصل إليه، وعندما يكون الجو حارًا في الصيف تظن أنك ستموت من نوبة قلبية أو ما شابه. هذا مكان يجب أن يستخدم مصعدًا، لكن بوذيي الزن لا يعبؤون بوسائل الراحة

(1) بحثت في غوغل عن هذين الاسمين ولم أجد شيئًا. كتبت آن الاسمين بالروماجي، وأنا أعرف لفظها فقط. جربت تخمين الأحرف بالكانجي لكني لم أخرج بتركيب يمكن تحديده على الخريطة. انظر الملحق د لبعض احتمالات التهجئة بالكانجي لهيوزان وجفنجي، إلى جانب معلومات أخرى حول الأسماء التعريفية للمعابد اليابانية. (الكاتبة)

(2) سرو اليابان (الكاتبة)

الحديثة. أقسم إن الذهاب إلى هناك يعني السفر ألف عام إلى الوراء.

وافق أبي على اصطحابي بالقطار إلى سندي، وخروجه من الشقة في النهار لأمر عظيم. أعرف أن الأمر يثير توتره، وزدته أنا توترًا. فقد خطرت لي الفكرة الطفولية بأن نعرّج قليلاً على دزني لاند في طوكيو لأصافح ميكى شان. أعرف أن هذا ليس واقعياً لأن دزني لاند طوكيو لا تقع على الطريق إلى سندي، ثم إن أبي يصاب بالهلع بين جموع الناس، لكنني رغبت بالذهاب بشدة. فميكى شان من كاليفورنيا، وأنا كذلك، وخطر لي أنه هو الآخر مصاب بالحنين، فتوسلت أبي وتوسلته، لكنه قال لا طبعاً. أظن أن طلبى سيبدو معقولاً في ظرف عائلي عادي. أعني أن التجول مع ميكى شان لبضع ساعات ليس ثمنًا كبيراً تدفعه مقابل التخلص من طفلك طوال الصيف. لكن ظرف عائلتنا ليس عادياً، وأعرف أن أبي ليس من هواة دزني لاند. ولو بذلت جهداً لغفرت له هذا ولاستمتعنا بركوب القطار معاً، لكنني عبست وأشعرته بالذنب والبؤس كل الطريق، وصدقاً لم أفرح بهذا أيضاً. وعدني في النهاية أن نذهب إلى دزني لاند عندما يأتي لأخذي وإعادتي إلى البيت.. فابتهجت قليلاً، مدركة أنه ينوي البقاء على قيد الحياة في إجازتي الصيفية.

كان متوتراً جداً في محطة طوكيو، واضطررنا إلى الوقوف ساعة تحت لوحة الرحلات المغادرة حتى عرف أي قطار سريع نأخذه وأي تذاكر نشترى، فذهبنا إلى الرصيف الخطأ وانتهى بنا الأمر إلى يامايكو شبه المحلي، بدلاً من كوماتشي السريع،

لكنه لم يهتم ولو وقفنا في كل محطة على الطريق، والحق أني لم أهتم أيضًا. فقطعنا ضواحي طوكيو التي تستمر إلى الأبد، ثم قطعنا بعض المناطق الصناعية، عابرين مصانع هبها الدخان وتجمعات لأبراج سكنية قبيحة ومراكز تسوق ومواقف للسيارات، واستمرت أبواب القطار تفتح وتغلق، والناس يركبون وينزلون، ودفعت سيدات القطار بزيهن القصير عربات بنتو في الممرات، وهن ينادين «أوبنتو وا إيكاجا ديسو كا؟ أوتشا وا إيكاجا ديسو كا؟»⁽¹⁾ فشعرت بالجوع فجأة واشتهيت بنتو من الإنقليس المشوي الحلو، ولكني تذكرت لما كدت أطلب من أبي أن آخر مرة تناولنا فيها الإنقليس المشوي الحلو وقت احتفالنا بعمله الجديد، وتذكرت كذوبته، فتلاشت شهوتي إلى الإنقليس وطلبت شطيرة بيض. أكلتها وأنا أحرق إلى خارج نافذة القطار على وجهي المنعكس وهو يجري في المشهد الطبيعي كالشبح. كان كل شيء في الخارج قذرًا رماديًا أو بلون الأسمنت، ولكن بين الفينة والأخرى تسطع خضرة حقول الأرز الصغيرة مثل زمرد نفيس، وكلما ابتعدنا عن طوكيو اخضر العالم أكثر.

عندما وصلنا إلى سنداي، انتقلنا إلى قطار محلي أخذنا إلى أقرب بلدة إلى معبد جيكو، وأجهدنا أنفسنا ونحن نضع حقيبتنا المدولبة في حافلة قديمة مليئة بكبار السن لتأخذنا إلى قريتها. في طريق الخروج من المدينة، مررنا ببعض متاجر البقالة الصغيرة والمقاهي ومدرسة ابتدائية، ولكن لا شيء أكثر

(1) أتود الحصول على وجبة غداء؟ أتود شرب الشاي؟ (الكاتبة)

من هذا صدقًا: مصنع لتعليب السمك، قاعة للعب الباتشينكو، محطة وقود ومتجر 7 إلفن، دكان تصليح سيارات، نصب على جانب الطريق، مجموعة من الحقول الصغيرة. وكلما تقدم بنا الطريق ازدادت المسافات التي تفصل بين المباني حتى أدركت آخر المطاف أننا في الريف لأنه جميل. كأنك في فيلم أنمي، وحافلتنا الصغيرة تفرقع، وتلتف حول الجبال وتعانق الجروف. رأيت في الأسفل الأمواج تتكسر على الصخور المجنونة، وربما مررنا أحيانًا بشاطئ صغير، كفسحة رملية حشرت في المسطح الصخري.

أحببت الذهاب إلى الساحل الشمالي في كاليفورنيا، إلى مارين أو سونوما أو همبولت، وكان للقدوم هنا الشعور نفسه قليلًا، عدا أن كل شيء في اليابان أكثر اخضرارًا وفيه الكثير من الأشجار ولا شيء من البيوت الفخمة. بل تناثرت قرى صيد سمك صغيرة على امتداد الساحل، فيها تجمعات للقوارب والشباك وعوامات المحار تبرز على الأمواج، ومناشر السمك التي علق عليها ليحف كالفسيل بجوار البيوت. توقفت الحافلة مئة ألف مرة في أماكن لا تشبه مواقف الحافلة، إذ ليس فيها إلا مقعد طويل على جانب الطريق، أو علامة طرقية صدئة على عمود، وأحيانًا سقيفة تشبه المكان الذي تحفظ فيه مضخة الترشيح لحوض المياه الساخنة إذا كنت تعيش في كاليفورنيا. في كاليفورنيا كثير من الأماكن الهضبية شديدة الانحدار أيضًا، لكنني لم أشعر بأن المكان الذي تسكنه جيكو سيضم كثيرًا من أحواض المياه الساخنة أو قصور المشاهير.

لم يبقَ في الحافلة ركابٌ كثيرون، أنا وأبي وعدد من السيدات الهرمات صدقًا اللاتي يضعن تينوغوي⁽¹⁾ على رؤوسهن، وظهورهن محنية في زوايا مستقيمة. كان السائق شابًا نحيلًا رائع الجلسة. لبس قبعة صغيرة أنيقة وقفازين قطنيين أبيضين للقيادة، وكلما مال إلى جانب الطريق ليتوقف، انحنى ولمس طرف قبعته بأصابعه المقفزة. كاكويي جدًّا⁽²⁾.

ازداد الطريق ضيقًا وانحدارًا، يتعرج صاعدًا بجانب شعب عميق عندما توقف السائق من جديد. نظرت من النافذة إلى الجبل الذي تغطيه الأشجار، منتظرة رؤية مقعد أو علامة طرقية صدئة، لكنني لا شيء هذه المرة، إلا الجبل في جانب والجرف الذي ينحدر إلى الوادي في الجانب الآخر. لكنني أعدت النظر إلى الجبل، فرأيت بوابة حجرية عتيقة، تخفيها الأشجار وتغطيها الأشنات الندية، وعتبات حجرية تفضي إلى البوابة وتختفي في الظلمة.

فتح باب الحافلة ولمس السائق قبعته، فنظرت السيدات العجائز إلينا مترقيات.

قال أبي «لقد وصلنا يا آنزو. هلا ترجمنا». كان يتكلم الإنجليزية لسبب ما. لم يصبح طليقًا بالإنجليزية، ولكنه إن تكلم بها بدا مهذبًا ومثقفًا، ولن يخطر لك أنه الرجل الذي سيخسر كل ماله في مقامرة غير شرعية ويرقد على سكة القطار. زعقت قائلة «هنا؟». حسبته يمزح.

(1) 手ぬぐい قماش قطني رقيق يستخدم غطاء للرأس أو منشفة (الكاتبة)

(2) かつこいい أنيق أو ظريف أو راقٍ (الكاتبة).

لكنه نهض سلفاً، وكانت السيدات العجائز يتبسمن ويهزرن رؤوسهن ويقلن أشياء كأنهن يعرفن من نكون، وهز أبي رأسه لهن وأنا أناور بحقيبتَي المدولبة في الممر الضيق ولأنزلها من عتبة الحافلة. كان السائق يراقب في المرأة، وعندما رأى محاولاتي هب للمساعدة آخذاً مني مقبض الحقيبة. ترجلت ووقفت على جانب الطريق، أنظر إلى الحافة المخيفة للجرف الشاهق الذي يهوي إلى الوادي ويؤدي إلى البحر. لمحت الماء، يتلألأ ويبرق كأنه وعد بالخلاص.

أشحت عن المحيط ونظرت إلى الجبل. لا أرى بناء. بوابة حجرية، أشنات، عتبات داكنة تقود إلى لامكان. ترجل أبي من الحافلة ووقف بجواري، وأعطاه السائق الحقيبة. نظرت إلى العتبات الحجرية وبدأت أدرك الأمر، فجذبت كمّ أبي.

«أبي...؟»

لكن السائق انحنى لأبي، ورد له الانحناء وصعد السائق إلى مقعده وأغلق الأبواب وحرك الحافلة، فزعقت الإطارات على الحصى، وسرعان ما بتنا أنا وأبي وحيدين على جانب الطريق، نراقب المصاييح الخلفية للحافلة الصغيرة تلمع وتغمز وهي تختفي عند المنعطف.

غدا كل شيء هادئاً فجأة، ولم نسمع إلا الريح في الخيزران، الذي يشبه صوت الأشباح. نظرت إلى حقيبتَي المدولبة على التراب بجواري. كانت زهرية اللون، عليها صورة لهلوكتي. بدت وحيدة وحزينة جداً.

أدركت الأمر حينئذ. سيتركني أبي هنا. سنجر الحقيبة صاعدين الجبل أولاً ثم سيتركني هناك مع راهبة عجوز صادف أنها جدتي الكبرى التي لا أعرفها إلا قليلاً، لقضاء إجازة الصيف كاملة.

قال أبي قاطعاً الطريق نحو الدرجات الشاهقة. «طيب! هيا! لنبدأ التحدي!»

انقبضت حنجرتي وأخذ أنفي يحكني من الداخل. بحكم عاداتي، كرزت على أسناني لأوقف الدمع مثلما فعلت عندما ركلني الأولاد في محاكمة الكاغومي في المدرسة، ثم خطر لي تباً لكل ذلك، يجب أن أبكي. يجب أن أعوي وأصرخ وأثير زوبعة، لأنني لو بدوت مثيرة للشفقة فلربما شعر أبي بالأسى على حالي وأعادني إلى البيت. نشقت قليلاً ونظرت إليه لأتأكد أنه انتبه، لكنه لم ينتبه لي إطلاقاً. كان ينظر إلى الجبل، وأشرق وجهه كأنه متحمس ولا يريد إظهار ذلك. لم أره متحمساً منذ عشنا في سنيفيل ودعاه واحد من أصدقائه المبرمجين للذهاب إلى صيد السمك بالصنارة. كانت رؤية حماسه جميلة، فتبعته قاطعة الشارع أجر حقيبتني فوق العتبة الأولى وإلى الأعلى وهي تخبط خلفي.

كو... لك.

كانت الحقيبة ثقيلة، ملئت كتباً يجب أن أدرسها في إجازة الصيف. كو... لك. تاريخ اليابان القديم. كو... لك. الشؤون اليابانية الحالية، كو... لك. القيم والمبادئ الأخلاقية اليابانية. كو.... لك. كو... لك. كنت أتصعب عرقاً وأوشك على

الاستسلام، لكن أبي يتقدمني وينتظرني، وهو يرنو متلهفًا إلى الدرجات الصاعدة.

قال «كنت في صباي قادرًا على الصعود جريًا إلى القمة، ولعلي ما زلت قادرًا على ذلك...»

ولكنه اقترب وأخذ مقبض الحقيبة مني، فسمحت له هذه المرة. فقد حاول مساعدتي بها في قطار الأنفاق، وفي القطار وعندما ترجلنا من الحافلة، لكنني قلت له أن ينسى الأمر. أعني، تخيل الأمر؛ رجل في منتصف العمر له شعر مدهن وعينان حمراوان كالدم وكثفان مهدلتان، يجر حقيبة مدولبة زهرية اللون عليها صورة هلو كتي خلفه. أكنت لتترك أباك على الملاء هكذا؟ هذا مثير للشفقة. لبدا حينها هيناتي حقيقي، وهو ليس كذلك. ربما كان هيكوكوموري، لكنني أحبه. ما كنت لأطيق تحديق الناس إليه.

ولكن لا أحد ليرانا هنا.

قال «ها يا آن شان! فلنذهب!»

صعد الدرجات وهو يدفع الحقيبة أمامه وتبعته وارتيقينا سويًا. كلما ارتفعنا أكثر ازدادت الغابة كثافة وحرارة أيضًا. فقد سال العرق من إبطي. كان الحجر زلًّا، ليس بفعل المطر بل بفعل الرطوبة التي جعلت كل شيء لزجًا، حتى الهواء. ذكّرتني بالضباب في سان فرانسيسكو، عدا أن الضباب يبرّد الهواء، والهواء هنا أسخن من ساونا والدّة كايلّا رغم النسيم. زحفت الطحالب فوق كل شيء كالطفح الجلدي، تتزّ من بين الصدوع في الحجر. واصل أبي صعوده. خطوة، أخرى، أعلى أعلى. كنا جيشًا من شخصين،

هو وأنا، نصعد جبلاً، ولكن ليس لهزيمته. كنا ننسحب، جيشاً مهزوماً يفر هارباً.

ثقب الهواء طنينٌ حشرة حادٍ عالٍ مثل سلك مهتز يعلو ويعلو. مي... ميي... ميبببببببب لا أذكر متى بدأ الصوت. ربما كان موجوداً كل الوقت، داخل رأسي، غير أن أحداً رفع الصوت حتى باتت جمجمتي ترتج مثل مضخم الصوت، تخرج الطنين مدوياً إلى العالم. وضعت أصابعي في أذنيّ لأرى إن أمكنني التحقق من الضجيج هل هو في الداخل أم في الخارج، ورآني أبي.

قال «مي مي زيمي»⁽¹⁾. توقف وأخرج منديله وجفف به العرق عن عينيه، ثم مرره على رقبته كأنه يتشّف في النادي الرياضي، عندما اعتاد ارتياد النادي الرياضي في سنيثيل. «لا ينادي منها إلا الذكور».

أردت سؤاله عن السبب، لكنني لم أرغب بسماع جوابه. عقد منديله حول عنقه ووقف هناك، ناظراً إلى مظلة الغابة وعلى وجهه نظرة غريبة نائية.

«أذكر هذا الصوت من أيام صباي. إنه ناتسو نو أوتو»⁽²⁾. كان يقف أعلى مني ببضع عتبات، وبدأ فارع الطول وخطر لي وأنا أشاهده أنني ربما فهمت نظرته النائية. ربما كانت سعادة. أظن أبي سعيداً.

(1) *Oncotympana maculaticollis* ミンミンゼミ نوع من الزيزيات اليابانية (الكاتب). أونكوتيامپانا ماكيولاتيكولس، وهو نوع نادر من الزيزيات تحميه الحكومة. اسمه في اليابان مستمد من صوته «مي مي زيمي» وهي أغنية الذكر. (الترجمة)

(2) 夏の音 صوت الصيف (الكاتب).

في نظري كانت أصوات الصيف السعيدة نائية أيضًا. كانت شاحنة غود هيومر للمثلجات وصفارة حارس الشاطئ والمرشة الآلية تتضح في الشفق، وأزيز الأضلاع في مشواة أحدهم، وخشخشة عصير الليمون والثلج في الكؤوس الطويلة المغمبة. كانت آلات جز المرج واجتثاث الأعشاب الضارة والصغار يلعبون ماركوپولو في حوض سباحة أحدهم. انسدت حنجرتي بهذه الذكريات السعيدة مثل مجرى صرف قديم.

كو... لك. كو... لك. عاد أبي للصعود. مسحت عيني وتبعته. وماذا أفعل سوى ذلك؟ عليّ النظر إلى الجانب المشرق واستخلاص الحسن في كل شيء. لم يخطف أبي الحافلة ويقدها بعيداً عن الجبل، ما زال معي هنا، وربما... ربما لن يفادر. ربما في وسعي فعل شيء ليبقى. ولكن على الرغم من وعده لي بالعودة وأخذي في نهاية إجازة الصيف والذهاب بي إلى دزني لاند، ماذا لو لم يأت؟ ماذا لو لم يستطع الطبيب الخاص علاجه؟ أو ماذا لو اشتدت به الرغبة في الموت في طريق عودته، وقذف بنفسه فجأة على السكة أمام قطار دزني لاند القادم السريع؟ فهو لا يكثر حقاً بمصافحة ميكى شان. إلى أي حدّ يمكن الوثوق بوعد قطعه شخص نزاع إلى الانتحار؟

-2-

صعدنا وصعدنا، ارتقينا وارتقينا، من غير أن نقول الكثير، فكل منا مشغول بأفكاره. كان أبي يفكر في صباه، وكنت أفكر في أبي. هل يساور القلق كل الصغار على الصحة النفسية لذويهم؟ في عرف المجتمع يفترض أن يكون الأهل هم البالغون والذين يعتنون

بالصغار، لكن الأمر يكون بالعكس في أحيان كثيرة. صدقًا لم ألتق بكثير من الراشدين في حياتي ممن أسميهم راشدين، وقد يكون ذلك لنشأتي في كاليفورنيا، إذ بدا أهل كل أصدقائي غير ناضجين. كانوا كلهم يتلقون علاجًا نفسيًا، ويترددون أحيانًا على حلقات نقاشية لتطوير الشخصية وصوامع للإمكانات البشرية⁽¹⁾، ويعودون منها بنظريات وأنظمة غذائية مجنونة وفيتامينات وتصورات وطقوس ومهارات في العلاقات حاولوا تجربتها على صغارهم بغية بناء تقديرهم لذواتهم. ولما كنت يابانية، لم يهتم أبواي بتقدير الذات، بل إنهما لم يعبأ بكل تلك الأمور النفسية، وإن كان صديق أبي أستاذًا في علم النفس. كان لطيفًا، رجلًا مسنًا اشتهر في ستينيات القرن الماضي بتعاطيه المخدرات والانتشاء وتسمية ذلك بالبحث، فيُخِيلُ إليك أنه غريب الأطوار ولعله غير ناضج هو الآخر. لا يعني هذا أنني خبيرة، فأنا لست إلا مراهقة ولا يفترض بي معرفة الكثير، ولكن في رأيي المتواضع، جيكو العجوز هي الراشدة الحقيقية الوحيدة التي رأيتها في حياتي، وربما عاد هذا إلى كونها راهبة، وربما لطول بقائها على الأرض. هل يجب أن يعيش المرء مئة عام ليكون راشدًا؟ يجب أن أسألها هذا السؤال.

انتظر لحظة....

(1) نشأت حركة الإمكانات البشرية من بيئة الثقافة المضادة في ستينيات القرن العشرين وتشكلت حول مفهوم زراعة الإمكانات غير العادية التي يعتقد مؤيدوها بوجود طاقة غير مستقلة في جميع الناس. يعتقد أتباع هذه الحركة أن الأثر الصافي للأفراد الذين يزرعون إمكاناتهم سيحدث تغيرًا اجتماعيًا إيجابيًا. (المترجمة)

«اسمعي يا جيكو، ما العمر الذي يكون فيه المرء راشداً حقيقياً؟ ليس في جسده بل في عقله أيضاً؟»
هذا ما أرسلته لها، وسأعلمك بردها حال وصوله. ربما يستغرق هذا بعض الوقت لأنه وقت الزاين في المعبد. الزاين هو التأمل الذي يمارسونه هناك، ويختلف عن التأمل في كاليفورنيا، أو أنه مختلف في نظري على الأقل، وما يدريني أنا؟ فأنا لست إلا طفلة كما قلت.

أين كنت؟ أوه صحيح، كنا نصعد العتبات إلى المعبد. اللعنة، أنا سيئة في هذا. يخطر لي أحياناً أنني مصابة باضطراب نقص الانتباه أو ما شابه. ربما أصابني في كاليفورنيا، فالكل هناك مصاب باضطراب نقص الانتباه، ويتناولون الأدوية له، ويواظبون على تغيير الوصفات وتعديل جرعاتهم. ولطالما شعرت أنني معطوبة لأنني لم آخذ أدوية أتكلم عنها لأن والديّ يابانيان ولا يعرفان الكثير عن علم النفس، فأطبقت فمي. لكن أحدهم لاحظ ذات يوم في فسحة الغداء أنني لا آخذ أي أقراص، وتدخلت كايلا للذود عني. والحق أنها أقصتني بالطف الطرق. فقد نظرت إلى الصبي نظرة استعلائية وقالت «لا تحتاج آن إلى الدواء فهي يابانية». أعرف أن هذا يبدو قاسياً، لكن أسلوبها في قوله جعلت من كوني يابانية أمراً جميلاً، كأني أتمتع بالصحة أو ما شابه، فرفع الولد كتفيه وسكت.

كان لطفاً من كايلا أن تدافع عني، لكنني صدقاً لا أراني أتمتع بالصحة. أنا واثقة من إصابتي بكل أنواع المتلازمات ومنها اضطراب نقص الانتباه واضطراب نقص الانتباه وفرط

النشاط والكرب التالي للصدمة والاكتئاب الهوسي، إلى جانب الميول الانتحارية التي تجري في دماء عائلتي. قالت جيكو إن تأمل الزازن لن يشفيني من كل متلازماتي وميولي لكنه يعلمني ألا أشغل بها كثيرًا. لا أدري عن فعاليتها، ولكنها منذ علمتي إياه فأنا أحاول ممارسته كل يوم -ربما يومًا بعد يوم، أو مرتين أسبوعيًا- وحين أتذكر هذا أرى أنني ما زلت نزاعة إلى قتل نفسي، الحق أنني لم أمارسه بعد، وإذا ما ظللت على قيد الحياة ولم أمت، فلعله يفيدني.

-3-

أين كنت؟ أوه، المعبد. صحيح. كنا نصعد العتبات ورأينا أخيرًا البوابة الرئيسة للمعبد، التي كانت في القمة، وبدت ضخمة، كأنها فم لوحش حجري رهيب، تغطيه الطحالب والأشنيات الزاحفة وتتوعدنا، تكاد تسقط على رؤوسنا وتسحقنا حتى الموت. المكان المناسب الذي يتربص فيه الشبح لملاحقة الأحياء. أدركت لاحقًا أنها ليست بوابة ضخمة كما هي الحال في المعابد المهمة. بل إنها صغيرة، لكنها من الأسفل في أول يوم لي بدت عملاقة. كنت متعبة من جرجرة أقدامي لصعود كل هذه العتبات، وأهلوس من الحر، ونؤمني مغناطيسيًا صوت الزيزيات والكو... لك، كو... لك من صوت عجلات حقيبتني، ومذعورة جدًا أيضًا وأنا أفكر في تخلي أبي عني هنا في هذا المكان المخيف. لحظة رأيت البوابة خطر لي أن أدير لها ظهري وألقي بنفسي رأسيًا من العتبات الحجرية أو أسقط سقطة حرة إلى الوراء على الطراوة الشبيهة بالوسادة للخلود، ولا يهمني إذا ارتددت وخبطت مثل رأس

ملفوف كل الطريق إلى الأسفل حتى أصل السفح وأتدحرج إلى البحر، لأنني عندئذ سأكون بأمان وميتة.

ارتجفت ساقي. وبدت رصفتاي شبيهتين بقنديل البحر الذي اعتادت أُمِّي مراقبته في المَرَبِي المائي في المدينة، ولفح شيء قسبة ساقي المكشوفة، فتجمد الدم في عروقي كأنني صعقت بجهاز الصاعق. تاتاري! هذا ما خطر لي، فقفزت وزعقت وأخذ أبي يضحك، وفي اللحظة البوذية التالية وجدت نفسي أنظر إلى عيني خضراوين بلون الطحالب لقط صغير ذي لونين أبيض وأسود. نظر إليّ نظرة جانبية، وأدار ظهره وأخذ يفعل ما تفعله القطط، يتلوى بين ساقي، مقوسًا ظهره وناصبًا ذيله مستقيمًا في الهواء وهو يمد كفيه الأماميين، ليس نحوي بل بعيدًا عني، مديرًا لي مؤخرته لأحكما، إلى جانب منظر لطيف لإسته المجمع وخصيتيه البيضاوين الفرائثيتين العملاقتين. عادة، عندما يدير لك قط مؤخرته لتحكما فعليك أن تفعل ذلك ولا تهتم بباقي الأشياء. كان فراؤه ناعمًا وحارًا، وأخذ جرس المعبد يقرع بصوت شديد العمق جعل نصال الخيزران ترتجف، وأبي، الواقف قرب البوابة الحجرية، نظر ناحية المعبد وهمس إلى لا أحد:

«تادима...»

وهذا ما تقوله عند عودتك إلى البيت.

نقف القط الصغير ذو الخصيتين العملاقتين ذيله وقادنا إلى الممشى، فسمعت صوت صفع الصنادل على الحجر، وجاءت موجي تركض لاستقبالنا. كانت تلبس منامتها الرمادية، وعقدت حول رأسها منشفة بيضاء. حملت القط بين ذراعيها وتأبطته ثم

ضمت راحتي يديها دون أن تنزل القط انحنت انحناء عميقة من الخصر.

قالت «أوكايرينا سايماسي، داناساما⁽¹⁾»، وهذا يعني شيئاً يشبه ما تقوله الخادومات الفرنسيات في مئزر فيفي الوحيد عندما يعود أسيادهن إلى البيت.

تلك الليلة أقاموا حفلة ترحيباً بنا، وإن لم تكن حفلة حقيقية فليس فيها إلا أنا وأبي وجيكو وموجي وعدد من السيدات العجائز من الدانكا اللاتي يقضين وقتاً طويلاً في المعبد ويساعدن في الطبخ والحديقة والصلوات الدينية وما شابه. قبل أن نأكل، اغتسلنا واحداً فواحداً في الأوفورو⁽²⁾، الذي تمده بالمياه الينابيع الكبريتية الساخنة. ذهب أبي أولاً، لأنه رجل، وسيكون هذا مفتقراً للصوابية السياسية في سنيفيل ولكن أحداً لا يفكر في ذلك هنا. بعدما خرج زهري اللون وندياً كان يلبس اليوكاتا وفي قدميه الجيتا⁽³⁾ وعلى رأسه منشفة صغيرة منسوجة. قدمت له موجي كأساً من البيرة، وبدأ أسعد مما رأيته في حياته، حتى في سنيفيل، وراودني الأمل بأنه سيقدر البقاء معنا في المعبد لقضاء الصيف. عرفت أن هذا سيكون أجدي نفعاً له من رؤية مجموعة من الأطباء النفسيين. فهو عاطل، وأمي مشغولة في عملها ويمكنها الاعتناء بنفسها، وكانت العقول العظيمة في الفلسفة الغربية بخير من غيره لألف عام ويمكنها أن تنتظر حتى نهاية أغسطس.

(1) أهلاً بعودتك أيها السيد! (الترجمة)

(2) 風呂 ouchi حوض الاستحمام (الكاتبة)

(3) 浴衣 ouchi اليوكاتا: الكيمونو القطني 下駄 げだ الجيتا الصندل الخشبي (الكاتبة)

كنا جالسين في الشرفة الخشبية، نطل على حديقة المعبد الصغيرة، ورياح المساء تخشخش أوراق الخيزران. راقبته يتلذذ ببيرته، وكدت أسأله إن كان سيبقى عندما نهضت جيكو وقالت «نات تشان، إيشو ني أوفورو ني هيرو كا؟»⁽¹⁾ سأكون فظة إن رفضت، فنهضت وتبعته إلى الحمام، راجية أن تعميها مياها البيضاء عن رؤية الندوب والكدمات الصغيرة وحروق السجائر، التي برؤ معظمها إلا قليلاً منها لن يختفي على الأرجح.

خارج الحمام مذبح صغير، فأشعلت جيكو شمعة وعود بخور، ثم انحنت انحناءات كاملة ثلاث مرات، وهي تنزل على ركبتها وتلامس الأرض بجبينها، واستغرقت بعض الوقت، لكنه ليس طويلاً كما تظن لأنها عجوز. وجعلتني أنحني أيضاً، وشعرت أنني خرقاء وبلهاء، لكنها لم تتبه، لأنها غفمت كل الوقت بصلاة يابانية قصيرة همساً تعني بالإنجليزية شيئاً من قبيل:

وأنا أغسل نفسي

أصلي مع كل الكائنات

أن نظهر الجسد والعقل

وننظف أنفسنا من الداخل والخارج.

كان الاغتسال شأن عظيم، لكنني تذكرت مضيفات الحانة في السنن ونظافتهن ونقاءهن بعد خروجهن من الحمام. ليس نمط عيشهن بالنمط المجدي أو ما شابه، فلربما أفادتهن صلاة جنكو. الحمام في أصله صندوق خشبي كبير في داخله صندوق

(1) نات تشان، هلا ذهبنا للاغتسال معاً؟ (نات تشان اسم تحبيب حميمي من آن شان) (الكاتبة)

خشبي أصغر حجمًا. الصندوق الأصغر هو حوض الاغتسال، ويمتلئ بماء كبريتي شديد السخونة يتصاعد منه البخار وتفوح منه رائحة البيض المسلوق، ويستغرق المرء وقتًا لاعتيادها. المكان مظلم جدًا داخل الحمام، إلا من خيوط أشعة الشمس القوية التي تثقب الهواء الداكن كسيوف حادة وتسقط على جلدنا العاري. بجوار الحوض عدد من المقاعد الخشبية الصغيرة وبعض الأوعية البلاستيكية نغمرها في حوض الاغتسال للحصول على ماء ساخن من أجل الشطف.

تقضي الطريقة اليابانية في الاغتسال بأن تبدأ بشطف جسدك جيدًا بالماء الساخن لتزيل عنك الدرن والعرق فلا تلوث ماء الحوض، ثم ترقى إلى الحوض وتتقع نفسك فيه لبعض الوقت كي تطرى. ثم تخرج ثانية وتجلس على مقعدك، وتلك مرحلة الاغتسال الحقيقي بالصابون والليفة، وإذا عزمت على غسل شعرك بالشامبو أو حلق ساقيك أو غسل أسنانك أو ما شابه، فلتفعلها عندئذ. وبعد أن تصبح نظيفًا، تشطف عنك رغوة الصابون وتعود إلى الحوض لتتغسل. يمكنك البقاء هناك طويلاً ما طاب لك البقاء وما استطعت احتمال رائحة البيض المتعفن.

كان الحمام مزدحمًا. صحيح أن جسد جيكو صغير، لكن جسدي ليس كذلك، وبدوت بجانبها فرس نهر عاريًا، وخشيت أن أدفعها أو أسحقها كلما تحركت. لكن جيكو لم تهتم، فأقلعت عن هذا التفكير بعد هنيهة. ثمة شيء في جيكو، إحدى قواها الخارقة، فوجودها في المكان نفسه معك يشعرك بأنك بخير.

ولا يقتصر الأمر علي، فهي تفعل هذا مع الجميع. لقد رأيتها.
ربما حان الوقت لوصف شكل جيكو العجوز، لأنني أصبت
بصدمة حقيقية في اليوم الأول في الحمام. تذكر أن عمرها مئة
وأربعة أعوام، وإذا لم تر يوماً أحداً بلغ به العمر عتياً، فدعني
أقول لك إن الأمر قاسٍ. أعني أنهم كغيرهم من البشر لهم أذرع
وأرجل وأثداء ومغابن، لكنهم في الوقت نفسه يشبهون الفضائيين
أو الكائنات من الفضاء الخارجي. أعرف أن هذا يفنقر إلى
الصوابية السياسية، لكنه حقيقي. إنهم يشبهون إي تي أو ما
شابه، هرمين وشباناً في الوقت عينه، وحركتهم بطيئة حذرة،
لكنها متشنجة كحركات المخلوقات الفضائية.

ثم إنها صلعاء تماماً لأنها راهبة. قمة رأسها لامعة ناعمة،
وكذلك وجنتاها المدورتان، وتغطي كل مكان في جلدها أرفع
التجاعيد وأدقها، كشبكة العنكبوت التي تحمل ندى الصباح. لا
يزيد وزنها غالباً عن خمسين رطلاً، وربما كان طولها أربع أقدام
وهي نحيفة كالعظام، فإذا أمسكت بذراعها أو ساقها، يتشابك
إبهامك مع أصابعك من الجهة الأخرى. كانت أضلاعها الصغيرة
تشبه أقلام الرصاص تحت جلدها، غير أن عظامها ضخمة ولها
شكل الوعاء، لا تتناسق مع بقية جسمها. ربما خطر لك أن لها
كثيراً من الجلد المترهل الذي يتدلى كثنيات القماش من هيكلها،
لكن الحق أن الجلد على جسمها يانع يناعاً عجيباً. وأرجح أن
يكون هذا لأنها كانت نحيفة دائماً ولم تكتسب طيات إضافية.
نهداها صغيران مسطحان، فبدا صدرها كصدر بنت صغيرة
بدأت نموها، ولها حلمتان صغيرتان وزهرتان ونضرتان.

ثمة أمر آخر، وربما لا يجدر بي ذكره لكني سأفعل لأنني متأكدة أنك لن تنظر إلى الأمر نظرة هيناتي منحرف، فسأقول إن ما بين ساقها أجرد ويمكنك معرفة جنسها بوضوح، فيوحي لك هذا الجزء بأنها شابة أيضاً، حتى تتبته إلى ذؤابات قليلة من الشعر الأشيب الطويل تنسدل كلبية رجل مسنّ. في ظلال الحمام، وأنا أراقب جسدها الشاحب المعوج ينهض من البخار المتصاعد من الحوض الخشبي الداكن، وجدتها كالشبح، نصف شبح، نصف طفل، نصف فتاة يافعة، نصف امرأة مثيرة، ونصف يامامبا⁽¹⁾، كل ذلك في آن واحد. كل الأعمار والأطوار اجتمعت في كائنة زمنية.

لم تخطر لي كل هذه الأفكار في الليلة الأولى. فما أصفه هو الانطباع العام بعد بضعة أسابيع، وأنا أراقبها ترقى إلى الحوض وتنزل منه وأغسل ظهرها بل أساعدها في حلاقة رأسها بالموسى. كان الحمام يتسع لغتسال ثلاثة أشخاص دفعة واحدة إذا تفسحوا، وأحياناً تدخل معنا موجي، فنحنني انحناءاتنا ونتلو صلوات قصيرة معاً. سكنك في معبد يعني أن تحكمك قوانين من قبيل ألا تتكلم وقت الاغتسال، ونحن لا نفعل عموماً، لكن جيكو تخالف القانون أحياناً فلا يكون من تبادل الأحاديث الهادئة ضير، وهذا مريح جداً.

وبالكلام عن القوانين، تتبع كلتاهما نظاماً مجنوناً لكل شيء تتخيل وجوده، كفسيل وجهيهما أو أسنانهما، أو بصق المعجون بل

(1) 山姥 ساحرة الجبل، حيزيون الجبل (الكاتبة)

حتى الذهاب للتغوط. لا أمزح. إنهما ينحنيان ويشكران المرحاض ويتلوان صلاة لإنقاذ الكائنات. ثمّة واحدة مضحكة تقول:

عندما أذهب للتغوط

أصلي مع كل الكائنات

بأن نتمكن من إزالة الوسخ والقضاء على سموم الجشع والغضب والحماقة.

في البداية قلت مستحيل أن أردد ذلك، ولكن المرء يتغير إذا قضى وقتًا طويلاً مع أناس يفرطون دائماً في الشكر وتقدير الأشياء وقول شكراً، وذات يوم قلت بعد أن دفقت الماء «شكراً أيها المرحاض»، ولم يكن ذلك بالغريب. أعني هذا أمر لا ضير في فعله ما دمت في معبد على جانب جبل، ولكن حري بك ألا تفعل ذلك في دورة المياه في مدرستك الإعدادية، لأن زملاءك سيحاولون إغراقك في المرحاض إذا رأوك تتحني له شاكراً. شرحت هذا لجيكو، ووافقتي الرأي بأنها ليست بالفكرة السديدة، ولا بأس أن نشعر بالامتنان أحياناً وإن لم نقل شيئاً. فالشعور هو المهم، ولست ملزماً بتضخيم الأمر.

لم أكلّم جيكو في مثل هذه الأمور مباشرة. فقد شعرت بالخجل بادئ الأمر ولم أرغب بالكلام معها أو مع غيرها، وخاصة بعد تسلل أبي في الصباح الباكر أثناء نومي دون أن يكلف نفسه عناء توديعي. ترك لي رسالة وجدتها عند استيقاظي، كتبها بالإنجليزية ويقول فيها «آن شان، تبدين هادئة جداً كالجميلة النائمة. سأعود في نهاية الصيف. لا تقلقي علي أرجوك. كوني فتاة مطيعة واعتني بجذتك الكبرى الحبيبة».

مزقت الرسالة. حزنت لأنه تخلص مني هناك ورحل قبل أن تتاح لي الفرصة لتوسله ليبقى وإشعاره بالذنب. لم يقل شيئاً عن وعده باصطحابي إلى دزني لاند، وتركني دون أن يشتري لي محول تيار متردد لأجل الغيم بوي، وقد وعد أن يفعل، فليس عندي الآن ما أَلعب به إلا لعبة تترس في جوالي، وهي ليست مثيرة. في ذلك الوقت لم يكن في المعبد كومبيوتر، فلم أستطع إرسال بريد إلكتروني إلى كايل في سنيفيل، وليس لي أصدقاء في طوكيو أرسلهم أو أهاتفهم. امتدت الأيام الحارة الطويلة لإجازة الصيف أمامي، وحسبت أنني سأموت ضجرًا.

-4-

سألتي جيكو العجوز ذات ليلة، في الحمام وأنا أفرك لها ظهرها «هل أنت غاضبة جدًا؟»

كنت أحرك الليفة الخشنة في دوائر، أتوخى الحذر من الضغط بقوة لأنني أدركت حينئذ هشاشة جلدها الرقيق كورقة الأرز. تركت خشونتي في الفرك، بادئ الأمر لجهلي بذلك، علامات حمراء داكنة على جلدها، لكنها لم تتذمر قط، وعرفت أن عليّ الانتباه، خاصة في الأماكن التي برزت فيها عظامها. فلما سألتني سؤالها ذلك، حسبت أنني فركت بقوة وآلمتها، فاعتذرت.

قالت «لا. هذا جميل، فلا تتوقفي».

أضفت مزيداً من الصابون على الليفة وأخذت أحركها على انحناء عمودها الفقري الكثير العقد. كان عمودها الفقري، شأنها شأن معظم كبار السن، متيبساً وملتوياً، ولكنه يبدو مستقيماً في جلوسها للزazen. لم تقل شيئاً آخر، وغرفت بعد انتهائي عدداً من

أوعية الماء الساخن من الحوض وصببتها على ظهرها لأشطف عنه رغوة الصابون، ثم درت حتى تفرك لي ظهري. نتاوب دائماً. انتظرت. تحب جيكو العجوز أن تتأنى، وهي بارعة في هذا لأنها تفعل ذلك منذ سنوات طويلة، ولهذا كنت دائماً بانتظارها، قد يخطر لك أن الانتظار مزعج ليافع مثلي، لكن الانتظار لم يزعجني. فليس عندي شيء أحسن أفعله هذا الصيف. جلست على مقعدي الخشبي الصغير، عارية أحضن ركبتي وأرتجف، ليس برداً بل من ترقب الحرارة الحارقة للماء، وشعرت بأصابعها تتحسس ندبة صغيرة وسط ظهري، فأجفلت. تخشب جسدي. كان الضوء خافتاً، فكيف رأت ندوبي بعينيها المتعبتين؟ وخمنت أنها لم ترها، لكني شعرت بأصبعها تتحرك على جلدي بانتظام، مترددة تتوقف هنا وتتوقف هناك لتربط بين النقاط.

قالت «لا بد أنك شديدة الغضب». تكلمت بهدوء شديد، كأنها تكلم نفسها، وربما فعلت. أو ربما لم تقل شيئاً قط، بل هذا نسج خيالي. في كلتا الحالين انغلقت حنجرتي ولم أجب، فهززت رأسي نفيًا. كنت شديدة الخجل، وطفح هذا الشعور الهائل بالحزن داخلي، وحبست أنفاسي لأتحاشى البكاء.

لم تقل شيئاً آخر، بل غسلتني برفق، وأردتها لأول مرة أن تعجل وتنتهي. بعد انتهائنا لبست ثيابي على عجل وتمنيت لها ليلة سعيدة وتركتها هناك. ظننت أنني سأتقيأ. أرغب بالعودة إلى غرفتي، فجريت نصف طريق الجبل واختبأت في غابة الخيزران حتى أظلمت وخرجت اليراعات. قرعت موجي الجرس الكبير في نهاية حراستها للنار لتعلن انقضاء النهار، فعدت خلسة إلى المعبد وذهبت إلى فراشي.

ذهبت الصباح التالي أبحث عن جيكو العجوز ووجدتها في غرفتها. كانت جالسة على الأرض وظهرها إلى الباب، محدودة على طاولتها الواطئة. كانت تقرأ. وقفت بالباب ولم أتجشم عناء الدخول فقلت لها «نعم، أنا غاضبة. وماذا في ذلك؟»

لم تلتفت لكنني عرفت أنها تصغي فأكملت، وقدمت لها نبذة وافية عن حياتي الخرائية.

«فماذا يجب أن أفعل؟ لا أستطيع حل مشاكل أبي النفسية، ولا فقاعة الدوت كوم، ولا الاقتصاد الياباني الرديء، أو غدر صديقتي المقربة المزعومة في أمريكا، أو تعرضي للتمر في المدرسة، أو الإرهاب أو الحرب أو الاحتباس الحراري، أو انقراض الأنواع، صحيح؟»

قالت تهز رأسها إيجاباً ولم تنزل تدير ظهرها إلي. «سو ديسو ني. هذا صحيح. لا يمكنك فعل شيء في أي من هذه الأمور». قلت حانقة «لذا أنا غاضبة طبعاً. ماذا تظنين؟ كان السؤال غيباً».

وافقتني. «صحيح. كان السؤال غيباً. أرى أنك غاضبة. ولست بحاجة لطرح سؤال غبي لأدرك هذا». «فلماذا سألت؟»

استدارت بأناة، وهي تدور على ركبتها حتى باتت تقابلني وقالت «سألت نيابة عنك».

«نيابة عني؟»

«كي تسمعي الإجابة».

تتكلم جيكو العجوز بالألفاظ أحياناً، وربما ما زلت أواجه صعوبة في فهم اللغة اليابانية لقضائي سنوات طويلة في سنيفيل، لكن أظن أنني فهمت ما تعنيه هذه المرة. أخذت بعد ذلك أحكي لها أشياء صغيرة عما يجري في المدرسة وما شابه وإن لم تسأل. وأصغت إليّ وهي تحرك حبات الجوزو حول الخيط، وعرفت أن كل خرزة تحركها صلاة لأجلي. ليس بالشئ الكبير لكنه شيء.

105才⁽¹⁾

هذا ردها على رسالتي. هذا العمر الذي تقول إن على المرء بلوغه قبل أن يصبح عقله راشداً، ولكن لما كان عمرها مئة وأربعة أعوام فأنا واثقة من أنها تمزح.

(1) 才 ساي، سنوات (من العمر) (الكاتبة)

انقطعت الكهرباء أربعة أيام، وهي مدة قصيرة نسبياً قياساً إلى انقطاعاتها شتاء. أثناء هذه الأعطال استطاعا تشغيل حاسوبيهما وبعض الأجهزة، شرط أن يعمل المولد، وما توفر لهما الغاز. ولا يتزودان به بعد نفاده إلا إذا كان المولد في إحدى مضختي الغاز في الجزيرة دائراً، وأُخليت الشوارع من الأشجار التي قطعت خطوط الكهرباء في المقام الأول.

توقفت مضخة البئر عن العمل بتوقف المولد، فنُفذ منهما الماء. المرحاض الداخلي، والماء الساخن الجاري والاستحمام والمصابيح الكهربائية، بدا كل هذا بعد أربعة أيام رفاهية لا يتصورها عقل تعود إلى عصر وكوكب آخرين.

قال أولفر «مرحباً بكم في المستقبل. نحن في عصر التطور». تجولت روث في البيت في حلم مظلّم تفوح منه رائحة الكيروسين، تصفي إلى ضرب المطر وعواء الريح. في الداخل، كان البيت هادئاً وساكناً من غير الطنين المستمر المحقق من المراوح ومكثفات الهواء. وجدت نفسها في بادئ الأمر تصيخ السمع بحثاً عن المحركين التوئمين للطائرة البحرية التي تحمل عمالاً من شركة الكهرباء، ولكن يوماً أو اثنين مرا ولم تسمع شيئاً، فاستسلمت وأذعنت للصمت. جلست أمام موقد الحطب مع القط وقرأت على ضوء قنديل زيت. كانت تحاول قراءة بروس، وتحاول المضي قدماً في قراءة يوميات آن. وحملت معظم الوقت إلى

ألسنة اللهب. وقفت أحياناً في الغسق بالباب تصغي إلى الذئاب وهي تتنقل في الغابة التي يكتنفها الضباب. يبدأ نداؤها خفيضاً، في أنين قلق وحيد يتخلل الأشجار ثم يحتشد عندما يتجمع القطيع واحداً تلو آخر، أصواتهم وحشية وخشنة تعلو في عواء من أعماق الحناجر. سرت فيها رجفة. أصر أولفر على الخروج للجري رغم المطر، وانتظرتة قلقة. فقد رأت أسد جبل يخرمش الأشجار خلف بيتهما، وبرازاً جديداً في الدرب، وآثار أقدام ذئب في الطين.

كانت أعداد الذئاب في ازدياد، وباتت القطعان أجراً، إذ تقترب من المساكن وتخطف القطط وتستدرج الكلاب إلى الغابة لتأكلها. في سبعينيات القرن العشرين، عندما كانت الذئاب تفترس الماشية والخراف، رد أهل الجزيرة بذبح الذئاب، يطاردونها ويطلقون النار على ما استطاعوا منها، ويكومون جثثها النازفة كالحطب في أحواض شاحناتهم. ما زال الناس يتذكرون هذا، والذئاب تذكره أيضاً، فابتعدت لبعض الوقت. لكنها عادت الآن. جاء مسؤولو حماية الحياة البرية في المقاطعة إلى الجزيرة لتعليم الناس ما يفعلون. قال المسؤولون دوخوا الذئاب، واصرخوا فيها، وارموها بأشياء، لكن القول أسهل من الفعل. أطلقت مرة من نافذة مكتبها لترى أولفر يلبس لباس الجري، ويلوح بعصا ضخمة ويجأر وهو يطرد ذئباً عن ممر سيارتهما. كان أولفر يجري بأقصى سرعة، أما الذئب فتبختر بلا عجلة.

كيف غدت امرأة تخشى من أن تأكل الذئاب وأسود الجبل زوجها؟ ليس عندها جواب. تعلق ذهنها هنا، في شكل غريب من التوسط.

عاد البيت إلى القرن الواحد والعشرين بعودة التيار؛ فسطعت المصابيح وطلت الأجهزة، وقرقرت مضخات حوض السمك، وتهتدت الصنابير، وقفزت روث من فوق القط وتعثرت بأسلاك التمديد المتشابكة في طريقها إلى المكتب في الأعلى لتفقد بريدتها الإلكترونية. عاد العالم إلى مكانه في الوقت المناسب، وعاد عقلها متصلاً.

سجلت الدخول. لا رد من الأستاذ، لقد مر أسبوع تقريباً. أيتجاهلها، أم أنه يعاني من انقطاع التيار الكهربائي هو الآخر؟ هل تنقطع الكهرباء عندهم في بالو ألتو؟

تأكدت من خدمة الأرصاد الجوية، عاصفة جديدة في الطريق. لا وقت تضيعه. ولأن عندها نهايات مجهولة وأسئلة بلا إجابات، اختارت المسألة التي ظنت أن حلها الأسهل. ففتحت المتصفح وكتبت الشيشوسيتسو الياباني وتقلب «الأنا» الأنثى. كانت شبكة الإنترنت سريعة على غير العادة، كأنها عادت منتعشة من إجازة احتاجتها طويلاً. في ثوانٍ عادت إلى موقع أرشيف الدراسات الأكاديمية، إلى ملخص الدراسة التي كانت تقرؤها قبل الانقطاع. نقرت على رابط <اقرأ المزيد>، فأخذها إلى موقع لمنشورة اسمها مجلة الماورائيات الشرقية. رائع. كانت الدراسة مدرجة في الفهرس. نقرتها فظهر لها الملخص نفسه، وظهر لها في أسفل الصفحة زر اطلبها الآن. نقرته، وملأت نموذج الشراء على عجلة، وعلبت مكتبها رأساً على عقب تبحث عن بطاقتها الائتمانية. في الجزيرة تمر أيام دون أن تحتاج محفظتها وكثيراً ما تضيع مكانها تماماً. وجدتتها أخيراً محشورة خلف مخدة في

أن يسمعه أحد ثم علا في طيرانه بعيداً عن السطح الصغير في
البراح، حتى خرج من مظلة أشجار تنوب دوغلاس.
حام فوق أعالي الشجر، يرى الطريق المؤدي إلى بحر ساليش،
ومطحنة لب الخشب وقرية التحطيب في رهز كامبل. كانت عبارة
سياحية متجهة إلى ألاسكا تعبر مضيق جورجيا، مضيئة كأنها
كيكة عيد ميلاد تغطيها الشموع. طاف أعلى، أعلى فأعلى ولاح
جبل فانكوفر آيلند رينج، وغولد هايند، والدلى البيضاء تتلألأ في
ضوء القمر. على الجانب البعيد امتد المحيط الهادي وخلفه،
لكن الغراب لم يستطع الطيران أعلى بعد ليرى طريق العودة إلى
دياره.

الأجواء في مقهى المئزر غريبة اليوم حقًا ولا أدري ما إذا سيتسنى لي الكتابة كثيرًا. جاءت إليّ بابت لتسألني إن كنت مهتمة بالخروج في موعد غرامي، وأنا لست كذلك، لكنني كذبت وقلت لها إنني في أيام دورتي الشهرية، فتجمدت ابتسامتها وصار وجهها باردًا قاسيًا، فدارت وكادت تقلع عيني بالطرف المخرم لتتورتها الداخلية. لا أظنها عرفت أنني أكذب، لكنني أجزم أن الكتابة في هذه اليوميات باتت مشكلة، وعزوفي عن الاختلاط بالآخرين بدأ يثير حنق بابت والخادemat الأخريات. أرجو ألا يجعلنني أدفع ثمن جلوسي، لأنه باهظ جدًا ويجب أن أجد لي مكانًا آخر أكتب فيه. لكنني أفهم مقصدهن. لم أعرف هذا من قبل، غير أنني بت مدركة أن الكتاب لا يحسنون مخالطة الناس، وأنا لا أبذل جهدًا في المساعدة على خلق جو صاخب ومبهج في المكان.

يبدو مئزر فيفي الوحيد اليوم أكثر وحدة من المعتاد.

آه طيب. هذا ما يجري في عالمي. ماذا عن عالمك؟ أكل شيء على ما يرام؟

-2-

لا أدري لماذا أواصل طرح الأسئلة عليك. لا يعني هذا أنني أنتظر ردًا، وأنى لي أن أعرف أنك أجبت؟ ربما ليس هذا بالأمر المهم. ربما إذا سألتك سؤالًا من قبيل «أكل شيء على ما يرام؟»

فعليك أن تخبرني، وإن لم أسمعك، ثم سأجلس هنا وأتخيل ما قد تقوله.

قد تقول «طبعاً يا آن. أنا بخير. أنا على ما يرام».

سأقول لك «طيب، عظيم»، ثم نتبادل الابتسامات عبر الزمن

كأننا صديقان، لأننا بتنا صديقين، صحيح؟

ولأننا صديقان، سأسرّ لك بأمر آخر. إنه أمر شخصي،

لكنه ساعدني كثيراً. من تعاليم جيكو في تطوير قوتك الخارقة،

وحسبتها تمزح عندما قالت. يصعب أحياناً التفريق بين هزل

امرئ هرم جداً وبين جدّه، خاصة إن كان راهبة. كنا في

مطبخ المعبد نساعد موجي في إعداد المخلل. كانت جيكو

تغسل حبات الديكون [الفجل الأبيض] البيضاء الكبيرة، وأنا

أقطعها وأملّحها وأضعها في أكياس مجمدة بلاستيكية. حدث

هذا بعد أن رأت جيكو العجوز ندوبي، وكنت أخبرها عن جنازتي

وترنم زملائي في الفصل بترنيمة سوترا القلب من أجلي، وأنني

أصبحت شبعاً حياً وشننت هجمة تاتاري على ريكو وطعنيتها في

عينها. وقفت جيكو عند المفصلة، تحك الديكون الكبيرة التي

كانت أطول وأثخن من ذراعها، وبعدما انتهت وضعت الديكون

على كومة من الفجل المرصوص بجوارها كالحطب وقالت

«طيب يا نات تشان، لا داعي لأن تقلقي. أنت لست ميتة حقاً،

فجنازتك ليست حقيقية».

فقلت ها، أنا أعرف هذا سلفاً.

«لقد ترنموا بالسوترا الخطأ. فلا يترنم المرء بالشنغيو في جنازة. بل يجب أن يترنم بـ داي هاي شن⁽¹⁾».

وقبل أن أقول إنني ارتحت قالت «نات تشان. أرى أنه يجدر بك أن تتحلي ببعض القوة الحقيقية. أحسب أنه خليك بك أن تتحلي بقوة خارقة».

كانت تتكلم باليابانية، ولكنها استخدمت الكلمة الإنجليزية قوة خارقة، وبدأت لما قالتها شبيهة بقواه خارقة. بسرعة شديدة. قواه خارقة، أو قواهخارقه!

سألتها مستخدمة الكلمة الإنجليزية أيضاً «كبطل خارق؟»
«نعم. كبطالخارق! له قواهخارقة!»

وخزرت عينيها عليّ من خلف نظارتها الثخينة. «أعجبك هذا؟»

غريب أن تسمع امرأ بلغ من العمر عتياً يتكلم عن الأبطال الخارقين والقوة الخارقة، فهذه للشباب. هل كانوا يعرفونها أيام طفولة جيكو؟ لطالما خيل إلي أنهم في الأيام الخوالي لم يعرفوا إلا الأشباح والساموراي والعفاريت والأوني. لا بطالخارق! له قواهخارقة! لكنني هزرت رأسي.

«جيد»، جففت يديها ببطء وخلعت مئزرها وأعطت موجي بعض التعليمات لصنع المخلل، وأخذتني من يدي.

ذهبنا أولاً إلى مغسل القدمين، وتلونا صلاة قصيرة لغسل القدمين تقول:

(1) العقل العطوف العظيم داراني. ترنيمة باطنية أو ابتهاال يقال إن له قوى سحرية تحمي من الأرواح الشريرة. (الكاتبة)

عندما أغسل قدمي

فلتحصل كل الكائنات الحاسة

على قوة الأقدام الخارقة

ولا يعترض طريقها عقبة

مكتبة
t.me/soramnqraa

بدأت من فوري أفكر بقوة الأقدام الخارقة، وأنني أردت بعضها، لكنني لست متأكدة من رغبتي في أن تحصل عليها كل الكائنات أيضاً، فما المعنى إذن؟ لكن هذا هو الفرق بيني وبين جيكو. أنا واثقة من أنها تريد أن تحصل كل الكائنات على قوة الأقدام الخارقة. على أي حال غسلنا أقدامنا، ثم أخذتني إلى الهوندو⁽¹⁾. الهوندو غرفة خاصة، شديدة الظلمة والهدوء. فيها تمثال ذهبي كبير للشاكا ساما وتمثال أصفر للورد مونجو، سيد الحكمة⁽²⁾، في الطرف الآخر وأمام كل منهما مكان للشموع وإشعال البخور. تقضي جيكو وموجي شطراً كبيراً من الوقت في الصلوات، ولكن لم يعد كثير من الدانكا يأتون فمعظم سكان القرية إما من كبار السن أو الموتى، والشباب ليسوا مهتمين بالدين وانتقلوا إلى المدن الكبرى للحصول على وظائف وعيش حياة مثيرة. الأمر يشبه إقامة حفلة لا أحد يأتي إليها، لكن جيكو لا تبالى بهذا.

شرحت لي موجي مرة أنه ثمة خدمات كثيرة تؤدي في المعبد، وإن كان صغيراً كمعبد جيكو. سكنت فيه راهبات أكثر في الماضي، ولكن لم يعد سواهما الآن. وبين الحين والحين، تأتي إليهما بضع راهبات شابات من المعبد الرئيس لتفقد

(1) 本堂 غرفة المزار (الكاتبة)

(2) مونجوشي (من السنسكريتية)، بوديساتفا مرتبط بالحكمة والتأمل (الكاتبة).

الأمر وتقديم المساعدة في المراسم الكبيرة. إنهن لطيفات حقًا، وبعد موت جيكو ستنتقل إحداهن لمساعدة موجي، ما لم يقرر المعبد الرئيس بيع الجيفنجي إلى مطور عقاري يهدم البناء القديم على الأرجح ليبنى منتجع ينابيع ساخنة أو ملعبًا للتمرن على لعب الغولف. يرتسم الحزن على وجه جيكو العجوز عندما يدور الكلام عن هذا. المعبد الصغير يتداعى ولا يتوفر المال لإصلاحه، وتساءل موجي ما الذي يثبته بالجبل. فهي تخاف من وقوع الزلازل وتخشى من انهيار البناء والانزلاق إلى الوادي والانجراف إلى البحر.

يبدأ الزازن في وقت مبكر جدًا، كأن يقام الساعة الخامسة صباحًا وأنا لم أزل نائمة، ويقام مرة أخرى في وقت لاحق بعد العشاء، عندما أكون متعبة. الحقيقة أن أمر التأمل يصيبني بقليل من التوتر لأنني لا أحب الجلوس بلا حراك، لكني أحب الشعور في الهوندو، وتحمست بعدما علمتني جيكو كيف أقدم البخور للورد مونجو، فألمس رأسي بالعود قبل أن أضعه في إناء الرماد. انحنيت ثلاث رايباي⁽¹⁾ وفعلت مثلها كما علمتني، بأن أركع وأضع جبهتي ومرفقيّ على الأرض وأرفع يديّ وراحتي يديّ إلى الأعلى نحو السقف. وأخذتني بعد ذلك إلى الزافو⁽²⁾ وقالت لي أن أجلس، وأملت عليّ ما أفعل.

هممم، انتظر لحظة. لم أسألها إذا كان في وسعي إخبارك بهذا، وقد خطر لي أن عليّ سؤالها أولاً.

(1) 礼拝 سجود كامل. رفع راحتي اليد يمثل رفع العالم كله فوق رأس المرء.

(الكاتبة)

(2) 座蒲 وسادة سوداء مدورة من أجل الزازن (الكاتبة)

طيب، أرسلت لها رسالة وسألتها إن كان مسموحاً لي بإخبار صديقتي عن الزازن. لعلها سترد بعد بعض الوقت، ولكن ما دام المئزر هادئاً تماماً ولا أحد يزعجني الآن، فسأخبرك بقصة تحول جيكو إلى راهبة. قصت عليّ هذه الحكاية مرة وهي قصة حزينة جداً. حدث ذلك بعد الحرب. إن ذكرت «الحرب» في اليابان، فسيعلم الناس أنك تعني الحرب العالمية الثانية، لأنها آخر حرب قاتلت فيها اليابان. الأمر مختلف في أمريكا، التي تقاتل في حروب في كل مكان، لذا يجب أن تكون محدداً أكثر. أثناء إقامتي في سنيفيل، كانت الحرب تعني حرب الخليج، وكثير من أصدقائي في المدرسة لا يعرفون شيئاً عن الحرب العالمية الثانية لأنها وقعت قبل زمن بعيد واندلعت بينهما حروب كثيرة.

واسمع الأمر الطريف. يسميها الأمريكيون دائماً الحرب العالمية الثانية، لكن كثيراً من اليابانيين يسمونها الحرب الكبرى في شرق آسيا، والحقيقة أن لكلا البلدين نسخته حول من الذي بدأ الحرب وعن مجرياتها. يظن معظم الأمريكيين أنها غلطة اليابان لأنها غزت الصين بغية سرقة النفط والموارد الطبيعية، فتدخلت أمريكا لمنعها. غير أن كثيراً من اليابانيين يؤمنون أن أمريكا بدأت الحرب بفرضها العقوبات غير المنطقية على اليابان وقطع النفط والغذاء عنها، وأوووووه، إننا لسنا إلا جزيرة صغيرة فقيرة تحتاج إلى استيراد الأشياء من أجل البقاء، إلخ. تقول هذه النظرية إن أمريكا أجبرت اليابان على دخول الحرب للدفاع عن نفسها، وكل الأشياء التي فعلوها في الصين ليست من شأن أمريكا في المقام الأول. فذهبت اليابان وهاجمت بيرل

هاربر، ويقول كثير من الأمريكيين إنه يشبه مشهد 9/11، ففضبت أمريكا وأعلنت الحرب. استمر القتال حتى طفع الكيل بأمريكا فقذفت القنابل الذرية على اليابان ومحت هيروشيما وناغازاكي من الوجود، ويرى معظم الناس أنه فعل وحشي لأنها كانت تكسب الحرب على أي حال.

في ذلك الوقت كان هاروكي #1 الابن الوحيد لجيكو العجوز يدرس الفلسفة والأدب الفرنسي في جامعة طوكيو عندما جُند في الجيش. كان في التاسعة عشرة، أكبر مني الآن بثلاث سنوات. أنا آسفة، ولكن الخوف يستبد بي إن أخبرني أحدهم بأن عليّ القتال في حرب بعد ثلاث سنوات. فأنا ما زلت طفلة!

قالت جيكو أن الخوف استبد بهاروكي أيضًا، لأنه كان فتى مسالمًا. تخيل الأمر. تكون جالسًا في غرفتك في مسكن الطلبة ذات يوم، تدفئ قدميك قرب موقد الفحم، ترشف الشاي وربما تقرأ البحث عن الزمن المفقود، وبعد بضعة أشهر، تكون في قمرة قيادة انتحارية قاذفة للقنابل، تحاول توجيه مقدمة طائرتك إلى جانب سفينة حربية أمريكية، عارفًا أنك في غضون دقائق قليلة ستفجر في كرة كبيرة من النار وستهلك تمامًا. ألا ترى هذا مروعًا؟ لا أستطيع تخيل الأمر. أعني، تكلم عن الزمن المفقود! أعرف أنني أكرر قولي إنني سأخرج من الزمن وأنهى حياتي، لكن الأمرين مختلفان كل الاختلاف، لأنه خيارى أنا. لم يكن التلاشي في كرة كبيرة من النار خيار هاروكي #1، ومما قالته جيكو، إضافة إلى أنه مسالم فقد كان فتى مرحًا متفائلًا يحب حقًا أن يكون على قيد الحياة، وليست هذه حالى أو حال أبى.

وربما أستطيع تخيل شناعة الأمر قليلاً، وإن قلت العكس. إذا جمعت كل مشاعري ونحن نحزم أمتعتنا لترك سنيفيل، ورؤية أمني لندوبي في السنتو، وإلقاء أبي بنفسه على سكة القطار، وتعذيب زملائي لي حتى الموت، وضاعتها مئة ألف مليون مرة، فلربما كان هذا قليلاً مما شعر به خالي الكبير هاروكي#1 عند تجنيده في القوات الخاصة وإجباره على أن يكون طياراً حربياً كاميكازي. إنه إحساس احتضار السمكة الباردة في بطنك. تحاول نسيان الأمر، وحالما تفعل تبدأ السمكة بالشقلبة تحت قلبك وتذكرك بأن شيئاً مروعاً جداً يحدث.

هكذا شعرت جيكو عندما عرفت أن ابنها الوحيد سيقتل في الحرب. أعرف ذلك لأنني أخبرتها عن السمكة في بطني، وقالت إنها تعرف تماماً ما أقوله، وإن في بطنها سمكة هي الأخرى منذ سنوات طويلة. بل قالت إن عندها أسماكاً كثيرة، بعضها صغير كأسمك السردين، وبعضها متوسط الحجم كسمك الشبوط، وأخر كبيرة بحجم سمك التونة أزرق الزعنفة، لكن كبرى الأسماك تخص هاروكي#1، وهي بحجم حوت. كما قالت إنها بعد تحولها إلى راهبة وانصرافها عن العالم، تعلمت كيف تفتح قلبها حتى يسبح الحوت. أحاول تعلم ذلك أنا أيضاً.

بعد معرفة جيكو أن ابنها الوحيد سيموت في عملية انتحارية، أرادت هي الأخرى أن تنتحر، لكنها لم تستطع لأن صغرى بناتها إيما، لم تبلغ من العمر إلا خمسة عشر عاماً وهي بحاجة إليها. فقررت جيكو بدلاً من الانتحار أن تنتظر حتى تكبر إيما وتصبح مستقلة، فتحلق شعرها وتتحول إلى الراهبة وتكرس ما بقي من

حياتها لتعليم الناس كيف يعيشون في سلام، وهذا ما فعلته تمامًا.

تقول جيكو إننا اليوم معشر الشباب اليابانيين هايوابوكي⁽¹⁾. لا أعرف كيف أترجمها، لكنها تعني في جوهرها أننا متباعدون ولا مبالون لأننا لا نفهم الحرب. تقول إننا نظن اليابان شعبًا مسالمًا، لأننا ولدنا بعد انتهاء الحرب ولا نتذكر إلا السلام، ونحبها على هذه الشاكلة، لكن الحقيقة أن حياتنا بكاملها شكلتها الحرب والماضي ويجب أن ندرك ذلك.

إذا سألتني رأيي، فاليابان ليست مسالمة جدًا، بل إن معظم الناس لا يحبون السلام. أو من أن الناس في أعماق قلوبهم عنيفون ويفرحون بإيذاء بعضهم بعضًا. نختلف أنا وجيكو العجوز في هذه النقطة. فهي تقول إن رأيي، تبعًا للفلسفة البوذية، ضلال وإن أصل طبيعتنا اللطف والصلاح، لكنني أراها مفردة التفاؤل صدقًا. لقد عرفت بعضًا من أشد الناس شرًا، من أمثال ريكو، وكثير من العقول العظيمة للفلسفة الغربية يؤيدني في هذا. لكنني سعيدة بإيمان جيكو العجوز بأن الخير طبعنا، فهذا يمنحني الأمل وإن لم أصدق. ربما سأفعل يومًا ما.

أوه، انتظر لحظة. أرسلت لي جيكو ردها وتقول لا بأس في تعليمك الزازن ما دام كلانا جادًا ولا نتشاقى. أنا لا أتشاقى، وأنت؟ لا أظنك تتشاقى. سأ تخيل على الأقل أنك لا تفعل، فربما لن تفعل حينئذ. سأعطيك التعليمات، وإذا لم ترغب بتنفيذها فتجاوزها.

(1) 平和 ぼけ معطلو الإحساس بالسلام، حرفيًا السلام + مشوش العقل (الكاتبة)

تعليمات لممارسة الزازن

عليك أولاً وقبل كل شيء أن تجلس، ولعلك جالس سلفاً. تقضي الطريقة التقليدية بأن تجلس على وسادة زافو على الأرض مصالباً رجليك، لكنك تستطيع الجلوس على كرسي إن شئت. المهم أن تكون جلستك معتدلة بلا ارتخاء ولا اتكاء على شيء.

ضع يديك في حجرك ورصهما، فيكون ظهر يدك اليسرى على راحة يدك اليمنى، ويلتقي طرفا إبهاميك أعلاههما، مشكّلين دائرة صغيرة. يجب أن يوازي ملتقى إبهاميك سرتك. تقول جيكو أن وضع اليدين على هذا النحو يسمى هوكاي جوين*، وهي تمثل الكون بكامله، الذي تحمله في حجرك كبيضضة كبيرة جميلة.⁽¹⁾

استرخ وابق بلا حراك وركز على تنفسك. لا تكبر الأمر، فلا يعني هذا أن تفكر في تنفسك، لكنك لا تفكر به أيضاً. الأمر شبيه بجلوسك على الشاطئ ومراقبة الأمواج تتلاطم على الرمال أو أطفال صغار لا تعرفهم يلعبون من بعيد. أنت تراقب كل ما يجري، داخلك وخارجك، إلى جانب تنفسك والأطفال والأمواج والرمل. وهكذا هو الأمر إجمالاً.

يبدو أمراً بسيطاً جداً، ولكني عندما جريته أول مرة، تشئت انتباهي بأفكاري وهمومي المجنونة، وأخذ جسدي يحكني كأن عدداً من الديدان الألفية تزحف علي. شرحت هذا لجيكو، فأخبرتني أن أعد أنفاسي هكذا:

شهيق، زفير... واحد

* 法界定印 مودرا كونية (الكاتبة). كلمة سنسكريتية تعني علامة أو إيماء وهي حركة في اليوغا. (الترجمة)

قالت إنني يجب أن أعد هكذا إلى العشرة، وأبدأ من جديد. فقلت لا بأس يا جيكو! فأبدأ العدّ عندما يقفز إلى ذهني ويخطف انتباهي خيال مجنون للانتقام من زملائي أو ذكرى ما حنيناً إلى سنيثيل. لا بد أنك عرفت الآن، بسبب اضطراب نقص الانتباه، يهذر عقلي كالقرد، ولا أستطيع العد حتى ثلاثة. أتصدق هذا؟ لا عجب أنني لم أدخل مدرسة ثانوية راقية. لكن الخبر الجميل أنه لا بأس أن تقشّل في الزازن.

تقول جيكو إنها لا تراه فشلاً. بل تقول إنه أمر عادي جداً أن يفكر عقل المرء لأن هذا ما يفعله العقل، ولا تخف عندما يجول عقلك ويكتظ بأفكار مجنونة. فالأمر ليس مهماً. أنت تلاحظ أنه حدث وتجاهله، كأى شيء، وأبدأ من البداية.

واحد، اثنان، ثلاثة، إلخ. هذا المطلوب منك. ليس بالشيء الكبير، لكن جيكو واثقة من قدرته على تنمية قواكالخارقة! أنا مواظبة عليه حتى الآن، ولن يصبح صعباً عليك بعد أن تعتاده. ما أحبه في الأمر أنك عند الجلوس على الزافو (أو إذا لم يكن حولك أي زافو، كأن تكون في قطار مثلاً، أو على ركبتيك وسط دائرة من الأولاد الذين يلكمونك أو يتأهبون لتمزيق ثيابك.... بعبارة أخرى لا يهم أين أنت) وتعود بعقلك إلى الزازن، يبدو الأمر شبيهاً بالعودة إلى الوطن. ربما ليس هذا بالشيء المهم في نظرك، لأن لك وطناً دائماً، أما أنا التي لم تعرف وطناً إلا سنيثيل التي فقدتها، فالأمر مهم جداً. الزازن أفضل من الوطن، الزازن وطن لا تفقده يوماً، وأظل أمارسه لأنني أحب هذا الشعور، وأثق بجيكو العجوز، ولن يضرني أن أحاول رؤية العالم بعين متفائلة قليلاً كما تفعل هي.

تقول جيڪو إن الزازن يعني دخول الزمن كليًا .
أحب هذا .
اسمع ما قاله معلم الزن المسن دوغن عن ذلك :
فكر ألا تفكر
كيف تفكر بألا تفكر ؟
اللاتفكير . هذا جوهر فن الزازن .
أحسب أنه لا معنى له ما لم تجلس وتفعل ذلك . لا أقول إنه
واجب عليك ، بل أخبرك بما أفكر .

روث

-1-

واحد. اثنان. ثلاثة. كلما حاولت روث الجلوس بلا حراك وعدّ أنفاسها، انقبض عقلها كقبضة بطيئة ثقيلة حول بيضتها الكونية وغلبها النعاس.

مرة بعد مرة.

أنى لهذا أن يكون يقظة عقلها؟ إنه كالضجر. مثل ما حدث لدى انقطاع التيار الكهربائي. لكن آن محقة. إنه كالوطن، ولا تدري إن كانت أحبته.

-2-

حاولت مرة بعد مرة. عندما ناس رأسها، وانتفضت متيقظة وأخذت تعد، لكن النعاس غلبها المرة تلو الأخرى. في الفواصل بين النعاس واليقظة، سبحت في حالة حدية مظلمة ليست بالحلم، لكنها على أعتاب التحول إلى حلم. مكثت هناك تغطس وتتقلب ببطء، مثل جزيء من مطروحات البحر تحت قشرة موجة توشك دائمًا على الانكسار.

-3-

ماذا لو سافرت بعيدًا في حلمي فلا أستطيع العودة في الوقت المناسب لأستيقظ؟

سألت روث أباهما هذا السؤال مرة في طفولتها. اعتاد أن يضعها في الفراش ويقبل جبينها ويتمنى لها أحلامًا حلوة، لكن الأمنية أثارت قلقها دائمًا. ماذا لو لم يكن حلمي حلوة؟ ماذا لو كان مروعة؟

قال «ذكّري نفسك أنه حلم فقط. ثم استيقظي».

وإذا لم أعد في الوقت المناسب؟

قال وهو يطفئ المصباح «سأتي لإحضارك عندئذ».

-4-

قال أولفر مقترحًا «ربما تجهدين نفسك في المحاولة. ربما عليك أن ترتاحي».

كان يقف بباب مكتبها، يراقبها وهي تعدل الوسادة على الأرض. قالت وهي تعود للجلوس وتقاطع رجليها «لا أستطيع أن أرتاح. حياتي كلها راحة. أنا بحاجة ماسة إلى هذا».

فنقلت ثقلها إلى الأمام وقوست ظهرها. ربما كانت شديدة الراحة. ربما عليها أن تكون لامرئاحة أكثر. فتقدمت ولكمت الوسادة وجريت من جديد.

قال أولفر «ربما أنت متعبة فقط. ربما عليك أن تكفي عن محاولة التأمل وتنامي القيلولة».

قالت وأغمضت عينيها وزفرت «حياتي كلها قيلولة. أنا بحاجة إلى الاستيقاظ». شعرت في الحال بالوميض الخافت للإنهاك، يضغط من مكان ما في أعماقها، ويشدها إلى الأسفل. فهزت نفسها وفتحت عينيها ثانية.

«اسمع. أنت الذي تقول إن الكون يعطي. طيب، الكون أعطاني أن، وهي تقول إن هذه هي الطريقة للاستيقاظ. ربما كانت محقة. أود المحاولة على أي حال. أنا بحاجة إلى شيء ما، بحاجة إلى قواخارقة»، أغمضت عينيها ثانية. كان عقلها قوتها، وأرادت استعادة عقلها.

قال «حسن. هل تودين الذهاب لجمع بعض البطلينوس والمحار بعد انتهائك؟ توقف المطر والجزر جميل».

«أكيد»، ولم تزل تغمض عينيها.

انحسر القط الذي كان يشحذ مغالبه على عضادة الباب، بين ساقي أولهر وذهب إليها مباشرة، ملقيًا برأسه إلى جلستها المودرا.

قالت وهي تكسر بيضتها الكونية لتحك أذنه «يست. هلا جئت وأخذت قطك وأغلقت الباب بعد خروجك من فضلك يا أولهر؟»

قال أولهر وهو يحمله «هذه قوته الخارقة. فهو يجيد إزعاج الآخرين».

وقف بالباب ثانية ممسكًا بالقط. «علينا أن نذهب سريعًا لجمع البطلينوس ما دام البحر جزرًا. كم ستجلسين هكذا؟ هل تريدني أن أعود لإيقاظك؟»

-5-

كان حقل البطلينوس الذي أحياه كثيرًا حقلًا سرّيًا دلّتهما عليه موريل. يحفظ أهل الجزيرة أسرارًا كثيرة، كحقول بطلينوس وأحواض محار سرية، وأراض سرية لفطر الصنوبر والفطر الكويزي⁽¹⁾، وصخور سرية تحت الماء يعيش فيها قنفذ البحر،

(1) فطر الصنوبر، نوع من أنواع الجذريات الفطرية الصالحة للأكل، ويستخدم بكثرة في الأطباق اليابانية. الفطر الكويزي جنس من الفطريات يتبع فصيلة الكويزية من رتبة الكويزيات، يعني كوز صغير (بالإنجليزية: Tankard). ومن هنا جاءت التسمية «كويزي» نسبة إلى تصغير كلمة كوز. (المترجمة)

ومزارع سرية للمرهوانة، وقوائم هاتفية سرية للسلمون والهلبوت واللحم والجبن والألبان غير المبسترة. في السنوات الأخيرة، طورت بعض متاجر البقالة الصغيرة سلعها ويات في وسع المرء شراء معظم الأطعمة، ولكن في الماضي إذا كان المرء وافداً، فإنه قد يتضور جوعاً إذا لم يرأف المقيم القديم بحاله ويطلعه على بعض الأسرار.

يقع حقل البطلينوس في الطرف الغربي من الجزيرة، مقابلاً المياه العميقة الباردة للممر المائي. كان المحار هناك صغيراً وحلواً، والبطلينوس وفيراً. قالت موريل إن هذا الحقل قديم زرعته أجيال الساليش، لكن قليلاً من الناس يحصدونه، وهذا مؤسف لأن الحقل ينتعش من الحصاد المتكرر. ومع ذلك، قلبت كل مذراة من الرمل اثنتي عشرة حبة من البطلينوس الدسم أو أكثر، وفي غضون عشرين دقيقة جمعوا الحد اليومي في مئة وخمسين من البطلينوس قصير العنق وثلاثين محارة.

جلسا على صخرة ملساء أعلى الأرض الرملية المنبسطة، ينظران غرباً عبر المحيط نحو الظلال المتعرجة للجبال. كانت السماء النيلية الداكنة مخططة بغيوم شاحبة، تعكس الوهج المحتضر للنهار. في الأعلى، رقطت النجومُ السماء، ولعقت الموجات الصخرة عند أقدامهما.

أخرج أولفر علبة بيرة من جيب معطفه وفتحها، ومدّها إلى روث. وأخرج سكيناً لقلب المحار وليمونة. لمعت سكينه، وطار النصف العلوي من المحار وغاص في الماء المظلم. ومد لها النصف السفلي. تلاً الرخوي المقشور في الصدفة اللؤلؤية،

لحم رمادي مكتنز، وحاشية داكنة. حسبت أنها رأتها يجفل عندما رش عليه الليمون.

قبلت العطية وقربت الصدفة من شفيتها وجعلت المحار ينزلق إلى فمها. كان باردًا طازج الطعم. فأخذ أخرى من الدلو، وقلعها ومصها.

قال «آه. كراسستوريا غيفاس⁽¹⁾. لب البحر»، وعب بعدها جرعة بيرة.

بدا سعيدًا جدًا ومعافى أيضًا. خسر بعض الوزن في مرضه، وارتاحت لرؤيته يستعيد عافيته. فكرت فيما قاله رجل المحار بليك عن الإشعاع، وما قالته موريل عن الانجراف.

قالت «خشي بعض أهل المحار من التلوث النووي. من فوكوشيما. ما رأيك؟»

قال «المحيط الهادي مكان كبير جدًا. أتريدان واحدة أخرى؟» فهزت رأسها نفيًا.

قال أولفر وهو يزدرد واحدة «انظري المفارقة. محار المحيط الهادي ليس واطنًا».

تعرف هذا، والكل يعرفونه. محال أن تكون من سكان الجزيرة ولا تعرف هذا الأمر. كانت زراعة المحار أقرب شيء للتجارة، بعد استنزاف سمك السلمون وقطع الأشجار الكبيرة.

قال «جاء به عام 1912 أو 1913، لكنه لم يتأقلم حتى الثلاثينيات من القرن نفسه. ثم ساد وزاحم الأنواع الواطنة الأصغر حجمًا».

(1) محار المحيط الهادي العملاق. (المترجمة)

«أجل، أعرف».

«كان المرء قادرًا على التتره على الشاطئ حافيًا، هذا ما يردده سكان الجزيرة المسنون».

سمعت هذا أيضًا. كانت الشواطئ المحلية مغطاة بصدفات المحار الحادة كالتصال، فيصعب تخيل المشي حافيًا. «وما المفارقة؟»

«طيب، ربما تكون المفارقة كلمة خاطئة. أعني أن كراسستوريا غيفاس جاء أصلاً من اليابان. من مياجي صدقًا. بل إن اسمها الآخر هو محار مياجي. أليست هذه مدينة راهبتك؟»
قالت وهي تشعر بأن المحيط الهادي الشاسع قد تقلص قليلاً
«بلى. لم أعرف هذا».

تسللت برودة الصخرة عبر مقعدة بنطالها الجينز. فنهضت وقفزت لتشعر بالدفء. ما زال الجو باردًا على الجلوس على صخرة وشرب البيرة، لكنها لم تهتم. كان هواء البحر نقيًا ومنعشًا في رئتيها، مذيبيًا النعاس والشعور المبهم الخانق الذي استحوذ عليها بعد قضاء النهار أمام الكومبيوتر. هنا شعرت أنها يقظة من جديد.

قال أولهر «أعرفين أننا محظوظان؟ أننا نعيش في مكان لم يزل الماء فيه نظيفًا؟ ولم نزل قادرين على أكل المحار؟»
تذكرت الساليش الذين اعتادوا الاعتناء بهذه المزارع، وتساءلت متى حصد آخر المحار في الأحواض المحيطة بمانهاتن. وتذكرت التسرب من فوكوشيما، وفكرت بمعبد جيكو العجوز، المتشبهت بجانب الجبل في مياجي. أو هل كان كذلك؟

قالت «أتساءل كم علينا....».

«من يدري؟ يحسن بنا التمتع به ما دام هذا في وسعنا»، ومد إليها محارة. أصابعه خشنة ورطبة. «أتريدين أخرى؟»
«نعم»، كانت الصدفة الحادة كالنصل خشنة على شفثيها، واللحم البارد ناعم على لسانها. ازدردت وتذوقت الملح. كان الموج يعلو حول الصخرة يتحسس أصابع قدميها فقالت «أشعر بالبرد. لنعد إلى البيت».

هل جريت التتمر على موجة؟ لكمها؟ ركلها؟ ضربها؟ قرصها؟
ضربها بعضا حتى الموت؟
غبي.

بعد أن وجدت جيكو العجوز ندوبي، أخذتني معها لقضاء
حاجة من البلدة. أرادت في طريق العودة أن تمر لشراء بعض
كرات الأرز والمشروبات الباردة وحلوى الشوكولاته. وخطرت لها
فكرة ركوبنا الحافلة والذهاب إلى البحر في نزهة. لم أهتم
صدقًا، لكنها ظنت أن تتاولي الأطعمة المبتاعة من البقالة واللعب
عند المحيط مكافأة كبيرة لي، فكنت كمن لا يبالي كما تعرف،
راغبة في الذهاب لأنه يصعب عليّ صد أحد يبلغ من العمر مئة
وأربعة أعوام.

لم يكن مشي جيكو على ما يرام بسبب مياها البيضاء، وهي
تحمل عصا دائمة، لكنها تحب إمساكك بيدها أكثر. أظن أن
إمساك اليد يشعرها بثقة أكبر، فاعتدت أن أمسك بيدها كلما
كنت بجوارها، وإن أردت الحق فأنا أحب هذا أيضًا. أحب ملمس
أصابعها النحيلة في أصابعي، أحببت كوني القوية، وإبقاء جسدها
الصغير قريبًا مني. فهذا يشعرني بأني ذات نفع. وهي تستخدم
عصاها إذا لم أكن معها. أحببت أني ذات نفع أكبر من العصا.
قبل الركوب إلى الحافلة المنطلقة إلى البحر، أرادت جيكو
المرور بمتجر فاملي مارت في البلدة لتتسوق من أجل نزهتنا،

ولكن في ساحة مواقف السيارات تسكنت عصابة من الفتيات اليانكي⁽¹⁾، فكذبت وقلت إنني لست جائعة. كنّ فتيات من دراجي قبائل السرعة، لهن شعور مشعثة مصبوغة بالبرتقالي والأصفر وسراويل واسعة كسراويل عمال البناء ومعاطف مخبرية مرفرفة كالتي يلبسها الأطباء والعلماء، غير أنها ليست بيضاء. بل كانت فاقعة فوسفورية ومكتوباً عليها بحروف كانجي سوداء عملاقة. قرفصت الفتيات على الرصيف قرب الباب، يمضغن العلكة ويدخن. واتكأت بعضهن على سيوف خشبية، كالتي تستخدم في الكندو⁽²⁾، فقلت مستخيل يا جدة، أنا لست جائعة، لكن جيكو العجوز عزمت على شراء طعام النزهة من أجلي، فماذا أفعل؟ أمسكت بيدها الصغيرة بقوة، ولما اقتربنا من الفتيات بصقت إحداهن فحط بصاقها عند أقدامنا، ثم أخذ يقلن أشياء. لم تكن شيئاً لم أسمعه من قبل في المدرسة، لكنني صدمت لأن جيكو مسنة جداً، وكيف لك أن تتلفظ بأشياء وقحة عن المانكو والشنشن⁽³⁾ لسيده عجوز وراهبة؟ استغرقنا دهرًا حتى تجاوزناهن لأن جيكو تمشي ببطء وكن يعترضن طريقنا. واصلن الصراخ والبصاق، وشعرت أن قلبي يركض ووجهي يسخن، وإن لم يطرف جفن لجيكو العجوز.

(1) جانحة، من الكلمة الإنجليزية يانكي. الصورة الشائعة لليانكي يافع جانح قوي حليق الحاجبين، يلبس معطفًا عمليًا طويلًا فاقع اللون مبهرج الزينة يسمى تاكوفوكو، وهذه الكلمة تعني زي الهجوم الخاص، واستمد هذا الزي من التوكوتاى، قوات الهجوم الخاصة لطيارى الكاميكازي أثناء الحرب العالمية الثانية. (الكاتبة)

(2) فن من الفنون القتالية. وتعني الكلمة طريق السيف أو فن المبارزة بالسيف. الكندو مشتق الكانجيتسو الياباني (الكانجيوتسو = الطريقة الحربية لاستعمال السيف) وهي الطريقة التي كان يتعلمها الساموراي (المترجمة)

(3) المانكو: فرج المرأة. الشنشن: قضيب الرجل (الكاتبة)

وصلنا أخيراً إلى فاملي مارت. وطوال بحثنا عن كرات الأرز والمشروبات ومداولاتنا حول شراء الشوكولاته أو كعك الفاصولياء الحلوة أو كليهما للتحلية، واطلبت على النظر من الواجهة إلى الفتيات المقرفصات خارج المتجر. أعرف أنهن سيقطن مزيداً من الأشياء عند خروجنا، وربما يرميننا بأشياء أو يتسببن في تعثرنا. ربما يتبعننا إلى الشاطئ ويدعون أخلاءهن لاغتصابنا وضربنا وإلقاء جثثنا في المحيط، أو ربما أنجزن الأمر بأنفسهن بسيوفهن الخشبية. لقد تمرنت كثيراً في المدرسة وأنا أتخيل حدوث مثل هذه الأمور لجسدي فالأمر لم يقلقني كثيراً، لكن إيذاء أحدهم لجيكو العجوز جديد علي، فشعرت برغبة في التقيؤ.

غير أن جيكو العجوز لم تكثرث. كانت تركز على اختيار نكهات كرات الأرز، واختارت في النهاية البرقوق الحامض، وأعشاب البحر المتبلة وبيض سمك القد الحريّف. أرادتني أن أختار حلوى الشوكولاته، إما بوكي أو ملتي كيسز أو كليهما، وأنى لي أن أركز على شيء ليس بذي أهمية؟ عليّ أن أحمينا من عدونا في الخارج، وإن كانت مسنة جداً وعمياء ولا تدرك الخطر المحقق بنا، وكنت أحسب الاحتمالات لقتال عدد من عاهرات الإيانكي يحملن عصياً خطيرة، أما أنا فليس عندي إلا قليل من القوالخارقة البائسة! استغرقت جيكو دهرًا لتدفع الحساب -تعرف كبار السن ومحافظ القطع النقدية- لكن هذا لم يثر استيائي ولا عرضت مساعدتها. بل كنت أرجو أن تستغرق النهار بطوله وبعد أن ننتهي، تكون العصابة قد رحلت، ولكن حظي ليس هكذا. ما زلن هناك مقرفصات على الرصيف، ولدى خروجنا

من المتجر طوفتنا يبصقن ويتفحصننا. حاولت أن أستعجل جيكو لتجاوزهن، لكنك تعرف جيكو العجوز. فهي متأنية دائماً. بدأت الفتيات يصرخن، وكلما اقتربنا علا صراخهن وزعيقهن، ونهضت بعض من المقرفصات. خطوت إلى الأمام ولما صرنا بمحاذاتهن، توقفت جيكو العجوز فجأة. أدارت وجهها نحوهن تنظر كأنها تراهن أول مرة، ثم سحبت يدي وأخذت تتدفع ناحيتهن.

تراجعت هامسة «دامي دا يو، أوباتشاما! إيكو يو!»⁽¹⁾ لكنها لم تصغ إلي. بل تقدمت ووقفت أمامهن ونظرت إليهن مطولاً، وهي تنظر إلى كل شيء هكذا. نظرة طويلة وثابتة، ربما تبعاً للوقت الذي تستغرقه الصورة لتتشكل في العدستين الحليبيتين لمياهها البيضاء. الفتيات، في سراويلهن ذات الألوان الفوسفورية والمعاطف الصناعية الزرقاء والبرتقالية والحمراء المنقوش عليهن بحروف الكانجي الكبيرة السوداء، لم يكن شيئاً في عينيها إلا مزيجاً من الخطوط والألوان الفاقعة.

لم يقل أحد منهن شيئاً. كانت الفتيات يبرزن أذقانهن وخصورهن ويراوحن أرجلهن من جانب إلى آخر متململات. أخيراً، أحسب أن جيكو العجوز أدركت ما تنظر إليه، فتركت يدي وحسبت أنفاسي. ثم انحنيت.

لم أصدق ما رأيت. لم تكن انحناء قصيرة، بل واحدة طويلة. فكان الفتيات قلن ما هذا الخراء؟ ردت إحداهن، فتاة

(1) لا، هذا ليس مناسباً يا جدي. لنذهب! (الكاتبة)

بدينة تقرّص في الأمام، بإيماءة، ليست انحناءة، وليست علامة احترام، لكنها ليست لكمة في الوجه أيضًا. تقدمت عندئذ الفتاة الطويلة الواقفة في الوسط، وواضح أنها الزعيمة، ولكمت البدينة لكمة سريعة على رأسها.

«ناميتين نوك الا شوتوهامدا نان دا يو. شانتو أوجيفي مو ديكني نو كا»⁽¹⁾

وصفعت البدينة مرة ثانية، ثم وقفت منتصبية القامة وضمت راحتي يديها وانحنت انحناءة طويلة من الخصر. نهضت بقية العصابة وفعلن مثلها. انحنت لهن جيكو ثانية، ووكزتي فانحنيت أيضًا، لكن انحناءتي فاترة، فجعلتني أكررها، وهكذا تعادلنا فكأن جيكو العجوز هي الفتاة الزعيمة في عصابتنا، وأنا الحمقاء البدينة التي لم تحسن الانحناء. لم أظن أن هذا طريف جدًا، لكن فتيات العصابة وجدنه مضحكًا، وابتسمت جيكو أيضًا، ثم أخذت يدي ومضيئنا. عندما جاءت الحافلة، جلست جيكو عند النافذة ونظرت إلى ساحة المواقف.

قالت «ترى أي أوماتسوري⁽²⁾ اليوم؟»

«أوماتسوري؟»

«نعم. هؤلاء الشابات الجميلات يلبسن ثياب الماتسوري. إنهن مبهجات جدًا. أتساءل ما المناسبة، موجي تتذكر هذه الأشياء عني...».

(1) أتلعبين معي؟ هذا غير واف. ألا تتحنين انحناءة لائقة؟ (الكاتبة)

(2) お祭り مهرجان (الكاتبة)

«هذا ليس ماتسوري! هؤلاء فتيات عصابة يا جدتي. فتيات الدراجات. بنات اليانكي».

«كن بنات؟»

«بنات سيئات. جانحات يافعات. كن يقلن أشياء بذيئة. حسبت أنهن سيضريننا».

قالت جيكو تهز رأسها «أوه لا. كانت ثيابهن جميلة. يا لها من ألوان زاهية».

-2-

سألتي جيكو العجوز على الشاطئ «هل تتمرت على موجة يومًا؟»

أكلنا كرات الأرز والشوكولاته وكنا نتسلى. جلست جيكو على مقعد خشبي صغير، وأنا مستلقية على الرمل قرب قدميها. الشمس ساطعة، ففقدت جيكو منشفة يد بيضاء رطبة على رأسها الأصلع وتبردت كالخيارة في منامتها الرمادية. كنت أشعر بالحر والقلق وأتصبب عرقًا، لكني لم أحضر طقم السباحة ولم أرغب في السباحة. غير أن هذا ليس ما تسأل عنه. رددت قولها «تتمرت على موجة؟ لا. طبعًا لا».

قالت وهي تعطيني عصاها «جربي. اذهبي إلى الماء وانتظري أكبر موجة وسددي لها لكمة. اركليها ركلة موجعة. اضربيها بعضا. هيا. سأراقبك».

لم يكن أحد حولنا، إلا بضعة راكبي أمواج في آخر الشاطئ. أخذت عصا جيكو العجوز في يدي ومشيت ثم ركضت إلى حافة المحيط، ألوح بها فوق رأسي كأنها سيف كندو. كانت الأمواج

كبيرة تتكسر على الشاطئ، فركضت إلى أول موجة جاءت إلي، وأنا أصرخ كيايبيبي! كأنني ساموراي يحارب في معركة. ضربت الموجة بالعصا، وقطعتها، لكن الماء استمر في المجيء. تراجعت إلى الشاطئ وهربت، لكن الموجة التالية أطاحتني أرضاً. نهضت وهاجمت مرة بعد مرة، وفي كل مرة يلطمني الموج خابطاً إياي على الصخور وهو يغطيني بالزبد والرمل. لم أبال، فالبرد الحاد جميل، وعنف الأمواج قوي وحقيقي، ومرارة الملح في أنفي لذيدة لذة قاسية.

المرة تلو الأخرى، جريت إلى البحر أضربه حتى تعبت ولم أعد قادرة على الوقوف. وبعدما سقطت سقطتي التالية، اكتفيت بالاستلقاء هناك والسماح للأمواج أن تغمرني، وسألت نفسي عما سيحدث لو توقفت عن المحاولة وعدت. ماذا لو أسلمت جسدي، هل يغمرني البحر؟ ستأكل أسماك القرش أطرافي وأعضائي. ستتغذى الأسماك الصغيرة على أناملي. ستسقط عظامي البيضاء الجميلة إلى أعماق المحيط، وسينبت عليها شقائق النعمان البحرية كالزهور. ستسكن الالئ في محجري عيني. نهضت ومشيت عائدة إلى مجلس جيكو العجوز. فنزعت المنشفة الصغيرة عن رأسها ومدتها إلي.

قلت وأنا أرتمي على الرمل «ماكيता⁽¹⁾. خسرت. فاز المحيط».

فابتسمت. «هل الشعور جميل؟»

«ممم».

(1) هزيمة (الترجمة)

«هذا جيد . أتأكلين كرة أخرى من الأرز؟»

-3-

جلسنا هناك وقتًا أطول، ننتظر جفاف سروالي القصير وقميصي القطني. آخر الشاطئ من بعيد، واصل راكبو الأمواج السقوط في الماء والاختفاء.

قلت مشيرة إليهم «الموج يهزمهم أيضًا».

ضيقت جيكو عينيها، لكنها لم ترهم من خلال زهور فراغها.

قلت وضحكت «هناك. أترين ذلك؟ إنه يقف في الأعلى... يرتفع... إنه يرتفع... أوه، لقد سقط». كانت رؤيته مضحكة.

هزت جيكو رأسها، كأنها توافقني الرأي. «أعلى، أسفل، سيان».

هذا تعليق معتاد من جيكو، فيه إشارة إلى ما تدعوه طبيعة الوجود اللاثنائية⁽¹⁾ وأنا أحاول مراقبة بعض الرجال الظرفاء وهم يركبون الأمواج. أدرك أنني لا أود جدالها لأنها تفوز دائمًا، لكن الأمر مثل مزحة طق طق، إذ يجب أن تقول «من الطارق؟» فيقول لك الشخص السطر المضحك. قلت «لا، إنهما ليسا الشيء نفسه. ليس في نظر راكب الموج».

(1) 不二 فوني نفي الاثنين، حرفيًا لا+ اثنان (الكاتبة) اللاثنائية تعني نفي الاثنين، أو إثبات الواحد الذي لا ينقسم ولا ثاني له. تشير اللاثنائية إشارة أولية إلى حالة ناضجة من الوعي، يترفع صاحبها عن ثنائية «أنا والآخر»، ويكون فيها الوعي بلا مركز ولا انقسامات. ومع أن ظاهر هذه الحالة من الوعي أنها تكون عفوية، فإنها عادةً تتبع تحضيرًا طويلًا من خلال ممارسات التقشف أو التأمل، التي قد تحتوي على وصايا أخلاقية. ومع أن مصطلح اللاثنائية مشتق من مذهب أدهايتا فيدانتي، فإن الوعي اللاثنائي موصوف في الهندوسية (توريا، ساهاجا)، والبوذية (الخلا، بارينيسبانا، طبيعة العقل، ريفبا)، والإسلام (وحدة الوجود، الفناء، الحقيقة)، والمسيحية الغريبة والتقاليد الأفلاطونية المجددة (الوحدة الصوفية) (المترجمة)

«نعم. أنت على حق. ليسا سيان»، وعدلت نظارتها وقالت. «لكنهما ليسا مختلفين أيضًا».

أتفهم ما أعنيه؟

«إنهما مختلفان يا جدتي. المعنى من ركوب الموج هو الوقوف أعلى الموجة وليس أسفلها».

«راكب الموج، الموج، سيان».

لا أدري لماذا أتجشم العناء. قلت «هذا غباء. راكب الموج شخص، والموجة هي موجة. كيف يكونان الشيء نفسه؟»

نظرت جيكو إلى المحيط حيث التقى الماء بالسماء. «تولد الموجة من ظروف عميقة في المحيط. يولد الشخص من ظروف عميقة في العالم. يخرج الشخص من العالم ويدرج مثل موجة، حتى يحين وقت غوصه من جديد. أعلى، أسفل. شخص، موجة».

أشارت إلى الجروف الشاهقة بمحاذاة الشاطئ. «جيكو، جبل، متشابهان. الجبل عالٍ وسيعيش زمنًا طويلًا. جيكو قصيرة ولن تعيش أكثر. قضي الأمر».

مثلما قلت، هذه الأحاديث المعتادة التي تتبادلها مع جيكو العجوز. لم أفهم قط ما تقوله حق الفهم، لكنني أحب محاولتها في أن تشرح لي. هذا لطف منها.

حان وقت العودة إلى المعبد. جف سروالي القصير وقميصي القطني وكان جلدي يحكني كثيرًا بسبب الملح. ساعدت جيكو في النهوض وعدنا مشيًا إلى موقف الحافلة، نمسك بأيدي بعضنا. ما زلت أفكر في ما قالته عن الأمواج، وحزنت لأنني عرفت أن موجتها القصيرة لن تدوم وستتضم إلى البحر قريبًا، ورغم معرفتي أن المرء لا يتشبث بالماء، فقد قبضت على أصابعها بقوة أكبر كي أمنعها من التسرب.

لا يمكنك الإمساك بالماء ولا منعه من التسرب. كان هذا درسًا تعلمته [شركة] تيكو في الأسابيع التي أعقبت التسونامي، عندما ضخّت آلاف الأطنان من مياه البحر في أوعية المفاعل في محطة فوكوشيما النووية محاولة منها تبريد قضبان الوقود ومنع انصهار المفاعل الذي حدث سلفاً. يسمونها استراتيجية «الضخ والتصريف»، وقد نتج عنها 500 طن من المياه شديدة التلوث بالإشعاعات كل يوم، المياه التي يجب احتواؤها ومنعها من التسرب.

على الجانب الآخر من المحيط الهادي، تفكرت روث في التقارير الواردة عن الكارثة. إذ نشرت الوكالة الدولية للطاقة الذرية، التي رصدت الوضع، السجل اليومي لمستجدات حادث فوكوشيما النووي عام 2011، واصفة تفاصيل المحاولات المستميتة لتحقيق استقرار المفاعل. وهذا مقتطف قصير من سجل يوم 3 أبريل:

في الثاني من شهر أبريل، اكتمل نقل المياه من صهريج التكتيف في الوحدة الأولى إلى خزان الدفع لحوض الإخماد استعداداً لنقل المياه من قبو مبنى المحركات في الوحدة الأولى إلى المكثف. وفي الثاني من أبريل أيضاً بدأ نقل المياه من مكثف الوحدة الثانية إلى خزان التكتيف استعداداً لنقل المياه من قبو مبنى المحركات في الوحدة الأولى إلى المكثف.

فقرة تلو فقرة، وصفحة بعد صفحة، فصل السجل النظام المعقد للضخ والتصريف، وخزانات الزيادة وأنابيب التزود بالماء، وأنابيب الحقن والامتصاص، وأحواض التكتيف وبؤره، ومعدلات التدفق وممرات التسرب، والخنادق والأنفاق والأقبية الفارقة، التي استخدمت لاحتواء الماء.

كان سجل مستجدات الثالث من أبريل أول سجل يذكر وجود صدع، اكتشف في جانب جدار حظيرة الاحتواء أسفل المفاعل #2، بجوار مدخل مياه البحر. وعثر على تركيز عالٍ من نظير اليود 131 ونظير السيزيوم 137 المشعين في عينات من مياه البحر تبعد عن المفاعلات النووية ثلاثين كيلومتراً، بمستويات تفوق معدلاتها قبل الحادث بعشرات آلاف الأضعاف. كانت حظيرة الاحتواء تسرب ما وصفته ذا نيويورك تايمز في وقت لاحق بأنهار من المياه عالية الإشعاع، والتي سالت إلى البحر.

أشار سجل مستجدات الرابع من أبريل إلى حصول تپكو على موافقة الحكومة اليابانية لتصريف 11.500 طن من المياه الملوثة إلى المحيط الهادي. يعادل هذا القدر من الماء محتوى خمسة أحواض سباحة أولمبية.

وأشار سجل المستجدات ليوم الخامس من أبريل إلى أن التصريف بدأ واستمر خمسة أيام.

كان مستوى الإشعاع في المياه الملوثة أكبر من المقدار المسموح بمئة ضعف، لكن المحيط الهادي شاسع واسع، ولم تتوقع تپكو مشكلة. وفقاً لسجل المستجدات، رأت الشركة أن امراً من العامة يأكل أعشاب البحر والطعام البحري المجني من

مكان قريب من المحطة النووية كل يوم لمدة عام، سيتلقى جرعة إضافية سنوية من الإشعاع تقدر بـ 0.6 مليسيفرت، وهذا أقل بكثير من المستوى الخطر على صحة البشر. ولم تقدر الشركة العواقب على السمك.

المعلومات شديدة الشبه بالماء، يصعب إمساكها، ويصعب منعها من التسرب. حاولت تپكو والحكومة اليابانية التعتيم على أخبار انصهار المفاعل، ونجحنا بعض الوقت في إخفاء بيانات بالغة الأهمية حول مستويات الإشعاع الخطرة في الإقليم المحيط بالمحطة المشلولة، لكن المعلومات أخذت في التسرب في نهاية المطاف. افتخر اليابانيون بتحملهم وحلمهم، لكن الانكشاف المستمر لسوء الإدارة والأكاذيب والتعتيم مس أعماق الغضب.

-2-

آمن اليابانيون في العصور الوسطى بأن الزلازل سببها سمكة سلور غاضبة تعيش تحت الجزر.

في الأساطير الأولى، حكمت المونو إيو ساكانا، أو «السمكة المتكلمة»، البحيرات والأنهار. هذه السمكة الخارقة قادرة على التحول إلى هيئة البشر والكلام بلسان البشر، وإذا تعدى بشري على مملكتها المائية، ظهرت له وحذّرتة، وإن لم يرعو المعتدي، عاقبته المونو إيو ساكانا بالطوفان أو غيره من الكوارث الطبيعية. تحولت المونو إيو ساكانا في منتصف القرن التاسع عشر إلى جيشين نامازو، أو سمكة سلور الزلزال، إلى كائن ضخم شبيه بالحوث يجعل الأرض تهتز وترتجف من ضرباته الغاضبة. ولا يحبسها إلا صخرة كبيرة يسيطر عليها الإله كاشيما الذي يعيش في مزار كاشيما.

تسمى الصخرة كانامي إيشي، كلمة يابانية لا تقبل الترجمة تعني شيئاً من قبيل «الصخرة الرئيسة» أو «الصخرة الراسخة» أو «صخرة الجذب». يستخدم الإله كاشيما الكانامي إيشي ليشل سمكة السلور بتهيئ رأسها إلى الأرض. فإذا غفا الإله كاشيما أو تلهى، أو نودي لقضاء أمر، يزول الضغط عن رأس سمكة السلور، فيتسنى لها هز ذيلها والخبط، فتكون النتيجة هي الزلزال.

لن ترى الشيء الكثير في زيارتك لمزار كاشيما، فجل الصخر مدفون تحت الأرض. تظلل حظيرة صغيرة مسقوفة رقعة جرداء من الأرض، يخرج منها صخرة صغيرة مدورة قطرها اثنا عشر إنشاً، مثل جمجمة مكلفة لطفل يحاول أن يولد. يستحيل معرفة حجم الصخرة تحت الأرض. كم عجيب أن يفكر المرء بأن مصير الجزر اليابانية يقوم على افتراض أن صخرة رئيسة متوجة لامرئية في معظمها ومدفونة كبيرة وثقيلة جداً لتكبح جماح سمكة سلور الزلزال الغاضبة.

-3-

ليست سلور الزلزال سمكة مؤذية تماماً، على الرغم مما تعيئه من الدمار والنكبات. فلها جانب مفيد أيضاً. إن يوانشي نامازو أو سلور إصلاح العالم فصيلة فرعية من سلور الزلزال، وقادرة على إصلاح الفساد السياسي والاقتصادي في مجتمع ما من خلال إحداث التغيير.

كان الإيمان بسلور إصلاح العالم سائداً على وجه الخصوص أوائل القرن الثامن عشر، وهي حقبة عرفت بالحكومة الضعيفة العاجزة وبطبقة من التجار المتنفذين، إلى جانب أحوال طقس

قاسية وغير مألوفة، وضعف المحاصيل والمجاعات والاكتناز واضطرابات المدن والحجيج الديني الجماعي الذي يتحول في النهاية إلى عنف الغوغاء.

استهدفت سلور إصلاح العالم طبقة التجار، الواحد بالمئة الذين أدت أفعالهم الجامحة في تحديد الأسعار والاكتناز واستغلال النفوذ إلى كساد اقتصادي وفساد سياسي. كانت السلور الغاضبة ستزلزل الأرض، وتتشرب الخراب والدمار بغية إعادة البناء، فيتخلى الأثرياء عن ممتلكاتهم، وهذا سيخلق أعمالاً في الإنقاذ وإزالة الأنقاض والبناء للطبقات العاملة. ويتضح إعادة توزيع الثروات في رسوم ساخرة لذلك الزمن، تصور سلور إصلاح العالم وهو يجبر التجار الأغنياء والمديرين التنفيذيين على تقيؤ القطع النقدية الذهبية وتغوطها، ويضعها العمال في جيوبهم. ولكن ينجم عن الزلازل خراب مواز للأسف، وكثيراً ما يملأ الندم قلب السلور. في إحدى الرسومات اللاذعة، سيپوكا نامازو أي سلور الانتحار، يشق بطنه ليكفر عن كل الموت الذي تسبب به. وتتسكب القطع الذهبية من الشق العريض في بطنه. في يد يقبض على سكين بقر البطن الشعائرية التي أقحمها في بطنه. وفي اليد الثانية يمسك سبيكة ذهب يقدمها إلى جمع من البشر، ويطل الإله كاشيما وأرواح الموتى من عل.

-4-

دام الارتباط بين السلور والزلازل في العصور الحديثة. يحذر تطبيق الجوال يوري كورو مستخدميه من زلزال قادم، ويزودهم بمعلومات عن موقع مركزه وقت حدوثه وشدته. تعني يوري كورو

«الاهتزاز قادم»، وشعار التطبيق رسمة لسلور ذات ابتسامة بلهاء يخرج من رأسها برقان.

قال أولفر متأولاً جواله «هذا ظريف. يجب أن نحمله، فنحن معرضون لزلزال كبير هنا. ترى هل يعمل في ويلتاون؟»
كانا جالسين أمام النار في غرفة المعيشة بعد عشاء من حساء البطليينوس والمحار، والخبز الطازج المنكه بإكليل الجبل، وسلطة من صفار الكرنب الأجعد الغض والخردل الهندي الحريف من المشتل. كان شهر فبراير، لكن أولفر تدبر حصولهما على الخضار الطازجة دائماً حتى في أشهر الشتاء.

«في شتوتغارت التي نشأ فيها والداي أسماك سلور عملاقة تعيش في قاع نهر نيكار. لم يرها أحد قط إلا قبل وقوع زلزال، إذ ترتفع إلى سطح الماء. إنها ضخمة لها شوارب تزن مئتي رطل».

«أكانت حقاً بهذا الحجم؟»

«هذا ما قاله أبي، لكنها اختفت. ما عاد المرء يرى سلوراً بهذا الحجم إلا في تشرنوبل. إذ تعيش مجموعة منها في القناة التي كانت تتقل ماء التبريد للمكثف في المفاعل. وتتجول تحت جسر السكة الحديد. لم يعد أحد يصيد السمك هناك، فتكاثرت أسماك السلور. لقد غدت ضخمة حقاً، ويبلغ طول بعضها اثنا عشر أو ثلاثة عشر قدماً. إنها من أسماك الأعماق. ولا يزال الطين يحتوي كثيراً من الذرات المشعة، لكن لا يبدو أن أسماك السلور تهتم بهذا».

فكرت روث بالبطلينوس مرة أخرى. كانت تتظفه في الرواق لأربع وعشرين ساعة لتخلصه من الطين والرمل. واتبعت طريقة تقضي بنقعه في دلو من مياه البحر، أضافت إليها حفنة من دقيق الذرة ومسمارًا صدئًا، وتحرك الماء عدة مرات في اليوم، وتغيره بعد اثنتي عشرة ساعة.

قرأت عن هذه الطريقة في رواية نسيت اسمها. تتذكر أنها قصة عن أسرة تملك مصيفًا في مين أو ماساشوستس أو لعلها رود آيلند. منطقة على الساحل الشرقي فيها مصطافون جميلون، وأطفال ذهبليون نحيفون، وحياة مريحة، وأم تجيد تنظيف ثائيات الصدفة. كان البطلينوس الذي تأكله هذه العائلة الجميلة من نيو إنغلند ليس له جريش أو صرير مزعج تحت أسنانهم القوية البيضاء. ربما كان اسم الرواية آل هامتن. الذاكرة شيء غريب. استقرت طريقة الأم في تحقيق هدف التخلص من الجريش في ذاكرة روث، لكنها نسيت حبكة الرواية أو السبب الذي جعل من هذه الطريقة ناجعة.

أخبرت أولفر بهذا، فقدم لها فرضية. «أظن أن شيئين يحدثان. دقيق الذرة طعام يبلعه البطلينوس وهو ينظف الأشياء الخضراء من قنواته الهضمية وأعضائه المعوية».

كانت روث تقطع البطاطا مكعبات لأجل الحساء وهو يشرح ذلك. كانت تقبض على السكين وتصفى، فتخلت صورة واضحة للأم في الرواية. تلبس فستانًا طويلًا من الكتان الأبيض الأنيق. لن يكون في أمعاء البطلينوس عندها أشياء خضراء.

قال أولفر «هذه هي العملية الأولى. وهي بيولوجية. أما الثانية فكهركيميائية. ملح البحر محلول أيوني وهو محول كهربائي. المسمار الصدئ المصنوع من الحديد هو الموصل، وأتخيل أجسام البطلينوس كذلك أيضاً».

قالت روث في نفسها الحقيقة أنها آل هامتن. كان فيها كثران رملية ونسائم من الأطلسي ومظلات مخططة باللونين الأبيض والأخضر وكراسي سفينة مغطاة بالقماش. لبست الأم فستاناً أبيض انتفخ مع نسيم العصر، أو ربما لبست السروال القصير، والستائر الشفيفة على النوافذ الطويلة المفتوحة للبيت هي التي انتفخت.

قال أولفر «يولد المسمار عند وضعه في الماء المالح شحنة كهربائية صغيرة تكفي لإثارة البطلينوس وتجعله ينظف الرمل». ولكنها ربما خلطت مشهد الرواية بشيء آخر. ربما لم تضع الأم الشقراء الجميلة التي تلبس فستاناً أبيض منتفخاً مسماراً صدئاً في الدلو مع البطلينوس. لا يشبه ذلك أمراً تفعله. ربما كان المسمار في الدلو حيلة يابانية عرفت روث من أمها أو من أحد أصدقائها اليابانيين.

خلص أولفر قائلاً «جوهرياً أنت تطعمينه وتكهربينه لتحرضيه على التبرز والبصاق».

كانت روث عندئذ تقطع البصل، وتجفف الدمع من عينيها بظهر يدها فقالت «الحقيقة أن الرواية تتكلم عن العائلة، عن كؤوس المشروبات الطويلة الباردة ولباس كرة المضرب والعلاقات الإنسانية وأشياء من هذا القبيل. ولا تتوغل كثيراً في الكهركيمياء».

تتاولا الطعام في غرفة المعيشة أمام النار واستمعا إلى عواء
الريح. كان الطقس شديد البرودة ولا يناسبه لبس فساتين بيضاء
منتفخة، ثم إن الناس شمال غرب المحيط الهادي يلبسون الثياب
العملية من البولي بروبيلين والصوف الصناعي، لكن روث لن
تتذمر. كانت النار دافئة والحساء شهياً دسماً وكريمياً. أيّا كان
أصل طريقة تنظيف ثائيات الصدفة أو تفسيرها، فقد كانت
ناجعة، والبطلينوس مكتنز وخال من الرمل والجريش. أحب القط
الحساء أيضاً. كان يطوف في المكان أثناء تناولهما الطعام،
محاولاً لعق وعاءي حسائهما. أبعداه أولفر فضربه القط على
يده، فأمسكه أولفر وثبت رأسه إلى الأرض. أدار پستو ظهره لهما،
خانعاً مهاناً، نافراً منهما وأخذ يحدق إلى النار شكساً.

قال أولفر «هذا سخيف. أستطيع تحميل تطبيق يوري كورو،
لكنه لا يحمل إلا بيانات من الوكالة اليابانية لتأثيرات المناخ. لن
يخبرنا بأي شيء عن الزلازل في كندا».

رنت روث إلى ألسنة اللهب. «حسبت كندا آمنة».

«لا مكان آمن. طيب. حملته. سنعرف كل شيء عن نشاط

الزلازل في اليابان».

«ربما علينا الذهاب إلى اليابان لتتمكن من استخدام التطبيق».

«ربما لا نحتاج لذلك، فاليابان قادمة إلينا».

-5-

«ماذا؟»

«اليابان قادمة إلينا».

«ماذا تعني؟»

مكتبة
t.me/soramnqraa

«الزلازل. لقد قَرَّب ساحل اليابان منا».

«حقاً؟»

ارتسمت الحيرة على وجه أولفر. «ألا تذكرين؟ لقد جعل انفلات الانزلاق التكتوني كتلة اليابسة قرب مركز الزلازل تقفز ثلاثين قدمًا في اتجاهنا».

«لم أعلم بهذا».

«بلى علمت. تكلمنا عن الأمر. كما جعل الكتلة الكوكبية تقترب أكثر من النواة، وهذا يجعل دوران الأرض أسرع. زيادة سرعة الدوران قصّرت طول النهار، وباتت أيامنا أقصر».

«حقاً؟ هذا مخيف!»

ابتسم. «كأنك أملك....»

تجاهلت تعليقه. «كم خسرنا من الزمن؟»

«ليس كثيرًا. واحد فاصلة ثمانية ملايين جزء من الثانية في اليوم، كما أظن. هل تريدني مني أن أتأكد؟»

«سأثق بكلامك».

«أنا متأكد أننا تكلمنا عن الأمر. كان على الشبكة. أتذكرين؟»

فكذبت قائلة «أذكر طبعًا. حسبت الأيام أقصر كثيرًا، لكنني ظننت الأمر من نسج خيالي».

بتّ أقوى بمساعدة من جيكو بحلول نهاية الصيف. ليس في جسدي فقط، بل قوة بعقلي. بدأت أصبح بطلة خارقة في عقلي، مثل جوبي شان، فتاة الساموراي، عدا أنني ناتتشان، الراهبة الخارقة، ذات القدرات التي وهبها لي الرب بوذا ومنها قتال الأمواج، وإن كانت الخسارة نصيبي دائماً، وقدرتي على تحمل مقدار مذهل من الألم والمصاعب. ساعدتي جيكو في تنمية قواي الخارقة! فدفعني إلى جلسات الزان ساعات كثيرة بلا حراك، وعلمتني ألا أقتل شيئاً، حتى البعوض الذي يطن حول وجهي وأنا جالسة في الهوندو وقت الغسق أو راقدة في فراشي ليلاً. تعلمت ألا أضربه وهو يقرصني وألا أحك بعدها. في بادئ الأمر استيقظت متورمة الوجه والذراعين من قرص البعوض، ولكن رويداً رويداً بات دمي وجلدي قويين ومنيعين على سمه ولم أصب بطفح جلدي مهما قرصني. وسرعان ما تلاشى الفرق بيني وبين البعوض، فلم يعد جلدي جداراً يفصلنا، وبات دمي دماً له. كنت فخورة بنفسي، فذهبت إلى جيكو وأخبرتها، فابتسمت. قالت تربت على ذراعي. «نعم. الكثير من الطعام اللذيذ للبعوض».

شرحت لي أن الشباب يحتاجون إلى الكثير من التمرين فيجب أن نرهق أنفسنا يومياً وإلا اعترضتنا أفكار وأحلام مؤذية، سينجم عنها أفعال مؤذية. أعرف ما يكفي عن أفعال الشباب المؤذية

وأتفق معها، لذا لم أعترض عندما دفعتني إلى العمل في المطبخ مع موجي يوميًا. أعرف أن موجي سعيدة بوجودي معها، لأنها قالت لي هذا. قبل مجيئي كان العمل كثيرًا على راهبة واحدة. لعلني قلت هذا من قبل، ولكن عليك أن تدرك أن الحياة في المعبد تشبه العيش في حقبة مختلفة تمامًا، وكل شيء يستغرق وقتًا أطول بمئة مرة مما يستغرقه في القرن الحادي والعشرين. لم تهدر موجي وجيکو شيئًا. فتحرصان على جمع كل رباط مطاطي أو مربط ملوي، كل قطعة من خيط أو ورق أو قصاصة من قماش، وتعيدان استخدامها. أولعت موجي بالأكياس البلاستيكية فدفعتني إلى غسلها جيدًا بالماء والصابون ونشرها في الخارج، حتى تتشمس وتدور في الريح كأنها بالونات قنديل البحر أثناء جفافها. لم أعترض، فليس عندي ما أفعله، ولكنها في رأيي تستغرق وقتًا طويلًا جدًا. حاولت أن أشرح لها أن رمي الأكياس القديمة وشراء أخرى جديدة أسرع وأسهل، وسيكون عندهما مزيد من الوقت لجلسات الزازن، لكن جيکو لم توافق. بل قالت جلسات الزازن وغسيل أكياس المجمدة هما الشيء نفسه.

لا تتخلصان من شيء أبدًا إلا إن كان تالفًا جدًا، وتهوّلان الأمر عندها. إذ تحتفظان بكل الدبابيس المنحنية وإبر الخياطة المكسورة ومرة كل عام تقيمان صلاة تذكارية، فتترنمان وتغريسانها في مكعب من التوفو ليكون لها مكان لين ناعم ترقد فيه. تقول جيکو إن لكل شيء روحًا، وإن كان قديمًا عديم الفائدة، ولا بد أن نواسي الأشياء ونجلّها وقد أحسنت في خدمتنا.

فها أنت ترى، مع كل هذا العمل الإضافي، أن وجود امرئ شاب آخر يساعد كثيرًا. واستطعنا أن نخلل مزيدًا من البرقوق والملفوف، وأن نجفف مزيدًا من اليقطين والديكون، وأن نعتي أكثر بحديقة المعبد. واستطعنا زيارة كثير من رعايا المعبد من كبار السن أو المرضى، وكنت أنزع الأعشاب الضارة من حدائقهم أحيانًا.

بدأت الاستيقاظ في الخامسة صباحًا لأجلس الزازن معهما، وبعد القرابين والصلوات والسوجي⁽¹⁾، وأثناء إعداد موجي لطعام الإفطار، تجعلني جيكو أجري الطريق نزولًا من الجبل ثم صعودًا إلى المعبد من جديد، وتقف هناك لملاقاتي عندما آتي لاهثة آخر العتبات، وتصبح ساقّي كالنودلز. تقف هناك برفقة تشيبي، قط المعبد ذي اللونين الأبيض والأسود، وتعطيني منشفة وجرة كبيرة مليئة بالماء البارد، وتراقبني وأنا أشربه.

قالت لي مرة «لك ساقان جميلتان مستقيمتان. جميلتان وطويلتان. قويتان». ففرحت ولولا أن وجهي كان أحمر من الجري لاحمر خجلًا.

وأردفت تقول «إنهما ساقا أبيك. كان عداء قويًا أيضًا. أسرع منك قليلًا».

«هل جعلته يجري نزولًا وصعودًا هو الآخر؟»

«طبعًا. فهو ولد يافع عنده أفكار مؤذية، وكان بحاجة إلى تمارين كثيرة».

(1) 掃除 التطييف (الكاتبة)

صببت ما بقي من ماء الجرة على رأسي ثم هزرتة. تساقطت قطرات الماء من أطراف شعري، ممطرة تشيبي الذي أجفل وابتعد.

ناديته «أنا آسفة يا تشيبي»، لكنه تجاهلني طبعاً. وجلس على مبعدة مديراً ظهره لي وأخذ يلحق نفسه. كان ساخطاً حقاً، لكنه قط فلم أكثرث للأمر.

قلت وأنا أراقب القط يتجاهلني «ما زال لأبي أفكار مؤذية. ربما يجدر به العودة والعيش هنا معنا. ربما يمكنك تدريبه وتعليمه أن يكون قوياً من جديد. فيجري نزولاً وصعوداً، ويجلس الزانن، ويعمل في الحديقة...»

كلما فكرت في الأمر أعجبتني الفكرة أكثر، ومن غير تفكير وجدت الكلمات تتساقط من فمي، فقلت أرجوك يا جدتي! أنا جادة. إنه بحاجة إلى المساعدة! ثم أخبرتها بليلة وقوعه أمام القطار، وتظاهره هو وأمي بأنه حادث لكنه ليس كذلك، وأنه لا يخرج من الشقة في النهار، بل يخرج في وقت متأخر من الليل ويظل ساعات وساعات، وأعرف ذلك لأنني أظل مستيقظة وأنتظر سماعه لأنني خشيت ألا يعود. وأنه ذات ليلة عندما لم أعد أطيق صبراً، تسللت خلفه، لأنني أردت أن أعرف إن كان يتعقب أحداً أو يذهب لملاقاة حبيبة، وهذا سيئ من أجل أُمي، لكنه سيعطيه سبباً للوجود على الأقل، وتبعته في الشوارع، مختبئة في الظلال وقرب الجدران. لم يكن للطريق الذي قطعه معنى، لكنه لم يهتم، كأنه رجل آلي وقدماء مبرمجتان لتنفيذ خوارزمية عشوائية تعلمناها في صف الحاسب الآلي، لكن عقله موقوف

عن التشغيل فلم ينتبه إلى أين يذهب. ربما كان يمشي نائمًا. فهو يدخل أحياء مختلفة أحيانًا، وتغدو الشوارع أحيانًا قديمة وضيقة جدًا ومتلوية فأوقن بأننا تهنا. لم يتوقف أو يتكلم مع أحد أو يشتري شيئًا قط، حتى السجائر أو البيرة من آلات البيع، وعندما أتذكر هذا الآن، أرى أننا لم نمر بأحد في الشوارع أيضًا، فلربما كان عنده خوارزمية للتحاشي مدمجة في برنامج، مثلما يفعل الرجال الآليون لتفادي الاصطدام بالأشياء.

مشينا ساعات. وكنت خائفة لأنني عرفت أنني لن أجد طريق العودة إلى البيت بمفردي، ولم أرده أن يعرف أنني أتعبه، لكنني تعبت جدًا ولا أستطيع المتابعة. فانعطف انعطافة أخيرة، وخرجنا إلى المتنزه الصغير على ضفة نهر سوميدا الذي رأيته في حلم وثاقي المعدني. كان كما تصورته تمامًا. على أحد جانبيه بجوار ضفة النهر باحة فيها أرجوحة ومزلقة ولعبة الميزان، وعرفت أن هذه وجهته. وطبعًا تقدم نحو الأرجوحة وجلس. كان مديرًا ظهره لي، فدرت واختبأت خلف باندا من الأسمنت لأرى وجهه. أشعل سيجارة شورت هويز وأخذ يتأرجح، وقابل الماء وأخذ يهز ساقيه ويتأرجح أعلى وأعلى، وثبت سيجارته بين أسنانه، متجهماً كأنه عازم على أمر. كأنه حاول جعل الأرجوحة تعلو بأقصى ما يستطيع عندما بلغت ذروة القوس فتركها، وأرسلته قوة دفع الأرجحة محلقة فوق جدار الأمان وإلى نهر سوميدا، حيث يفرق ويفوص جسده إلى القاع وتأكله الكايا أو سلور النهر العملاق. أقسم إنني رأيته، لحظة انزلت يده من سلاسل الأرجوحة وانقذف جسده عن المقعد، طائرًا إلى الأمام، باسطًا ذراعيه

وساقيه ليعانق الهواء القادم والماء الداكن العميق. لا... لا... لا! سمعت نفسي أ همس، ووافق نبض قلبي إيقاع الأرجوحة. الآن... الآن... الآن!

لكنه لم يحدث، ولم يرحل، وعندئذ فقد الدفع قوته وبات قوس الأرجوحة أصغر وأكثر تباعدًا، حتى توقف عن الحركة تقريبًا، وتجرجرت مقدمة صندله البلاستيكي جيئة وذهابًا، مخلفة دوائر هائلة صغيرة في التراب تحت الأرجوحة. وقف ومشى إلى جدار الأمان ونظر من ورائه، ثم أخذ مجة أخيرة من سيجارته وقذفها إلى النهر. وقف هناك زمنًا طويلًا، يحدق إلى الماء المزيّت. خشيت أن يتسلق الجدار ويقفز، وأردت أن أخرج من مخبئي وأمنعه.

قالت جيكو «لكنك لم تفعل!».

«لا. كنت سأفعل، لكنه أدار ظهره للماء وأخذ يمشي من جديد».

«هل تبعته؟»

«نعم. مشى عائداً إلى البيت. انتظرت خارج باب شقتنا حتى ظننت أن البر أمان فدخلت وأنا أفتح بمفتاحي. لا أظنه سمعني، فقد كان يشخر حينها».

هزت جيكو العجوز رأسها. «كان ينام بعمق في صباه».

سألتها «ألا ترين إذن أنه يجدر به العودة والإقامة هنا معنا؟ أظن أن هذا سينفعه كثيرًا، ماذا عنك؟ كان عليك رؤية وجهه ونحن نصعد عتبات المعبد، فقد بدا سعيدًا حقًا».

قالت جيكو «لطالما أحب المكان هنا».

«يجب أن يعود إذن، صح؟»

قالت «ما، سو كاشيرا⁽¹⁾»، وهذه إحدى الإجابات اليابانية التي لا تعني شيئاً قطعاً.

-2-

كان الطقس أشد حرارة مما تتخيل في أغسطس، ووقت العصر عندما تكون جيكو وموجي في دروس تنسيق الزهور أو غناء السوترا لسيدات الجوار ويفترض بي أن أنجز فروضي الصيفية، أخرج نفسي خارجة إلى الإنفاوا⁽²⁾ المطللة على البحيرة وأجلس هناك وأسرح. أحببت الاستناد إلى العارضة الخشبية الثخينة وأنا أضع سماعتني، وساقاي ممدودتان أمامي، أراقب اليعاسيب حول أوراق اللوتس في البحيرة الصغيرة، وأصغي إلى تسجيل فرقة بوب يابانية لأغانٍ فرنسية انجذبت إليها قبل معرفتي بالبحث عن الزمن المفقود. لا يعجب تمديدي جيكو، وكلما رأته متمدة قالت لي ذلك، تقول إن الجلوس ومد الساقين وفتحهما أمام العالم ليس من الأدب، خاصة إذا لم أكن ألبس سروالاً داخلياً، وأنا أتفق معها إجمالاً، لكن الجو شديد الحرارة! لا أطيق إحساس تلامس جلد باطن فخذي، والخشب القديم للإنفاوا ناعم وبارد ولا أحد يراني. حتى القط تشيبي، الذي يحب عادة الحوض الساخن، ظل بعيداً. وغفا على صخرة تغطيها الطحالب تحت بعض الأشنات. كان الهواء ساكناً معظم الوقت، لكن نسيماً صغيراً هب من ناحية الجبل بين الحين والحين ودخل بوابة المعبد وشق طريقه إلى الحديقة، فغضن صفحة الماء ودغدغ ما بين ساقَي، مسبباً لي

(1) حسن، أتساءل... (الكاتبة)

(2) 縁側 شرفة خشبية ضيقة تطوق البناء الياباني التقليدي. (الكاتبة)

العرشة. يخطر لي أحياناً أن أرواح الأسلاف تعيش في النسيم، ويشعر بها المرء تحفّ المكان.

كان الأوبون⁽¹⁾ يقترب، والأرواح تتجول كمسافرين يصلون إلى المطار حاملين حقائبهم باحثين عن مكان تسجيل دخولهم. الأوبون إجازتهم الصيفية أيضاً، إذ يعودون من أرض الموتى لزيارتنا هنا، في أرض ما يدعى بالأحياء. كان الهواء الساخن حاملاً بالأشباح، وقولي هذا مضحك لأنني لم أحمل قط، لكنني رأيت نساء في القطار يوشكن على الفرقة، وأتصور أن هذا هو الشعور. إذ يدفعن أنفسهن، البطن أولاً وإذا ما تخطى أحد لطيف لهن عن مقعده، يرتمين عليه، ويجلسن فاتحات سيقانهن، يمسدن على بطونهن ويهوين على وجوههن المتفرقة الحارة، وهذا هو أغسطس لدى اقتراب الأوبون، كأن العالم كله حامل بالأشباح، وسيندفع الأموات في أي لحظة خارجين من الغشاء اللامرئي الذي يفصلهم عنا. إذا لم أكن جالسة على الشرفة، أسرح بخيالي، كنت أتعقب جيكو في أنحاء المعبد، أحمل لها أشياء وأمطرها بالأسئلة عن أسلافنا.

«ماذا عن الجدة إيما؟ أهي قادمة؟ هل رأيتها يوماً؟ أود لقاءها. ماذا عن الخالة الكبرى سوغاكو والخال الأكبر هاروكي؟ أود لقاءهما أيضاً. أظنن أنهم يودون لقائي؟»

(1) تقليد بوذي ياباني لتعظيم أرواح الأسلاف. تطور هذا التقليد البوذي الكونفوشي لإجازة لم شمل عائلي يجتمع فيها الناس ببيوت أسلافهم، يزورون قبورهم وينظفونها، وفيه يفترض أن تزور أرواح الأسلاف المذابح في البيوت مرة أخرى. تحتفل اليابان بهذا المهرجان منذ أكثر من 500 سنة ويضم رقصة تعرف بالبون-أودوري (المترجمة)

استبد بي الحماس وإن لم يكن أحد من أقاربي الموتى قد تجشم العناء للقدوم في الأوبون من قبل، على حد علمي، وراودني شعور بأن هذا العام سيكون مختلفاً. أولاً لقد غدوت إيكوسوداما، ولأنني شبح حي فخطر لي أن أشباح الموتى سيكونون أكثر راحة برفقتي. كما خطر لي أنهم سيأتون إلى معبد جيكو، حيث يترقبهم الجميع ويعرفون كيف يحسنون معاملتهم، أكثر من سنيثيل، مثلاً، إذ سيستولي الخوف على الجيران ويعاملونهم معاملة أشباح الهالوين الرخيصة. إنها كحفلة عيد ميلاد. إذا كان لك والدان كوالدي كايلا البارعين حقاً في التخطيط للحفلات ويأخذان الجميع للعب البولنغ أو تسلق الصخور، فجميل أن تكون صاحب الميلاد، ولكن إن كان والداك كوالدي اللذين لا يعرفان شيئاً، فإن حفلة الميلاد رديئة وتود أن تكون على مبعدة ألف ميل من أن تبقى هناك في حفلة المملة وأصدقاءك الأمريكيون يواصلون التهد والتبرم ويغدون متدفقي العواطف كاذبين كلما دخلت أمك الغرفة تحمل صحنًا آخر من السوشي. وتتظاهر بأنك تقضي وقتاً ممتعاً وتبتسم كالمجنون، لكنك تعرف أنها حيلة تفعلها لإسعاد والديك، ولأنه يعزز تقديرهما لذواتيهما. على أي حال، ما أود قوله أي حفلة تود الذهاب إليها لو كنت شبحاً؟

جيكو وموجي بارعتان في التخطيط للحفلات، وقد قضينا كل نانوثانية بوزية نجهز المذابح ونسق الزهور ونمسح وننظف تنظيفاً عميقاً أصفر الأركان والزوايا في المعبد حتى يكون لامعاً لقدم الأرواح والأسلاف. كما صنعنا أصنافاً متنوعة من الطعام لتقديمه لهم، لأنهم يجوعون بعد رحلة العودة الطويلة، وقد

يغضبون إذا لم تطعمهم. الطعام جزء مهم من الأوبون. في اليابان آلاف الأرواح والأشباح والعفاريت والوحوش الذين يشنون تاتاري ويهاجمونك، وحتى نكون في مأمن فقد عزمنا على البدء بصلاة أوسيفاكي⁽¹⁾ كبيرة، يحضرها ضيوف كثيرون، وكهنة وراهبات من معبد قريب قادمين لمساعدتنا في إطعام الأشباح الجائعة.

أخبرتني موجي بقصة هذا، أنه في الأيام الخوالي، كان للسيد بوذا تلميذ اسمه موكورين سخط جداً عندما رأى أمه معلقة من عقيبتها كأنها قطعة من لحم البقر في مملكة الجحيم للأشباح الجائعة. فسأل السيد بوذا كيف ينقذها، وقال له أن يقدم قرباناً خاصاً من الطعام، وهذا يحقق الغاية المنشودة، ويظهر أنه واجب على الأولاد الاعتناء براحة والديهم، وإن كان الوالدان ميتين ومعلقين من عراقبيهما على خطافات تعليق اللحم في الجحيم. كان موكورين العجوز رجلاً مذهلاً عنده الكثير من القوالب الخارقة! كقدرته على اختراق الجدران، وقراءة أفكار الآخرين، والتكلم مع الأموات. أود اختراق الجدران وقراءة أفكار الآخرين والتكلم مع الأموات. سيكون هذا ظريفاً. أنا مبتدئة ولكني كما تعلم، أرى وضع الأهداف الملموسة في الحياة مهماً، واختراق الجدران يبدو ممكناً، ألا تظن هذا؟

على أي حال، انتهينا من إعداد كل شيء أخيراً، والليلة التي سبقت وصول أول الضيوف اغتسلنا أنا وجيكو وموجي معاً حتى نكون نظيفات وأنيقات زيادة، وحلقت رأسيهما بالموسى. جيكو

(1) 施餓鬼 شيج جائع، كما أنه اسم مهين للمشردين (الكاتبة)

وموجي صارمتين جدًا في أمر النظافة الشخصية، ولا يسمحان
لشعريهما بالنمو أكثر من خمسة أيام، فيكون طوله ثُمن إنش،
ويسمحان لي بتقديم المساعدة أحيانًا. أحب ذلك، أحب تقشر
الجدامة القاسية أمام النصل، تاركة الجلد جميلًا ناعمًا لامعًا.
كانت جذامات موجي سودًا صغيرة، كتمل ميت يتساقط عن
صفحة بيضاء نظيفة، لكن جذامات جيكو العجوز فضية لامعة
متألئة، كالبراق أو غبار الجنيات.

ثمة صلاة لحلاقة الرأس أيضًا تقول

عندما أحلق جذامات رأسي

أصلي لكل الكائنات

حتى نقطع رغباتنا الأنانية

وندخل جنة التحرر الحقيقي.

استولى عليّ الحماس تلك الليلة، وأنا أفكر في قدوم الأشباح،
وسهرت حتى أجبرتني موجي على الإخلاد إلى النوم، وبعدما
نامت هي وجيكو، تسلفت خارجة. لا أدري ماذا انتظرت. تجولت
في الحديقة وذهبت للجلوس على أعلى عتبات المعبد، تحت
البوابة، لأنتظر. كانت العتبة الحجرية باردة ورطبة تحت منامتي،
ولم أسمع إلا صوت الضفادع وحشرات الليل تغني.

يرى بعض الناس الليل حزينًا لأنه مظلم ويذكرهم بالموت،
لكني أخالف هذا الرأي. أحب الليل، وخاصة في المعبد، عندما
تطفئ موجي كل المصابيح ولا يبقى إلا القمر والنجوم واليراعات،
أو عندما يكون الجو غائمًا والعالم شديد السواد فلا ترى راحة
يدك أمامك.

كل شيء كان أكثر سوادًا عندما جلست هناك، إلا اليراعات التي رسمت أضواؤها الخافتة أقواسًا في هواء الصيف المظلم. تضيء وتتطفئ.... تضيء وتتطفئ... تضيء وتتطفئ. وكلما أطلت في النظر، دخت أكثر حتى شعرت أن العالم يقلبني ويقذفني من الجبل إلى الحنجرة الطويل ليل. أنزلت يدي للألمس العتبة فأتوازن، ولكن بدلًا من الحجر البارد شعرت بلمس شيء شائك تحرك كالكهرباء تحت يدي. صرخت وتراجعت، لكنه لم يكن إلا تشيبي الذي خرج لملاقاة الأشباح مثلي. فتجمد مثل قط رسوم متحركة وعيناه الخضراوان مدورتان كعمليتين لامعتين، وعندما ضحكت وربت على فرائه المكهرب، التصق بركبتي ودفع رأسه إلى يدي.

قلت وقلبي لم يزل يخبط «باكا ني، تشيبي شان!»⁽¹⁾. فرحت برفقته وإن لم أستطع تمييز شكله.

خشخشت نفحة ريح في الخيزران، كأن الأرواح تتحرك. ما شكل الشبح على أي حال؟ هل سيشبه البشر؟ هل سيكون ضخماً وبدينًا مثل وحش الديكون؟ هل سيكون له أنف ضخمة طويلة مثل تنغو⁽²⁾ أحمر الوجه؟ هل سيكون شبيهًا بالقزم أو متكررًا في هيئة ثعلب، أم سيبدو أكثر شبهاً بكتلة بلا رأس من اللحم المتفسخ طولها طول الرجل، وألواح ضخمة مكان الذراعين

(1) السنا أحمقين يا تشيبي العزيز؟ (الكاتبة)

(2) 天狗 عفاريت خارقة حمر الوجوه لها أنواف طويلة قضيبية، تلبس عادة ثياب الرهبان البوذيين. يكون التنغو صالحًا أو خبيثًا وهي عفاريت تحمي الجبال والغابات (الكاتبة)

والساقين السمينات ورائحة نتنة؟ تسمى هذه نُبيبو⁽¹⁾، حكّت لي موجي عنها. إنها تطوف المعابد القديمة المهجورة والمقابر وتهوى النزهات الطويلة بلا هدف بعد هبوط الظلام. ربما كان أبي يتحول إلى نُبيبو. وثمة أشباح أخرى تشبه رجالاً أمواتاً لهم قصصات شعر رديئة، تجحظ عيونهم الحمر من محاجرهما، ويتقشر جلدهم عن عظامهم كالحزاز. وهم يلبسون بدلات عمل رخيصة من البولستر، ويتدلون من الأشجار في غابة الانتحار ويدورون ببطء. هذه أشباح تثير خوفي لأنها تشبه أبي قليلاً، وعندما بدأ الخوف يستبد بي، جلس شيء بجانبني. فاستدرت، ووجدته. كان أبي جالساً بجواري على العتبة الحجرية، ورغم أن عينيه ليستا جاحظتين من محجريهما ولم يكن لابساً بدلة عمل، فإني عرفت أنه ميت، وأنه قتل نفسه أخيراً، وأن هذا شبحه قادم لإخباري. حاولت أن أهمس لكن فمي جاف جداً فلم يصدر مني صوت «أبي؟»

حملق إلى الظلمة.

«أبي، أهذا أنت؟»، ما زال صوتي لا يصدر، فكانت كلماتي أفكاراً في رأسي. لا عجب أنه لم يسمعي. حملق إلى الظلمة، فأخذت نفساً عميقاً وتحنّنت وجريت مرة أخرى.

قلت باليابانية هذه المرة «أوتوسان⁽²⁾». فرت الكلمة من بين شفّتي مثل فقاعة صغيرة. أدار شبح أبي رأسه قليلاً، ولاحظت

(1) وهذا هو التمثال الحجري الذي رآته تشييرو بطلة أنمي المخطوفة في المكان المهجور الذي دخله والداها خطأ. (الترجمة)

(2) أبي (الكاتبة)

أنه يبدو شابًا جدًّا، ويلبس زيًّا لشيء ما وعلى رأسه قبعة. كأنه زي مدرسي، ولكن لونه مختلف. لم يقل شيئًا بعد. فخطر لي أن المرء يجب أن يكون فائق التهذيب مع الأشباح، وإن كان والده، وإلا أهانه، فجريت من جديد بصوت التلميذة الأشد رسمية وتهذيبيًا.

«ياسوتاني هاروكي ساما دي غوزايماسو كا؟»⁽¹⁾

سمعتني هذه المرة، فاستدار ببطء لينظر إليّ، وعندما تكلم جاء صوته ناعمًا لم أكد أسمعه بسبب الريح.

سألني «من أنت؟»

لم يعرفني. لا أصدق ذلك! أبي ميت ونسي أمري تمامًا. انقبضت حنجرتي وأخذ أنفي يحكني، كما يحدث لي عندما أحاول ألا أبكي، وأخذت نفسًا عميقًا آخر.

قلت محاولة إظهار الجرأة والثقة بالنفس «أنا ياسوتاني آنزو. تسرني رؤيتك».

«آه. تسرني رؤيتك». كانت كلماته رقيقة كئيبية، تلتف كال دخان

من الرأس المشتعل لعود بخور.

ثمة خطأ ما. لم أشأ أن أكون وقحة وأحرق، لكنني لم أستطع منع نفسي. كان نسخة شابة عن أبي، يكبرني ببضع سنين فقط، وبدا مختلفًا، والثياب ليست مناسبة أيضًا. عندها تبينت الأمر: إذا كان الشبح الذي رد على اسم أبي ليس أبي، فلا بد أنه خال أبي، الانتحاري ياسوتاني هاروكي #1.

سألني «هل التقينا قبلاً؟»

(1) هل أنت الموقر السيد هاروكي ياسوتاني؟ (الكاتبة)

«لا أظن ذلك. أظن أنني حفيذة أختك. أنا ابنة ابن أختك،
ياسوتاني هاروكي رقم اثنان، الذي سمي تيمناً بك».
هز الشبح رأسه. «حقاً؟ لم أعرف أن لي ابن أخت، ولا حفيذة
أخت. يا لطيران الزمن السريع...»

صمت كلانا. الحقيقة أنني لا خيار عندي، لأن مخزوني من
العبارات المهدبة نفذ. أنا لست بارعة في اليابانية الحقيقية
المهدبة لأنني نشأت في سنيفيل، وشبح هاروكي#1 لا يبدو من
هواة الثرثرة أيضاً. بل بدا كئيباً انطوائياً، وهذا منطقي مما
أخبرتني به جيكو العجوز عن ولعه بالفلسفة والشعر الفرنسيين.
ليتني انتبهت أكثر عندما قرأ أبي عليّ عن الوجوديين، فلربما
أمكنني أن أقول له شيئاً ذكياً، لكن الشعر الفرنسي الوحيد
الذي أعرفه كان اللازمة لأغنية مونيك سيرف اسمها «جنسي نو
إتامي»⁽¹⁾، وربما ليست الخيار الأفضل لغنائها لميت.

لو مال دي فيفر

لو مال دي فيفر

كوي فو بين فيفر

هبي كو فيفر⁽²⁾

ترنمت في الظلام، أغني الكلمات همساً رغم أنني لست
متأكدة من معناها. أظن أنني سمعته يضحك بجواري، أو لعلها
كانت الريح، ولكنني عندما نظرت إلى مجلسه، رحل هاروكي#1.

(1) وجع الحياة (الكاتبة)

(2) شجاعة أن تعيش... (الكاتبة)

غبية يا آن! يا لك من حمقاء! هنالك كنت أجلس مع شبح خالي الكبير الميت، الذي كان طياراً حريباً كاميكازي في الحرب العالمية الثانية، وأروع شخص سأقابله في حياتي، وماذا فعلت؟ غنيت له أغنية فرنسية! يا لبلاهة هذا!!! لا بد أنه ظن أنني مراهقة بلهاء أخرى، ووقته على الأرض غالٍ، فلماذا يضيع دقيقة منه معي؟ يجدر به أن يومض راحلاً ويتسلى مع أحد يمكنه التفكير في مواضيع أروع للحديث.

ما خطبي؟ كان في وسعي أن أسأله عن أشياء شتى. أسأله عن اهتماماته وهواياته، أسأله ما إذا كان المكتئبون لا يهتمون بشيء إلا الفلسفة، وإذا كانت قراءة الكتب الفلسفية نافعة. أسأله عن شعوره وقد انتزع من حياته السعيدة وأجبر على أن يكون قاذف قنابل انتحارياً، وإن كان الرجال الآخرون في الوحدة ضايقوه لأنه يكتب الشعر الفرنسي. أسأله عن شعوره عندما استيقظ صباح مهمته، وهو آخر صباح له على الأرض. هل كان في بطنه سمكة باردة كبيرة تحتضره؟ أم كان مفعماً بهدوء مستتير انبعث منه وجعل كل من حوله يتراجع في ذهول، عارفين أنه جاهز للرحيل إلى السماء؟

أسأله ما شعور الميت.

غبية، باكا⁽¹⁾ يا آن ياسوتاني.

(1) حمقاء. (المترجمة)

صباحًا بعد الإفطار، وأثناء استقبال موجي جيكو لأولى السيارات المحملة بالكهنة من المعبد الرئيسي ممن جاؤوا للمساعدة في صلاة الأوسيفاكي اليوم التالي، تسللت إلى مكتب جيكو. لا تمنع في دخولي إليه، فلا أدري لماذا بدا الأمر تسلاً. كان الغرفة المفضلة عندي في المعبد، فهو يطل على الحديقة، وفيه طاولة واطئة تحب الكتابة عليها، ورف صغير عليه الكثير من الكتب الدينية والفلسفية القديمة السمكة أغلفتها قماشية باهتة الألوان. أخبرتني جيكو بأن الكتب الفلسفية تعود لهاروكي#1، من أيامه في الجامعة. فحاولت قراءة بعضها، لكن الكانجي في الكتب اليابانية فائق الصعوبة، والكتب الأخرى كانت بلغات كالفرنسية والألمانية. وحتى الكتب الإنجليزية لم تبد شبيهة بالإنجليزية التي أعرفها. صدقًا لا أدري إذا ما زال بعض الناس قادرين على قراءة كتب كهذه، ولكنك لو اقتطعت منها كل الصفحات، لحولتها إلى دفاتر يوميات رائعة.

يقع مذبح العائلة مقابل رف الكتب في آخر الغرفة. وعلقت أعلاه لفافة عليها صورة لشاكاساما تحيطها الآيهاي⁽¹⁾ لكل أسلافنا وكتاب فيه أسماءهم. في الأسفل رفوف مختلفة للزهور والشموع والمباخر وصواني القرايين عليها فاكهة وشاي وسكاكر. على جانب أحد الرفوف، صندوق ملفوف بقماش أبيض وثلاث صور صغيرة بالأسود والأبيض لأبناء جيكو الميتين. هاروكي

(1) 位牌 لوح الروح، لوح تذكاري (الكاتبة)

وسوغاكو وإيما. رأيت هذه الصور من قبل لكني لم أهتم بها. كانوا غرباء متخشبين عتيقي الطراز، كائنات زمنية من عالم آخر لا يعنون لي شيئاً. لكن كل شيء بات مختلفاً.

شببت على قدمي ومددت يدي إلى المذبح لأخذ صورة هاروكي. كان في الصورة أصغر من شبحه، طالباً شاحباً يضع قبعة مدرسية وله ملامح شاعرية، جامداً تحت الزجاج. كما كان شبيهاً بأبي قليلاً، قبل أن يصبح أبي مترهلاً ويتوقف عن قص شعره. كان الزجاج مغبراً، فمسحته بحاشية تورتني، وأثناء هذا تحرك شيء في وجهه قليلاً. ربما تشنج حنكه، ولمعت من عينه نقطة صغيرة من الضوء. ولو أدار رأسه ونظر إلي وتكلم لما فوجئت، فانتظرت ولكن شيئاً لم يحدث. فقد استمر في التحديق إلى مكان ناءٍ خلف الكاميرا، ثم انتهت تلك اللحظة، وعاد صورة في إطار من جديد.

قلبت الإطار ورأيت تاريخاً مكتوباً على ظهره، 16 شوا، فعددت على أصابعي. ألف وتسعمئة وواحد وأربعون.

كان في المدرسة الثانوية حينها، أكبر مني ببضع سنوات. كان سيصبح السيناباي لي⁽¹⁾. وأسأل نفسي إن كنا سنصبح صديقين وسيحميني من المتتمرين. بل أسأل إن كان سيحبني. ربما لا، فأنا شديدة الغباء. ترى هل كنت سأحبه؟

كانت إحدى عرى الإطار مفتوحة، فحاولت دفعها إلى مكانها لكنها انفكت في يدي. فقلت لنفسي أوه تباً لأنني لا أريد أن تعرف

(1) 先輩 الرئيس في العمل أو المدرسة، ولي الأمر (الكاتبة)

جيكو أني كسرتها، فحاولت تثبيت القطعة من جديد، لكن شيئاً يمنعها ويعترض طريقها. بدأت أتصيب عرقاً. خطر لي أن أخبئها أو أن أتركها على الأرض وألوم تشيبي، لكنني جلست على التاتامي وفككتها من جديد، عندها اكتشفت الرسالة. كانت صفحة واحدة، مطوية ومحشورة بين الصورة والخلفية من الورق المقوى. ففتحتها. كان الخط قوياً وجميلاً، كخط جيكو، بذلك الطراز العتيق الذي يصعب قراءته، فطويتها وخبأتها في جيبِي. لم أقصد سرقتها. لكنني بحاجة إلى قاموس وبعض الوقت لأفهم المكتوب. ما زال الإطار مكسوراً لكنني حشرت الصورة وثبتت إحدى العرى فثبتتها. وقرّبتها من وجهي قبل أن أعيدها إلى الرف.

همست بياپانيتي الأشد تهذيباً وصدقاً «هاروكي أوجيساما⁽¹⁾». آسفة لأنني كسرت إطارك، وآسفة لأنني كنت حمقاء. ولكن لا تغضب مني لأخذي الرسالة. عد أرجوك».

-5-

أمي الغالية

هذه آخر ليلة لي على الأرض. غداً سأعقد عصابة حول جيبيني، رسمت عليها الشمس المشرقة، وأقلع نحو السماء. غداً سأموت من أجل بلادي. لا تحزني يا أماء. أتخيلك تبكين، لكنني لا أستحق دمعك. كثيراً ما تساءلت عن إحساسي في هذه اللحظة، وها أنا أعرف. أنا لست حزيناً، بل مرتاحاً وسعيداً. فجففي دمعك. اعتني بنفسك وبأختي الحبيبتين جيداً. أخبريهما أن تكونا فتاتين صالحتين، وأن تكونا متفائلتين وتعيشا حياة سعيدة.

(1) الخال أو العم، وتقال أيضاً لخطاب رجل في منتصف العمر من باب الاحترام.
(المرجمة)

هذه رسالتي الأخيرة إليك، ورسالتي الرسمية للوداع. سترسلها القوات البحرية إليك مع إشعار بموتي والراتب الإضافي الذي سيؤول إليك من اليوم. أخشى أنه ليس بالشيء الكثير، وما يحزنني أني لا أقدم لك ولأختي إلا القليل من حياتي عديمة القيمة.

كما أرسل إليك الجوزو الذي أعطيته لي وساعتي ونسخة لك من الشوبوغنزو الذي كان رفيقي الدائم في الأشهر القليلة الماضية.

كيف لي أن أقدم لك شكري يا أمي الحبيبة على تعبك في تنشئة ابن عديم القيمة؟ لا أستطيع.

أشياء كثيرة لا أستطيع التعبير عنها أو إرسالها إليك. لقد فات الألوان كثيرًا. عندما تصلك هذه الرسالة، سأكون ميتًا، لكنني سأموت مؤمنًا بأنك تعرفين قلبي ولن تقسي عليّ في حكمك. أنا لست رجل حرب، وكل ما أفعله سيكون من أجل حب السلام الذي علمتني إياه.

ستخمد الأمواج النار سريعًا

-حياتي- تحترق في ضوء القمر

أصغ! هل تسمع الأصوات

تتادي من قاع البحر؟

كلمات فارغة كما تعرفين، لكن قلبي مفعم بالحب.

ابنك

ملازم البحرية الثاني ياسوتاني هاروكي

كرر بنوا «لو مال دو فيفر». كان رجلاً قصيراً، كبير الوجه وعريض الصدر، يلبس بنطالاً قذراً من علامة كارهارت تثبته حمالاتان حمراوان على قميص ممزق من الفلانل، وقبعة مضغوطة على شعره الأجدد الأسود، وخالط الشيب لحيته الخيطية. أمسك بمجموعة من قناني النبيذ بيد واحدة كبيرة وقبض بالأخرى على زجاجة من شراب جن تانكري. نظر إلى ما وراء رأس روث إلى مسافة متوسطة كأن الأغنية الفرنسية موجودة هناك. بدا صخب مبنى إعادة التدوير وضجيج هادئاً مدة تسمح له بالكلام.

«نعم، إنها تعني طبعاً 'وجع الحياة'. أو المرض، أو ربما شر الحياة كما في 'لو فلور دو مال' أو حزن الحياة، في مقابل لا جوي دو فيفر»⁽¹⁾.

صمت هنيهة ليستلذ بصوت الكلمات قبل أن يرمي الزجاجات إلى الحفرة المربعة لجهاز السحق. كان ضجيج تكسر الزجاج يصم الأذان. فصرخ «لماذا؟»

قالت روث «أوه، لا شيء». شعرت بأنها لا تعرف مقدار ما تُطلع عليه بنوا، وما مقدار ما ستقوله في هذا الضجيج. «إنها كلمات أغنية سمعتها». كيف تشرح الظروف: إنها كلمات من أغنية غُنيت لشبح، وقرأتها في يوميات وجدتها في كيس مجمدة تغطيه

(1) لو فلور دو مال أزاير الشر. لا جوي دو فيفر: بهجة الحياة. (الترجمة)

محارات البرنقيل على الشاطئ؟ أرادت أن تطلب منه مساعدتها في ترجمة دفتر الفرنسية، وقد جلبته معها، لكن الأمر كله شديد الصعوبة. لم يكن المكب مكانًا ملائمًا لأحاديث مفصلة صباح السبت.

في ساحة المواقف خلفها، شرشت الشاحنات في الطين إلى الحاويات أو رجعت إلى خاناتها. وعلى الرغم من وضع كل مركز برنامجًا لجمع القمامة، فإن أهل الجزيرة ما زالوا يحبون إنجاز ذلك على الطريقة القديمة. فقد أحبوا المجيء إلى المكب للتخلص من نفاياتهم بأنفسهم. وأحبوا أن يدفعوا بصناديقهم المبللة من اللعب والقوارير البلاستيكية إلى طاولات إعادة التدوير، ويفصلوا الورق عن الورق المقوى، ويقذفوا بالزجاج إلى جهاز السحق. وأحبوا أن يستعرضوا الرفوف والمناصب في فري ستور، وهو أشبه شيء على الجزيرة بمتاجر التجزئة. كانت الرحلة إلى مكب النفايات كالرحلة إلى المجمع التجاري، وهذا ما اصطلح عليه ليكون تسلية صباح السبت. ركض الأطفال في الخارج، متظاهرين بلعب وورلد أوف ووركرافت وسط الحطام المتساقط من السيارات الصدئة والثلاجات المخلوعة الأبواب. ونبش الصبيان ذوو الجداول بحثًا عن سلاسل من المسننات في شبكة من الدراجات الهوائية. وحامت في الأعلى الغريان والعقاق والنسور الصلحاء، تتحارب على الأرض وجذاذات اللحم. قال بنوا «نعم. إنها أغنية شهيرة لباربرا». ولفظ الاسم بالفرنسية، مطوقًا بشفتيه المقاطع الثلاثة، مانحًا كلاً منها وزنًا متساويًا ومفججًا حرف الراء الحلقي في أعماق حنجرتة.

«لا. بل إنها مغنية اسمها مونيكا...»

فخبط بيده متبرماً «سيفر، نعم، نعم، هذا هو الاسم. باربرا هو اسمها الفني، لمعجبيها الكثيرين. هل أنت من محبيها أيضاً؟»
«الحقيقة أنني لم أسمع بها قط. لقد صادفت الكلمات في كتاب وتساءلت عن معناها...»

أغمض بنوا عينيه وأخذ يتكلم. كان عليها أن تميل لتسمع ما يقوله بسبب الضجيج المتواصل لمحرك جهاز السحق.
«لو مال دو فيفر، 'وجع الحياة'. كوي فو بين فيفر. علينا أن نعيش، أو نتحمل. في كوي فيفر، هذه صعبة لكنها تعني شيئاً من قبيل 'علينا أن نعيش الحياة التي نملكها'. علينا أن نحارب». فتح عينيه وقال «هل كان هذا مفيداً؟»
«أوه، نعم. نعم. أظنه مفيداً. شكراً لك».

عابها بنوا «أهذا كل ما تريدينه؟ ألا تحتاجين مساعدة في ترجمة البقية؟ ما زال عندك كراس الفرنسية، لا؟»
فنظرت إلى الفم الفاجر لجهاز السحق، «موريل؟»
أجابها بنوا «دورا». وابتسم كاشفاً عن فجوة مكان السن الأمامية.
«طبعاً».

«ولكني أعشق باربرا. وبت متحمساً لمساعدتك. المكان صاخب هنا. ربما علينا الانتقال إلى المكتبة؟»
وصاح بواحد من صبيان المكب ذوي الجداول ليأخذ مكانه، وصفر منادياً كلبه ثم أخذها خلال ساحة المواقف يصعدان سائراً ترائياً أجيد تزيين درجاته بإطارات شاحنات مزروعة بإبرة

الراعي، إلى غرفة صغيرة في آخر المرآب حيث وقفت الشاحنة المشعبة. تقدمهما كلبه الصغير نابجًا.

كانت الغرفة نظيفة نظافة مدهشة، ونوافذها تطل على الحاويات في الأسفل. أثاثها قليل ومما يخطر لك؛ طاولة معدنية مستهلكة في الزاوية، كرسيان مكتبيان لهما عجلات متقلقلة، وخزانة معدنية منبعجة للملفات. ولكن الرفوف غطت جدارين متجاورين من الأرض إلى السقف وفوق الطاولة أيضًا، صفت عليها الكتب. زُين الجدار الرابع بلوحات من المهملات معظمها من فن الستونر، والأيقونات المحلية المقلدة، ولوحات التلوين بالأرقام لمشاهد من الشمال لحيوانات الموز والغزلان تعجبك من شدة رداءتها. وثُبَّت على الجدار أيضًا صفحة مسطرة من ورق دفتر حلزوني عليها نسخة من صلاة السكينة مكتوبة بخط يد أنيق. *امنحني يا إلهي السكينة لأتقبل الأشياء التي لا أملك تغييرها...*

قال بنوا باسطًا ذراعيه «هوالا. ما ببيلوتيك إي غالوري⁽¹⁾. أهلاً».

جلس إلى الطاولة. الكلب الصغير، هجين شعره كالأسلاك فيه الكثير من كلب التيرير، قفز إلى واحد من الكرسيين، لكن بنوا ناداه، واستخدم خرقة ليمسح مقعده وقدمه إلى روث. نظر الكلب إلى روث نظرة ساخطة، ثم التف عند قدمي بنوا.

(1) بالفرنسية وتعني: ها نحن. مكتبي ومعرضي. (المترجمة)

سارت متأنية تمر بالرفوف وتستعرض العناوين. كان بعضها بالفرنسية، ولكن كثيرًا منها بالإنجليزية، مجموعة جيدة من الكلاسيكيات يتخللها بعض كتب الخيال العلمي والتاريخ والنظريات السياسية. كانت أفضل مما قد تجده في المكتبة العامة.

قال مفتخرًا «كلها من المكب. خذي ما شئت». راقبها من كُتب وهي تتناول مجموعة من قصص كافكا من الرف. وقال لها عندما جلست مقابله «تشبهين أمك كثيرًا».

فرفعت نظرها عن الكتاب مدهوثة.

«آه، ألم تعلمي؟ كنا أنا وأمك خير صديقين. كانت واحدة من أكثر زبائني إخلاصًا».

فتذكرت عندئذ. اعتاد أولفر اصطحاب أمها إلى المكب صباح كل سبت. كان موعدًا ثابتًا بينهما، ولم تتسَّه أمها قط، وإن خبا باقي العالم.

يقول أولفر بصوت عالٍ في أذنها لتسمعه دون حاجة إلى سماعتها الطبية، التي كفت عن استخدامها وقتها «ماساكو لا أظنك تودين مرافقتي إلى فري ستور هذا السبت؟»

فيشرق وجهها بابتسامة كبيرة درداء، لأنها توقفت عن وضع طقم الأسنان أيضًا. وتقول له «حسن! ظننتك لن تطلب مني...» كانت تهوى المساومة. فقد نشأت في زمن الكساد ومن عاداتها التبضع في متاجر المتاع المستعمل القريبة من بيتها قبل أن يأخذها غريبًا. وبعد وصولها إلى الجزيرة، اصطحابها إلى فري ستور وتركها تنقب بين المناصب. كانت تقف في ممر الكنزات، تعاين سترة عندما دعت رووث.

قالت همسًا «أين بطاقة السعر؟ بطاقة السعر ليست موجودة. كيف أعرف ثمنه؟». بدا صوتها حانقًا. ففقدان الأشياء يفضيها. فقدان بطاقات سعر، فقدان ذكريات، فقدان أجزاء من حياتها. «لا بطاقة للسعر يا أمي. إنه مجاني. كل شيء هنا بالمجان». فوقفت مذهولة ورددت «مجانني؟»، وهي تنظر إلى ممرات الملابس ورفوف الألعاب والكتب والأواني المنزلية. «نعم يا أمي. مجاني. ولهذا سمي فري ستور [متجر المجان]». فرفعت الكنزة. «تعنين أنني أستطيع أخذ هذه دون أن أدفع؟ بهذه البساطة؟»

«نعم يا أمي، بهذه البساطة».

قالت وهي تنظر إلى الكنزة وتهز رأسها «يا إلهي. كأني متّ وانتقلت إلى الجنة».

بعد ذلك اليوم، بات أولفر يأخذ ماساكو كل سبت إلى المكب في الشاحنة. يركن السيارة ويساعدها في التمرج من الشاحنة، ثم يقودها بحذر لصعود التل، فوق الأرض الصخرية، وهما يمران بجبال من سقط المتاع الصديء إلى باب فري ستور، حيث يسلمها إلى إحدى المتطوعات. تعرفن إليها سريعًا واحتفظن لها بقياسها من أفضل الأشياء. وبعد انتهاء أولفر من إعادة التدوير، يعود لأخذها فيقودها لنزول التل، حيث ينتظر بنوا ليسألها عن تبضعها وإذا وجدت صفقات رابحة. كانت هذه المزحة تضحكها دائمًا.

عندما امتلأت خزانها ولم تعد تستطيع إغلاق جوارير طاولة الزينة، سلّت روث أشياء من قاع الأكوام وأعادتها إلى فري ستور، لتكتشفها أمها من جديد.

قالت ماساكو وهي تعرض على روث بلوزة جلبتها قبل قليل
«أليس هذا جميلًا؟ سعيدة أنني وجدت هذه. كان عندي واحدة
تشبهها تمامًا، كما تعرفين...»

ضحك بنوا عندما قصت عليه هذه الحكاية، وقال «كانت أمك
ظريفة جدًا. ربما عرفت ما كنت تفعلين. هل أقيم لها حفل
تأبيني؟ لا؟ عرفت هذا. هذا محزن».

مال إلى الأمام بكرسيه، ولمعت عيناه الداكنتان. «والآن كيف
أخدمك؟»

لقد سمع بأمر كيس المجمدة وعرف بمحتوياته. وطلب منها
أن يرى ساعة جندي السماء، فخلعتها وعرضتها عليه. ما قصة
الرجال وهذه الساعة؟ صفر من فلجة أسنانه موقظًا الكلب الذي
رفع رأسه مترقبًا. وبعدما انتهى من إبداء إعجابه بالساعة،
أخرجت الرسائل وكراس التعبير من حقيبتها الظهرية وفتحتهما
بحذر. تتأهب الكلب الصغير وعاد للنوم.

قالت وهي تضعها جانبًا وترفع الكراس «الرسائل باليابانية.
لكن هذا بالفرنسية».

ترددت وهي تنظر إلى يديه المبععتين الخشنتين من العمل.
حشا السخام الأسود الشقوق في جلده المتقرن تحت أظافره،
وتمنت لو خطر لها أن تصنع منها نسخة. كان الكراس الرفيع
عتيقًا ومهللًا بين أصابعه الثخينة، لكنه أمسكه برفق، مقلبًا
الصفحات الرقيقة كالمناديل الورقية بإكبار حذر فاجأها. وأخذ
يقرأ بصوت عال:

«10 ديسمبر 1943، دان نوتر دورتوا، لو سولدا دو...»⁽¹⁾.

فنظر إليها «هل تفهمين شيئاً من هذا؟»

«القليل فقط. ديسمبر. شيء عن السمك والبدر. وربما آخر

خواطر امرئ ما...»

امتزجت ابتسامته بالحزن «ربما تسمحين لي بالاحتفاظ بهذا

وترجمته له؟»

أثارت ضيقها نبرة التفضل، لكنها ستتجاوز عن ذلك. همها

الحقيقي سلامة الدفتر القديم، فلم ترغب بأن يأخذها، لكنها لا

تريد الإساءة إليه أيضاً. استيقظ الكلب وقد أحس أن اللقاء كاد

ينتهي، فوقف وأقحم أنفه في يد بنوا.

قالت وهي تراه يميل ليحك رأس الكلب «لا بأس. هل تظن

أنها ستستغرق وقتاً طويلاً؟»

رفع كتفيه. إن السؤال عن الوقت بلا معنى في الجزيرة، لكن

التمعت عيناه السوداوان وقال «آه. أهذا كتابك الجديد؟»

«أوه لا. هذا بداعي الفضول فقط».

ارتسمت على وجهه الخيبة، فأغلق الكراس وتناول من الطاولة

الصغيرة تغليفاً شمعيًا وظرفاً. إنه حريص على الأقل، ولفت نظره

مجموعة الرسائل.

سألها «هل كتب الرجل نفسه كل هذه الرسائل؟»

«لا أدري حقاً. لم أقرأها بعد. فخط اليد باليابانية صعب....»

لم يهتم بحجتها، بل حمل الرسائل وقلبها. فتح واحدة وبسطها

على الطاولة. وعاد الكلب للاستلقاء بعد أن سئم الانتظار.

(1) بالفرنسية وستمر ترجمتها في صفحات لاحقة (الترجمة)

«لا تقل لي إنك تقرأ اليابانية أيضًا».

«لا طبعًا. في نظري هذه خريشة دجاج. ولكن انظري، القلم هو نفسه، والحبر»، فتح دفتر الإنشاء ووضعه بجانب الرسالة. «أترين؟ الخط متشابه، رغم أن رجلك يكتب بلغتين مختلفتين».

كان مصيبًا، فالخط له الشكل نفسه، دقيق ورقيق، ولكنه مفعم بالطاقة والحياة. وتساءلت روث كيف فاتها ملاحظة ذلك. «وما الذي يدفعك إلى الظن بأن الكاتب رجل؟»

قال بنوا ناقرًا على الفقرة التي قرأها عليها بالفرنسية «إنه رجل قطعًا»، ثم أعاد قراءتها، لكنه هذه المرة ترجمها إلى الإنجليزية. «10 ديسمبر 1943. ننام كلنا في غرفة كبيرة، أنا وأفراد كتيبتي، نرقد في صفوف كأننا أسماك صغيرة علقنا لتجف».

ومد يده من فوق الطاولة ونقر على وجه ساعتها. «هذا تخميني فقط، لكنني أظن أن كاتب هذا هو جندي السماء».

-2-

لاحظت في طريق عودتها من المكب أن الريح تشتد من جديد، فمرت بمتجر سكورل كوش لشراء البقالة والتزود بالوقود. لم يكن معها علبة الوقود الإضافية، ولكن إذا كان خزان الشاحنة مليئًا، فسيسحب أولفّر الوقود منه عند نفاذه من المولد. إذا عاد المولد للعمل. كانت الغيوم واطئة فوق الجبال، والموج في فم الخور هائج يتوجه البياض. عبر قارب صيد صغير إلى رصيف الحكومة. وحام نسر أقرع في أقواس كبيرة في الأعلى. كان الوقت أول العصر، لكن السماء أخذت تظلم، وتلألأت الأنوار من محمية كلاهوز في الطرف القصي من الكهف.

اشتعلت المصابيح في البيت أيضًا. فركنت الشاحنة وأنزلت صندوق البقالة. وسمعت نعيق الغراب وهي تمر بكومة الحطب. فتوقفت وأجالت نظرها تتساءل إذا كان غراب الأدغال لكنها لم تره. هل له نعيق مختلف؟ بدا نعيقه فزعًا. سمعته ثانية، من بعيد هذه المرة، أعقبه عواء ذئب خفيض ممدود، قادم من عند الخور. فواصلت طريقها إلى البيت.

جهاز أولفر المولد للاستخدام وهو يتوقع العاصفة. وضعت البقالة وتبعت خط أسلاك التمديد إلى الطابق العلوي. باب مكتبه، الواقع مقابل مكتبها في الردهة، مفتوح فأطلت. كان جالسًا إلى طاولته، يضع سماعاته العازلة للصوت ويصفر لحناً لامتناغمًا وهو يتصفح الإنترنت. والقط بجواره نائم على الكرسي المكتبي الدوار القديم الذي جلبه له من المكب. يسميانه كرسي الطيار المساعد، وهو أكثر مكان يحب أن يكون فيه. لقد حصلوا على القط من المكب أيضًا.

كانت السماعة العازلة للصوت عائدة إليها، لكنها أعطتها لأولفر عندما رأت إعجابه بها. فقد أحب عصرها لرأسه، فالضغط يساعده على التفكير، على حد قوله، واضطرت إلى الصراخ كي يسمعها.

صاحت وهي واقفة بالباب تلوح بذراعها «هي!»

أجفل القط وفتح عينًا واحدة، فنظر إليها أولفر ولوّح وقال بصوت مرتفع جدًا «لقد عدت. لم أسمعك عندما دخلت. هل حالفك الحظ؟» فتح القط عينه الأخرى وقد أزعجته الأصوات.

أشارت إليه كي يخلع السماعات فقال بصوت عادي «آسف.
هل حالفك الحظ؟»

«سيترجمها. يقول إن جندي السماء كاتبها».

«هاروكي رقم واحد. مثير». ووكز ذراع كرسي الطيار المساعد وراقب پستو يلف ببطء. «ترى ما الذي دفعه إلى الكتابة بالفرنسية...»

«كي لا يتمكن أحد من قراءته. يقول بنوا إنه أخفاها عن الجنود الآخرين في كتيبته».

فدور أولفر القط وهو مستغرق في التفكير وقال «خاصية أمان رائعة».

عندما سمعت ذلك، تذكرت الإحالة. أنى له أن يتذكر الأشياء بهذا الوضوح؟

وأردف قائلاً «من سيأخذ كتاباً قديماً عنوانه البحث عن الزمن المفقود؟» هذا ما كتبه آن. فهي تخفي يومياتها في كتاب بروس، وهو يخفي يومياته من خلال كتابتها بالفرنسية، يبدو أن اليوميات الفرنسية السرية موروث عائلي». فلف كرسي الطيار المساعد لفّة أخيرة سعيدة وسحب يده بسرعة إذ استيقظ پستو تماماً وضربه بقوة ساخطاً وقد أمسك يد أولفر بكفه.

قال واضعاً إصبعه في فمه «أول»

أجابت روث «تستحق ذلك». قفز القط عن كرسي الطيار المساعد وتبختر نازلاً الدرج وخرج من باب القلط. «سمعت عواء الذئاب لدى دخولي. إنها قريبة جداً. إذا أكلته فالذئب ذئبك».

رفع أولفر كتفيه. «إن سلخه الذئب فذاك قصاصه على كل صغار السناجب التي أكلها»، أعاد وضع السماعات، لكنها عرفت أنه قلق. جيد. قطعت الممر ذاهبة إلى مكتبها.

اليوميات الفرنسية السرية موروث عائلي. طبعًا، لماذا لم تربط بين الأمرين؟

دخلت مكتبها ورأت وسادة التأمل على الأرض، وخطر لها أنها في هذه الحالة الذهنية يمكنها أن تجلس الزازن -ربما يفيد ذاكرتها- لكنها لم تفعل. بل جلست إلى جهازها وسجلت دخولها إلى الجيميل.

ما زالت لم تتلق ردًا من الأستاذ ليستكو.

-3-

انقضى أكثر من أسبوع منذ أن أرسلت له البريد، وخطرت لها فكرة فجأة: هل أرسلتها حقًا؟ ربما كتبتها ونسيت أن تضغط زر الإرسال. أو ربما انقطع الاتصال ولم يرسل البريد. تحدث هذه الأشياء أكثر مما تود الإقرار به. تفقدت مجلد البريد المرسل. لا، ها هي، مختومة بالتاريخ والوقت. جيد. وعدت الأيام ووجدتها تسعة! أين ذهب الوقت؟

خفق مؤشر الكمبيوتر بتلمل واضح. لقد أعدت نسخة من البريد، وأضافت إليه ملاحظة صغيرة مهذبة تعتذر فيها عن الإلحاح، وأرسلتها من جديد. لم ترغب في أن يظنها متعقبة، ولكن تسعة أيام؟

احمر وجهها فوضعت يديها على وجنتيها لتبردهما، وفي نفسها شعور غامض بالذنب، لأي شيء؟ لإزعاج الأستاذ؟ لإهمال

عملها؟ للوقت الذي ضيعته على الشبكة تحاول تتبع الإشارات عن أن؟ أغضبها الاختفاء المفاجئ لـ«تقلب الأنا الأنثوية» كان الدليل من عالم الواقع لشيء تنتظره، وقد اختفى. أكانت تغش لرغبتها في معرفة أكثر مما جاء في يوميات الفتاة؟ كان عالم اليوميات يزداد غرابة ووهمية. فلم تدر ما الذي تستخلصه من قصة الفتاة عن الشبح. هل تصدق أن ما كتبته حقاً؟

إن الأستاذ أملها الوحيد. حملت إلى البكسلات المضطربة في الشاشة، وزاد نفاذ صبرها. كان الانفعال شعوراً متناقضاً مألوفاً ابتى داخلها وهي تمضي وقتاً طويلاً على الشبكة، كأن قوة ما تدفعها وتحبسها في الوقت نفسه. كيف تصفه؟ تأتأة مؤقتة وإعياء ملح وإحساس بالاندفاع والتباطؤ المتزامنين. ذكرها بالمشية المميزة غير المتسقة لمرضى پاركنسن في دار المسنين التي قضت فيها أمها آخر شهور حياتها، تمايلهم وتعثرهم وهم يمشون في الممرات إلى غرفة الطعام وإلى موتهم في نهاية المطاف. كان إحساساً مروّعاً منهكاً يثير الفزع ويصعب وصفه بالكلمات، ولكن إن حاولنا تصويره بالحروف فسيكون شيئاً من هذا القبيل:

هكذا تبدو التأتأة المؤقتة مثل مثل تأ تأ اندفاع متلعثم إلى الأمام في الزمن دون لحظة أو ثانية لتمييز حادثة من التالية ويفدو أعلى وأعلى دون علامات ترقيم حتى فجأة ومن غير إنذار....

يتوقف

قالت «أتظن أنني أغدو مجنونة. أظن أنني أغدو مجنونة؟»
كانا راقدين في فراشهما، وأولفر يتفقد بريده الإلكتروني على
هاتفه. لم يرد لكن روث لم تلاحظ.

«إنني أستشعر الأمور. أتذكر ذلك الحلم الذي رأيت فيه
جيكو؟ قصصته عليك، صبح؟ الأول الذي بدا حقيقياً؟ كانت تكتب
شيئاً في كومبيوترها، وعلى الرغم من أنني لم أره، فإني عرفت
ما كتبت».

انتظرت، وواصلت عندما لم يأتها رد.
«لقد كتبت 'أعلى، أسفل، سيان'. ثم أثناء رحلتهما إلى
الشاطئ قالت جيكو الكلمات نفسها... 'أعلى، أسفل، سيان'.
لقد رأيت الحلم قبل أن أقرأ عن ذهابهما إلى الشاطئ بأسبوع،
فكيف عرفت هذا؟»

كرر قولها «كيف عرفت هذا؟»
«حسناً، كانت جيكو العجوز ترسل لي الرسالة أنا الأخرى،
عدا أنها ترسلها لي بتوارد الخواطر. هل هذا جنون؟»
قال أولفر. «همم».

«لقد بدا استشعاراً. ما قولك؟»
قال دون أن يرفع نظره «الاستشعار مصادفات تنتظر حدوثها».
«أظن ذلك، لكنه غريب، صحيح؟ أشياء تظهر فجأة، مثل كيس
المجمدة ثم غراب الأدغال. أشياء تختفي مثل تلك الدراسة.
حاولت العثور عليها ثانية، لكنني لم أنجح. والمطبوعة؟ مجلة
الماورائيات الشرقية؟ اختفت أيضاً، لا أجدها في أي مكان».

قال وهو يكتب رسالة بسبابتيه «لا تختفي الأشياء هكذا عادة. لا بد أنها في مكان ما. ألا يمكنك البحث عن المؤلف ومعرفة أين...»

«حاولت! هذه هي المشكلة. لا أجد اسم المؤلف. أقسم إنها كانت مدرجة في موقع أرشيف الدراسات الأكاديمية، ولكني عندما عدت إليها وجدتها اختفت. تلاشت! ولم يرد الأستاذ ليستيكنو على رسالتي. كلما حاولت بجهد أكبر، أفلتت مني الأمور أكثر. هذا محبط!»

«ربما تجهدين في البحث...»

«وما معنى هذا؟»

نقر شاشته وسمعت حفيف الإرسال «لا شيء».

«أصغي إليّ أم تتفقد بريدك؟»

«أصغي، أتفقد البريد، سيان...»

«كلا ليسا سيان!»

قال رافعاً نظره عن الشاشة الصغيرة «أنت محقة. طيب كنت أتفقد بريدي، وفي الوقت نفسه أصغي إليك، وفي الوقت نفسه ظهر شيء في آخر الأخبار قد يكون وثيق الصلة بالموضوع. وها أنا عندي فكرتان وخبر سعيد. أيها تودين سماعه أولاً؟»

«الخبر السعيد من فضلك».

«وصلني بريد الآن من رابطة الفنانين في بروكلن. يودون نشر أطروحتي عن نيويوسين».

قالت وقد تبدد استياؤها «هذا بديع! من يكونون؟»

ابتسم متواضعًا محاولاً ألا يظهر فرحه الكبير. «يسمون أنفسهم أصدقاء العصر پلیستوسیني».

«مدهش».

«إنه كذلك. أعني أنها ليست رائعة. فأنا امرؤ میال إلى الإیوسین⁽¹⁾، وعندهم أفكار عصرية. ولكن أتعرفین، ملیون سنة، خمسون ملیون سنة...»

«إنهم مهتمون بعملك، وهذا المهم».

قال متشككاً «نعم. أرجو ألا یخفقوا هم أيضاً».

«لن يفعلوا. ما داموا صمدوا كل هذه السنوات».

«صحيح. أصدقاء العصر پلیستوسیني یجعلون مجلة الماورائیات الشرقية تبدو تافهة».

«أهذه فكرتك؟»

رفع لها هاتفه لترى «لا. أولاً ظهر هذا في آخر الأخبار لدي».

على الشاشة الصغيرة بحث من نیو ساینس عن آخر التطورات في إنشاء بتّ كمومي⁽²⁾ للحوسبة الكمومية.

فضيقت عينيها لتقرأ النص الصغير. «ثم؟»

كبّر أولفّر حجم الخط وأشار. فرأته عندئذ. ملأ اسم الباحث الشاشة الصغيرة: ه. یاسودانی.

صاحت واعتدلت «یا إلهي! أتظن أنه هو؟ ذلك ممكن، صحيح؟ أو هل هو خطأ طباعي؟ هذا جنون. أرسل لي الرابط

(1) پلیستوسیني العصر الجليدي أو العصر الحديث الأقرب. الإیوسین الفترة الفجرية أو الإیوسينية، زمن جيولوجي. (المترجمة)

(2) وحدة المعلومات الكمومية، وهو المقابل الكمومي للبِت الكلاسيكي. (المترجمة)

بالبريد الإلكتروني. سأرى إذا كان في وسعي التواصل...»
«فعلت سلفاً».

كانت نصف ناهضة من السرير، إحدى قدميها في خفها،
تتجه إلى الطابق العلوي إلى جهازها لتدخل إلى الشبكة وتبدأ
البحث.

سألها أتودين سماع فكرتي الأخرى؟

قالت وهي تبحث عن نظارتها. «طبعاً».

«أتساءل ما إذا كان فيما يحدث عنصر كمومي».

فاسترخت في جلستها وتركت الخف يتدلى. «ماذا تقصد؟»

«حسن، ربما كان تعبيرى خطأ، لكنني أظن إذا كان كل ما تبحثين
عنه يختفي، فربما يجدر بك التوقف عن البحث. ربما يجدر بك
التركيز على الملموس هنا والآن».

«ماذا تعني؟»

«لقد وجدت اليوميات وأنت تقرئينها. هذا جيد. وبنوا يترجم
لك دفتر الإنشاء. هذا جيد. ولكن ما زال عندك الرسائل. اطلبي
مساعدة أحد فيها».

قطبت روث جبينها. هذا منطقي، ولا منطقي. «عرضتها على
أياكو لكنها قالت إنها لا...»

قال أولفر «ليس أياكو. بل مطعم أريغاتو. لحظة، دعيني أتفقد
أحوال الطقس...»

«وما علاقة الطقس بهذا؟»

«رائع. لقد تحولت عنا العاصفة. سيكون عبوراً هادئاً يوم غد»،
رفع نظره. «أحتاج أخذ ذلك المولد إلى المشغل قبل أن ينطفئ
من جديد. أتودين تناول السوشي في الليل...؟»

كانت رفرفر كامبل أو سكرمبلد لفر كما يسميها أهل الجزيرة، أقرب مدينة إلى ويلتاون، رغم أن «مدينة» و«قرية» كلمتان نسبيتان. تتطلب الرحلة إلى اللفر رحلتين بالعبارة وعبور الجزيرة الوسطى بالسيارة وتستغرق زهاء الساعتين، ناهيك بطواير العبارات التي تغدو لامتناهية أيام الصيف. وليس في اللفر الكثير من أماكن الترويح عن النفس، إلا بعض المتاجر الضخمة والمجمعات التجارية نصف الخالية، والمحكمة والسجن والمستشفى، ومتاجر متفرقة للأغراض المستعملة ومحلات الرهونات، وعدد من نوادي التعري ومصانع مهجورة للب الخشب تسبب إغلاقها في فقدان كثيرين لوظائفهم.

غير أن رحلة العبارة إلى المدينة جميلة، تهادٍ بطيء في البحر الرمادي، وهي تعبر جزراً خضراً صغيرة تتلألأ تحت السماوات الكثيية. يسابق السفينة أحياناً سرب من الدلافين أو خنازير البحر أو تلعب في إثرها. ومن بعيد علت الجبال المقبعة بالثلج عالياً فوق أشرطة واطئة من الضباب.

لكنهم لم يذهبوا إلى المدينة من أجل مناظرها، بل إن للرحلة أسباباً عملية من الحياة الواقعية، كالذهاب إلى المستشفى أو إصلاح السيارة أو دفع التأمين، والتزود بالسلع والضرورات. من عادة أهل الجزيرة أن يجفلوا ويظهروا وجعاً غريباً لفكرة مغادرتهم فردوسهم إلى الواقع البائس والضروري للفر.

أحبت روث الرحلات إلى المدينة. فرفر كامبل تبث الحيوية في نفسها. وأحبت التسوق، وإذا باتا الليلة في المدينة تناولوا

عشاءهما في مطعم إثني، رغم أن الخيارات ليست هائلة إذا ما قورنت بمانهاتن: مطعمان صينيان مفتوحان، ومطعم تايلندي والمطعم المفضل عندها المطعم الياباني للسوشي الذي يدعى أريغاتو سوشي.

كان الطاهي ميكانيكي سيارات سابقاً اسمه أكيرا إينوي، هاجر مع زوجته كيمي من مدينة أوكوما في ولاية فوكوشيما. كان أكيرا صياد سمك طموح، وأتى بعائلته إلى بريطانيا الكولومبية الساحلية لأجل صيد السلمون المصنف عالمياً، قبل استنزافه. فتحوا مطعمهم واختاروا الاسم أريغاتو تعبيراً عن شكرهم لكندا على منحهم حياة لطيفة، وفي المقابل عملوا بجهد لتحسين ذوق جيران رفر كامبل. نشأ ابنهما هنا وأرسله إلى الجامعة في مونتريال، لكنهما يتقدمان في العمر وأعداد سمك السلمون في تراجع، فتمكنت كيمي أخيراً من إقناع أكيرا ببيع أريغاتو سوشي والعودة إلى مسقط رأسهما في اليابان. لكن انصهار المفاعل في محطة فوكوشيما دايتشي غيّر كل هذا. وتحولت مدينة أوكوما بين عشية وضحاها إلى أرض يباب ملوثة بالإشعاع، وبات أكيرا وكيمي عالقين في اللفر.

«لم تكن مدينة أوكوما مميزة جداً، لكنها مسقط رأسنا. لا أحد يمكنه العيش هناك. اضطر أصدقاؤنا وعائلاتنا والجميع إلى إخلائها. أن يخرجوا من بيوتهم، ويتركوا كل شيء وراءهم. لم يتسن لهم الوقت لغسيل الصحون. دعونا أقاربنا للقدوم إلى هنا، وأخبرناهم أن كندا آمنة. لا أسلحة، لكنهم لا يريدون المجيء. فهي ليست الوطن في نظرهم».

تغلق المطاعم باكراً في اللّهر، وأخذت كيمي استراحة من الغسيل في المطبخ لتجلس مع روّث وأولّفهر عند منضدة السوشي، ونظف أكيرا سكاكينه ورفع أسماكه. تخرّج ابنهما توش في جامعة مكغيل، ويعمل في هكتوريا، لكنه يأتي كثيراً في إجازات نهاية الأسبوع ليساعد أباه خلف منضدة السوشي.

سألت روّث توش «أهذا الوطن في نظرك؟»

سأل توش مبتهجاً «أتقصد كندا أم رهف كامبل؟» كان فتى طويلاً هادئاً حلو الحديث تخصص في العلوم السياسية. «كندا، أجل. مونتريال، قطعاً. مونتريال كالوطن. لكن هكتوريا أقلهما. أما رهف كامبل، إه ليس كثيراً».

سألت روّث كيمي «ماذا عنك؟»

ترددت كيمي فأجاب عنها أكيرا. «لا تهتم بالسّمك أبداً»، وأشار إلى روّث «ماذا عنك؟»

هزت روّث رأسها نفياً وقالت «لا أدري. لا أدري ما الوطن».

قطع أكيرا شريطاً من التغليف البلاستيكي ووضع على شريحة لامعة من التونة الحمراء الزاهية. «أظنك فتاة تميل للمدن الكبيرة. لكن أنت...»، ومال من فوق المنضدة ليملأ كأس أولّفهر بالسّاكي من جديد ثم رفع كأسه ليقول نخباً. «أنت فتى يهوى الريف، مثلي. رهف كامبل مناسبة جداً لنا، ها؟» شعرت روّث بتردد أولّفهر بجوارها، لكنه رفع كأسه وقال «في صحة اللّهر».

تأخر الوقت. سحبت روّث حقيبتها الظهرية إلى حجرها وأخرجت الرسائل. شرحت مشكلتها في وقت أسبق، ووافقت كيمي على أن تحاول مساعدتها. راقبت روّث كيمي تمسح سطح

المنضدة قبل أخذ الرسائل بكلتا يديها وبانحناء قصيرة رسمية. قالت كيمي وهي تتفحص الظرف العلوي «نعم. هذا خط رجل. العنوان في طوكيو. يقول الختم البريدي 18 شوا». وعدت على أصابعها. «أي 1943. ختم البريد ليس واضحًا، لكني أظنه من تسوشيورا. هذه قاعدة بحرية، فربما تكونين محقة بأنه كان جنديًا». فتحت الرسالة وبسطتها على المنضدة أمامها، وهي تمسد طياتها برفق. اقترب توش من المنضدة ونظر من فوق كتفها.

قالت «إنه خط جميل جدًا. عتيق الطراز، لكني قادرة على قراءته. سأكتب الترجمة، ولكن اعذرني على إنجليزيتي الضعيفة. عشت هنا عشرين عامًا ولكن...»

وضع توش يده على كتفها وضغطها وقال «لا عذر لك يا أمي. أنا لا أجيد قراءة اليابانية، لكني سأساعدك في الإنجليزية». ضحك أكيرا ضحكة قصيرة وقال «نعم. لا عذر لنا. عندنا الآن متسع من الوقت للتدرب».

باتا الليلة في نزل أبوف تايد وتناولوا المفضن والقهوة الصباح التالي وانطلقا إلى المحطة في الوقت المناسب ليأخذا العبارة الأولى إلى البيت. لم يكن الازدحام كبيرًا في تلك الساعة، ثلاث مركبات في المسار تتجه نحو جزيرتهم. جاء أحد عمال العبارة، فتى يافع لحيم من أهل رفو كامبل يلبس سروالاً قصيرًا، ووقف أمام سيارتهما بانتظار أن يعطيتهما إشارة الصعود. عاين المركبات في المسار وأبلغ الجسر بعددها.

غمغم في جهاز اللاسلكي «ثلاثة إلى فانتازي»⁽¹⁾.
أنزلت روث نافذتها وأطعمت فتات المفن لعصافير الدوري.
سألت أولفر الذي كان يقرأ عددًا قديمًا من نيويورك ر في
كرسي الراكب بجوارها. «هل سمعت هذا؟»
«سمعت ماذا؟»
«ما قاله فتى العبارة.»
«لا. ماذا قال؟»
«ثلاثة إلى فانتازي.»
نظر أولفر من النافذة إلى الفتى. «أحسننت.»
«كيف له أن يعرف؟ إنه يافع جدًا ليعرف البرنامج.»
ابتسم أولفر «ربما. لكنه يعرف الجزيرة.»

(1) مسلسل دراما أنتج في الولايات المتحدة. بدأ بثه في سنة 1977 على هيئة الإذاعة الأمريكية. (الترجمة)

كنت مترددة بشأن إخبار جيكو عن اللقاء بشيخ هاروكي #1. أولاً وقبل كل شيء، خشيت أن يحزنها ذلك، فماذا لو لم يزرها؟ ربما زارني أنا فقط لأنني إيكيسوداما؟ ثم إذا عرفت، يجب عندئذ أن أعترف بأنني أفسدت الأمر لأنني لم أطرح عليه أسئلة جيدة أو أرحب به. لا بد من وجود أسلوب تعامل به الشبح، وأشياء تقولها وهدايا مميزة تقدمها له. ربما ستستاء جيكو مني لأنني لم أحسن القيام بذلك، ولكن أنى لي أن أعرف؟

أو ربما ستظنني كاذبة. ربما تظن أنني اختلقت القصة لأتستر على استراقي النظر إلى المذبح وكسري إطار الصورة وسرقة الرسالة. اليوم التالي، أخذت أظن أنني اختلقت الأمر برمته، وما تسنت لي فرصة كثيرة للكلام معها، فعزمت على الانتظار لرؤية إن كان هاروكي #1 سيعود.

صباح يوم صلاة الأوسيفافي، نهضت باكراً وتسللت خارجة من بوابة المعبد. كان الظلام مخيماً، لكن المصابيح مضاءة في المطبخ، وسمعت صوت موجي وبعض الراهبات اللاتي جئن للمساعدة. أعرف أنهن سيدعونني للمساعدة إذا رأينني، فلزمت الهدوء الشديد. ذهبت وجلست على العتبة الحجرية القديمة قرب البوابة، شبه مخبئة خلف واحد من الأعمدة الضخمة. كان المكان مخيفاً ورطباً، تماماً كما يفضل الشبح بتصورك، وبدأ الأمل يراودني.

قلت همسًا «هاروكي أوجيساما وإيراشييماسو كا»⁽¹⁾؟

لكن الوحيد الذي رد هو تشيبي، القط الذي ليس بشخص إطلاقًا.

جريت ثانية. «هاروكي إيشبانساما...؟»⁽²⁾

سمعت صوتًا عندها، صوت غمغمة وتأفف، وعندما نظرت إلى سفح العتبات، رأيت وحشًا مخيفًا يصعد نحوي. كان شبيهًا بيسروع عملاق لونه بني ورمادي. تاتاري! قلت لنفسي. هجوم أرواح! فقفزت واختبأت خلف العمود قبل أن يراني، ممسكة تشيبي بقوة لأمنعه من الخروج.

كان للوحش بقع بيضاء ونتوءات هلباء والكثير الكثير من الأرجل البارزة من جوانبه، وتحرك بصورة لولبية متناقلة، يرتفع ويهبط ببطء على العتبات الحجرية الشاهقة. راقبته محاولة معرفة ما يكون. كان بطيئًا جدًا فلا يثير الخوف، وحسبته أول وهلة تينًا هرمًا بائسًا جدًا. تسكن التنانين في المعابد أحيانًا، وربما لأن جيكو هرمة جدًا فتتيناها هرم هو الآخر. ولدى اقترابه رأيت أنه ليس بتين ولا يسروع وحشي. بل كان صفاً طويلاً جدًا من كبار السن من الدانكا، ومن الأعلى بدت ظهورهم المحدودة ورؤوسهم البيضاء المتمايلة كجسد اليسروع، وأذرعهم وعصيتهم كأرجل بارزة، يصعدون في الظلام.

ركضت عائدة إلى المعبد وقلت إن الضيوف قادمون، وتحرك الجميع في سرعة مفرطة، فموجي تركض وتتحني وتقود الناس

(1) أنت هنا يا خالي هاروكي؟ (الكاتبة)

(2) السيد هاروكي رقم واحد؟ (الكاتبة)

إلى غرفة المزار. مقابل المذبح الرئيس للشاكاساما، نصبنا مذبح أوسيفافي خاصًا للأشباح الجائعة، وجلست جيكو العجوز على كرسي ذهبي فخم. عج المكان بالكثير من الترانيم والصلوات والبخور، ثم فتحت جيكو اللفافة وأخذت تقرأ أسماء الموتى. كانت أسماء لعائلات وأصدقاء أدرجها ناس الدانكا في القائمة، واللفافة طويلة جدًا، ودوّى صوت جيكو العجوز ودوّى. كانت الغرفة ساكنة وحارة وهادئة، لم يتحرك فيها شيء إلا الأسماء، وكان الأمر مضجرًا، وأخذ النعاس يغلبني، فوقع شيء غريب. ربما كنت نصف نائمة وأحلم، لكن الحياة دبّت في الأسماء، دبّت فيها الحياة وأخذ تطوف في غرفة المزار، ولم يشعر أحد بالحزن أو الوحدة أو الخوف من الموت، لأن الأسماء هنا. كان شعورًا جميلًا، خاصة لكبار السن الذين سيصبحون أسماء على القائمة قريبًا، وبعدها انتهت جيكو من القراءة، تتأوب الجميع لتقديم البخور الذي استغرق أبدًا، لكنه جميل أيضًا.

كانت صلاة طويلة، ولم أرَ بأسًا في هذا، لأن الراهبات والكهنة الزائرين ساعدوا جيكو وموجي في الترانيم والأجراس وطقوس الصلاة، وتعين عليّ قرع الطبل. علمتني موجي ذلك وكنت أتمرّن لأسابيع. لا أدري إذا ضربت الطبل من قبل، ولا بد لك من تجربتها إذا لم تفعل، فأولاً وقبل كل شيء، جميل أن تضرب شيئًا بعضا بأقصى قوتك، ثانيًا إنها تصدر صوتًا مذهلاً.

طبل المعبد كبير كالبرميل، ويوضع على سدة خشبية عالية. يجب أن تقف في الأمام عند الضرب عليه، مقابل الرق الممدود، وتحاول أن تضبط أنفاسك، التي تقفز لأنك شديد التوتر. يترنم

الكهنة والراهبات قرب المذبح، وأنت تصفي منتظرًا إشارة تقترب وتقترب. ثم في اللحظة المناسبة، تأخذ نفسًا كبيرًا وترفع عصويك وتُرجع ذراعيك و

...بووم بووم بووم بووم

...يووم!

يجب أن تتبّه للتوقيت، وعلى الرغم من خوفي من ارتكاب خطأ أمام كل هؤلاء الناس، فأظن أنني أبلّيت بلاء حسناً. أنا أحب ضرب الطبل. أثناء ذلك، أكون مدركة للحظات الخمس والستين التي تقول جيكو إنها تكمن في فرقة الإصبع. أنا جادة. عندما تضرب طبلًا تعرف متى تكون البووم متأخرة بأصغر جزئ من الثانية أو مبكرة بأصغر جزئ من الثانية، لأن كل انتباهك متركز على حد النصل بين الصمت والصوت. أخيرًا حققت هدفي وحللت عقدة الطفولة في الآن لأن هذا ما يفعله الطبل. عندما تضرب طبلًا، تصنع الآن، وعندما يتحول الصمت إلى صوت ضخم ونابض بالحياة فكأنك تتنفس في الغيوم والسماء، وقلبك هو المطر والرعد.

تقول جيڪو ان هذا مثال للكائن الزمني. الصوت والاصوت.
الرعد والصمت.

-2-

بعد انتهاء صلاة الأوسيفاي، أقمنا حفلة للضيوف، وساعدت في تقديم الطعام، وهذا كربه لأنني فتاة خرقاء، فلن أتجشم عناء وصفه. أخيرًا طفح كيل موجي التي بلغ منها التعب كل مبلغ،

وأرسلتني خارجًا لقضاء حاجة لا أتذكر ما هي، وصادف أني مشيت بجوار مكتب جيكو ولاحظت أن الباب المنزلق مفتوح. كأن في الداخل أحدًا. ما زلت خائفة من أمر إطار اللوحة والرسالة، فذهبت لأرى.

كانت الغرفة معتمة، لكن الشموع على مذبح العائلة مشتعلة، ورجل مسن يجثو أمامه. كان ظهره منحنيًا، ويداه مضمومتين أمام وجهه. انحنى ملامسًا الأرض برأسه، ثم وقف وتقدم نحو المذبح. كان جسده نحيلًا كالهيكل العظمي، وبدلته تتهدل عن عظامه، ويضع وشاحًا مزينًا بصفوف من الأوسمة التي وضعها حول كتفه، وأوحى لي بأنه كان جنديًا. وصل المذبح وأشعل عود بخور ولمس به جبينه قريانا، وتقدم من الوعاء، بدت الجذوة المرتعشة في طرف عود البخور يراعة صغيرة، تدور في العتمة.

ثم تراجع وجثا في مكانه أمام المذبح ومكث هناك وقتًا طويلًا. ضم يديه معًا حاملاً الجوزو أحيانًا، وتوقف أحيانًا أخرى وأصغى ثم أخذ يهتمهم من جديد. راقبته لبعض الوقت، ثم انتبهت إلى وجود جيكو في الغرفة، تجثو في ركن ظليل قرب رف الكتب، تغمض عينيها كأنها تنتظر الرجل المسن لينتهي مما يفعل. طبعًا أصابني الهلع وخشيت أن يلاحظ أن إطار الصورة مكسور والرسالة مفقودة، وإذ أوشكت على الذهاب، سمعت صوتًا خلفي، كأن بابًا منزلقًا قديمًا ينفتح أو أحدًا يتحنح.

علمونا أول ما علمونا كيف نقتل أنفسنا.

كانت الكلمات هادئة لكنها واضحة. نظرت حولي فلم أر أحدًا، إلا ضوء شمس آخر العصر يلقي ظلالًا في الحديقة، وحفيف

الخيزران مع النسيم. لكني عرفت الصوت.

لعلك ترين هذا غريباً؟ كنا جنوداً، ولكن قبل أن يعلمونا كيف
نقتل عدونا، علمونا كيف نقتل أنفسنا.

هبّت ريح صغيرة في الحديقة، جاعلة ماء البحيرة يرتعش.
يعسوب يجلس هناك، فطار.

همست بأهدأ ما استطعت «أهذا أنت؟ هاروكي أوجيساما...؟»
أعطونا بنادق. علمونا كيف نستخدم إبهام القدم لنسحب
الزناد. كيف نفرز مقدمة الماسورة في عظم الفك كي لا تتزلق...
ارتفعت يدي إلى وجهي، وتحسست أصابعي الجانب السفلي
من ذقني.

هنا.

طويت أصابعي على هيئة مسدس، الإبهام إلى الأعلى، السبابة
والوسطى تضغطان على البقعة الواقعة تحت فكي. لم أستطع
الحركة.

هذا صحيح. يجب أن نقتل أنفسنا بدلاً من أن نسمح بأخذنا
أسرى على يد الموريكين⁽¹⁾. جعلونا نتدرب على هذا مراراً وتكراراً،
وإذا ترددنا أو لم نتقن فعلها، ضربنا الضباط بالهراوات حتى
نسقط. سيضربونا في كل الأحوال، ولا يهم إذا أجدنا أو أخطأنا.
كان ذاك من أجل تنمية الروح القتالية.

ضحك ضحكة شبحية.

فسقطت يدي إلى الجانب.

مكتبة

t.me/soramnqraa

(1) ㇿㇿㇿㇿㇿ (الأمريكيون) (الكاتبة)

سكنت الريح عندئذ وبات الهواء ساكنًا وصامتًا. في الغرفة لم يزل الرجل المسن جاثيًا، وعرفت من اهتزاز جسده وإطراق رأسه كزهرة توليب مكسورة أنه يبكي. اكتفت جيكو بالجلوس هناك في الزاوية مغمضة عينيها، منتظرة بصبر، ولأول مرة سمعت الصوت المتناغم لخرزات الجوزو، تتقر بركاتها الصغيرة.

تكلم الصوت من جديد وسمعته. الصندوق على المذبح. بجانب الصور، أترينه؟

على المذبح صندوق ملفوف بقماش أبيض. أراه كل يوم. كان يشبه الهدية.

«نعم».

هل تعرفين ما بداخله؟

كنت أساعد موجي في تنظيف المذبح يومًا، وسألته السؤال نفسه. قالت إن الصندوق يضم رفات هاروكي #1، لكنني وجدت أن هذا لا يعقل عندما فكرت في الأمر. استخدمت كلمة إيكوتسو⁽¹⁾، ولكن ما دام هاروكي #1 مات بتحطم طائرته الكاميكازي على سفينة حربية، فكيف يكون له رفات؟ أعني إن كان ذلك صحيحًا، فمن الذي سيجمعه؟ ومن أين يجمعه؟ قاع المحيط؟ لكن موجي لم تجب عن أسئلتني، ولم أستطع سؤال جيكو لأن إثارة حزنها ليس من الأدب. أكان هذا سؤالًا جيدًا يُسأله شبح؟

«أظنها.... الإيكوتسو العائدة إليك، صحيح؟ هذا ما قالت لي

موجي، لكنه لا يعقل...»

(1) 遺骨 بقايا مرمّدة. حرفيًا بقايا + عظام. (الكاتبة)

سمعت الصوت ثانية كالذي يصدره الباب الخشبي القديم عندما تهزه الريح.

لا يعقل. لا يعقل أبداً...

ثم رحل. لا تسألني كيف عرفت. أعرف من الغياب. كان الجو حاراً، لكنني أرتجف وانتصب الشعر القصير على ذراعيّ، وخشيت أنني أثرت ضيقه مرة أخرى بأسئلتي الغبية. في الغرفة أخرج الجندي المسن منديلاً كبيراً من جيبه ومسح عينيه، ثم دار على ركبتيه ليواجه جيكو، وتبادل الاثنان الانحناء. استغرقا دهرًا للاعتدال من ذلك الانحناء، ومنحني هذا وقتاً كثيراً للهرب.

-3-

دام الأوبون أربعة أيام، وكان ذلك وقتاً مجنوناً على راهبتين. بعد انتهاء الأوسيفاكي ورحيل الضيوف، شغلنا أنا وجيكو العجوز وموجي في المرور على بيوت الدانكا لإقامة صلوات بوذية أمام مذابح الأسر كلها. وكان من عادتهما في الماضي أن تمشيا إلى البيوت، لكن جيكو بلغت المئة أخيراً، وقالت إنها لا ترى بأساً في قيادة السيارة. يجب أن تحصل موجي على رخصة القيادة، وهو أمر صعب في اليابان ويكلف مالا كثيراً ويستغرق وقتاً طويلاً، وإن كنت ماهراً في القيادة، وموجي لم تكن كذلك. بل إنها ضعيفة في القيادة. كان للمعبد سيارة قديمة تبرع بها أحد الدانكا، وجلست بجوار موجي في الأمام، وجلست جيكو في الخلف. قبضت موجي على المقود بكلتا يديها بقوة حتى ابيضت براجمها، ومالت إلى الأمام حتى كاد أنفها يلامس الزجاج الأمامي. لقد عطلت السيارة مرتين وهي تحاول تشغيلها، وبعدما تمكنت من تحريكها

اشتد توترها وظلت تضغط الغراميل. وفهمت السبب. كانت الطرق الجبلية ملتوية وضيقة، وكلما رأينا سيارة أخرى قادمة، اضطرت إلى التوقف على كتف الطريق غير الموجودة إلى أن تعبر. وكلما حدث هذا، بدأت موجي العجوز في الانحناء بتهذيب للسائق القادم، محركة رأسها إلى الأعلى وإلى الأسفل وتكاد توقع السيارة عن جانب الجبل. لم يعترني خوف كهذا في حياتي من قبل. نظرت مرة إلى جيكو في الخلف، ظانة أنها أصيبت بنوبة قلبية أو ما شابه، لكنها نائمة نومًا عميقًا. لا أدري كيف تفعل هذا. لا أفعل الكثير لمساعدتهما لدى وصولنا بيت أحد الرعية، فأبقى معظم الوقت في الخارج وأكلم قاطط الناس.

ما زالت رسالة هاروكي #1 في جيبي. استعرت وقتها قاموس الكانجي العائد لجيكو العجوز من طاولتها وقرأت الشيء كله، إلا بضع كلمات لم أفهمها. تسلفت في الليل إلى بوابة المعبد وانتظرت في غيمة من اليراعات، راجية أن يأتي مرة بعد، لكنه لم يفعل قط.

-4-

عدنا ثلاثة بعد انتهاء الأويون، وانتهت إجازة الصيف قبل أن نعود لاستئناف نظامنا المعتاد، ولم يبق عندي إلا بضعة أيام قبل أن يأتي أبي لاصطحابي إلى البيت. كنت حزينة جدًا، فعزمت جيكو وموجي على إقامة حفلة وداع صغيرة من أجلي. لا يعني هذا أنني أهوى الحفلات، لكننا عزمنا على صنع البيتزا التي كانت فاشلة فلا واحدة منا تجيد صنع الأطراف، ولكننا لم نهتم لذلك. وتناولنا الشوكولاته للتحلية، لأن جيكو العجوز تعشق الشوكولاته،

وعزمتنا على غناء شيء من الكاراوكي⁽¹⁾. كانت فكرة موجي. حينها قدم لنا أحد الدانكا حاسوبًا قديمًا وساعدنا في الحصول على خدمة الإنترنت، فوجدت موقعًا جميلًا للكاراوكي لتحميل الأغاني منه، ورغم أننا لا نملك مكبر صوت، فإننا استطعنا الغناء والرقص والصخب كثيرًا. تناوبنا ثم صوتنا أي أغنية غناها كل شخص هي الأفضل.

كانت أفضل أغنياتي أغنية مادونا الكلاسيكية «فتاة معدنية»، ورقصت فقرتي على الإنفاوا، وخلفي الأبواب المنزلة فبدت كخشبة المسرح. ترجمت الكلمات لجيكو ووجدت الشيء مضحكًا. غنت موجي أغنية لـ ر. كيلي عنوانها «أظن أنني أستطيع الطيران»، ولكنها عندما غنت بدت شبيهة بـ «أزن أنني أستطيع الطيران»، فانفجرت ضاحكة. فازت جيكو بأفضل أغنيات جولات الأمسية بأغنيتهما «الحلم المستحيل»، وهي أغنية من مسرحية غنائية قديمة في برودوي. أنا لست من هواة مسرحيات برودوي الغنائية، لكن جيكو تحب هذه الأغنية، وغنتها بإحساس حقيقي وإن فقد صوتها قوته. إنها أغنية عاطفية تقول إنه لا بأس أن يكون للمرء أهداف مستحيلة، لأنك حين تتبع نجمتك بعيدة المنال غير آبه ببعدها أو استحالة الأمر غمر السلام قلبك لدى موتك، ولو احترقت وغطتلك الندوب مثلي وأنا لا أزال على قيد

(1) 空才ケ حرفيًا تعني فارغ + أوركسترا (كي اختصار لأوكيسوتورا) الكاتبة. نوع من الغناء يغني فيه المغنون الهواة أغنية بمصاحبة موسيقى مسجلة مع استعمال ميكروفون وعرض كلمات الأغنية على شاشة أمام المغني وتغنى في غرف تسمى غرف الكاراوكي أو صناديق الكاراوك (المترجمة)

الحياة. لقد تماهيت مع الكلمات، وكان جميلاً سماع صوت جيكو المتهدج. لقد غنتها بصدق، وأظنّها غنتها من أجلي.

جاءت تلك الليلة إلى غرفتي لتتمنى لي ليلة سعيدة، متسللة من الإنفاوا وداخله من الأبواب المنزلقة كالنسيم من الحديقة، بهدوء شديد فلم أسمع قدومها. جثت بجوار حشيتي ووضعت يدها على جبيني. كانت يدها العجوز جافة وباردة وخفيفة، وأغمضت عيني، ودون أن أدري أخذت أقص عليها أمر شبح هاروكي #1، وأنه زارني على عتبات المعبد في أولى ليالي الأوبون لكنه رحل لأنني لم يخطر لي أي مواضيع مثيرة للحديث وغنيت له أغنية فرنسية غبية. وعن شعوري بالغباء وقلة الاحترام، فذهبت لزيارة صورته على المذبح لأقدم له اعتذار، وأن الحياة دبّت في صورته وأنا أحملها، لكنني كسرت الإطار وسقطت رسالته فأخذتها. وأنّي توسلت إليه ليعود، فعاد وأخبرني عن ضرب الضباط له أيام كان جندياً لتنمية الروح القتالية فيه، وأراني كيف أطلق النار على نفسي في الحلق باستخدام الإبهام بدلاً من الوقوع أسيرة لدى المريكين، لكنه رحل ولم يعد قط.

أغمضت عيني، فكأنني كنت أكلّم نفسي في العتمة، أو لعلي لم أتكلّم، بل أفكر فقط. شعرت بيد جيكو على جبيني، تسحب الأفكار خارج عقلي وتثبتني إلى الأرض في الوقت نفسه حتى لا أطيّر. هذه واحدة أخرى من قوى جيكو الخارقة. تستطيع إخراج قصة من أي أحد، بل إن المرء أحياناً لا يحتاج إلى فتح فمه، لأنها تسمع الأفكار التي تدور في عقله المجنون قبل أن يعثر عليها صوته. بعد أن أنهيت حكايتي، فتحت عيني فأبعدت

يدها. كانت تنظر إلى البعيد، إلى الحديقة في الخارج حيث تغني الضفادع في البحيرة. انتفخ صوت نقيقها مرة بعد مرة مثل موجة ثم خيم الصمت.

«نعم. هكذا تدريبوا. كانوا طلابًا مجندين وفائقي الذكاء. كرههم رجال الجيش، فتمروا عليهم وضربوهم كل يوم. كسروا عظامهم وحطموا أرواحهم».

كانت الكلمة إيجيمي، وشعرت بالضالة فجأة عندما سمعتها. أنا وزملائي الأغبياء. الدفع واللكز والطعن. حسبتني أعرف الإيجيمي، فتبين لي أنني لا أعرف منه شيئاً. شعرت بالخزي فأردت معرفة المزيد.

«لكن هذا لم ينجح، صحيح؟ لم يحطموا الروح القتالية في هاروكي أوجيساما، أليس كذلك؟»

فهزت جيكو رأسها وقالت «لا. لا أظنهم نجحوا».

فكرت في الأمر قليلاً وقلت «كان الأمريكيون هم العدو. هذا غريب. لقد نشأت في سنيفيل. أعني هذا أنني عدو؟»
«لا، لا يعني ذلك».

«أتكرهين الأمريكيين؟»

«لا».

«ولم لا؟»

«أنا لا أكره أحداً».

«هل كرهت أحداً من قبل؟»

«لا».

«هل كرههم هاروكي؟ ألهذا أراد أن يكون انتحاريًا؟»

«لا. هاروكي لم يكره الأمريكيين، بل كره الحرب. كره الفاشية. كره الحكومة وسياستها المتسلطة من الإمبريالية والرأسمالية والاستغلال. كره فكرة أن يقتل أناسًا لا يكرههم».

لم يكن هذا منطقيًا. «ولكنه قال في رسالته إنه سيقدم حياته من أجل بلاده. ولا يمكن أن يكون المرء انتحاريًا ولا يقتل الناس، صح؟»

«صحيح، ولكن الرسالة كانت ادّعاء. لم تكن مشاعره الحقيقية».

«لماذا انضم إلى الجيش إذن؟»

«لم يكن باختياره».

«أأجبروه؟»

فهزت رأسها. «كانت اليابان تخسر الحرب. فجندوا كل الرجال. ولم يبق إلا الطلاب والصبيان الصغار. كان هاروكي في التاسعة عشرة عندما وصله الإشعار، استدعونه بصفته محاربًا ووطنياً يابانياً، ليشارك في الحرب. بكيت عندما عرضه علي، لكنه ابتسم وقال: 'محارب يا ما. تخيلي!'

نق ضفدع وحيد ثم آخر. وتساقطت كلمات جيكو كالصخور في الصمت الفاصل بينهما.

«كان يسخر من نفسه كما ترين. لقد كان فتى لطيفاً، شديد الرقة والسخرية. لم يكن بالمحارب».

بدأت أصوات الضفادع تتجمع وتعلو. واصلت جيكو الكلام، وباتت كلماتها إيقاع طبل خفيض مستمر تحت النقيق الحاد.

«كانت أواخر أكتوبر. أقيمت مسيرة سار فيها خمسة وعشرون

طالبًا مجندًا في الباحة الواقعة خارج مزار ميجي. أعطيت لهم بنادق يحملونها على أكتافهم كأطفال يلعبون لعبة الجنود. تساقط مطر بارد ثقيل، وبدا اللونان الأحمر والذهبي للمزار مبهرجين وفاقعين جدًا. وقف الأولاد بانتباه ثلاث ساعات، ووقفنا هنا نستمع إلى الكلمات والعبارات المنمقة في امتداح بلد الأجداد. ألقى واحد من الأولاد، وهو زميل لهاروكي، خطابًا فقال فيه: 'نحن لا نتوقع أن نعود أحياء بطبيعة الحال'. لقد عرفوا أنهم ميتون. سمعنا عن الانتحارات الجماعية للمجندين في مكان يدعى آتو. يسمونه غيوكوساي⁽¹⁾. جنون، ولكن لا توقف. كان رئيس الوزراء موجودًا، توجو هايدوكي. وليس صحيحًا ما قلته قبلاً، لأنني كرهته. كان مجرم حرب، وشنقوه بعد الحرب. فرحت كثيرًا، بكيته فرحًا عندما علمت بموته. ثم حلقت رأسي وأقسمت على أن أقلع عن الكراهية».

صمتت جوقة الضفادع.

«نجا الفتى الذي ألقى الخطاب. وكل عام يأتي إلى هنا وقت الأوبون ليقدم اعتذاره».

استغرقت دقيقة لأفهم الأمر. «أتقصد الرجل المسن؟»
فهزت رأسها. «لم يعد فتى. لو عاش ابني لكان مسنًا هو الآخر. يصعب عليّ تخيل هذا».

(1) 玉碎 هجوم انتحاري، موجة هجوم بشرية. تعني حرفيًا «التكسر كالجوهرة»، من القول الصيني العائد إلى القرن السابع «يموت الرجل العظيم كجوهرة متكسرة بدلًا من عيشه كبلاطة سليمة»، الكاتبة.

استلقيت على ظهري وتخلّيت وجه الجندي المسن. حاولت تخيله في شبابه، شاباً مثل شبح هاروكي. مستحيل.

قالت: «كانوا أحسن الطلاب. صفوة الصفوة»، وقد استخدمت الكلمات الفرنسية تلفظها بالطريقة اليابانية، لكنني عرفت ما تقصد. رنت عيناها، الغائمتان من الفراغ، إلى الماضي. وخشيت أن أقول شيئاً يكدرها، ولكن لا بد لي أن أعرف.

«أعتذر لأنني أخذت الرسالة. سأعيدها».

فهزت رأسها، لكنني لست متأكدة أنها سمعتني.

سألتها «ماذا بداخل الصندوق؟»

أعادها السؤال لحظة. «أي صندوق؟»

«الموضوع على مذبح العائلة».

فغبر ظل وجهها. ربما كانت غيمة تمر أمام القمر، أو لعله خيالي.

«لا شيء».

سألتها «ماذا تقصدين بلا شيء؟»، ولما لم تجبني ألححت عليها. «أتقصدين أنه فارغ؟»

كررت قولي «فارغ. سو ديسوني».

نظرت إليّ كأنني ذكرى تخبو. «سامحيني يا آن الحبيبة. أظلم

أتكلم وأتكلم. يجب أن تنامي».

«لا. أحب حكاياتك! أخبريني بالمزيد!»

ابتسمت وقالت «الحياة زاخرة بالحكايات. أو ربما الحياة هي قصص. ليلة سعيدة حبيبتي آن».

«ليلة سعيد جيكو الحبيبة».

في ضوء القمر بدت متعبة وهرمة.

جاء أبي لأخذي اليوم التالي، وقبل أن يصل ذهبت إلى مكتب جيكو لآخر مرة. وعدتها بأن أعيد الرسالة، ولم يزل الصندوق موضوعاً على الرف الصغير، ملفوفاً بقماشه الأبيض بجوار الصورة. لم أرغب في إزعاجه ثانية، لكنني أردت صدقاً رؤية ما في ذلك الصندوق. قالت جيكو لا شيء فيه، لكن ضحك هاروكي الشبحي جعلني أظن أن في داخله شيئاً. ربما كانت أسنانه اللبنية أو نظارته أو شهادة الثانوية. لقد أردت رؤية قطعة حقيقية منه لأتأكد أنه حقيقي، وسمّ ذلك معتقداً خرافياً إن شئت.

وقفت على مشط قدمي وتناولت الصندوق، ساحبة إياه من الرف إلى ذراعيّ. جلست على الأرض وحللت القماش الأبيض. كان الأمر شبيهاً بفك تغليف هدية الميلاد. داخل القماش صندوق خشبي كتب عليه «الروح البطلة للملازم الثاني الراحل ياسوتاني هاروكي». شعرت أن قلبي يخبط. كان طول الصندوق نحو 40 سنتيمتراً. رججته قليلاً وظننت أنني سمعت شيئاً يهتز داخله. ما صوت الروح؟ أردت أن أنظر حقاً، لكنني خشيت فجأة أن تطير الروح البطلة إن فتحت الصندوق. هل ستكون غاضبة مني؟ هل ستطير في وجهي؟ لففت الصندوق وكدت أعيده إلى مكانه ثم غيرت رأيي في اللحظة الأخيرة. ورفعت غطاءه. كان فارغاً.

جيكو محقة. لم أصدق هذا. ولأتأكد قلبته ورججته، فسقطت على الأرض قصاصة ورقية صغيرة. قالت جيكو «أرسلته لي السلطات البحرية».

كانت تقف بالباب، تلبس ثوبًا بنيًا باهت اللون تلبسه لصلاة الصبح واستندت على عصاها. أقسم إنها قادرة على الظهور من اللامكان. هذه واحدة أخرى من قواها الخارقة.

«أرسلوا إلينا صندوقًا فيه رفات أبنائنا الأحبة. وإذا لم يعثر على رفاتهم وضعوا قصاصة ورق في الداخل. إنهم لا يرسلون صندوقًا فارغًا كما ترين».

نظرت إلى الورقة في يدي. كتبت فيها كلمة واحدة: **遺骨**⁽¹⁾. «فتحته مثلما فعلت، وهكذا سقطت الورقة. كنت مذهولة جدًا! قرأتها ثم ضحكت وضحكت. كانت إما وسوغا معي في الغرفة، وظننت أنني جنت حزنًا، لكنهما لم تفهما. لم تكن ابنتاي كاتبتين. هذا مضحك جدًا في نظر الكاتب، إرسال كلمة بدلًا من جثة! كان هاروكي كاتبًا، كان سيفهم. ولو كان هنا لضحك هو الآخر، وللحظة هكذا بدا الأمر، أنه برفقتي ونضحك معًا».

ضحكت ومسحت عينيها بإصبع معوجة هرمة. تغرورق عيناها بالدمع أحيانًا عندما تقص حكايات من الماضي بسبب ذكرياتها، لكنها ليست دموعًا، لم تكن تبكي. كانت ذكريات ترشح إلى الخارج.

«كان أجمل عزاء في تلك الظروف. لكني لم أستطع وضعه في مقابر العائلة. لم تكن الكلمة الأخيرة له، بل كلمة الحكومة». لم تزل تتوكلًا على عصاها، لكنها أخذت تبحث عن شيء في أعماق كمّ ثوبها، ومالت قليلًا كأنها تفقد توازنها، فهبت إلى مساعدتها. وعندما وصلتها مدت إليّ يدها.

(1) إيكوتسو: رفات. (الكاتبة)

«خذي». كانت تحمل أحد أكياس التجميد العائدة لموجي وفي داخله بعض الأوراق. «هذه رسائل كتبها هاروكي إليّ قبل موته. ربما يجدر بك أخذها أيضًا. احفظيها مع الرسالة التي وجدتها». أخذت الكيس منها وفتحته ونظرت فيه. ميزت خط هاروكي من الرسالة التي أخذتها من إطار الصورة.

قالت جيكو: «يمكنك قراءتها. ولكن تذكرني من فضلك أنها ليست كلماته الأخيرة أيضًا».

هززت رأسي، لكنني لم أكن أصغي حقًا، فقد استبد بي الحماس. لم أطق صبرًا لأقرأ الرسائل. هاروكي #1 بطلي الجديد. أردت معرفة كل شيء عنه، وفتشت في كم ثوبها من جديد.

«وهذه. خذي هذه أيضًا».

كانت تحمل ساعة يد قديمة. لها وجه أسود مدور وعقريان من الفولاذ وغطاء من الفولاذ ومقبض كبير على جانبها لضبطها. أخذتها وقربتها من أذني، تكاتها جميلة. قلبتها، فوجدت محفورًا على ظهرها المعدني سطرًا من الأرقام ورمزي كانجي. كان رمز الكانجي الأول 空 أي السماء، والثاني 兵 أي جندي. جندي السماء. هذا معقول. لكن رمز السماء قد يعني أيضًا «فراغ»، جندي الفراغ. هذا معقول أيضًا. قلبتها ووضعتها حول معصمي.

ليست كبيرة ولا صغيرة، بل مناسبة.

«كانت لهاروكي. عليك ضبطها»، ونقرت قليلًا على المقبض الجانبي بإصبعها المعقوفة. «كل يوم».

«طيب».

«لا تدعيها تتوقف. لا تتسي أرجوك».

وعدها «لن أنسى»، ومددت لها يدي لترى الساعة. شددت قبضتي، فقد منحتني القوة، كالمحارب. هزت رأسها وبدأ عليها الرضا. «أنا مسرورة لأنك التقيته أثناء إقامتك هنا. لقد كان فتى صالحًا، ذكيًا مثلك. وأخذ الحياة على محمل الجد. كان سيحبك».

وهزت رأسها مرة ثانية، متأنية، ثم استدارت وخرجت. وقفت هناك أصغي إلى صوت عصاها تتقر الممر الخشبي القديم. لم أصدق ما قالته، لم يصفني أحد بالذكية قط. لا أحد أحبني. أعدت رفات هاروكي الذي ليس برفات إلى الصندوق ولففته ووضعته على المذبح. ثم أشعلت شمعة وعود بخور وقدمتهما له، جامعة راحتي.

قلت في أشد تهذيب باليابانية: «كان لقائي بك بهجة كبيرة. أرجو أن أترقب صحبتك من جديد الصيف القادم. واصل اعتناك بجيكو أوباتشاما الحبيبة حتى أعود من فضلك، اتفقا؟ أوه، وشكرًا على الساعة».

انحنيت انحناء عميقة رسمية رايهاي، جاثية على ركبتي وملامسة الأرض بجبيني ثم رفعت راحتي نحو السقف. خطر لي خاطر آخر بعد نهوضي.

«لا أدري إن كان هذا مناسبًا أم لا، ولكنني سأقدر لك تفقدك لأبي بين الحين والآخر أيضًا. لقد سمّي تيمناً بك، وسيفيده بعض العون».

انحنيت ثانية بسرعة وخرجت. لم أصدق أن شبح هاروكي يمكنه فعل شيء من أجل أبي، لكنني لم أر في السؤال ضيرًا.

وصل أبي عصر ذلك اليوم. لم أرغب بالرحيل، لكنني فرحت بمجيئه. أحسب أن جزءاً مني قلق من ألا يأتي. بدا أكبر مما أتذكر، لكنني لم أقل شيئاً. ظللت أنتظر أن يلاحظ قوتي، لكنه لم يقل شيئاً أيضاً. كان سيببت الليلة، ثم يغادر إلى طوكيو الصباح التالي.

سأني ما حدث بعد ذلك. فقد قال على العشاء إنه سيصطحبني إلى دزني لاند في طريق العودة. وحين أتذكر هذا أرى أنه أمر صعب عليه لأنه يعاني في أماكن كهذه بكل ضجيجها وجموع الناس فيها، فلا بد أنه يعدّ نفسه منذ أسابيع. لكنني لم أفهم هذا حينها، وكل ما رأيته أنه هرم ومتعب وحزين خلف ابتسامته البهاء، وظللت في عقلي أقارن بينه وبين هاروكي #1. كانت موجي وجيكو جالستين إلى مائدة العشاء ينتظراني أن أقفز وأكون سعيدة وشاكرة حقاً لذهابي إلى دزني لاند، لكنني اكتفيت بغمغمة «لا وشكراً لك».

تبددت ابتسامة أبي الكبيرة، ولو كنت فتاة ألطف لقلت هي، أمزح فقط! ولتظاهرت بالحماس المفرط، ولذهبنا إلى دزني لاند، وانتهى الأمر. لكنني لست فتاة لطيفة. الحقيقة أنني لم أرغب بالذهاب. فبعد اللقاء بهاروكي #1، البطل الحقيقي، ومعرفة ما عاناه في الحرب، لم أتحمس لرؤية ميكي شان ومصافحته. وبدأ لي الأمر طفولياً وغيباً. أردت العودة إلى البيت لأبدأ في قراءة الرسائل.

10 ديسمبر 1943

أمي الحبيبة

مرت ثلاثة أشهر منذ إعلان تدابير تعزيز الوضع الداخلي، التي أنهت تأجيلنا الدراسي وأغلقت قسم الفلسفة. أخشى أن كلية القانون ليست بأفضل حالاً إلى جانب الآداب والاقتصاد وغيرها طبعاً. هذه هي الحال. الفلسفة والقانون والأدب والاقتصاد، ضُحّي بها جميعاً من أجل قضية الحرب المجيدة. أليس هذا بديعاً؟

انقضى شهران منذ موكب إرسائنا العظيم عند مزار ميجي، احتفال الدمى الحزينة تحت المطر البارد القاسي. أمي الحبيبة أخشى أن مسيو رسكن كان مخطئاً. السماء لا تبكي، ولا خطأ في المغالطة الوجدانية⁽¹⁾.

مرّ أسبوع منذ ودعت سوغا شان وإما شان، ودخلت ثكنة ت في القاعدة الجوية البحرية. سأحاول أن أكتب لك أكثر عن حياتي، ولكن في الوقت الراهن يكفي القول إنك لو مررت بجانبني في الشارع لما عرفتني، لقد تغيرت إلى هذا الحد.

(1) مصطلح أدبي يضيف المشاعر والسلوك الإنسانيين على أشياء أو أغراض غير بشرية موجودة في الطبيعة، وهي تشبه التجسيد (أو التشخيص) الموجود في الوصف الشعري إلى حد ما. صاغ الناقد الثقافي البريطاني جون رسكن هذا المصطلح في المجلد الثالث من عمله المعروف باسم رسامون حديثون (المترجمة)

أمي الحبيبة

عرفت أنني سأموت عندما علمت بأمر إنهاء إعفائنا الدراسي، وغمرني شعور شبيه بالراحة لدى سماع الخبر. أخيراً، بعد هذه الأشهر الطويلة من الانتظار والجهل، كان اليقين مبهجاً، وإن كان يقين الموت! الطريق أمامي واضح، وسأكف عن القلق بشأن كل الأشياء الغيبية السخيفة في الحياة، التي شغلتنني في الجامعة وحيرت عقلي. كل هذه الأفكار تافهة حقاً في وجه الموت.

أدركت عندما رأيت دموعك يا أمي الحبيبة أنانية ردي، ولكنني للأسف كان يعوزني النضج لأقوم نفسي. بل غدوت سئماً منك. جعلتني دموعك أشعر بالخزي. لو كنت رجلاً لارتميت على الأرض عند قدميك وشكرتك على دموعك وعلى قوة حبك لي. لكن ابنك التافه سألك (بشيء من البرود، كما أخشى) أن تكفي عن البكاء وأن تتمالكي نفسك.

أثناء الفحص الطبي في أكتوبر، أمرنا ضابط التجنيد أن «نطفئ قلوبنا وعقولنا كلياً». وأمرنا أن نجتث حبنا ونستأصل ارتباطنا بأسرنا وأقارب الدم لأننا من اليوم فصاعداً جنود ويجب أن يكون إخلاصنا للإمبراطور واليابان ووطننا الأم فقط. أتذكر سماع هذا والظن بأنني لن أمتثل للأمر أبداً، لكنني كنت مخطئاً. عندما حاولت منعك من البكاء أطعت أمر الضابط بحذايره، وليس بدافع الوطنية والولاء، بل بدافع الجبن، بغية ألا أشعر بالوجع في قلبي، يتحطم.

منذئذ وفي مناسبات عديدة، أدركت أن فرحي وقائي وساذج، كما أنه أناني. كان شعورًا متولدًا من الجهل، من الغبطة الوجودية الطائشة التي تلد الملاحم أو الوطنية الغافلة التي نراها كثيرًا زمن الحرب. هذه عواقب وخيمة حقًا، وأنا يملؤني الكدر لتضليلي هكذا. أنا عازم على ألا يتكرر هذا.

وما دام لم يبق لي وقت طويل في الحياة، فأنا عازم على ألا أكون جبانًا. سأعيش بجذ ما استطعت وأحيا مشاعري عميقًا. سأأمل أفكارى وانفعالاتى بصرامة، وسأحاول أن أحسن من ذاتي قدر استطاعتي. سأظل أكتب وأدرس، وعندما يحين موعد موتي، سأموت موتًا جميلًا، رجلًا في خضم سعي نبيل ورفيع.

23 فبراير 1944

أمي الحبيبة

تدريبننا قاس وقد تلقت كتيبتنا اهتمامًا خاصًا اليوم. إنه شخصي وليس شخصيًا في الوقت نفسه. قائد الكتيبة ضابط صف اسمه ف، وهو وكبار الضباط يحبوننا نحن الطلاب المجندين ويخصونا بتمارين خاصة. يرون أننا طبقة مميزة ومخنثون، وهم محقون طبعًا. إنهم يسدون إلينا معروفًا، على حد قولهم، فيحولونا إلى رجال عسكري، ولا بد أن أضحك من ذكاء هذا! أوه، نحن نتحول إلى جنود رائعين، قطعًا.

وبافتقاري إلى البنية البدنية وحركاتي الخرقاء، صدقي أنني محبوب جدًا، لكن الذي أشعر بالأسى عليه صدقًا هو ك الذي كان أعلى مني صنفًا في قسم الفلسفة. ك فيلسوف حقيقي. إنه...

كيف أقولها؟ ليس «من هذا العالم». عنده عادة الشرود في حبل من الأفكار، وعندما يحدث هذا يرنو إلى البعيد ولا ينتبه إلى أوامر الضباط، وهذا يحببه أكثر إلى الضباط المسؤولين. لقبه ف «بالأستاذ» (تخيلي أن لكل منا اسم تدليل، واسمي لا يستحب تكراره). رأينا أنا وك أن في أساليب ف العبقرية في التدريب جمالاً، وهي مشابهة لأساليب الجندي الفرنسي الرائع الماركيز دوساد. فهو مثل الماركيز يلهمه العقل العبقرى واستبطان الفنان، يقوده إلى شيء من الكمال الذي لا يوصف. واتفقنا على أن يكون هذا اسمه المستعار من اليوم فصاعداً.

26 فبراير 1944

أمي الحبيبة

تمر أيامنا، ويسرني أن أخبرك بأني أحرز تقدماً في تدريبي وأعلو في الرتبة والمكانة، إضافة إلى تقدير رؤسائي وأقراني. في أحد تماريننا مؤخراً، شغلتي صحة ك، فتقدمت وتطوعت لأحل محله. كان الماركيز سعيداً جداً بالموافقة، ومنذئذ رأى أنني تلميذ مستوفي الشروط أكثر من ك، الذي فشل في أن يحصل منه على أي رد فعل. والآن، عندما يناديني، كأنه يبحث عن مساعدتي في جعل كل تمرين أغرب من سابقه. ويشير إلى تدريبه بأنه انتفاع، ولن أعجب إذا ما استعرض حصصنا في ذهنه بعدها، كي يشحذ مهاراته. لو كان وسيطه الكلمات بدلاً من الحرب لكان شاعراً.

14 أبريل 1944

أمي الحبيبة

سأستأنف حكايات مغامرتي من حيث انتهيت آخر مرة. بعد وجبة المساء وأخذ التفقد، يقترح الماركيز ألعاباً سخيفة ليرفع الروح المعنوية للكتيبة. ولما تقدمت وأصبحت المفضل عنده، دعاني لأكون الأوني، تذكرين تلك الأغنية، يا أماء؟ إنها أغنية جميلة عن عصفور حبيس في قفص من الخيزران.

ويحب لعبة أخرى هي «طائر الأحراج المفرد يعبر الوادي»، تقتضي القفز على كل سرير والتوقف بين الحين والحين لزقزقة أغنية الطائر المفرد هو هو كي كيوا كما نلعب أحياناً لعبة القطار، أو لعبة قاذفة القنابل الثقيلة. ولا تنتهي أعباءه حتى يأتي صوت النفير معلناً انطفاء الأضواء.

يضحك أفراد كتيبتي أحياناً ويسلّون أنفسهم، لكن ك لا يضحك أبداً. بل يقف مراقباً ملتزماً بأن يشهد أدق التفاصيل، ولكنه لا يستطيع فعل شيء. حين يحاول أن يتقدم لأخذ مكاني يدفعه الماركيز كالبعوضة. وأخشى أني باندفاعي لحماية ك سببت له ألماً أكبر.

16 يونيو 1944

أمي الحبيبة

لن أطيل في رسالتي لأنك ستأتين لزيارتي قريباً، والتفكير بهذا يغمرنني فرحاً لا أسعه أو أصفه. لكنني شعرت بحاجة إلى الكتابة باختصار كي أهيئك.

اختفى ك قبل ثلاثة أيام. لم نعرف ماذا حدث في البداية، واستجوبنا الماركيز لكن أحداً منا لم يعرف شيئاً رغم خوفي من الأسوأ. وتلقينا اليوم التالي فعلاً خبر موته. لا أعرف كيف رغم أن الشكوك تساورني. كل ما أنا موقن منه أنني أشعر بحزن على معاناة صديقي، وأرجو صادقاً أن يولد من جديد في العالم الآخر الأفضل بكثير من هذا.

3 أغسطس 1944

أمي الحبيبة

ذكريات زيارتك باقية، وأستطيع استرجاع كل تفصيل لوجهك الجميل القوي، ولخجل سوغا الساحر، وابتسامات إما العذبة. تريحني هذه الصور كل ليلة عندما أرقد للنوم، وأحاول ألا أتذكر بكاء أختي الحبيبتين وتلوّجهما عند تحرك القطار. شكراً لك على الجوزو. فهو ييث الراحة، وسأحمله تحت بزتي بجوار قلبي. كما أنني لن أنسى الصدمة المرتسمة على وجهك عندما رأيته. هل تغير ابنك الحبيب كثيراً؟ ما زلت أستشعر تحسس أناملك الرقيقة للكدمات على خدي والجرح في ذقني. لم تصدقيني عندما قلت إنها جروح بسيطة، وعندها خجلت لأنني قصرت في تهيتك لما هو في حقيقته عقوبات اعتيادية في الحياة العسكرية. لم أتصور ألمك الحاد من أجلي. يا لي من مدلل أناني! عذري الوحيد أنني أنسى أحياناً أنك لا تستطيعين قراءة أفكارني. أنا وأنت مقربان جداً، الدم واللحم نفسيهما، وقد عرفت قلبي دائماً.

أخافني إبلاغك عن الوضع في طوكيو، أتوسل إليك أن تكوني حذرة. أخاف على سلامتك وسلامة أختي. أرجو أن تفكري في الجلاء إلى الريف. أما هنا فيبدو أن هذه المرحلة من تدريبنا قد اكتملت، فيمكنك أن تكفي عن القلق. لقد عيّن الماركيز قائداً لكتيبة أخرى من المجندين الجدد، وقد تخرجنا ونتعلم الطيران الآن.

ديسمبر 1944

أمي الحبيبة

استدعينا البارحة لنسمع خطاباً محفزاً واستنهاضاً حماسياً لروحنا الوطنية، انتهى بدعوة للتطوع لتلقي تدريب عاجل لنكون طيارين في قوات الهجوم الخاصة. سامحيني يا أمي الحبيبة أرجوك. الموت حتمي، أيّا كان خياره. أرى ذلك وأدركه بصور ما كانت لتخطر لي من قبل. امسحي دمعك أرجوك، ودعيني أشرح لك.

اختيار هذه الميته تصاحبه بعض المنافع. أولها وأهمها أنه يضمن لي ترقية لي رتبتين بعد موتي، وهذا لا قيمة له طبعاً، لكنه مصحوب بزيادة كبيرة في التعويض الذي سيدفع لك بعد موتي. أسمع اعتراضك، وأنت تعصرين يديك وتصرين على أنك لست بحاجة إلى المال، والخيال يجعلني أبتسم. ستفضلين الموت جوعاً على الانتفاع من موتي، أدرك هذا. ولكن حباً بي وبأختي أتوسل إليك أن تتقبلي قراري. يمنحني اختيار هذه الميته عزاء هائلاً، ويعطي لحياتي معنى ورضاً كبيراً يغمر قلب ابنك. إذا كان

التعويض الإضافي سيساعد في إطعامك أنت وأختي ويساعدهما للعثور على زوجين صالحين، فهذا يكفي.

فهذه فائدة واحدة وهي عملية. أما الفائدة الأخرى فربما تكون فلسفية أكثر. أكسبني تطوعي في الطلعات الجوية نزرًا يسيرًا من إدارة الوقت الباقي في حياتي. يبدو الموت في قتال بري أو هجوم بالقنابل عشوائيًا وغامضًا. أما هذا الموت فليس كذلك. إنه نقي طاهر وقوي الإرادة. سأكون قادرًا على ضبط اللحظات المؤدية إلى موتي، وتقديرها بقوة وبدقة. سأكون قادرًا على اختيار أين سيقع موتي وكيف، حرفيًا، وما ستكون العواقب. إذا مسحت دمعك وفكرت في هذا يا أماء، فأنا واثق من تفهمك لما أقوله.

يكتب سبينوزا «إن الرجل الحر، وأعني به الرجل الذي يعيش وفقًا لما يمليه العقل فقط، لا يخاف الموت بل يرغب في الخير، أي أنه يرغب في الفعل وفي حفظ وجوده تماشيًا مع مبدأ البحث عن منفعة. ولذا فإنه لا يفكر بسوى الموت، وحكمته تأمل في الحياة».

المقصد أن موتني في هذه الحرب حتمي، وطريقة موتني نظري. ولما كان احتمال حفظ وجودي أو السعي إلى خيري في هذه الحياة غير وارد، فقد اخترت الموت الذي سيأتي بالخير على من أحب، وسيخفف هذا من حزني في الحياة القادمة، سأموت رجلًا حرًا. أرجو أن تتعزّي بأفكار كهذه.

أمي الحبيبة

سيسعدك أن تعرفني أنني عدت لقراءة الشعر والرواية من جديد وأنا أنتظر موتي. أقرأ مفضلاتي القديمة لسوسيكي كاواباتا إلى جانب الكتب التي أرسلتها لي لكاتباتك العزيزات، كتاب كلمات كالريخ لانتشي فوميكو سن، وقصائد يوسانو سن في شعر متشابك.

تشعرنى قراءة هاتين الكاتبتين بأني أقرب إليك. هل كان لك ماضيهما المشين يا أمي الحبيبة؟ إذا كان الأمر هكذا، فإنني أحييك، ولن أكثر من الأسئلة فلا يليق بابن أن يغازل أمه هكذا. وجدت أنني أنجذب إلى الأدب أكثر مما فعلت في الماضي، ولا أعني الأعمال الفردية بقدر ما أعني فكرة الأدب - السعي البطولي ونبيل رغباتنا البشرية في تجميل عقولنا - وهذا يبكي، فأمسح دمعي بسرعة قبل أن ينتبه أحد. هذه الدموع ليست لاثقة في ياماتو دانشي⁽¹⁾.

أما زلت تكتبين؟ لا شيء يسعدني أكثر من معرفتي بأنك تكتبين الشعر أو تعملين على رواية، لكنني أتصور أنك لا تملكين وقتاً كافياً لهذا.

تذكرت اليوم أثناء اختبار الطيران القصة الرائعة عن حرب الغربان لميازاوا كنجي. يظن الناس أنها قصة للأطفال، لكنها أكثر من ذلك بكثير، وأثناء تحليقي في تشكيل الطائرات على

(1) 大和男子 حرفياً رجل من ياماتو. النموذج الذكوري لرجل ياباني حقيقي (الكاتبة).

ارتفاع ألفي متر، تذكرت نهوض قائد الغريان من شجرة خرّوب
العسل، وطيّره لبدء المعركة. فخطر لي جذلاً أني غراب! الرؤية
واضحة، وإذا كان هذا آخر التدريب الخاص على الطيران، فقد
حلقت في كل الجهات كما شاء لي الطيران.

أحب الطيران، هل قلت ذلك؟ لا شعور يضاهيه روعة أو
تسامياً. قد يقاربه الزان أحياناً. أجلس الزان كل يوم. شكراً
لك على اقتراحه لي، ويسرني أنك تفعلين ذلك أيضاً.

أخشى أن يومي اقترب ورسالتي «الرسمية» القادمة إليك
ستكون آخر رسالة تتلقينها مني. ولكن مهما كتبت لك من هراء،
تأكدي من فضلك أنها ليست آخر كلماتي. ثمّة كلمات أخرى
وعوالم أخرى يا أمي الحبيبة، وأنت من علمني ذلك.

الجزء الثالث

لا تحسبن الوقت يطير. لا تظنن «الطيران» هو الوظيفة الوحيدة للوقت. إذا طار الزمن، سيقف فاصلٌ ما بينك وبين الوقت. وإذا رأيت الوقت يمر فقط، فأنت لا تفهم كينونة الوقت. وحتى تفهم هذا حق الفهم، كل الكائنات التي تعيش في هذا العالم مرتبطة بالدقائق في الزمن، وفي الوقت نفسه يكونون دقائق منفصلة للزمن. ولأن كل الدقائق هي كائنات زمنية، فهي وجود زمنك.

دوغن زنجي، أوجي

استغرقت قراءة كل رسائله أسبوعاً . كان خطه صعباً لأن الرموز متشابكة، ولم أفهم كثيراً من المصطلحات التي استخدمها، لكنني شديدة البأس. فبعد ضبط ساعة خالي الكبير هاروكي كل مساء، أفكر في قصصه المهموسة، وقد تملكنتي وملائتني بالخجل. وكلما استيقظت في الصباح الباكر لأجلس الزازن، وجدت كلماته محتشدة في رأسي لدى جلوسي على الوسادة:

«يا لك من حمقاء يا ياسوتاني آنزو! جبانة لا تصبرين على قليل من الإيجيمي من الأطفال الذين يماثلونك بؤساً! إن ما فعلوه بك ليس إلا مثقال ذرة مما احتمله خالك الكبير. كان هاروكي#1 أكبر منك ببضع سنوات، لكنه بطل خارق وشجاع وناضج وذكي. اهتم بتعليمه ودرس بدأب. اطلع على الفلسفة والسياسة والأدب، وفي وسعه قراءة الكتب بالإنجليزية والفرنسية والألمانية إلى جانب اليابانية. عرف كيف يطلق النار على نفسه في الحنجرة بمسدس، وإن لم يرغب بذلك. أنت، ياسوتاني آنزو، مثيرة للشفقة إن قورنت به. فما الذي تعرفينه؟ المانغا. الأنمي. سنيثيل في كاليفورنيا. جوبي شان وعُصابة عينها الجميلة. كيف لك أن تكوني شديد الغباء والتفاهة! كان خالك الكبير هاروكي#1 بطل حرب أحب الحياة والسلام، وكان رغم ذلك مستعداً ليحلق بطائرته لمهاجمة سفينة حربية والموت لحماية بلاده. أنت حشرة صغيرة حزينة يا ياسوتاني آنزو، إذا لم تتمالكي نفسك في الحال، فأنت لا تستحقين أن تعيشي ثانية أخرى».

أفكر في الأمر وأدرك أن قربي كان متعباً بعد أن عدت من المعبد. كنت غاضبة من نفسي لكني أكثر غضباً من أبي. أعني أنا فتاة وما زلت يافعة، فلي العذر في أن أكون ضعيفة، ولكن أبي رجل راشد ولا عذر له. كان مزمماً أن يذهب إلى الطبيب في الصيف وأن يتحسن، ولكن بحسب ما أرى فهو كما تركته أو أسوأ، وأعرف أن هذا ما تظنه أمي أيضاً.

ذات يوم، وبعد أن بدأت قراءة الرسائل، مربى رمز كانجي لم أجده في القاموس. فنسخته بأحسن ما استطعت، وعرضته تلك الليلة على أمي وسألتها عن معناه. قالت إنها كلمة عتيقة، وأعادت كتابتها وفق الطريقة الحديثة وبحثنا عنها معاً. وسألتها مرة ثانية عندما واجهت مشكلة أخرى وأخذت أعد قائمة كل نهار وأطلب مساعدتها كل ليلة، وهذا سرّ قراءتي. سألتني ليلة ونحن جالستان إلى طاولة المطبخ عما أفعله وإن كان مشروعاً مدرسياً. كان أبي في الشرفة يدخن، وعرفت أنه لا يسمعنا، فعزمت على إخبارها بأمر رسائل هاروكي #1.

ارتسمت الدهشة على وجهها. «أأعطتك إياها جدتك الكبرى؟» كأنها تلمح في سؤالها بأني سرقت الرسائل أو ما شابه. «نعم، أعطتها لي حقاً. وهي رسائل مثيرة، أتعلم من خلالها التاريخ وغيره كثيرًا»، كرهت أن أكون في موضع الدفاع.

«هل عرضتها على أبيك؟»

«لا»، وندمت لأنني أخبرتها.

«ولم لا؟ لقد كتبها خاله، وأظنه يود قراءتها أيضاً. يعرف أبوك كثيرًا عن عائلته أكثر مني. يمكنكما قراءتها سوياً».

طيب. أزعجني هذا. لم أرغب في عرضها على أبي، فهو لا يستحق الاطلاع عليها، ثم إنني وجدتها تحاول تحميله مسؤوليتي لأكون جزءاً مما يدعى إعادة تأهيله، أو تأهيلي.

«سأعرف معناها وحدي إذا كنت غير راغبة في مساعدتي».

كان في قلبي تكبر، وبدلاً من أن تغضب مدت يدها عبر الطاولة ووضعتها على يدي، كأنها تثبتني في مكاني، وقالت «أن شأن. أحب مساعدتك. لا أقصد ذلك. أدرك صعوبة هذا عليك، ولكن لا تقسي على أبيك. إنه رجل طيب، وأعرف في أعماقي أنك تحببته. إنه يحاول جاهداً صدقاً، وعليك أن تفعلي أنت أيضاً».

لولا أنها كانت تمسك ذراعي وتثبتني في تلك اللحظة لقفزت ورميتها بشيء ما. لم تعرف شيئاً عن صعوبة الأمر علي أو كم حاولت جاهدة! ولم أصدقها إطلاقاً فيما قالتة عن أبي. إنها تكذب. كان يجلس في الشرفة على دلو يدخن سيجارة ويقرأ مانغا، وأعرف من وجهها المتعب وتوترها في النظر إليه أنها لا تظنه يحاول جاهداً على الإطلاق.

لكنها محقة في أمر واحد. ما زلت أحبه. فكرت في اقتراحها وأنا راقدة في فراشي ليلاً وأدركت أنني ربما أردت أن أحكي له عن الحرب وهاروكي #1. سمي أبي تيمناً به، وإذا عرف شجاعة رقم واحد وظرافته، فلعله يتحمس للتغيير.

وعقدت العزم لدى عودتي من المدرسة اليوم التالي أن أطلعته على الرسائل. كان يجلس إلى الكوتاتسو، يطوي خنفساء كركدية

يابانية⁽¹⁾ من صفحة من عقول عظيمة في الفلسفة الغربية. وبعد الذي عرفته عن رقم واحد، بت مهتمة بالفلسفة أكثر قليلاً. سألته «ماذا تطوي؟»

قال وهو يرفعها ليريني قرنهما المتشعب «تريبوكسيلوس ديكوتوموس تسونوبوسونيس». «كلا، أعني أي فيلسوف؟»

فقلب الحشرة، وضيق عينيه وأخذ يقرأ، مدوراً جسد الحشرة ليتتبع خط الكلمات في الطيات والأطراف. «... الدازين الموجود... يمر في الزمن... يؤرخ ما 'الماضي' في كينونتنا مع بعضنا بعضاً.... يُنقل... يعد 'تاريخاً' بمعنى أنه يتأكد». ثم ابتسم وقال «السيد مارتن هايدغر سان».

لسبب ما أثار هذا حنقي. لم أعرف شيئاً عن السيد مارتن هايدغر سان أو فهمت ما يتكلم عنه، لكنني عرفت اسمه من أحد كتب هـ1# الفلسفة القديمة، فعرفت أنه مهم حتماً، وها هو أبي يحول عقل السيد هايدغر العظيم إلى حشرة. هذا يكفي. حان الوقت ليعرف أبي أي كائن وضيع هو.

فقلت بلا تفكير «تعرف أن خالك هاروكي درس الفلسفة بجد. كان طالباً في قسم الفلسفة في جامعة طوكيو. ولم يجلس في البيت طوال اليوم يلعب بالأوريغامي كالأطفال».

غدا وجه أبي شاحباً جامداً. وضع الخنفساء على الطاولة وحدثق إليها.

(1) العُرَيْقِطَات أو خنافس وحيدة القرن (الاسم العلمي: Dynastinae) هي فصيلة من الخنافس يتبع فصيلة الجعلليات. (المترجمة)

عرفت أن كلماتي قاسية. ربما كان عليّ السكوت، لكنني لم أفعل. أردت أن أثير حماسه، أردت أن أنتزعه من هذا. ألقيت الرسائل على الطاولة أمامه.

«أعطتني جيكو أوباشاما رسائله. عليك أن تقرأها أنت أيضاً، وربما ستتوقف عن التحسر على حالك. كان خالك هاروكي رقم واحد شجاعاً. لم يرغب في أن يشارك في الحرب ولكن عندما حانت اللحظة، واجه قدره. كان ملازماً ثانياً في البحرية ومحارباً يابانياً حقيقياً. كان طياراً كاميكازي، عدا أن انتحاره مختلف كلياً. لم يكن جباناً، بل ضرب بطائرتة سفينة العدو الحربية ليحمي وطنه الأم. عليك أن تقتدي به!»

لم ينظر أبي إليّ أو إلى الرسائل، بل ظل يحدق إلى خنفسائه. ثم هز رأسه أخيراً وقال «سوو دارو نا...»⁽¹⁾.
كان صوته حزيناً جداً.
ربما ما كان يجدر بي قول ذلك.

-2-

عدنا للدراسة من جديد. في اليابان شهر سبتمبر هو نصف العام الدراسي فقط، فهذا يعني أنني ما زلت في الصف نفسه مع هؤلاء الأولاد الأغبياء المنافقين الذين تجاهلونني حتى الموت في الفصل الأول ثم تظاهروا بالحزن في جنازتي. لكنني عزمتم على تغيير الأمور هذا الفصل. لن أسمح لهم بالتممر عليّ أو تحطيم

(1) ممم، ربما تكونين محقة (الكاتبة)

روحي بعد الآن. عرفت أن في وسعي دائماً طعن ريكو القديمة في عينها من جديد، لكنني لم أشأ اللجوء إلى العنف الجسدي ما لم أضطر إليه. بل سأستخدم قواي الخارقة التي علمتني إياها جيكو. سأكون شجاعة وهادئة ومسالمة مثلها ومثل رقم واحد.

لدى دخولي المدرسة في اليوم الأول، أخذ قلبي يخبط، لكن السمكة في بطني قوية وجبارة مثل الدولفين أو الحوت القاتل. لا بد أن الأولاد لاحظوا الفرق، أو لعلهم شعروا بوجود شبح رقم واحد يحوم قربي، ورغم أن أحداً لم تبدُ عليه السعادة لرؤيائي، فإنهم لم يلكموني في وجهي.

أخذ تركيزي يتحسن بعدما كف الآخرون عن تعذيبي، واستطعت الانتباه لدروسي. ما زالت الحصص مملة، ولكنني بعد قراءتي رسائل رقم واحد، ومعرفتي ذكائه وحبهِ للدراسة، خجلت من جهلي. قد تسأل بطبيعة الحال ما الهدف من التعليم إذا كنت ستخلق بطائرتك لتضرب بها حاملة طائرات؟ هذا صحيح، ولكنني وجدت أن تعلمي شيئاً ما قبل موتي لن يضيرني، فأخذت أجدّ في ذلك، أتدري؟ أخذت المدرسة تصبح أكثر متعة وخاصة حصة العلوم. كنا ندرس علم الأحياء التطوري، وشُغفت بالأنواع المنقرضة.

لا أدري لماذا وجدت الموضوع أسراً، لكن الأسماء اللاتينية لأشكال الحياة الميتة كانت جميلة وغريبة، وساعدني حفظها على خفض توترتي. بدأت بخيار البحر ما قبل التاريخ، وانتقلت إلى نجم البحر الثعباني. ثم حفظت الأسماك اللافكية والأسماك الغضروفية والأسماك العظمية أيضاً، قبل أن أبدأ بالثدييات.

أكانثوثيليا، باينكولايتس، كالكانكوريللا، ديكتيوثرورائيتس، إكسلاينلا،
فريزيلوس...

أعطتني جيكو سوارًا من حبات الجوزو الزهرية، عدة
المبتدئين، ولكل نوع منقرض أحرك خرزة، هامسة بأسمائها
الجميلة لنفسي أثناء الفسحة، أو عودتي إلى البيت مشيًا، أو في
رقودي في الفراش ليلاً. غمرني إحساس بالهدوء، وأنا أعرف أن
كل هذه المخلوقات عاشت وماتت قبلي، دون أن تترك أثرًا تقريبًا.
لم تثر اهتمامي الديناصورات أو الإكصورات⁽¹⁾ وما شابهها
لأنه مبتدلة. يمر كل تلميذ في المدرسة الابتدائية بمرحلة حب
الديناصورات، وأردت أن تكون قاعدة معرفتي أرقى من ذلك.
فتجاوزت العطاءات الكبيرة وفي نوفمبر عندما بدأت بالقردة
العليا المنقرضة، انتحر أبي مرة أخرى.

-3-

ربما عليّ العودة بالزمن قليلاً، إلى 11 سبتمبر كي أشرح هذا
جيداً.

إن 11 سبتمبر واحدة من اللحظات المجنونة التي يتذكرها كل
من كان حياً. تتذكرها بحذافيرها. يشبه 11 سبتمبر سكيناً حاداً
يقطع الوقت، فقد غير كل شيء.

أخذ شيء يتغير في أبي سلفاً. كان يشكو من الأرق، ولم تفده
الحبوب المنومة، أو ربما لم يكن يأخذها. لا أدري. ما زال يخرج
للمشي ليلاً، وتجحظ عينيّ في الظلام في اللحظة المناسب

(1) جنس من الزواحف البحرية المنقرضة (المتروكة)

لأسمع نقرة إغلاق المزلج المعدني وجرجرة قدميه في الممر. بلاستيك على أسمنت. لم أعد بحاجة لتعبه، بل تبعته في عقلي. لكن التغيير الكبير حدث يوم 11 سبتمبر. مر أسبوع منذ أعطيته رسائل هاروكي #1، واستيقظت على صوت التلفاز في غرفة المعيشة. كان الصوت منخفضًا، لكن الصافرات وسيارات الإطفاء عالية وأيقظتني. نظرت إلى مكان نوم أمي وأبي، رأيت هيئة أمي. لكن أبي ليس على حشيته. إنها 10:48 ليلاً حسب الساعة الرقمية، فنهضت وذهبت إلى غرفة المعيشة.

كان جالسًا على الأرض أمام التلفاز، يلبس سروالًا قصيرًا وقميصًا داخليًا، وفي فمه سيجارة غير مشتعلة. في الشاشة صورة ناطحتي السحاب العاليتين النحيفتين أمام سماء زرقاء زاهية في المدينة. بدا المبنى مألوفين، وميزت خط الأفق. عرفت أنها ليست طوكيو. انبعث الدخان من جانبي المبنى. وقفت بالباب وشاهدت هنيهة. ظننته في بادئ الأمر فيلمًا، لكن المشهد لم يتغير لوقت طويل. كانت ناطحتا السحاب تتفشان دخانًا في الهواء دون أنغام أو موسيقى تصويرية إلا الأصوات الخفيفة لمذيعة الأخبار في الخلفية.

سألت «ما هذا؟»

استدار أبي. بدا مريضًا في ضوء التلفاز، وجهه شاحب وعينه حمراوان. فقال «إنه مركز البويكي [التجارة]». نشأت في أمريكا ولهذا أعرف الاسم، لكني لم أتذكر موقعه تمامًا. فسألت «أهذه نيويورك؟»

هز رأسه.

فهز رأسه «لا يعرفون. اصطدمت طائرة بواحد من المبنيين. ظنوا أنه حادث، لكنه تكرر ثانية. ها هو انظري!»
على الشاشة صورة مهتزة لطائرة تختفي في وجه المبنى
الفضي. اقتحمته مثل سكين تدخل لوح زبدة. وانبعثت من الجانب
غيمة من النار والدخان. أين ذهب الطائرة؟
قال أبي «هذه الطائرة الثانية. يقولون إنه هجوم إرهابي.
يقولون إنهم انتحاريون».

انعكس على بشرته ضوء من نفثة لهب.

قال «في الداخل أناس عالقون».

جلست بجواره. تسربت أسنة النار والدخان الأسود من جروح
المبنى. وهبت قصاصات زاهية من الورق خارجة من الثقوب
وتلألأت وبرقت كقصاصات النشار في الهواء. لوح أناس صغار
بأشياء من النوافذ، وتساقطت أشياء صغيرة داكنة من جوانب
المبنى اللامع. أمسكت يد أبي، كانت الأشياء حية، إنها أناس
أيضاً، بعضهم يلبس بدلات، كبدة أبي. ورأيت ربطة عنق رجل.
من فوق الصافرات وزمير أبواق السيارات سمعت أصوات
الواقفين في الشارع قرب الكاميرا. كانوا يتكلمون الإنجليزية.
صوت رجل ينادي: أفسحوا الطريق، أفسحوا الطريق. وبعض
الرجال الآخرين يتكلم عن هيلوكبتر تحوم فوق البرجين. هل
تحاول الهبوط؟

وصرخت امرأة، ثم صرخ الجميع، وأخذ رجل يصيح أوه يا
إلهي! أوه يا إلهي! المرة تلو المرة عند سقوط البرج الأول. لقد

انهار متلاشيًا في نفسه، في غيمة بيضاء من الدخان والغبار التي علت وابتلعت العالم.

ركض الناس في الشارع، كانوا مصابين، يحاولون الهرب. أوه يا إلهي! أوه يا إلهي! مر الوقت، ثم انهار البرج الثاني. تشبث بذراع أبي. جلسنا هناك جنبًا إلى جنب، وشاهدنا حتى طلوع الفجر. واحدًا بعد الآخر تهاوى البرجان. شاهدناهما المرة بعد الأخرى. واصل أبي المشاهدة عندما خرجت إلى المدرسة، وعدت إلى البيت ولم يزل يشاهد.

-4-

بات مشغول البال على الذين قفزوا. رأيناهم أول ليلة، أشكالًا بشرية صغيرة داكنة، تتساقط من جانبي المبنيين، وظللنا نترقب رؤيتهم من جديد في التلفاز أو في الصحف، لكنهم اختفوا. هل تخيلناهم؟ أكان حلمًا؟

اقتفى آثارهم على شبكة الإنترنت في الأسابيع القليلة التالية. وتوقف عن المشي. أستيقظ في وقت متأخر من الليل لأراه جالسًا إلى مكتبي في غرفتنا، يحدق إلى شاشة الحاسوب، ويبحث. قال إن الحكومة والشبكات تحظر الصور، ولكن ظهرت في النهاية صورة للرجل الساقط. لعلك رأيته. تظهر الصورة رجلًا صغيرًا يلبس قميصًا أبيض وبنطالًا داكنًا، يغطس غطسة رأسية خارج الجانب الفولاذي الصقيل من المبنى. بجوار ذلك المبنى العملاق، لم يكن إلا خريشة صغيرة داكنة، يخيل إليك في البدء إنه قطعة نسالة أو غبار على عدسة الكاميرا ظهرت في الصورة بطريق الخطأ. وتدرك الأمر عندما تمعن النظر، الخريشة إنسان. كائن

زمني، حياة. ذراعاه بجوار جسده، وإحدى ركبتيه مثنية، كأنه يرقص رقصة الجع الإيرلندية، عدا أنه يرقصها مقلوبًا. هذا خطأ. لا يجدر به الرقص، لا يجدر به أن يكون هناك.

من حشيتي على الأرض، راقبت أبي يراقب الصورة. ويجلس مبعدًا أنفه عن الشاشة بضع إنشات، كأنه هو والرجل الساقط يتحادثان، كأن الرجل توقف عن السقوط في الفضاء لحظة ليفكر في أسئلة أبي. ما الذي دفعك إلى هذا؟ الدخان أم الحرارة؟ هل اتخذت القرار أم أن جسدك يعرف؟ هل قفزت أو غطست أو خطوت في الهواء؟ هل كان الهواء منعشًا بعد الحرارة والدخان؟ ما شعور السقوط؟ أنت بخير؟ فيم تفكر؟ أتشعر أنك حي أم ميت؟ أتشعر بالحرية الآن.

ترى هل أجاب الرجل الساقط.

أعرف ما كنا سنفعله أنا وأبي لو حبسنا داخل المبنىين. ما كنا بحاجة إلى نقاش الأمر. كنا سنبحث عن نافذة مفتوحة، وسيعانقني عناقًا سريعًا ويقبلني على رأسي قبل أن يمد يده. كنا سنعد حتى الثلاثة كما اعتدنا أن نفعل في سنيفيل، ونحن نقف على حافة حوض السباحة ويعلمني ألا أخاف من الماء العميق. واحد، اثنان، ثلاثة، ثم نقفز في اللحظة نفسها تمامًا. سيمسك بيدي بإحكام ونحن نسقط، ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، قبل أن يفلتي.

-5-

ماذا ستفعل؟

هل يخيفك السقوط؟ لم تخفني المرتفعات قط. وأشعر لدى وقوفي على حافة مكان عالٍ أنني على حافة الزمن، أطل منه

على الأبد. ويتبادر إلى ذهني سؤال ماذا لو...؟، وهذا مثير لأنني أعرف أنني في اللحظة التالية، في وقت أقل مما تستغرقه فرقة أصابعي، سأطير في الخلود.

أيام طفولتي في سنيفيل، لم أفكر قط في الانتحار، ولكن بعد انتقالنا إلى طوكيو وسقوط أبي أمام القطار، أخذت أفكر فيه كثيرًا. هذا معقول. إذا كنت ميتًا في كل الأحوال، فلماذا لا تنهي الأمر؟

كان الأمر في البداية لعبة ذهنية. كيف أفعلها؟ هممم، دعني أفكر. أعرف أولادًا يقطعون أيديهم، ولكن نصال الأمواس توسخ المكان والنزيف يستغرق وقتًا طويلًا. والقطارات توسخ أيضًا، وسيضطر ساذج مسكين إلى تنظيف كل الأحشاء وما شابهها، إلى جانب الغرامة التي تلزم عائلتك بدفعها. لن يكون هذا عادلاً لأمي التي تعمل بجهد حقيقي لتعيّلنا.

والحصول على الحبوب صعب وكيف تعرف أنك أخذت منها ما يكفي؟ الأفضل أن تجد مكانًا جميلًا في الطبيعة، جرف شاهق ينحدر مباشرة إلى وادٍ عميق لا يجدر بك فيه أحد، ستتفسخ جثتك طبيعيًا أو قد تأكلك الغربان. والأفضل من هذا، جرف شاهق ينحدر إلى البحر. نعم هذا مناسب. قرب الشاطئ الصغير الذي قضينا فيه أنا وجيكو نزهتنا. بل إنني أرى المقعد الصغير الذي جلسنا عليه وتناولنا كرات الأرز والشوكولاته معًا. من أعلى ذلك الجرف، سيبدو الشاطئ فسحة صغيرة. سأفكر في جيكو بحب وأنها علمتني عبث محاربة موجة، وستكون هذه فكرة أخيرة جميلة تخطر لي وأنا أقفز من حافة العالم وأطير نحو المحيط.

إنه المحيط الهادي نفسه الذي صدم فيه رقم واحد بطائرته
حاملة الطائرات. هذا جميل. سيأكل لحمي قنديل البحر، وتغوص
عظامي إلى القاع، وسأكون مع هاروكي إلى الأبد. إنه شديد
الذكاء، وسنتكلم كثيرًا. بل قد يعلمني الفرنسية.

في 11 سبتمبر، كانا في منطقة درفتلس. قبلها بأيام قليلة ألفت روث الخطاب الرئيس في مؤتمر عن سياسيات الغذاء في جامعة وسكنسن في ماديسن، وذهبت هي وأولفّر بعدها لزيارة صديقيهما جون ولورا اللذين يملكان بيتًا في الريف. درفتلس منطقة ريفية تقع في جنوب غرب وسكنسن، وهي منطقة تحرق أولفّر شوقًا لرؤيتها من أجل طبيعة الأرض الفريدة للهضبة الباليوزية، التي نجت بصورة ما من التجمد وسميت بذلك لعدم وجود انجراف جليدي، أي الطمي والرمل والطين والحصى والجلاميد التي يخلفها انحسار رقائق الجليد. كان مهتمًا تحديدًا بأنظمة الكهوف والجداول المخفية والأودية البتراء والأغوار التي ميزت أرضها، لكن القلق ساور روث. ما زالت أمها على قيد الحياة وقتها وتعيش معهما في الجزيرة، وعلى الرغم من اتفاق روث مع أحد الجيران للمرور عليها وجلب الطعام وتفقدتها، فإنها لم ترغب بتركها وحدها وقتًا طويلًا. غير أن الطقس الخريفي في وسكنسن جميل، وصحبة الأصدقاء ممتعة. إذ قضوا عصرية طويلة مسترخية في قوارب في نهر المسيسيبي، يشاهدون السلاحف تتشمس على جذول الخشب في ضوء الشمس الذهبي. كان أربعتهم يجلسون حول طاولة المطبخ بعد إفطار شهي الصباح التالي، يستلذون بجولة ثانية من القهوة، عندما سمعوا شاحنة أحد الجيران تقترب. خرج جون ليرى ما يريد، وعاد بعد بضع دقائق والجد مرتسم على وجهه.

قال «حدث شيء في نيويورك». ليس في المنزل الريفي تلفاز، فأدار المذياع على الإذاعة الوطنية العامة عندما اصطدمت الطائرة الثانية بالبرج الشمالي. قضت روث الساعة التالية وهي تقف على طاولة نزهة على قمة تلة صغيرة في العزبة، تحاول التقاط إشارة شبكة الجوال لتتصل بأصدقائها في نيويورك. وتمكنت أخيراً من الوصول إلى محررتها التي تراقب الكارثة تتكشف أمامها من نافذة مطبخها في بروكلن.

قطع صوت المحررة الشواش وصرخت «إنه يهوي! أوه يا إلهي. البرج ينهار!»، ثم انقطع الاتصال.

عادوا بالسيارة إلى ماديسن، وأداروا التلفاز، وقضوا ما بقي من العصر في مشاهدة الطائرات تقطع البرجين وانهيار البرجين. فكرت في أمها، وحيدة في البيت الصغير في كندا. من عادة أمها مشاهدة الأخبار، وإن لم تتذكر ما يحدث من يوم لآخر. حاولت روث الاتصال ولم يرفع السماعه أحد. أمها شبه صماء ولا تسمع رنين الهاتف.

قالت لأولفر «أمي تشاهد هذا. ستظن أننا في نيويورك. ستجن قلقاً».

قال «اتصلي بالجيران، قولي لهم أن يسحبوا قابس الجهاز». ولم تستطع الاتصال بأحد حتى الصباح التالي، فقالت «أود منك الذهاب إلى بيت أمي وأن تتبيني إذا كانت قد رأت شيئاً. وطمئنيها من فضلك إن فعلت. أخبريها بأننا بخير وأننا بعيدون عن نيويورك. ثم افصلي قابس التلفاز وأخبريها بأنه معطل». ساد صمت طويل على الطرف الآخر ثم قالت المرأة «تمام. هل حدث مكروه؟»

«أخشى أنها سترى الأخبار ويصيبها الهلع».

صمت طويل من جديد ثم «أي أخبار...؟»

أوضحت روث باختصار ثم أغلقت الهاتف. وقالت لأولفر
«علينا أن نعود».

-2-

أغلقت المطارات، فاستأجرا سيارة، فورد توروس بيضاء، واتجها
غرباً، يحاذيان الحدود الكندية. كانا يعتزمان ترك التوروس في
سياتل وأن يركبا قارباً عائدين إلى كندا. كندا آمنة.

وهما يقطعان البلاد في طريقهما، برزت الأعلام الأمريكية
كالزهور بعد المطر، مرفرفة من الأعمدة وهوائيات السيارات،
وملصقة على واجهات المتاجر ونوافذ البيوت. غمر البلاد
الأحمر والأبيض والأزرق. في الليل في فنادق سوبر 8 وسوبر
6، شاهد الرئيس يقسم على ملاحقة الإرهابيين. قال متوعداً
«أحياء أو أمواتاً. سنخرجهم من كهوفهم بالدخان. نجعلهم يهريون
ثم نقضي عليهم».

توقفا ذات مساء لتناول العشاء في مطعم ذا غريت وول أوف
تشاينا [سور الصين العظيم] في هارلم، مونتانا. كان المطعم
فارغاً ويغلق أبوابه باكراً، إنها احترازاات أمنية إضافية، كما
أوضحت لهما النادلة وهي تأتي بفاتورتها.

قالت «لا يعرف المرء هدفهم التالي».

سألها أولفر «أتظنين أن الإرهابيين العرب سيهاجموننا هنا
في هارلم، مونتانا؟» يبلغ عدد سكان هارلم أقل من 850، وتبعد
ألبي ميل عن نيويورك، وتحيطها الصحراء.

النادلة، التي ربما كانت مكسيكية، هزت رأسها نفياً وقالت «نحن لا نجازف».

لاحقاً في فندق سوبر 8، شاهدا تقريراً إخبارياً عن ازدياد جرائم الكراهية ضد الأمريكيين المسلمين في أنحاء البلاد. قال أولفر «أتدريين؟ أظنني لم أكن على صواب».

«في أي شيء؟»

«النادلة. لا أظن خوفها كان من الإرهابيين العرب».

-3-

تمكنا من عبور الحدود، ولم تكن كندا يوماً بأكثر أماناً. لدى عودتهما إلى الجزيرة أعرب جيرانهما عن خوفهم على سلامتهما، لكن أخبار العالم لم تؤثر في حياتهم اليومية، ولم يدركوا مما يجري جنوباً إلا لمأماً، لكن هذا لا يعني ألا يدلوا بآرائهم.

قال أحد الجيران عندما مر لإيصال دواء ماساكو للزهائمر، الذي استلمه من العيادة لأجلها. «أنا واثق كل الثقة أنها خدعة». رددت روث «خدعة؟ أتعني أنك تظن الأمر لم يحدث؟»

«أوه لا. لقد حدث بالتأكيد. لكنه ليس كما يقولون». نظر حوله ثم دنا خطوة فبات وجهه يبعد عن وجهه إنشأت. «إنها مؤامرة من الحكومة إن أردت رأيي».

كان أمريكياً، من محاربي فيتنام. كُرم بوسام القلب الأرجواني، الذي تركه في إدارة الهجرة في الولايات المتحدة على الحدود لدى عبوره إلى كندا. لم تشف إصابات عموده الفقري واحتاج إلى جرعة ثابتة من المورفين لتسكين الألم. لم يكن في روث طاقة للجدل، فقدمت له الشاي وجلست معه، تصغي إلى نظرياته

وتفكر في الصندوق في القبو. ما أروع أن تحبو داخله وتغط في النوم.

من مركزهما الذي يكتنفه الضباب على هامش من العالم تكسوه الطحالب، شاهدت الولايات المتحدة تغزو أفغانستان ثم توجه أنظارها إلى العراق. وأثناء انتشار القوات بهدوء في الشرق الأوسط، جلست على الأريكة مع أمها، في بيت صغير وسط غابة مظلمة تقطر من ماء المطر، تنتظر إلى شاشة التلفاز الصغيرة المتوهجة.

سألت أمها «ما هذا البرنامج؟»

«إنها الأخبار يا أمي.»

«لا أفهم. هذا شيء كالحرب. هل نحن في حرب؟»

«نعم يا أمي. نحن في حرب.»

«أوه، هذا فظيع! ومن نقاتل؟»

«أفغانستان يا أمي.»

وشاهدتا في صمت حتى الإعلانات التجارية. فنهضت أمها وتهادت ذاهبة إلى الحمام. وحين عادت نظرت إلى الشاشة وقالت «ما هذا البرنامج؟»

«إنها الأخبار يا أمي.»

«هذا شيء كالحرب. هل نحن في حرب؟»

«نعم يا أمي. نحن في حرب.»

«أوه، هذا فظيع! ومن نقاتل؟»

«العراق يا أمي.»

«حقاً؟ لكنني حسبت تلك الحرب انتهت.»

«لا يا أمي. إنها لا تنتهي أبدًا. لطالما كانت أمريكا في حرب مع العراق».

«أوه، هذا مروع!»، مالت أمها إلى الأمام ونظرت إلى الشاشة.

مرت الأيام والأسابيع. مرت الشهور ثم السنوات.

«قلت إننا نحارب مَنْ؟»

ظننا أن العالم سينتهي بصورة أو بأخرى بعد 11 سبتمبر مباشرة، لكنه لم ينتهِ. استمرت المدرسة في ثقافتها. وتلطف زملائي معي لبعض الوقت بسبب ارتباطي بأمريكا. طوينا ألف طائر كركي من ورق الأوريغامي وأرسلناها إلى بؤرة الانفجار لأجل الضحايا اليابانيين الأربع والعشرين وكل الذين ماتوا في البرجين. ومع انتهاء سبتمبر أخذ الكل يسأم التعاطف، وزادت العداوات زيادة ملحوظة. لم تكن منظمة كما في السابق، في بادئ الأمر على الأقل، بل كانت هجمات متصيدة عشوائية صغيرة تحدث فجأة إذا ما شعر أحدهم بنفاد الصبر أو الضيق. دفعة في الممر، أو لكمة على الصدر. كانت الحرب والخيانة في الأجواء، والعالم كله ينتظر هجوم أمريكا على أفغانستان، لكن شيئاً لم يحدث، وسبب هذا كثيراً من التوتر حتى في فصلنا. قدمنا الامتحانات التمهيديّة، وهي ليست الامتحانات الحقيقية لكنها تبين من سيرتاد مدرسة ثانوية راقية ويحظى بحياة رائعة، ومن هو فاشل. أنا. كان لا بد من الاستعداد، لكنني لم أفعل. فما الفائدة من إهلاك نفسك إذا كان الآخرون سيهلكونك؟

أخيراً، في 7 أكتوبر بدأت الولايات المتحدة تقصف أفغانستان، وجاءت دورتي من جديد، وبدا كلا الأمرين راحة عظيمة. أعرف كثيراً من الناس الذين يرون الحديث عن هذه الأمور مقرفاً، لذا أرجو أنك لا تمنع. أنا لست فتاة عندها ولع إيروسي

بإخبار الجميع عن دورتها الشهرية، وما كنت لأذكرها لولا أهميتها
لما سيحدث تالياً.

بدأت دورتي في سنيفيل وأنا في الثانية عشرة من عمري،
وهذا طبيعي في أمريكا لكنه مبكر في اليابان. وكنت في الرابعة
عشرة عندما رجعنا إلى اليابان، لكن دورتي توقفت فجأة لسنة
تقريباً، وقد يكون ذلك بسبب التوتر والإجيمي. أظن جسدي
يحاول العودة بالزمن إلى عمري الأصغر والأسعد. على أي حال،
لم تأت الدورة ثانية حتى آخر حصة من ذلك اليوم، عندما أعلن
سينسي أن الولايات المتحدة بدأت قصف أفغانستان، وشعرت
فجأة أنني أنزف. ولغبائي فقد أقلعت عن حمل الفوط الصحية
وما شابه. عرفت أن التسكع بعد المدرسة ليس مناسباً ولو
للحظة، ولكني ما كنت لأعود إلى البيت بمصيبة دموية كبيرة.
وحالما رن الجرس، أخذت أشيائي وركضت نحو الحمام.

كانت المدرسة الإعدادية التي أرتادها قديمة، والمراحيض
اليابانية القديمة الطراز تختلف عن المراحيض الأمريكية.
فكرسي المرحاض أرضي ويجب أن يقرفص المرء بدلاً من
الجلوس. قرفصت هناك رافعة تتورتي ومنزلة سروالي الملطخ
إلى كاحلي عندما سمعت باب الحمام يُفتح ويفلق. دخل أحدهم.
لففت بعض مناديل الحمام حول يدي بأقصى سرعتي وصنعت
منها حشوة. صوت، صوت خريشة كأن جرداناً تتسلق جداراً، صدر
من المقصورة المجاورة. شلّت حركتي. كانت أبواب المقصورات
تصل إلى الأرض فلا تستطيع الرؤية من تحتها، حمداً للرب،
ولكنه شعور مروّع أن تقرفص منزلاً سروالك الداخلي ومؤخرتك

مكشوفة، تصفي إلى الجردان. لا شيء يجعلك أكثر ضعفاً. حبست أنفاسي، وكل شيء ساكن. رفعت تتورتي وملت لأدس الحشوة في سروالي، عندما سمعت الصوت من جديد، غير أنه كان يأتي هذه المرة من أعلى الفاصل. سمعت أحداً يقرقر فرفعت نظري ووجدت صفيين متعرجين من هواتف الكيتاي تبرزان من جدران الفاصل على كلا الجانبين وموجهة إلي! وقفت بسرعة كبيرة ورفعت سروالي.

صرخ صوت «أوووووه! لقطة جميلة».

واحدًا تلو واحد، اختفت الهواتف. أسدلت تتورتي وتراجعت إلى زاوية المقصورة.

قال أحدهم «قرف! هذا دم! لم تدفق المرحاض!»

استدت على الجدار المبلط أحضن نفسي. هل أدفق المياه؟ هل أحاول الهرب؟ لو كانت عندي بندقية لأطلقت النار على نفسي في الحنجرة.

«باكا! إنها مغبشة!» ابتعدت عن الجدار ومددت يدي نحو المزلج.

«إنها ليست مغبشة! هذا شعر عانتها!» فككت القفل وفتحت الباب. كانوا واقفين عند المغاسل، متجمعين حول ريكو، يقارنون شاشات هواتفهم الكيتاي. طأطأت وتجاوزتهم نحو المخرج، لكن ريكو رفعت يدها كأنها شرطي مرور.

«أين تذهيبين؟»

«البيت».

«لا أظن ذلك».

جذب أحدهم يافتي ودفعتني إلى الزاوية، حيث وقف دايسوكه
يصور مقطعاً مرئياً بكاميرا فيديو. أجبرتني ثلاث من الفتيات
الكبيرات على الركوع ثم الانبطاح. فاحت رائحة البول والمبييض
من بلاط الحمام وكان بارداً على وجنتي. شعرت بركبة أحدهم
القاسية على ظهري، تسمرنني، ويدي أحدهم ترفع تنورتني إلى
إبطي. وركلني آخر في ضلوعي.
«أعطني الحبل».

لقد خططوا لهذا. ربطوا يديّ، ثم رفعوا تنورتني فوق رأسي
واستخدموا حبل اللعب ليربطوه كالجراب لئلا أرى. وربطوا كاحلي
كي لا أركل ثم أنزلوا سروالي.
سمعت أحدهم يقول «أوووه، هدف! هذه بقع! تحصيلين على
مزيد من النقاط لأجل البقع!»

«هذا مقزز. إنه مقرف. ضعه في الكيس قبل أن أتقيأ!»
«دايسوكه أيها الباكّا. هل تصور هذا؟ نحتاج إلى مقطع مرئي».
كان باطن جراب تنورتني ذات المربعات مظلماً وحاراً ورطباً
لأنني أتتفس بقوة وليس لأنفاسي مكان تذهب إليه. لم أرَ إلا نزرًا
يسيرًا من الضوء والظلال من نسيج قماش تنورتني. أقحم أحدهم
قدمه تحت أضلاعي وقلبني على ظهري، وبات الظل يتحرك
فوقي، والبلاط باردًا على مؤخرتي المكشوفة. كانوا يتكلمون
عمن يفتصبني أولاً، فقرروا أن يجعلوا دايسوكه يبدأ.
أمرته ريكو «هات الكاميرا. أنزل بنطاله».

فرقوا ساقيّ وجعلوه يجثو ثم يرقد فوقي. شعرت بوزن جسمه
النحيل ونتوء عظام وركيه تلكنزني، لكنه شديد الخوف ولم يفعل

شيئاً، فركلوه وسمعته يهرب. بدؤوا يتحدثون عن حاجتهم إلى
مشهد اغتصاب لأجل المقطع، ولكن لم يرغب أحدهم بالمحاولة
بعد فشل دايسوكه. ربما كانوا خائفين، لا أدري.

«يجب أن يفعلها أحد».

«إنها تتزف. هذا مقرف».

«أنتم خرعون يا شباب».

«طيب. افعليها أنت إذن يا ريكو. سيكون مشهداً لسحاقيتين.

وهذا أروع».

«باكا. أنا لست سحاقيّة».

رقدت هناك، بلا حراك. ما كانت المقاومة أو الصراخ
مجديين. فهم كثيرون، ولن يسمعي أحد أو يأتي لمساعدتي،
لكن هذا لا يهم لأنني أفكر برقم واحد، وهو يبيث في الشجاعة.
قد يحطمون جسدي لكنهم لن يكسروا روحي. ليسوا إلا ظلالاً،
وشعرت أن وجهي يسترخي في ابتسامة وأنا أسمع جدالهم.
استعدت قوايا الخارقا، وسرعان ما تحولت الظلال إلى بعوض،
يطن من بعيد، ويزعج إذا سمحت له بذلك فقط.

سمعت أحدهم يقول «هي. لقد توقفت عن الحركة».

«إنها لا تتنفس».

«لهذا الدم كثير».

«اللعنة. لنخرج من هنا».

هل تذكر شعورك وأنت طفل صغير تتظاهر بالموت؟ أنت في
باحة اللعب في سنيفيل مع الأولاد الآخرين، وثمة حرب دائرة،
وفجأة بانغ! يسدد أحدهم عصا إليك ويطلق النار؟ فتسقط على

الأرض ممسكاً صدرك. الأرض باردة وندية. عدوك يراقبك تموت، فتحسن ذلك وتتأوه وتمسك بقلبك النازف، ولكن عندما تموت، تنتقل الحرب إلى جزء آخر من الباحة.

ترقد هناك، تشعر ببرودة الأرض على وجنتك وصدرك وكل جسدك. على ركبتيك بقعتان رطبتان من سقوطك عليهما أولاً. ترتجف، رائحة الأرض كرائحة الوحل والمطر ومبيدات الحديقة. تصيبك بالصداع، لكنك لا تتحرك. لا يمكنك أن تتحرك لأنك ميت.

أين ذهب الجميع؟ تتساءل. هل نسوني؟

كم عليّ أن أرقد هنا بعد؟

هل سيلعبون حول جثتي ويعودون إلى البيت؟ كيف أعرف أن

اللعبة انتهت؟ ماذا لو لم يخبرني أحد بهذا؟

الموت ممل!

أخيراً لم تعد تطيق الصبر، فتقلب على ظهرك وتفتح عينيك، وفوقك السماء الكبيرة العظيمة البهاء المبقعة بالغيوم. ترمش بعينيك، نصف مصدق بأنها ليست لعبة وأنت قد تكون ميتاً. ببطء تحرك ذراعك، ساقك لتري إذا ما كنت قادراً، ثم.... هي! أنت لست ميتاً! ترتاح. تتخبط لتنهض تحمل سلاحك، وتعلن أنك حي من جديد، وتركض للانضمام إلى الحرب.

هكذا بدا الأمر، عدا أنني لم أرَ السماء، بل الغيش المدوخ لمصاييح النيون من خلال القماش ذي المربعات. كان الحمام والممر خارجه صامتين. البلاط بارد، وشعرت بالدم اللزج على مؤخرتي. ببطء اعتدلت ودفعت القماش المعقود على رأسي حتى

انفك الحبل وحررتني من تتورتني. كان الحمام ساطع الإنارة فارغاً. فككت الحبل المربوط حول معصمي بأسناني. إنهما تؤلماني، كما يؤلمني المكان الذي ركلني فيه أحدهم تحت أضلاعي، لكنني إجمالاً كنت بخير. بللت بعض المناديل الورقية وعدت إلى مقصورة المرحاض لأنظف نفسي، وركبت القطار للعودة إلى البيت.

نشروا المقطع المرئي على شبكة الإنترنت تلك الليلة. وأرسل لي أحد زملائي الرابط بالبريد الإلكتروني. كانت جودة الصورة الملتقطة بكاميرا الهاتف الكيتاي رديئة، مبرغلة ومرتجة، فلن يتمكن المرء من رؤية وجهي بوضوح، وارتحت لهذا، لكن المقطع شديد الوضوح. وبهيئة ذراعيّ ورأسي المربوطة بتتورتني وساقَيّ العاريتين ترفسان، لك أن تشبهني بحبّار مما قبل التاريخ، أتلوى وأنفث الحبر من حويصلة الحبر في محاولة عقيمة لأحير مفترسيّ.

بجوار المقطع رابط لموقع فتشي للبروسيرا⁽¹⁾ يستطيع فيه الهيناتي أن يزايدوا على سروالي المبقع بالدم. سيدوم المزاد أسبوعاً، والمزايدة سريعة، لكنني هذه المرة لم أشعر بأي سعادة لارتفاع أرقام المشاهدات. أطفأت الحاسوب وتذكرت حذف ذاكرة التخزين المؤقت تحسباً لأن ينتاب الفضول أبي.

ما زلنا لا نملك إلا حاسوباً واحداً، فيجب أن نستخدمه أنا وأبي. لم يتصل بالشبكة لوقت طويل، ولكنه بدأ بذلك بعد هوسه

(1) ブルセラ اشتهاؤ زي تلميذة المدرسة. حرفياً بورو (اختصار لبنطال) + سيرا (اختصار بحار) الكاتبة.

بالرجل الساقط، فكان متصللاً طوال الوقت. وكانت النهاية بعد غزو الولايات المتحدة لأفغانستان. فقد هجر الفلاسفة وحشرات الأوريفامي وقضى النهار كله يتتبع الحرب، ولم يكن هذا بالمرح، لأنني حينها كنت أتصدى لمادة البروسيرا العالية الحساسية، ولم أرد أن يتجسس عليّ وأنا أراقب سعر سروالي. أثار هذا خوفاً. سيجلس متربصاً خلفي، ينتظر دوره حتى أطلب منه في النهاية أن يخرج لأحظى ببعض الخصوصية. ولكنه مع ذلك يقحم رأسه في غرفة النوم مرة كل خمس دقائق.

يقول «أخبريني فقط عندما تنتهين، طيب؟» حتى أستسلم وأتركه لدوره، فيجلس لساعات. تسأله أمي عما يفعل، فيكذب عليها ويقول إنه يبحث عن عمل. فتزم شفيتها وتبتعد قبل أن تفر من فهمها الكلمات الجارحة. لم تصدقه، ولا أنا صدقته، لأننا تفقدنا سجل البحث ورأينا المواقع التي زارها. صفحات لتقنية الأسلحة، مدونات حربية، مواقع لهواة الجيش، الجزيرة، مشاهد مصورة لقذائف بدت شبيهة بمقاطع من ألعاب تصويب منظور الشخص الأول، غير أنها مبرغلة ومعممة. انفجار قنابل، انهيار مبانٍ، ضرب، جثث.

-2-

أنا التي وجدته.

توقفت عن الذهاب إلى المدرسة بعد حادثة السروال، وما زال المزداد سارياً. كنت أخرج من البيت بالزي المدرسي وأذهب إلى مقهى إنترنت، أبدل فيه ثيابي عادية، وإما أن أقضي الوقت هناك لمراقبة المزداد وقراءة المانغا إذا كان الطقس سيئاً، وإما أن

أركب القطار إلى المدينة وأتفرج على المحلات. ثم ألبس الزي المدرسي وأعود إلى البيت في وقت العشاء.

أخذت الأيام تبرد أكثر وأوراق شجر الغنكفو التي تحف الشوارع تتحول إلى اللون الذهبي. كانت تمطر كثيرًا أيضًا، والمطر يطيح بالأوراق أرضًا فترقد ملتصقة بالأسفلت الأسود المبتل كأنها مراوح مذهبة. تذكرني أشجار الغنكفو بجيكو، وأحزن دائمًا لمرأى الأوراق والثمار تسحقها أحذية المارة وتحولها إلى لطح صفر تشبه في شكلها ورائحتها براز الكلب أو قيئه.

وفي يوم انتهاء المزاد لا أدري إن كنت مكتئبة أم متوترة، وأنا أعلم أن هيناتي مقرز سينتشي قريبًا بسروالي. ليس بالشعور الجميل، بل ثقيل وقذر وكئيب، فذهبت إلى متجر الأشغال ذاتية الصنع في هاراجوكو وسلبت نفسي. وحسنًا فعلت، لأنني وجدت عندئذ دفتر اليوميات الجميل البحث عن الزمن المفقود، وأتذكر بهجتي في القطار عند العودة، فسأتمكن من النجاة ما دامت عندي مفكرة سرية.

فتحت الباب بمفتاحي، فتبدد تفاؤلي. عرفت من الرائحة أن ثمة خطبًا. رائحة الشقة كرائحة أوراق الغنكفو النتنة. رائحتها كرائحة الزقاق صباح السبت بعد أن تأتي المضيفات بأخلائهن إلى البيت ثملين. رائحتها كرائحة القمامة والقيء.

خلعت حذائي ودخلت إلى المطبخ.

ناديت «تادима...». هل ذكرت التادима؟ تادима تعني «الآن»، وهذا ما يقوله المرء عند دخوله من الباب إلى بيته. الآن، ها أنا ذي.

لم يرد عليّ أبي، فعندئذ لم يكن موجوداً. ليس في المطبخ، ليس في غرفة المعيشة. كان المجلد الأول من العقول العظيمة للفلسفة الغربية موضوعاً على الطاولة، والتلفاز مطفأ. هذا تفصيل لاحظته تحديداً لأنه يولّف التلفاز دائماً إما على سي إن إن أو بي بي سي ليسمع آخر الأخبار العاجلة عن الحرب. لكن الشاشة فارغة والغرفة صامتة. ليس في غرفة النوم أيضاً.

وجدته في الحمام. كان ممدداً على الأرض، وجهه مقلوب في بركة من القيء، وليتني أخبرك بأني هرعت إليه وساعدته، لكنني لم أفعل. دخلت ورأيتَه وتكلمت من الرائحة، ثم انفتح هذا الفراغ الكبير في الزمن عندما يكون كل شيء صامتاً وساكناً. أظن أنني قلت «أوه آسفة»، أو شيئاً غيبياً مثل هذا وتراجعت وأغلقت الباب خلفي.

وقفت هناك لبعض الوقت أحرق إلى الباب. كان الأمر شبيهاً بدخولي عليه وهو يتغوط ولمحت قضيبه أو ما شابه. لا أستطيع تفسيره. كان الأمر خاصاً وشخصياً جداً، رقوده هناك، وعرفت أنه لا يود لي رؤيته هكذا، فعدت إلى آخر الممر وتهاويت قرب الحائط حتى بت جالسة على الأرض.

ناديت «أبي؟»، كأن صوتي قادم من أحد آخر يعيش بعيداً. «أبي؟»

لم يجبني. كان هاتفي معلقاً بسلسلة حول عنقي فاتصلت برقم الطوارئ 911، وتذكرت أن الرقم في اليابان هو 119، فاتصلت به وجلست بانتظار سيارة الإسعاف. وضعه المسعفون على نقالة وأخذوه. سألتهم إن كان أبي ميتاً، فقالوا لا. سألتهم إن

كان سيتحسن، لكنهم لم يخبروني. لم يسمحوا لي بالركوب معه. وأرادوا الاتصال بشرطية لتبقى برفقتي حتى تعود أمي، لكنني أخبرتهم أنني كدت أبلغ السادسة عشرة واعتدت البقاء وحدي. كانت الشقة هادئة جداً بعد ذهابهم، وحدقت إلى البطاقة في يدي. كتب المسعفون اسم المستشفى الذي سيأخذونه إليه، لكنني لم أعرف كيف أصل إلى هناك بالقطار. اتصلت بأمي فحولت إلى بريدها الصوتي وحاولت أن أترك لها رسالة.

«هذه أنا».

أكره الكلام إلى الآلات، فأغلقت الهاتف وأرسلت لها رسالة نصية.

«تقياً أبي وفقد الوعي. إنه في مستشفى ن في عنبر ت».

ماذا أقول أيضاً؟

شعرت بالعطش، فذهبت إلى الثلاجة لأشرب كأساً من الحليب، لكن رائحة قيء أبي اختلطت بطعم الحليب فسكبته في المغسلة. صنع الحليب بركة بيضاء كثيفة على السطح الفولاذي وسالت في المصرف تاركة غشاوة شاحبة. فتحت الصنبور لأشطفه بالماء، وغسلت الكأس وجففت المغسلة. خطر لي أنه يحسن بي تنظيف قيء أبي ما دمت بدأت التنظيف هنا، فجلبت دلواً وممسحة من الشرفة. ما زالت الرائحة تثير الغثيان، فعقدت منشفة نظيفة حول فمي وأنفي ودخلت الحمام.

كان القيء صافياً لكنه مائل إلى الصفرة، فيه كتل بيضاء ذاتية تشبه السكاكر الصغيرة. لاحظها أحد المسعفين أيضاً. لبس قفازاً مطاطياً وغرف قبضة منها بكاشطة من صندوق أدواته ووضعها في أنبوب ذي سداة.

سألني «هل يأخذ أبوك أي أدوية؟»

لم أعرف. كان المسعف الآخر يحاول دفع أبي والنقالة في الممر الضيق. ونظر الرجل بسرعة إلى قاعدة كرسي المرحاض وفي سلة المهملات.

سأل «أتعرفين أين يحتفظ بأدويته؟».

لم أشأ توريط أبي، فلم أقل شيئاً.

قال المسعف «هذا مهم».

أشرت إلى خزانة الأدوية وفتحها، ولم يكن بداخلها شيء إلا الأدوية المعتادة: الأسبرين وضمادات الجروح وبعض المسهلات وكريم البواسير، وحفنة من منتجات العناية بالشعر لأمي.

كان المسعفون الآخرون يدرجون أبي إلى الخارج.

«أين غرفة النوم؟»

أخذته إلى آخر الممر. كانت الستائر مسدلة، والغرفة مظلمة جداً. كان الضوء الوحيد يأتي من الحاسوب في الزاوية وشاشة التوقف هلو كتي تجعل كل شيء ودياً. كانت الحشية الوردية ممدودة على الأرض مرتبة، كأن أحداً أخلد للفراش ثم نهض من جديد لأنه نسي إطفاء المصباح. بجانب المخدة الوردية كأس وإبريق نصف فارغ من الماء، وعلبة حبوب فارغة. وضع المسعف العلبة في كيس بلاستيكي آخر ومضى نحو الباب. استدار إليّ وأعطاني البطاقة ثم أمعن النظر إليّ.

«أنت بخير؟»

قلت بصوت ناءٍ لا يشبه صوتي «أنا بخير». حاولت أن أبتسم

له، لكنه خرج من الباب سلفاً وركض في الممر.

نشف القيء على الأرض قليلاً. عدت إلى المطبخ وجلبت علبة عصير جوافة فارغة من القمامة وقطعتها بالمقص، واستخدمت طرف الورق المقوى لكشط المادة اللزجة عن الأرض ورميه في المرحاض. شاهدت مسلسلات بوليسية كثيرة في التلفاز وأعرف أنني أفسد دليلاً، لكنني لا أحتاج إلى دليل. عرفت ما حدث، وعرفت أن الكل سيكونون أسعد حالاً إذا ما ادعينا أنه حادث. أبي السخيف. أبي اللامبالي. أبي الميال إلى الحوادث. وخطر لي شيء آخر.

وضعت علبة عصير الجوافة في كيس بلاستيكي ونزلت ورميته في سلة القمامة في الشارع. عدت إلى البيت وأقفلت الباب علي. كان المجلد الأول من عقول عظيمة في الفلسفة الغربية موضوعاً على الطاولة، لكنه أنهى الفترة الهلنستية منذ زمن، فعرفت أن في الأمر خطباً. وجدت رسالة مقحمة في الفصل المعنون بـ «موت سقراط»، على صفحة من ورقي المزين بغلومي بير، مطوية ثلاث طيات مرتبة. أخرجتها. لم يكن في الرسالة اسم، فحرت إن كان يوجهها إليّ أم إلى أمي، أو كلينا، أو ربما كتبها لنفسه. لم أرغب في قراءتها حينها، فطويتها من جديد ووضعتها في جيب سترتي المدرسية.

هذا ما خطر لي: إذا قرأت هذه الرسالة وقد مات، سأعرف أنه كان جاداً هذه المرة ورام أن يموت صدقاً، وهذا ذنبي لقسوتي ولؤمي معه. وإذا لم يمت، فإن قراءتها قد تقتله، وسيظل ذلك بسببي.

ليس هذا بالمنطقي، لكن هذا ما خطر لي حينئذ، وعرفت أنني مهما فعلت سأشعر أنني حقيرة. ما زلت بزيي المدرسي. ذهبت

إلى غرفة النوم ولبست جينز وكنتزة بقلنسوة، ونقلت الرسالة إلى جيب كنتزي، ثم عدت إلى الحمام لأنتهي من تنظيفه. حدثنا حمام بغيضتان في أسبوع واحد. غريب.

اتصلت أمي من مكتبها. كانت في اجتماع. وجعلتني أصف لها ما حدث وما رأيته بدقة، وجعلتني أقرأ لها اسم المستشفى والعنوان ورقم الهاتف من البطاقة. وسألتي إن كان بقائي وحدي مناسباً.

«طبعاً».

«هل أنت جائعة؟ هل ترك أبوك أي طعام؟»

«أنا لست جائعة»، ربما لن أكل مجدداً.

«سأهاتفك من المستشفى. انتظريني. لا تخرجي».

«أمي؟»

«نعم؟»

أردت أن أخبرها بأمر الرسالة لكنني لا أدري إن كان يحسن بي.

«ما الأمر يا آن؟»، ثمة ضيق في صوتها.

«لا شيء».

أنهينا المكالمة. وأخرجت الرسالة من جيب الكنتزة. ربما كنت مخطئة. لم تكن موجهة إلى أحد، فلعلها ليست رسالة أصلاً. فتحتها. كان فيها سطران بخط أبي الانفعالي المجنون. يقول السطر الأول:

إنني بذلك أحتفظ وأبقى على حياة قد انقضى أجلها فعلاً.

إنني لو فعلت ذلك سخرت من نفسي⁽¹⁾.

(1) محاورات أفلاطون ترجمة وتقديم: د. زكي نجيب محمود، الهيئة العامة المصرية للكتاب 2001، ص 277 (الترجمة)

عرفت الجملة. هذا قول سقراط لصديقه أقریطون قبل أن يجرع سم الشوكران. كان أقریطون يماطله، محاولاً أن يجعل سقراط يتأخر في تجرع السم قليلاً. كأنه يقول «وما الداعي إلى العجلة؟» ما زال في الوقت متسع. لماذا لا تسلي نفسك وتتناول عشاءك وتشرب معنا بضع كؤوس من النبيذ؟» لكن سقراط قال «انس الأمر. لا أريد أن أكون أحمق. لننته من هذا»، وهكذا فعل. أحب أبي هذه القصة كثيراً وقصها عليّ ذات عصرية. يرى أنها مثال على العقل الغربي، لكني لم أعرف ما الذي يتحدث عنه. أتذكر فقط أنه لفظ أقریطون بشيء من قبيل كوريتون، وأحببت وقعها. كأنها رقائق البسكويت تنقسم إلى نصفين، أو صرار الليل في العشب.

تحت الجملة الأولى جملة أخرى.

إنني بذلك أحتفظ وأبقى على حياة قد انقضت أجلها فعلاً.

إنني لو فعلت ذلك سخر مني الآخرون.

خطرت لي فكرة مريعة. عدت إلى غرفة النوم. ومضت هلو كتي وميضاً وردياً عليّ من شاشة التوقف، ولكن بعد تشغيل الحاسوب من جديد، اختفت هلو كتي، وبدأت أنظر إلى موقع هيناتي بروسيرا، على الصفحة التي عُرض فيها سروالي للبيع. نسيت حذف ذاكرة التخزين المؤقتة من المتصفح. لا بد أنه رأى. انتهى المزاد، فاز به أحد يدعى لوليكوم 73. نظرت إلى سجل المزادات، لقد وصل إلى الذروة ثم أخذ يتراجع، وفي الساعة الأخيرة، تدخل مزاييد جديد اسمه سي. إمپريتر [الإمبراطور]، وحدث ارتفاع حاد وقابله ارتفاع آخر، وفي آخر ثانيتين تقدم سعر لوليكوم 73 على سعر سي. إمپريتر الأخير.

كان لوليكوم 73 المالك المزهو لسروالي. خسر سي. إمبريتر. ذهبت إلى الحمام واستندت على كرسي المرحاض وتقيأت، لكنني تقيأت في تجويفه بنظافة.

عدت إلى غرفة المعيشة. ما زالت الرسالة موضوعة فوق الكتاب حيث تركتها. رفعتها وجعلتها في قبضتي وألقيت بها في الغرفة، لكنها ارتدت عن الأريكة وحطت على البساط. أردت أن أكون صخرة أو قنبلة، أردت أن أفجر ثقبًا كبيرًا وسط غرفة معيشتنا أو أفجر المبنى الغبي بكامله. لكنني لا أملك قنبلة، فرفعت المجلد الأول من عقول عظيمة في الفلسفة الغربية وقذفته إلى باب الشرفة الزجاجي. كان كتابًا ثقيلًا، لكن الزجاج قوي، وارتد الكتاب وحط مقلوبًا على الأرض. زاد هذا غضبي، فأخذته مرة ثانية، لكنني هذه المرة فتحت الباب المنزلق قبل أن أرميه. رأيت الهلنستيين يطيطون من فوق حاجز الشرفة، والصفحات ترفرف كأنها الريش التحتي للأركيوپتركس المنقرض، وشعرت براحة هائلة. وانتظرت دقائق كثيرة سماع الخبطة الصغيرة.

«هي!»

تجمدت. كان الصوت قادمًا من الشارع في الأسفل.

«هي! لا تحاول الاختباء. أعرف أنك في الأعلى!»

كان صوت أنثى شابة ولم يكن شديد الغضب، فخرجت إلى الشرفة، ونظرت من فوق الحاجز. نظر إليّ وجه جميل مدور. كانت إحدى المضيفات الساكنات في الجوار. عرفتها من الحمام العام. تبتسم لي دائمًا، وها قد عرفتي هي الأخرى.

قالت «أوه، هذه أنت». كانت تحمل الكتاب في يديها. «أأنت

رميت هذا؟»

لم تكن مصابة فهززت رأسي إيجاباً .

قالت كأن الأمر خطير «يجب أن تكوني حذرة أكثر. قد تقتلين أحداً».

«أنا آسفة». لم يستعد صوتي طبيعته بعد، ولا أدري إذا كانت قد سمعتني.

«سأتركه هنا، طيب؟» وضعته على جدار واطئ من الطوب الخرساني الذي يمتد بين الرصيف والبنية. «يحسن بك النزول واستعادته وإلا أخذه أحدهم». نظرت إلى العنوان. «أو ربما لن يفعل. على أي حال، سأتركه هنا، طيب؟»

همست «شكراً لك!»، لكنها انعطفت عند الزاوية واختفت سلفاً . غسلوا معدة أبي ليتأكدوا من أنهم أخرجوا كل الحبوب، ولم يمت في النهاية، بل لم يقترب من الموت. عادت أمي إلى البيت من المستشفى وأخبرتني أنه سيكون بخير. لم أخبرها عن الرسالة في فصل سقراط.

بعد خروج أبي من المستشفى، جلسنا كلنا في غرفة المعيشة لأجل حوار صريح، أو ربما يمكن تسميته بالاستجواب العائلي. تكلم أبي برتابة، كأنه حفظ الأسطر ولا يصدقها. اعتذر لي، وقال إنه حادث، وإنه متعب جداً، لكنه لم يتمكن من النوم. فلم يعد يتذكر كم حبة أخذ. لن يتكرر الأمر، ولم يأت على ذكر الرسالة أو المزاد.

راقبت أمي أداءه بحذر، وبدأ عليها الارتياح الشديد بعد انتهائه. قالت تستعطفني «إنه حادث من غير شك. نحن نعرف هذا، صحيح يا آن؟»

واستدارت إلى أبي وأخذت تؤنبه. «سخيف يا بابا! كيف تكون شديد الإهمال؟ بدءاً من اليوم سنحتفظ أنا وآن بأدويتك ويجب أن تطلب منا إن احتجت حبة. أليس هذا صحيحاً يا آن تشان؟» قلت في نفسي لا تورطيني في هذا، لكنني اكتفيت بنتف أطراف شعري المتقصفة وهزرت رأسي. لم أطق النظر إلى أي منهما. أخلدت أُمي إلى الفراش بعد انتهاء الاستجواب، فناولت أبي صفحة من ورق غلومي بير مطوية ثلاث طيات أنيقة. كانت مطابقة لرسالة سقراط التي كتبها، فشحب وفتح فمه وأغلقه كأنه سمكة تحتضر.

«يحسن بك قراءتها».

فتحتها وقرأها. كانت مؤلفة من جملتين. بعدما انتهى أوماً وطواها مجدداً وقال «نعم. أنت محقة».

تقول الجملة الأولى:

لن يستمر خالك هاروكي #1 في الفشل هكذا.

أما الثانية فتقول:

إذا عزمت على فعل شيء، فأتقنه من فضلك.

عليك أحياناً أن تقول ما يجول في خاطرك.

بعد نوم والديّ تلك الليلة أخيراً، تسللت إلى الحمام ومعني مقص ومشذب كهربائي اشتريته أُمي لتحلق شعر أبي أيام اهتمامه بالتهندم والنظافة الشخصية والتوظيف وما شابه. في ضوء الحمام البارد، قصص شعري في جزل. استغرقت وقتاً طويلاً في جزه حتى بات قصيراً يُحلق بالآلة. وصلت المشذب الكهربائي بالقابس وشغلته. كان صوته عالياً أطفأته بسرعة وأصغيت، ولكن غرفة

النوم هادئة، فأغلقت الباب ولففت المشذب بمنشفة لأكتم صوت محرّكه. انتهيت من التشذيب، فجمعت شعري الطويل وخبأته في كيس ورقي في القمامة، ومسحت المغسلة بمناديل الحمام. غطيت رأسي الأجرد بقلنسوتي وعدت بهدوء إلى حشيتي. كان شعورًا غريبًا، وظللت أتلمس رأسي.

جلست الزازن تحت غطائي لما بقي من الليل، وحالما أضاءت السماء لبست ثيابي وخرجت من الشقة. كنت ألبس كنزتي ذات القلنسوة تحت سترة المدرسة، وهذا مخالف للقانون تمامًا، ولكن لا بد لي من إخفاء رأسي الأجرد. كان الوقت مبكرًا فابتعت علبة من القهوة الساخنة من آلة بيع وذهبت للجلوس على المقعد الحجري في حديقة المعبد لأزجي الوقت. خرج الراهب لكنس الدرب المفروش بالحصى ورفع نظره ورآني. ربما أدرك ما أخفيه تحت قلنسوتي إذ مرّ شيء بيننا وأومأ لي. وضعت قهوتي على المقعد ونهضت وخلعت قلنسوتي ثم انحنيت له، انحناءة بوذية صحيحة، ضامة راحتي يديّ، جميلة وعميقة كما علمتني جيكو. اعتدلت فرأيته توقف عن الكنس ورد لي الانحناءة اللائقة. أسعدني هذا، ولهذا أحب الرهبان والراهبات كثيرًا. فهم يحسنون التأدب مع الجميع، مهما كان المرء عابثًا.

انتظرت حتى تأكدت أن الجرس الأخير قد رن وركضت باقي الطريق إلى المدرسة. لم يكن في الباحة أحد. تسللت في الممرات الخالية صامتة كالشبح إلى أن وصلت فصلي. وفتحت الباب لأنني ما زلت غير قادرة على اختراق الجدران. كان سينسي يتفقد الحاضرين، لكنني لم أتجشم عناء الاعتذار عن مقاطعته

أو عن تأخري. أخذ بعض من أفراد عصابة ريكو يقهقهون لدى رؤيتي، وتناهت إلى سمعي كلمات «المزاد» و«السروال» و«المحصلة النهائية». أدركت أن كل التلاميذ سمعوا بحادثة السروال وتابعوا المزاد في الأيام القليلة الماضية. كان مشروع تلاميذ الفصل.

لكني تجاهلت تهامسهم وسرت نحو مقعدي. ربما أشعرتهم الكنزة تحت السترة بوجود شيء مختلف، أو لعلها قامتي المنتصبه، كجندي يسير إلى معركة، أو لعلها طاقة القوالب الخارقة ألقت رقية عليهم وأذهلتهم. واحدًا تلو الآخر لاذوا بالصمت. وصلت مقعدي وبدلاً من الجلوس على الكرسي، صعدت عليه ثم على طاولتي ووقفت هناك، منتصبه القامة وطويلة. فنظر إلي الجميع. وخلعت قلنسوتي.

علت شهقة في أنحاء الفصل بثت القشعريرة في جسدي. شعت القوالب الخارقة لرأسي الأصلع اللامع في الفصل وخارجته إلى العالم، مصباح ساطع، منارة، ضوء منير في كل شق مظلم في الأرض ويعمي كل أعدائي. تخلصت قابضة يديّ ورأيتهم يرتجفون، يرفعون أذرعهم ليحموا أعينهم من سطوعي الذي لا يحتمل. فتحت فمي وانطلقت صرخة ثاقبة من حنجرتي كالنسر، ترج الأرض وتخترق كل زاوية في الكون. شاهدت زملائي يسدون آذانهم بأيديهم، ورأيت الدم يجري في أصابعهم عندما تمزقت طبيلات الآذان.

ثم توقفت. لماذا؟ لأنني أشفقت عليهم. نزلت من طاولتي ومشيت إلى أول الفصل. استدرت لأواجه المعلم وانحنيت، وأنا أضرم راحتيّ، واستدرت نحو زملائي وانحنيت لهم أيضاً، انحناء

جميلة وعميقة، وخرجت من الفصل. حسنٌ أني خرجت عندئذ،
بل إنني شعرت بشيء من الحزن وأنا أعلم أني لن أعود أبداً.

-3-

برع أبي في ألا ينظر إليّ فبعد حلاقتي شعري وهزيمتي
زملائي بقوالخارقا الرائعة، عدت إلى البيت وانتظرت ما بقي
من النهار أن ينتبه أني بلا شعر، لكنه لم يفعل. انتبهت أمي
في الحال طبعاً. حالما دخلت من الباب تلك الليلة ورأتني أضع
القلنسوة، أصابها الهلع وطلبت أن أقص عليها ما حدث. فأغفلت
حادثة السروال وأخبرتها أني سأترك الدراسة والبيت وأصبح
راهبة. كنت نصف جادة، فقد أراد جزء مني فعل ذلك بشدة،
الذهاب إلى معبد جيكو العجوز والانخراط طوال الحياة في
الزازن والتنظيف وصنع المخلل.

قالت أمي مستحيل. كنت يافعة جداً على ترك البيت، وعليّ
إنهاء الثانوية أولاً. خطأ كبير. كان عليك أن تسمح لي، لكننا
بدلاً من ذلك تشاجرنا ثلاثة أيام، ووافقت في النهاية على التقدم
إلى اختبارات القبول، التي تقترب. لم يهمني الأمر، لأنني أعرف
أنني لن أدخل مدرسة جيدة، لكنني وعدتها بالمحاولة، وجعلها هذا
تتركني وشأني.

في الأسبوع نفسه رأيت المضيضة التي أصبتها بكتاب العقول
العظيمة للفلسفة الغربية في الحمامات العامة، وقد عرفتني في
الحال وإن كنت بلا شعر. وبدلاً من أن تشيح بوجهها عني كما
يفعل معظم الناس، ضيقت عينيها وعاينتني، وهزت رأسها أخيراً.
قالت «إنه ظريف. شكل جميل. لك رأس حلو».

كنا جالسين في الحوض مغمورين حتى الأعناق. في المرأة
المغبشة، رأيت جمجمتي البيضاء الناعمة، تبرز على سطح الماء
الذي يتصاعد منه الغبار كبيضة مسلوقة.

قلت أعلمها «أنا لا أهتم بالجمال. أنا بطلة خارقة. والأبطال
الخارقون لا يحتاجون إلى الجمال».

رفعت كتفيها. «طيب، أنا لا أعرف الأبطال الخارقين، ولكن لا
ضير في ذلك، صحيح؟ أن تكوني جميلة قليلاً».

أظن ذلك. قلت لها «أصيبت أُمي بالهلع. تريدني أن أضع
شعرًا مستعارًا».

فهزت رأسها ومدت ذراعها الجميلة ورأت الماء يقطر من
أناملها الرقيقة. قالت «طيب. سأخذك. أعرف مكانًا مناسبًا».
كأنني طلبت منها أصلًا.

أخبرتني أن اسمها بابيت وهذا ليس اسمًا يابانيًا مألوفًا. لم
يكن هذا اسم بابيت دائمًا. فقبل هذا كان اسمها كاووري عندما
عملت مضيضة في حانة أساكوسا، قبل أن تطرد لأنها نامت مع
خليل ماماسان. وقالت إنها سئمت من حياة الحانة على أي حال.
كان رواد الحانة عاطفيين ورقيقين. غيرت اسمها إلى بابيت
وحصلت على عمل في مئزر فيفي الجميل، الذي كان مكانًا فرحًا
بهيجًا أيام كان جميلًا قبل أن يتحول إلى مئزر وحيد.

وولع بابيت في هذه الحياة هي الثياب التكرية، وفي مقهى
فيفي تستطيع أن تلبس تنانيرها الصغيرة الجميلة والميادع
والجوارب والمخرمات. وتبدو بعدما تلبس ثيابها للعمل مثل كعكة
راقية مزينة بزهور المرزبان والبراق وسكاكر القلوب، حلوة وشهية

تود التهامها، ولكن لا تتخذه. لا شيء رقيق في بابيت.
ما كان عندي ما أفعله نهاراً، بعد أن توقفت عن الذهاب إلى
المدرسة، فاتفقنا على موعد وركبنا القطار إلى أكيبا معاً.
قالت «أحب ركوب القطار معك. فالناس ينظرون إلينا. يمكن
أن نأخذ لك بعض الثياب الجميلة. ستبدن شيبوي⁽¹⁾ جداً بثياب
أنيقة ورأسك الأصلع الساحر. ربما يمكنك أن تلبس ثياب
الراهبة. أو، لا، انتظري، تلبسين البيبي دول! أجل، مع قبعة
بدانتيلا، ستبدن مثل دمية طفلة صغيرة صلعاء. أوه، سيكون
هذا حلواً جداً!

ذكرتها «أظنك تساعدينني في شراء شعر مستعار»، لكنني كنت
مسرورة في أعماقي.

تعني كلمة أكيبارا حقل أوراق الخريف، لكن الحقول وأوراق
الشجر احتلت مكانها متاجر الإلكترونيات، والناس هذه الأيام
يسمون أكيبا أو المدينة الكهربائية. لم أتجول هنا من قبل.
حسبتها المكان الذي يرتاده أوتاكو المانغا ومجانين الحاسوب
الفاشلون كأمثال أبي لبيع حواسيبهم إذا نفدت نقودهم، لكنني
مخطئة تماماً. أكيبا جامعة ورائعة روعة غريبة. تسير في الأزقة
الضيقة وشوارع التسوق المحفوفة بالمتاجر والأكشاك التي تطفح
بلوحات الدارات الكهربائية وأقراص الدي في دي والمحولات
وأشرطة ألعاب الفيديو وأدوات الفتشية ومجسمات المانغا والدمى
الجنسية القابلة للنفخ وحاويات مليئة بالإلكترونيات والشعر

(1) 咲子، ظريفة، أنيقة (الكاتبة)

المستعار وأزياء الخادومات القصيرة وبنطلونات تلميذات المدارس. أينما نظرت رأيت ملصقات الأنمي الزاهية واللافتات العملاقة معلقة من أعالي البنايات، عليها صور لفتيات موي⁽¹⁾ باسقات لهن أعين مدورة لامعة بحجم أحواض السباحة للأطفال وأثناء ضخمة شهية تبرز من الأزياء الفضائية للمصلحين الخارقين، وكل ما تسمعه هو الرنين المجنون لآلات اللعب كلانغ! كلانغ! كلانغ! وأزيز صالات الباتشكو بونغ! بونغ! بونغ! ومكبرات الصوت تصرخ معلنة العروض قصيرة الأجل من واجهات المتاجر، والخادومات الفرنسيات الصغيرات في الشارع ينادين الفتيان الأوتاكو وهم يمرون بهن. لا ترى حقولاً ولا أوراق شجر في أي مكان هنا.

قادتني بابيت خلال الجموع، ممسكة بذراعي كي لا أتلهى أو أضيع. وشعرت أنني سائحة بلهاء وأنا فاغرة فاهي كأمركية، وذكرني هذا بكايلا. لم أفكر فيها منذ مليون سنة، وتمنيت فجأة لو استطعت جعل كايلا تتمثل في وسط مدينة أكيبا الكهربائية، كي أنسيها وادي السلكون الصغير. هذا جانب من طوكيو أندمج فيه تمامًا، ولم أطق صبراً حتى أجد شعراً مستعاراً - في تلك اللحظة كنت أفكر تفكيراً مطولاً مباشراً وحالماً، مثل أنيمون من يوريكا سفن- وزياً جميلاً لأتماشى مع المشهد، عندما مررنا بواجهة متجر لأقراص الدي في دي مرصوصة مع صفوف من أجهزة التلفاز ذوات الشاشات المسطحة. انبثقت من السماعات موسيقى قتالية خفيفة. وانفجرت الألعاب النارية لدى ظهور

(1) 萌元 مورقة، متبرعمة، كلمة عامية لفتاة من طراز فتيات المانغا تثير الإعجاب. (الكاتبة)

العنوان على الشاشات. مبارزة الحشرات! ثم صرخ معلق القتال:
ستكون المبارزة القادمة الجدد المستقيم الجناحين ضد فرس
النبي!

فتوقفنا وشاهدنا جدجداً عملاقاً يصارع فرس النبي لونه
أخضر فاتح في زاوية من مربى زجاجي. تكررت الصورة على
كل الشاشات، وصوّر المقطع المرئي كل تفصيلة دقيقة. انظر
إلى هذين الفكين القويين اللذين يقطعان المسمار، تسحقان عين
الفرس! تسحقان جناحيها الشفيفين.

انتهى القتال بأن قطع الجدجد رأس فرس النبي.
والفائز هو الجدجد مستقيم الجناحين! المبارزة التالية
بين خنفساء الوعل والعقرب الصفراء!

استخدمت العقرب الصفراء كلابتيها لتطوح بخنفساء الوعل
في الهواء الذي انتصب على قائمته الخلفيتين ووقع على ظهره،
كاشفاً جزءه السفلي. التف ذيل العقرب المحرز لتوسع لسعتها
السامة. ساسو! ساسو(1)! العقرب الصفراء تلتسع! ارتجف
خنفساء الوعل. في المربى الصغير الأجرد، لم يكن عنده مكان
يختبئ فيه. انثت قوائمه الضعيفة ولوحت في الهواء، حتى
توقفت عن ذلك. يبدو أن الخاسر هو خنفساء الوعل، أجل إنه
يموت، إنه ... ميت!

وومضت العناوين بالألوان الساطعة على الشاشة. فازت
العقرب الصفراء!

(1) يطعن باليابانية. (المترجمة)

بدأت أبكي.

لا أمزح. لم يبكيني شيء حتى تلك اللحظة، لا خسارة أموالنا، ولا الانتقال من الحياة الرائعة في سنيفيل إلى الخراء المريع في اليابان، ولا أمي المجنونة أو أبي النزاع إلى الانتحار، ولا هجران أعز صديقاتي، ولا الأشهر والأشهر من الإيجيمي. لم أبك قط. ولكن لسبب ما، لم أحتمل منظر هذه الحشرات الغيبة تمزق بعضها بعضاً إرباً. إنه فظيع، لكنه ليس بسبب الحشرات، بل بسبب الكائنات البشرية التي ظنت أن مشاهدة هذا مسلية.

قرفصت بجانب المبنى وعانقت نفسي وبكيت. وقفت باييت تحرسني، تعبت بالفتحة الدانتيل الصغيرة على ميدعتها وترت برفق على رأسي الأصلع بأناملها كأنها تجرب بطيخة أو تتمرن على السلم الموسيقي. من داخل رأسي، كانت أناملها كقطرات المطر المرتدة على جمجمتي. وبعد هنيهة أشعلت سيجارتها ودخنيتها، وحين أطفالها تحت الكعب البالغ ستة إنشات لحذائها سميك النعل، عاد إليّ هدوئي.

قلت «آسفة».

«لا بأس». تفحصت وجهي وأخذت تفتش في حقيبتها. «أنت مولعة بالحشرات أو ما شابه؟»

«ليس تمامًا. أبي مولع بها. يحب أن يطوي الورق على هيئتها، هذه إحدى هواياته».

قالت وهي تخرج منديلًا ورقيًا وتمسح شيئًا عن خدي «غريب. ما هواياته الأخرى؟»

«محاولة الانتحار».

ناولتني المنديل. «هممم. طيب إذا لم يزل على قيد الحياة،
فيبدو أنه ليس بارعًا فيها».

«إنه أبرع في طي الحشرات». نفرت أنفي ودسست المنديل
في جيبتي. «فاز بالمركز الثالث في حرب حشرات الأوريفامي
الكبرى لأجل خنفساء الوعل الطائرة».

«بديع. يجب أن تفخري به».

«نعم». وكنت فخورة لدقيقة.

«أنت بخير لنذهب للتسوق؟»

«أكيد». ومشيت خلفها.

اشترينا قبعة منسوجة ظريفة لي، وشعرًا مستعارًا يبلغ طوله
إلى الكتف، وميدعة مخرمة وجوارب مرتخية، ثم أخذتني إلى
مقهى فيفي لألتقي الخادومات. لا تكبرني باييت إلا ببضع سنين،
لكنها عرفت كيف تعتني بي وتسعدني.

مكتبة
t.me/soramnqraa

قال أولفر «تبدو بابيت ظريفة».

قال «تبدو لي خير صديقة لأن....»

قال «جميل أنها وجدت أخيراً من تكلمه».

قال «أود الذهاب إلى أكيبا».

«جزء الحشرات حزين».

أغلقت دفتر اليوميات وخلعت نظارتها، ووضعت كليهما على الطاولة الجانبية. وأطفأت المصباح بعد إزاحة القط عن بطنها. قالت وأدارت له ظهرها «تصبح على خير يا أولفر».

«تصبحين على خير». التف القط في الفراغ الكائن بينهما وعاد إلى النوم. رقدا هناك، جنباً إلى جنب في صمت. مرت بضعة آلاف دقيقة.

-2-

سأل في العتمة «هل أسأت في قول شيء؟»

كان في وسعها التظاهر بالنوم، أو الرد، فقالت «نعم».

سمعتة يفكر، ثم قال أخيراً «ماذا؟»

تكلمت إلى الجدار البعيد وحافظت على حياد صوتها فقالت «آسفة، لكنني لا أفهمك. تعرضت الفتاة للهجوم ورُبطت وكادوا يفتصبونها، وُرُفِعَ المقطع المصور لها على موقع فتشي، وفاز منحرفٌ بالمزاد على سروالها، وشاهد أبوها البائس كل هذا وبدلاً من أن يفعل شيئاً لمساعدتها يحاول قتل نفسه في الحمام،

حيث وجدته، وبعد كل هذا، لم تجد شيئاً تقوله إلا بابيت ظريفة؟
جزء الحشرات حزين؟
«أوه».

مرت بضعمئة دقيقة.
«فهمت ما تقصدين. ولكن جميل أن يكون لها صديقة لطيفة،
صحيح؟»

«بابيت قوادة يا أولهر. إنها ليست لطيفة مع آن، بل تحاول
تطويعها. إنها تدبر مواعدة معوضة⁽¹⁾ في ذلك المقهى».
«صدقاً؟»

«أجل، صدقاً».

-3-

كان مدهوشاً بحق. «هل كل مقاهي الخادومات هكذا؟»
«تعني أنها كلها بيوت بغاء؟ لا أظن. لكن هذا المقهى ماخور».
فكر هنية في هذا. «طيب أحسب أنني أخطأت في أمر
بابيت».

«نعم. أنت مخطئ».

«ولكن ليس صحيحاً أن والد آن لم يحاول المساعدة».
فاستشاطت غضباً، واعتدلت من رقودها وأشعلت المصباح
وقالت «هل تمازحني؟»، وضربت بقبضتيها على الطيات المنتفخة

(1) من العلاقات التبادلية. مصطلح في اللغة اليابانية يطلق على العلاقة بين رجل ثري كبير السن وامرأة شابة جذابة، يبذل الرجل المال والهدايا الفخمة مقابل الحصول على خدمات جنسية من الشابة. الفتيات الشابات اللواتي يدخلن في هذه العلاقات هن عادة فتيات المدارس الثانوية أو ربات البيوت. (المترجمة)

للحاف. «يعرف بأمر موقع الهيناتي فيبلغ حبوبًا ويحاول قتل نفسه؟ كيف يساعدها هذا؟»

لم ينظر إليها، وإلا رأى أنها أكثر غضبًا مما بدت وتراجع عندئذ. عرف القط ذلك. عندما أخذت روث تخبط الغطاء، نزل بستو عن السرير وخرج من الغرفة، وسمعا صوت باب القط ينصفق حين تسلل خارجًا إلى أمان الليل.

حدق أولفر إلى السقف ودافع عن قصده. «بل حاول المساعدة. كان يزايد. كان يحاول الفوز بالمزاد، وليس ذنبه أنه خسر.»

«ماذا؟»

بدا حائرًا «المزاد؟ على سروالها. ألم تدركي ذلك؟»

«وكيف تعرف؟»

«سي إمپريترة الرجل الذي خسر المزاد؟ هذا هو. هذا والد آن.»

وأحست بحرارة وجهها تزداد وهي تستمع.

واصل كلامه «سايكوماتوس إمپريترة [الإمبراطور الجواس].

ألا تذكرين؟»

لم تتذكر.

«هذا الاسم اللاتيني لخنفساء الوعل. الذي طوى الورقة على هيئته. كان سايكوماتوس إمپريترة طيارًا. فاز به بالمركز الثالث في حروب حشرات الأوريغامي.»

تذكرت هذا طبعًا. لكنها لم تتذكر الاسم اللاتيني، وكرهت أنه تذكره. وكرهت شعوره بأن عليه الإبطاء والحذر في الكلام وشرح كل شيء كأن بها عتًا أو تعاني ألزهايمر. لطالما كلم أمها بهذه النبرة.

قال «ميزت آن الاسم اللاتيني في الحال. وهذا ما أثار حنقها الشديد. عرفت ذلك حالما رأت رسالة الانتحار. 'إنني بذلك أحتفظ وأبقي على حياة قد انقضت أجلها فعلاً. إنني لو فعلت ذلك سخرت من نفسي'. كان أبوها يلح إلى المزداد، وعرفت آن ذلك، وهذا ما دفعها إلى تفقد حاسوبها. هذه نظريتي».

كرهت أن يكون عنده نظرية وأنه بدا متباهياً.

«لم يعد عنده ما يقدمه، أترين؟ في المزداد. هذا سبب خسارته، ولم يشأ أن يبدو سخيّاً في نظر...»

قالت تقاطعه «فهمت. هذا مقرف. كان يزايد على سروال ابنته. أي معتوه يزايد على الثياب الداخلية لابنته؟»

دهش أولفر «كان يحاول إنقاذه فلا يحصل عليه أحد. لم يرغب في أن يشتريه هيناتي. ولم يسع للحصول عليه لنفسه».

«كيف تعرف؟»

«أوه، واو. أنت مجنونة. إذا كان هذا ما تظنينه فأنت المعتوهة».

«شكراً».

«أعني لا شك أن الرجل فاشل ولكن...»

«أحسبك أكثر من يعرف».

-4-

أرادت استعادة الكلمات حالما خرجت من فيها.

قالت «لم أقصد ذلك. لقد سميتي مجنونة. سميتي معتوهة. كنت غاضبة».

لكن فات الأوان على ذلك كثيراً. رأت عينيه الزرقاوين تحتجبان عندما انتصب الحائط وأخفى ذراعيه خلفه. عندما تكلم جاء صوته نائياً وغريباً.

«إنه ليس هيناتي. بل يحبها كما هي».

أطفأت المصباح من جديد. فأت أوان الإصلاح. تكلمت في الظلام «إذا كان يحبها، فيجب أن يكف عن محاولاته الانتحار. أو أن يجيده».

أجاب أولهر بهدوء «أنا واثق أنه سيفعل».

-5-

لا يتشاجران كثيرًا. لا أحد منهما يحب الجدال، وثمة مواضيع بعينها يحرصان على تجنبها. فقد عرف أنه يجب ألا يفايظها في أمر ذاكرتها، وهي تعرف أنها يجب ألا تسميه فاشلاً.

لم يكن بالفاشل. فقد كان أذكى شخص عرفته، ذاتي التعلم له عقل فتح العالم أمامها، يشققه كأنه بيضة كونية ليكشف أشياء ما كان لها أن تلاحظها بمفردها. كان فناناً طيلة عقود، لكنه سمى نفسه هاوياً لكونها مسألة مبدأ. كان له هوايات تظهر شغفه بالنبات: الزراعة والازدراع وتحسين الأنواع. يأتي من البستان منتصراً منادياً «إنه يوم ميمون!» بعد نجاحه في استنبات شجرة نادرة أو نبتة مطعمة يأخذها. زرع الصبار من بذور على أسكفة نافذته، وجمع شذرات من الغبار الأصفر من النباتات الذكرية بفرشاة تلوين سوداء ونقلها برفق إلى الزهور المؤنثة. وصنع قبعات شبكية صغيرة كأنها قبعات العقاب لأجل فرييون الأوبيسا، وضعها على رؤوس الإناث المدورة لتمسك بالبذور الملقحة وهي ترش في الهواء.

وقبل مرضه وانتقالهما إلى الجزيرة، كان دائم الحصول على منح وتكليفات بأعمال فنية أرضية من حين لآخر، ويردف دخلهما

بالتعليم وإلقاء المحاضرات. واستمر في عمله الفني بعد انتقالهما حتى في مرضه، فكتب البحوث وشارك عن بعد بأنشطة فنية، وبدأ مشروعات من قبيل نيوايوسين. وسافر إلى فانكوفر لينشئ غابة مدنية سماها مينز أوف پرودكشن [وسائل الإنتاج]، يزرع فيها النباتات والأشجار ليستخدمها الفنانون من أهل المنطقة؛ الخشب لاستخدام صانعي الآلات والصفصاف لأجل النساجين، والألياف لصنّاع الورق. وجمع البذور من أي مكان يسافر إليه؛ فجلب شجر السماء من بروكلن، والسيكويا من ماساشوستس، وجنكو بيلوبا من الأرصفة في برونكس وفي منطقة درفتلس قبل 9/11 جمع جذور الزعرور التي سيطّعها بالزعرور الجرمانى.

قال: «هذه أعظم انتصاراتي!»، وبينما هي تطبخ جلس على الدرج وقص عليها تاريخ الزعرور، وعن الفاكهة الشبيهة بالتفاح التي يفضل أكلها متعفنة رغم رائحتها النتنة الواضحة. «كأنها براز طفل مغطى بعجينة السكر».

قالت وهي تقلب المريمية في الحساء «جميل».

«لقد شُنع عليها كثيراً. فسماها الإنجليز في العصر الإلزابيثي فاكهة الدبر المفتوح. وسماها الفرنسيون كل دو شين أو است الكلب. واستخدمها شكسبير استعارة للبقاء والجنس الشرجي. أين نسختك من روميو وجولييت؟»

أرسلته إلى مكتبها في الطابق العلوي ليجلب أعمال شكسبير بطبعة رفرسايد، فعاد وفي حجره كتاب ثقیل فقرأ عليها المقطع:

إن كان الحب أعمى فليسوف يحيد عن المرمى

وإذن فليجلس صاحبنا تحت الشجرة

ويمني النفس بأن تصبح معشوقته ثمرة

مما تدعوه ذوات اللهو فم الزهرة⁽¹⁾

قال لها «هذا مركوشيو، يسخر من روميو لأنه لم يضاجع جوليت».

فأطفأت الشعلة وغطت الحساء. «أين تجد مثل هذه الأمور؟» أخبرها عن موقع لمحبي شجر الزعرور، فعثر على الإحالات إلى مسرحية شكسبير. ووجد فكرة تطعيم الزعرور بالزعرور الجرمانى وهو يبحث في كتاب للمحترم جون تافرر، عنوانه تجارب تعنى بالسّمك والفاكهة، منشور في لندن عام 1600. قال في حزن «إنه كتاب عن ملاحظات ذلك المحترم لبرك السمك وأشجار الفاكهة. أود أن أنشر كتابًا مثل هذا».

كان أقل الرجال غرورًا، كما أنه ليس بالطموح. واعتبر مشاريعه الفنية الأرضية، مثل مينز أوف پرودكشن، ناجحة إذا ما خرج منها.

«أريد أن ينساني المتفرجون».

«لماذا؟ ألا تريد ثناء على عملك؟»

«ليس هذا المقصد. لا علاقة لأي شكل من أشكال الثناء بالأمر. ولا لسوق الفن. ينجح العمل عندما يختفي كل الحذق والصنعة، بعد سنوات من الحصاد وإعادة الزراعة، عندما يبدأ الناس يعيشونها بصفتها محيطًا. ستخبو أي بقايا هالة لي

(1) روميو وجوليت ترجمة د. محمد عناني، مؤسسة هنداي 2017، ص108. في ترجمات ثلاث (عناني، علي أحمد باكثير، عهد صبيحة) لا تظهر الإشارة إلى ما ذكره أولفر.

بصفتي فناناً أو مؤلفاً في البستنة. لن يكون لها أهمية. عندئذ
يصبح العمل مثيراً ...»
«كيف؟»

«يصبح أكثر من 'فن'، فيغدو جزءاً من اللاوعي البصري.
وقع التغيير، وهذا هو العادي الجديد، الأشياء كما هي».
بمعياره كان عمله ناجحاً، ولكنه كلما زاد نجاحاً، ازداد كسب
عيشه صعوبة.

قال حانقاً ذات ليلة وهما يراجعان حساباتهما ويحاولان تبين
كيف يدفعان الفواتير. «لن أكون مديراً لمؤسسة صناعية. أشعر
أنني فاشل».

قالت «لا تكن سخيّاً. لو أردت مديراً لمؤسسة صناعية
لتزوجت واحداً».

هز رأسه حزناً. «لقد انتقيت ليمونة في حديقة الحب⁽¹⁾».

(1) إشارة إلى أغنية لبلي موزي. (المترجمة)

أحياناً عندما أجلس في مقهى فيفي في أكتب إليك، أجد نفسي أتساءل عنك، كيف تبدو، ما طولك، كم عمرك، أنت أنثى أم ذكر. ترى هل سأعرفك إذا مررت بك في الشارع. لا أدري، قد تكون جالساً على مائدة بضع طاولات مني الآن، رغم شكّي بهذا. أرجو أحياناً أن تكون رجلاً، فتحبني لأنّي ظريفة، وأرجو أحياناً أخرى أنك امرأة فيزيد احتمال فهمك لي، وإن لم تحبني كثيراً. لكنني لم أهتم للأمر إجمالاً، فلا يهم ذكرًا كنت أم أنثى. لأنّي أحياناً أشعر أني هذا وأحياناً أشعر أني ذاك، وأشعر غالباً أنني في منزلة بين منزلتين، وخاصة بعدما نما شعري من جديد.

سأحكي لك قصة جميلة عن المنزلة بين المنزلتين. كان أول موعد دبرته لي بابيت مع رجل يعمل في وكالة إعلانات شهيرة ولا شك أنك ستعرفها لكنني لا أستطيع ذكر اسمها لأنّي لا أود أن يقاضوني. كان عنده فائض من النقود والبدلات والساعات التي يموت المرء من أجلها، كلها من أرمانى وإيرميز وما شابههما، وقالت بابيت إنها تظننا سننسجم حقاً. سنكون خيليين مثاليين. تلك مرتي الأولى وبابيت من اختارته، سأدعوه ريو⁽¹⁾، لأنه غني ومؤدب ورفيق في الآن نفسه. سألني إذا كنت أود الخروج لتناول العشاء أولاً، لكنني شديدة التوتر وحسبت أنني قد أقتياً، فأخبرته

(1) باليابانية تعني تين كما تعني نبيل وموسر وغني.

بأنني أود ممارسة الجنس. أخذني إلى مكان جميل في لوف هوتيل
هل [تلة فندق الحب] في شيبويا، وفتح زجاجة شمبانيا وخلع كل
ثيابي. اغتسلنا معاً وأسكرني. قبلني كثيراً، حتى أصابني الضيق،
وأخبرته فتوقف. فغسلني وكان شديد التهذيب فلم يقل شيئاً عن
ندوبي الصغيرة أو يطلب استعادة المال بسببها.

نشفني بعدئذ وقادني إلى الفراش، فأصابني الهلع. أعني إنها
أول مرة لي، وكنت خائفة لأنني لم أعرف ما أفعل. ربما لو كان
أحمق وطرحني وضاجعني، لأويت إلى مكاني الصامت داخل جبل
الجليد الذي أجمّد فيه العالم، وربما ما كان لينتبه إلى ما يفعله
بي أو يشعر بشيء على الإطلاق.

لكن ريو ليس بالأحمق. بل كان لطيفاً ورقيقاً حقاً، ولكنني
مشدودة جداً، والأمر أشبه بدفع نقائق الفطر خلال نافذة
زجاجية، لن تمر. كلما حاول إيلاجه، ارتجفت وما توقفت،
واجتاحني الحزن فجأة كأن موجة تغمرني. ربما كانت الشمبانيا
تجعلني بكاءً، ولكن خطر لي أن معي الرجل اللطيف جداً الذي
حسبته سيكون أبلهاً تماماً وتبين أنه ليس كذلك، وقد دفع كل
هذه النقود لموعد معي، وكان طامعاً بأن يمارس الجنس الممتع
مع عذراء، فلم يحصل إلا على تلميذة بكاءة بائسة لها مهبل لا
يُخترق. شعرت بأنني فاشلة. لم يكن في وسعي إلا البكاء، على
قتال الحشرات الغبية أولاً، ثم على هذا الآن.

كان بالغ التهذيب فلم يجبرني عندما كنت أبكي. بل اعتدل
في الفراش وراقبني لبعض الوقت، ثم ذهب إلى الكرسي الذي
وضع عليه بدلته وأخرج من جيبه منديلاً جميلاً منسجماً من الكتان

وأعطاه لي لأنفر أنفي. وجلب قميصه وغطى به كتفيّ لأنني كنت أرتجف. كان شديد النعومة له ملمس الحرير، ولم أنتبه لنفسي إلا وأنا أدخل يديّ في الكمّين، فزرره لي. كانت ربطة عنقه التالية، ففقدتها في عقدة وندسور جميلة. ثم بنطاله، ثم سترته، ولما بت ألبس ثيابه توقفت عن البكاء، فأخذ يدي وقادني إلى المرأة ودوّرنني مرة بعد مرة ليتأمل صورتي.

كنت جميلة في بدلته. كان أكبر وأطول مني قليلاً، لكننا لسنا مختلفين حقاً. فخلعت الشعر المستعار، وتحتته ما زال رأسي حليقاً جميلاً، وقال إنه أعجبه. قال إنني شبيهة بالبيشون⁽¹⁾، لكنني أظرف من أي ولد. صدقاً. أقسم إنني وقعت في غرام نفسي. كان واقفاً خلفي، عارياً ومد يده إلى جيب الصدر وأخرج علبة سجائر. هزها فأخرج اثنتين وضعهما في فمه، وأشعلهما بقداحة راقية من البلاتين لا يزيد حجمها عن عود الثقاب. دس إحدى السيجارتين بين شفتي وعاد إلى الفراش ليدخن الأخرى ويراقبني. لحسن حظي أنني نفّخت تنفيخات من سجائر أبي، فأعرف كيف أدخن. أملت رأسي جانباً وعايّنت صورتي. تركت الدخان ينساب من شفتيّ الناتئتين، وقد انتفختا واحمرتا بعد كل ذلك التقبيل. في طرف عيني رأيته في المرأة. اضطجع على السرير يدخن سيجارته، ورأيت أنه مستثار حقاً. استدرت وسكبت لنفسي كأساً أخرى من الشمپانيا وشربتها، ثم أطفأت سيجارتي وذهبت إلى الفراش واعتليتته.

(1) 美少年 الغلام الجميل، الصبي الوسيم. (الكاتبة)

قلت «أغمض عينيك. تظاهر بأنك أنا».

أغمض عينيّه وتركني أقبله لبعض الوقت، ثم مد يده وحل عقدة وندسور لربطته الحريرية الزهرية وحل أززار قميصه. وفتح السحاب في بنطاله وأنزله فركلته لأخلعه، ولكني أبقيت قميصه وأنا أعتلي وركيه، وقادني للأسفل، والأمر مؤلم، ولكن لهنيهة فقط.

ثم استلقينا جنباً إلى جنب، وأشعل سيجارة أخرى وسألني إذا كنت أريد واحدة. قلت له لا شكراً. ثم سألني إذا كان الجنس أعجبني، وقلت طبعاً، وشكراً على سؤالك. أعني، هذا لطيف، صحيح؟ أراهن أن كثيراً من الرجال ما كانوا ليهتموا.

سأل «هل يؤلم؟»، فقلت له قليلاً، ولكن لا بأس عندي لأن عتبة الألم عندي عالية جداً. فابتسم وقال لي إنني طريفة. سأل «كم عمرك على أي حال؟»، وكدت أخبره بأنني في الخامسة عشرة، لكنني تذكرت فجأة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

«سته عشر. أنا في السادسة عشرة».

ضحك وقال «كأنك فوجئت».

قلت «نعم. إنه عيد ميلادي. كدت أنسى».

قال إنه آسف لأنه لم يحضر هدية لي فأعطاني قداحته الصغيرة الصقيلة. تواعدنا بضع مرات آخر بعدها، وفعلناها بالطريقة نفسها كل مرة، وأنا ألبس بدلتته. جعلته مرة يلبس زي المدرسي، لكنه كان سخيلاً وركبناه المعجرتان تبرزان من تحت الطيات فغضبت وودت ضربه، وفعلت. كنت ألبس بدلتته الأرمانى الجميلة، وهي بدلة قاسية، ووقف أمامي صاغراً، يلبس تنورتى

وبلوزة البحارة، وظل مثبتاً نظره على الأرض. زاد غضبي خنوعه، وكلما ازددت غضباً وددت ضربه ضرباً أقسى. صفعته حتى كدت أجنّ، وحين رفع عينيه كانتا مليئتين بالحزن والشفقة علي، وظننت أنني سأقتله. ولكنه أمسك بمعصمي عندما رفعت يدي. «هذا يكفي. أنت تؤذين نفسك فقط».

كنت أضع ساعة هاروكي#1. جرح الإبريم المعدني لسوار الساعة معصمي، في مكان قبضته. كانت بشرة وجهه حمراء غاضبة. وضعت يدي الأخرى على خده المتورم. قلت «أنا آسفة». وأخذت أبكي. فأخذ راحة يدي التي تؤلمني إلى شفتيه وقبلها. «أسامحك».

لقد أحب ساعة جندي السماء العائدة لرقم واحد وسألني مرة إذا كنت أبادلها بساعته الرولكس، ذات الألماسات الحقيقية. أغراني ذلك لكنني رفضت طبعاً.

-2-

لا يود ريو أن يفعل أي شيء أحياناً بعد أن نمارس الحب، إلا الاستلقاء في الفراش وشرب الريمي ومشاهدة الأفلام الإباحية في التلفاز، فألبس بدلته وأتركه هناك وأتمشى. بل إنني أترك الفندق أحياناً، حريصة على أن أمشي في الجانب الذي تقع فيه غرفتنا، كي يراني من النافذة إذا صادف أنه يطل منها. وأعجبه هذا. كنت ألزم المشي في الظلال غالباً، أتسكع في الجوار مستمتعة بأني ذكر. وأخذ سيجارة من جيبه أحياناً وأشعلها بالقداحة البلاتينية. على القداحة ألماسة صغيرة هي الأخرى.

كان ريو رجلاً راقياً، بقداحاته الرفيعة ذوات الماسات وبدلاته الأنيقة، لكنه يدخل مِلد سفن، وهي ليست علامة تجارية راقية للسجائر. صدقاً طعمها كالخراء. لا بد أن أتذكر المرة القادمة أن أجد خليلاً يدخل دنهل أو لاركز.

أرسل أحياناً رسالة نصية لجيكو إذا لم يكن الوقت متأخراً من الليل، ولكنني شعرت بأن إخبارها بما يجري غريب. لقد توقفت عن جلوس الزازن لذا لم نعد على الموجة نفسها، ولم يعد لنا الجدول نفسه أيضاً، فهي تخلد إلى الفراش باكراً، وأنا أخرج للمواعدة فأبقى ساهرة. طريف أن يحدث اختلاف الوقت فارقاً في إحساسك بقرب أحدهم أو بعده، مثلما انتقلت إلى منطقة زمنية مختلفة، وما عدنا أنا وكايلا صديقتين. ترى ما الذي ستقوله كايلا لو رأتني، ربما تجدني ظريفة وتراودني عن نفسي. هذا ما حدث في الشارع أحياناً، إذا لزمتم المشي في الظلال. إذ تظنني بعض الفتيات مضيئاً من نادي ضيافة⁽¹⁾ ويحاولن استمالي، وأتمكن من الهرب قبل أن يعرفن أنني فتاة ويفضبن فيضربنني لخداعهن.

لا يمكنك القول إن ريو خليلي حقاً. ليس الأمر هكذا. تواعدنا شهراً، ولكنه اختفى عندما بدأ شعري يطول. بدأت أحبه صدقاً، ولم أفهم الأمر، ظننت أن قلبي انكسر عندما توقف عن الاتصال. دأبت على سؤال بابيت عنه، لكنها قالت إنها لم تعرف عنه شيئاً، وقد يكون هذا صحيحاً أو غير صحيح. كانت بابيت تدبر

(1) ناد أو حانة فيه مضيفون من البيشونن يقدمون المشروبات ويسلون مرتادات المكان. (الكاتبة)

المواعيد لفتيات كثيرات، هرفعت كتفيها وقالت إنني ارتكبت خطأ قطعاً، ولكنني لا أظن أنني فعلت، عدا المرة التي ضربته فيها وقد سامحني.

تسكنت بعدها حول مقهى فيفي، عابسة أستمع إلى إديث بيلاف وباربرا، وأرفض الخروج في مزيد من المواعيد الغرامية حتى طمّح كيل بابيت مني في النهاية. قالت إنني يجب أن أطلع عن أنايتي، وأكون شاكراً لها على تدبيرها موعداً لي مع رجل لطيف كريم في أول مرة لي. ثم قالت لي أن أبتهج أو أخرج، وهددتني بمنح طاولتي إلى فتاة أسعد.

-3-

كنت شاكراً لها، صدقاً. كانت صديقتي الوحيدة، وإذا لم يعد في وسعي التبطل في مقهى مئزر فيفي الجميل، فأين أذهب؟ حياتي المنزلية كارثية. نالت أمي ترقية في شركة النشر وغدت محررة، وهذا يعني أنها تقتل نفسها في العمل الإضافي. وأبي يدخل مرحلة جديدة وهو يستعد لمحاولته الثالثة والأخيرة في الانتحار. قبل ذلك، عندما كان في مرحلة التظاهر بالذهاب إلى العمل، ثم مرحلة هيكيكوموري ومرحلة العقول العظيمة، ومرحلة حشرات الأوريفامي، يسمعك القول إنه مهتم ومشغول بجنونه. وحتى في مرحلة التجول ليلاً ومرحلة الرجل الساقط، كان لجنونه بؤرة تركيز وحافظ على تماسكه. أما هذه المرة فهي مختلفة. بلغ اكتأبه حدًا لم أره من قبل، كأنه أخيراً وصدقاً فقد رغبته في أن يكون حيًا. لقد تحاشى التواصل معي أنا وأمي، ولكن ذلك غير ممكن في شقة من غرفتين صغيرتين. تظاهر

بأننا لامرئيتان وظل ملتصقًا بشاشة الحاسوب، ولكن إذا مررت به صدفة في الممر الضيق والتقت أعيننا، تشنج وجهه وأخذ يتغصن تحت وطأة خزيه، وأشيح بوجهي لأنني لا أطيق رؤية ذلك. ما زلنا أنا وأبي نستعمل الحاسوب نفسه، وبحث مرة في الذاكرة المؤقتة لتصفحه، فوجدت روابطه لنادي انتحار على الشبكة. صادق بعض الأشخاص، وكانوا يدرسون ويعدون الخطط.

أي بؤس هذا؟ ألا تستطيع فعلها وحدك، فتبحث عن غريب يأخذ بيدك؟ والأدهى أن واحدًا من زملائه في النادي طالبة ثانوية وامتك هو من الجرأة ليحاول أن يشيها عن الانتحار. وجدت الدردشة وقرأتها. أعني أهذا نفاق أم ماذا؟ يريد قتل نفسه لكنه يقول لها ألا تفعل؟ إن أمامها حياة بكاملها؟ إن عندها الكثير لتعيش من أجله؟

خطرت لي الفكرة عندئذ. ربما لن أذهب إلى معبد جيكو وأتحول إلى راهبة في النهاية، ربما أقتل نفسي أيضًا وأنهاي القصة.

عزيزتي روث (إذا سمحت لي أن أدعوك باسمك)

سررت بالعثور على رسالتك في صندوق الوارد، ويجب أن أقدم اعتذاري لأنني تأخرت في الرد كثيرًا. أتذكرك طبعًا من زيارتك لستانفورد. والأستاذ پ. ل. في الأدب المقارن صديق عزيز، فلست بحاجة إلى مزيد من التعريف بنفسك. للأسف كنت في إجازة للتفرغ العلمي أثناء إقامتك ولم أتمكن من حضور محاضرتك، لكنني بلا شك سأكون سعيدًا بسماعك تقرئين من كتابك القادم. مكتبة سُرْمَن قرأ

ويخصوص السؤال العاجل، وإذ أشعر بوجوب التزامي بشيء من التكتّم على معلومات أُسَرَّت إليّ، أظن أن في وسعي تقديم المساعدة.

أولاً، أتفق معك في ترجيح أن يكون هاري الذي كتب الشهادة على موقعي هو والد آن ياسوتاني التي بات دفتر يومياتها بحوزتك بصورة ما. كان السيد ياسوتاني عالم حاسوب، يعمل في شركة كبيرة لتقنية المعلومات هنا في وادي السلكون في التسعينيات. وربما يسمعك القول إننا كنا صديقين، وكان له فعلاً ابنة اسمها آنزو، لم يتجاوز عمرها الرابعة أو الخامسة عندما التقينا.

أبادر إلى القول إنني أستخدم الزمن الماضي ليس من معرفتي بمصيرهما، بل لأن التواصل بيني وبين السيد ياسوتاني انقطع، وباتت علاقتنا من الماضي. لعلك تعرفين أنه انتقل عائداً إلى

اليابان مع أسرته بعد فقاعة الإنترنت بوقت قصير. تراسلنا بلا انتظام من خلال البريد الإلكتروني والهاتف، ولكن التواصل تناقص شيئاً فشيئاً، وانقضت عدة سنوات منذ آخر تواصل بيننا. والآن دعيني أخبرك شيئاً عن صديقنا. التقيت السيد ياسوتاني في ستانفورد عام 1991، بعد سنة تقريباً من مجيئه إلى سنيغيل. جاء إلى مكتبي في آخر العصرية. طُرق الباب. ساعات العمل انتهت، وأتذكر أنني انزعجت قليلاً من المقاطعة، لكنني قلت «ادخل» وانتظرت. ظل الباب مغلقاً، فقلت ثانية ولم يأتي رد، فنهضت وذهبت إلى الباب وفتحته. وقف بالباب رجل آسيوي نحيل يحمل حقيبة ساعي البريد. لم تكن ثيابه رسمية، بل لبس بنطالاً كاكياً وسترة رياضية وصندلاً وجوارب. ظننته في بادئ الأمر ساعياً على دراجة، وبدلاً من تسليمي رزمة انحنى لي. أدهشني هذا. كانت حركة رسمية لا تتماشى مع ثيابه العملية، ولم نعتد تبادل الانحناء في جامعة ستانفورد.

قال بإنجليزية بطيئة حذرة «أعتذر لأنني أزعجك أيها الأستاذ». وقدم لي بطاقته التعريفية وانحنى ثانية. قالت البطاقة إنه هاروكي ياسوتاني، عالم حاسوب في واحد من الشركات سريعة النمو لتقنية المعلومات في الوادي. دعوته للدخول وطلبت منه الجلوس. في إنجليزية منمقة، أوضح أن أصوله من طوكيو واستقطب للعمل في تصميم التفاعل بين الإنسان والحاسوب. كان محباً لعمله ولا يواجه مشكلة في الطرف المتعلق بالحواسيب. وقال إن مشكلته العامل البشري، فهو لا يحسن فهم الكائن البشري، فجاء إلى قسم علم النفس في ستانفورد لطلب المساعدة.

دهشت وراودني الفضول أيضًا. وادي السلكون ليس طوكيو، وطبيعي أن يعاني من صدمة ثقافية أو يواجه مشكلات مع زملائه في العمل، فسألته «أي نوع من المساعدة تطلب؟» فجلس مطرق الرأس، يللم كلماته. ورأيت التعب في وجهه عندما رفعه.

«أريد أن أعرف ما الضمير البشري؟» سألته «الوعي البشري؟»، لأنني لم أسمع جيدًا. «لا. الضمير. عندما بحثت عن الكلمة في قاموس الإنجليزية، وجدت أنها مشتقة من اللاتينية Con تعني مع، و Science تعني المعرفة. فالضمير تعني «مع المعرفة». «مع العلم». «لم أفكر في الأمر على هذه الشاكلة قط. لكني واثق من أنك على صواب».

واصل كلامه «ولكن هذا لا يعقل»، أخرج قطعة من ورق. «يقول القاموس 'هو المعرفة أو إدراك الصواب أو الخطأ، مع دافع إلى فعل الصواب'».

ومد لي الورقة لأراها، فأخذتها «هذا تعريف معقول». «لكني لا أفهم. المعرفة والإدراك ليسا الشيء نفسه. أفهم المعرفة، ولكن ماذا عن الإدراك؟ هل الإدراك هو الشعور؟ هل الضمير حقيقة أعلمها وأعرفها، أم أنه أميل للانفعال؟ هل يرتبط بالتعاطف؟ هل يختلف عن الخجل؟ ولماذا هو دافع؟» مؤكداً أن الحيرة ارتسمت على وجهي، لأنه واصل شرحه.

«أخشى أنني لم أعرف شعورًا أو إدراكًا كهذا، على الرغم من تخصصي في علوم الحاسوب. هذه مغامرة كبيرة في عملي. أود

سؤالك هل باستطاعتي تعلم هذا الشعور؟ في عمري، هل فات الأوان؟»

كان سؤالاً استثنائياً، بل بالأحرى وابل من الأسئلة. وظل يتكلم ثم تمكنت أخيراً من لملمة أطراف قصته. بينما كان الشاغل الأساسي لشركته هو تطوير التفاعل من أجل سوق الألعاب الإلكترونية، اهتم جيش الولايات المتحدة في الإمكانات الهائلة التي يتمتع بها بحثه لتطبيقها في تقنية للأسلحة شبه المستقلة. خشي هاري أن التفاعل الذي يساعد في تصميمه سهل للغاية. فالذي يجعل من لعبة إلكترونية ممتعة وتسبب الإدمان يجعل الاضطلال بمهمة قصف مدمرة هائلة سهلة ومسلية. وحاول أن يعرف طريقة لإنشاء الضمير في تصميم التفاعل يساعد المستخدم من خلال إذكاء إدراكه الأخلاقي للخطأ والصواب وتأجيج دافعه إلى فعل الصواب.

حكايته مؤثرة ومأساوية أيضاً. وعلى الرغم من زعمه بأنه لا يفهم مسائل الضمير الإنساني، فإن ضميره فعلياً هو الذي قاده إلى الشك في الوضع القائم، والذي سيفقده عمله لاحقاً. من نافل القول إن التصميم التقني ليس حياداً قيمياً، ولا يريد متعهدو الجيش ومطورو الأسلحة إثارة هذا النوع من الأسئلة، فضلاً عن تركيبها في أجهزة السيطرة.

فعلت ما بوسعي لطمأننته. إن طرحه هذه الأسئلة يظهر في المقام الأول أن ضميره صاح.

فهز رأسه قائلاً «لا. هذا ليس ضميراً. هذا خجل من تاريخي، والتاريخ يتغير بسهولة».

لم أفهم وطلبت منه أن يوضح.

فقال «نحن اليابانيين نتعلم التاريخ في المدرسة. ندرس أشياء فظيعة، من قبيل تدمير القنبلة الذرية لهيروشيما وناغازاكي. نتعلم أن هذا خطأ، لكن هذا سهل لأننا معشر اليابانيين كنا الضحايا. الأصعب دراستنا عن الأعمال اليابانية الوحشية الفظيعة كالمانشو. في هذه الحال، ارتكب اليابانيون مذابح وأعمال تعذيب للصينيين، وتعلمنا أن نشعر بالخزي أمام العالم. لكن الخزي ليس بالشعور اللطيف، ويحاول بعض السياسيين اليابانيين تغيير كتب التاريخ في مدارس أبنائنا كي لا يعرف الجيل القادم بأمر هذه المذابح والتعذيب. يحاولون محو عارنا بتغيير تاريخنا وذاكرتنا. ولهذا أرى أن الخزي مختلف عن الضمير. يقولون إن اليابانية ثقافة الخزي، فلربما لسنا مجيدين لأمر الضمير؟ يأتي الخزي من الخارج، لكن الضمير شعور طبيعي يأتي من مكان عميق في داخل الفرد. يقولون إننا اليابانيين عشنا طويلاً تحت نظام إقطاعي فلمنا لا نملك ذاتاً فردية شأننا شأن الغربيين. ربما لا يكون لنا ضمير بلا ذات فردية. لا أدري، هذا ما يشغل بالي». أنا أعيد صياغة كلامه بطبيعة الحال، متذكراً ما استطعت من ذلك الحديث المنمق الذي دار قبل سنوات كثيرة. لا أذكر جوابي، لكن الحوار كان مرضياً للطرفين ونتج عنه أحاديث أخرى ثم صداقة. ها أنت ترين كيف أن هذا السؤال عن مفهوم ذات فردية يؤدي، من بين مواضيع عدة، إلى موضوع الخزي والشرف وقتل الذات، وهو موضوع الرسالة التي جذبت انتباهك. كان شاغلي الأساسي التأثيرات الثقافية على الانتحار، الذي أثاره في البدء

نشاط التفجيرات الانتحارية في الشرق الأوسط، قد أثراه حديثي مع السيد ياسوتاني. أكد لي دائماً أن الانتحار في اليابان كان جميلاً في البدء، وليس أخلاقياً، فعلاً حرصه إحساس الشرف أو الخزي. ربما تعرفين أو لا تعرفين أن خاله كان بطل حرب في الحرب العالمية الثانية، طياراً في توكوتاي مات وهو يؤدي مهمة كاميكازي في المحيط الهادي.

قال هاري: «تألمت جدتي كثيراً. لو كان لطائرة خالي ضمير، لما أدى المهمة. والأمر نفسه يصدق على طيار إنولا غاي، ولربما ما كانت لتحدث كارثتا هيروشيما وناغازاكي أيضاً. لم تكن التقنية متقدمة هكذا حينها بطبيعة الحال، لذا لم يكن أمر كهذا ممكناً. لكنه اليوم ممكن».

جلس بلا حراك، يتفحص يديه في حجره وقال «أعرف أن تصميم سلاح يرفض القتل فكرة غبية. ولكن ربما استطعت ألا أجعل القتل مسلياً».

في نهاية إقامة السيد ياسوتاني في الوادي، واجه مشكلة مع رئيسه الذي لا يرغب في المجازفة بعلاقاته مع الجيش والمستثمرين من أجل ضمير معذب لموظف ياباني. وطلبوا منه أن يكف عن استئناف هذا البحث، فرفض. ونُحي من فريق مشروعه، فأصابه القلق والاكتئاب، وعلى الرغم من أنني لا أزال الطب النفسي السريري، فقد نصحته بصفتي صديقه. سرحته الشركة من العمل بعد ذلك بوقت قصير.

كان هذا غالباً في مارس عام 2000، فبعد أقل من شهر، في أبريل وقعت حادثة فقاعة الإنترنت وانهار مؤشر الناسداك. جاء

لرؤيتي وأخبرني أنه اشترى أسهمًا من شركته بمعظم مدخرات العائلة، وأنه خسر كل شيء. لم يكن بالرجل العملي. وانتقل عائداً إلى اليابان في شهر أغسطس من العام نفسه، ولم أتلّق منه رسالة لبعض الوقت.

عزمت العام التالي على إتاحة بعض أبحاثي على الشبكة وأنشأت موقعي. فتلقيت بعد بضعة أشهر رسالة من هاري، قرأت مقتطفًا منها على الموقع. كانت صرخة جميلة ومؤثرة لطلب المساعدة، وتراسلنا لعدة أشهر عبر البريد الإلكتروني وبالهاتف أيضًا. طلبت منه وقتها إذنه بنشر تعليقاته على موقعي، وقال إنه يمنحني موافقته إذا ارتأيت أن في تعليقاته ما يساعد آخرين. وخامرني شعور قوي بأنه بحاجة إلى استشارة مختص، فاقترحت عليه أسماء لبعض الأطباء النفسيين في طوكيو، ولا أدري إذا فعل أم لم يفعل، لكنني أظنه لم يفعل.

فقدت التواصل معه بعد تفجيرات 11 سبتمبر. فقد انشغلت كثيرًا لأن أحداث العالم أثارت اهتمامًا ببحثي. أتذكر أننا ربما تبادلنا حوارًا واحدًا بعد سنوات قليلة، ولكن في الوقت نفسه مسح فيروس ملفاتي في الحاسوب وضاع كثير من الرسائل المؤرشفة، ومنها رسائله. أردت التواصل معه بعد الزلزال والتسونامي، لكنني وجدت أنني فقدت عنوان بريده الإلكتروني. فعزّيت نفسي بالقول إنه وعائلته يعيشون بعيدًا عن سندياي، ولكن بعدما عرفته منك، تولد لدي دافع لتقضي أثره.

ذكرت بعض الرسائل إلى جانب دفتر اليوميات العائد للابنة. إذا كان في أي منها معلومات تساعدني على معرفة مكان السيد

ياسوتاني وعائلته، فساكون شاكراً لك إن وافيتني بها. أود السؤال أيضاً عما أثار قلقك على سلامة الابنة. قلت إن الأمر عاجل. فلماذا؟

أخيراً تهمني معرفة كيف آلت إليك الرسائل واليوميات، لكنها قصة لمرة أخرى.

وبالحديث عن القصص، أظنك تعملين على كتاب جديد؟ أطلع لقراءته، مثلما أعجبني كتابك الأخير كثيراً.

المخلص

إلخ.

-2-

استعرضت الرسالة سريعاً وردت عليها فوراً، تصف عثورها على اليوميات في أعشاب بحرية متشابكة، ونظريتها في أنها انجرفت بالتسونامي، وفشلها في إثبات هذه النظرية أو تفسير وصول كيس المجمدة إلى الشاطئ إن لم يكن بالتسونامي. ولخصت بإيجاز مقاطع من يوميات آن أثارت قلقها؛ وصف الصحة النفسية غير المستقرة لأبيها، ومحاولاته في الانتحار، وقرار آن في الانتحار هي أيضاً. وأوضحت أنها لم تستطع إلا أن تشعر بإحساس قوي من الارتباط المصيري بالفتاة وأبيها. انجرفت اليوميات إلى شاطئ روث، وإذا ما كانت آن وأبوها في مشكلة، فهي راغبة في مد يد العون.

وختمت رسالتها بذكر الدراسة عن الكويت في نيو ساينس التي وجدها أولفر، باسم هـ. ياسوداني، الذي حاولت تقفي أثره ولم تنجح. أرسلت الرسالة واسترخت في كرسيها، تستطعم

دفق الراحة والإثارة. هكذا إذن. هذا التأكيد الذي انتظرتة. آن وعائلتها حقيقيون!

نهضت وتمطت وتهادت في الممر إلى مكتب أولهر. كان جالسًا وهو يضع السماعات العازلة للصوت، وكُرسي مساعد الطيار خالٍ.

سألته «أين بستو؟»، وهي تلوح بيدها لتلفت نظره.

خلع أولهر السماعة ونظر إلى الكرسي الخالي من القط وقال متجهماً «لم يكن هنا طوال اليوم».

تصالحا على الإفطار. اعتذرت روث ثانية لتسميته بالفاشل، واعتذر لتسميتها بالمعتوهة، ولكن التوتر ما زال ماكثًا بينهما. يبتعد القط أحيانًا عندما يستشعر توترًا في الأجواء، وهذا ما شعرت به روث أيضًا ولهذا عبرت الممر لتطلعه على الأخبار السعيدة عن رسالة الأستاذ، ولكنها ترددت بعدما رأت أولهر مرتخيًا في كرسيه.

سألته «ما الخطب؟»

فقال «أوه. لا شيء». لقد وجدت أحواضًا كاملة من صفار الجنكو جاهزة للزراعة، لكن الملاك لا يسمحون لي. يقولون إن الجنكو من الأنواع الغازية». خلع نظارته وفرك وجهه بيديه. كان مولعًا تحديدًا بجنكو البيلوبا. «هذا جنون. هذه الشجرة مستحاة حية. لقد عاشت حالات انقراض كبرى على مدى مئات ملايين السنين. بل اختفى كل أشجارها ما عدا منطقة صغيرة وسط الصين استطاعت بعضها أن تظل على قيد الحياة. وستموت الآن في رواقتنا إذا لم أسرع في غرسها في التراب».

ليس من طبعه أن يبدو محبطاً أو أن يصف مشكلة صغيرة نسبياً كهذه بالفاظ كثيبة. لا بد أنه غاضب من القط.
«ألا يمكنك صنع حاضنة لها هنا على أرضنا؟»

تهدد بقوة وهو يحدق إلى يديه في حجره. «أجل، سأفعل هذا. لكني لا أفهم لماذا أهتم. ما الهدف؟ لا أحد يفهم ما أحاول فعله...»

لا شك أنه غاضب جداً من القط. وعزمت على ترك خبر رسالة الأستاذ لوقت لاحق، ولكنه رفع نظره وهي تستدير للخروج. فسألها «هل أردت شيئاً؟»

أخبرته. وقصت عليه ما كتبه ليستيكو، ورؤيته المفاجئة لوالد أن بأنه رجل حي الضمير طرد من عمله بسبب أفكاره، ولخصت له ردها لكنها صمتت مدركة أن أولفر ينظر إليها نظرات غريبة. قالت «ما الأمر؟ أنت تنظر إلي نظرات غريبة. ما خطبك؟»
«قلت له إن الأمر عاجل؟»

«نعم. الفتاة نزاعة إلى الانتحار، وأبوها كذلك. واليوميات كلها صرخة لطلب العون. نعم. هذا عاجل. سأصفه بهذا». سمعت نبرة الدفاع في صوتها لكنها لم تستطع تفاديها. «ما زلت تنظر إلي نظرات غريبة».

«طيب...»

«طيب ماذا؟»

«طيب، أنت لا تقولين ما يعقل. أعني أن هذا لا يجري الآن،

صحيح؟»

«لا أفهم. ماذا تقصد؟»

«لنفصل الأمر. جرت حادثة فقاعة الإنترنت في شهر مارس من عام 2000. طرد أبوها، وعادوا إلى اليابان، ومرت بضعة سنوات. كانت آن في السادسة عشرة من العمر عندما بدأت تكتب يومياتها، لكن هذا قبل أكثر من عقد من الزمن، ونعرف الآن أن الدفتر قد سيج بضعة سنوات. ما أقصده أنها إذا كانت عازمة على قتل نفسها، فلا بد أنها فعلت سلفاً، ألا تظنين هذا؟ وإن لم تقتل نفسها، فهذا يعني أنها في أواخر عشريناتها. لذا أتساءل إذا ما كانت كلمة عاجل هي الكلمة المناسبة، هذا كل ما في الأمر».

أحست روث أن الأرض تميد بها، فوضعت يدها على عضادة الباب لتثبت نفسها.
«ما الأمر؟»

قالت وهي تبلع ريقها بصعوبة «لا شيء. أنا.... أنت محق طبعاً. غيبة. لقد.... نسيت»، وأحست بحرارة في خديها ووخز في أنفها، كأنها توشك أن تعطس أو تبكي.
ردد قولها «نسيت؟ صدقاً؟»

هزت رأسها وهي تتراجع. أرادت الذهاب والاختباء في مكان ما.
«واو. هذا جنون».

استدارت وقطعت الردهة ونزلت إلى الطابق السفلي.
قال من ورائها «لم أقصد أنك مجنونة».

لم تبتعد، بل وصلت إلى غرفة النوم. واندست في الفراش وغطت نفسها حتى أنفها، واستلقت هناك متسارعة الأنفاس. في الخارج، نقر الخيزران على ألواح النافذة. نبتت من الأسفل السراخس الطويلة. وقطعت نصال الخيزران، التي طوقتها أشواك الورود، كثيرًا من الضوء. نظرت إلى النباتات المتشابكة وفكرت في الرسالة التي أرسلتها للأستاذ. وشعرت أن الدم يتدفق إلى وجهها، كيف لها أن تكون شديدة الغباء؟

ليس ذلك بسبب نسيانها تمامًا. المشكلة كانت انفلاتًا. عندما تكتب رواية وتعيش في أعماق عالم خيالي، تختلط الأيام ببعضها بعضًا، وتتقاد أسابيع أو أشهر بل سنوات كاملة إلى جزر الحلم ومده. فتظل الفواتير بلا سداد، والرسائل الإلكترونية بلا رد، والمكالمات الهاتفية بلا معاودة اتصال. للرواية زمنها ومنطقها، وهذه قوتها. لكن الرسالة التي كتبتها قبل قليل للأستاذ ليست رواية. إنها حقيقية، حقيقية بقدر اليوميات.

طرق أولفر الباب وفتحته قليلًا. «هل تسمحين لي بالدخول؟»، هزت رأسها إيجابًا. فتقدم ووقف بجانب السرير وسألها وهو يتفحص وجهها «أنت بخير؟»

«لقد اختلطت عليّ الأمور. في عقلي، ما زالت هي في السادسة عشرة، وستظل هكذا دائمًا».

جلس أولفر على حافة المرتبة ووضع يده على جبينها وقال. «الآن السرمدية. لقد أرادت القبض عليها، أتذكرين؟ أن تسمّرها. ذلك هو المعنى».

«من الكتابة؟»

«أو الانتحار..»

«لطالما وجدت الكتابة نقيضاً للانتحار. فالكتابة خلود. قهر الموت، أو تحاشيه على الأقل..»

«مثل شهرزاد؟»

«نعم. تتسج الحكايات لتؤخر إعدامها...»

«عدا أن حكم الموت فرضته آن على نفسها..»

«هل نفذته يا ترى؟»

«تابعي القراءة. لن تعرفي حتى النهاية..»

«وقد لا أعرف....»، وفكرت في الشعور الذي يمنحه لها عدم المعرفة. ليس جميلاً. ثم خطر لها أمر آخر.

قالت وهي تعتدل في الفراش «أوه! إنها لا تعرف!»

«تعرف ماذا؟»

«عن سبب طرد أبيها من العمل! لا تعرف أنه رجل حي الضمير. علينا أن...»

ها هي، تكرر الأمر من جديد. فارتمت على وسادتها، لقد انتبهت إلى نفسها هذه المرة.

قالت حزينة «لقد فات الأوان..»

«فات أوان ماذا؟»

قالت «مساعدها. فما المعنى؟ دفتر اليوميات يسبب الحيرة. فما الفرق إن قرأته أو لم أقرأه؟»

رفع أولفر كتفيه. «لا فرق ربما، ولكن لا بد لك من إنهائه. لقد كتبت حتى النهاية، فأنت مدينة لها بالقراءة. هذا هو الاتفاق، ثم إنني أود معرفة ما يحدث على أي حال..»

نهض واستدار ليذهب، فأخذت يده.

«هل أنا مجنونة؟ أشعر أنني كذلك أحياناً».

قال وهو يفرك جبينها. «ربما. ولكن لا تقلقي لهذا الأمر. يجب أن تكوني مجنونة قليلاً. الجنون هو الثمن الذي تدفعينه لأجل المخيلة. هذه قوتك الخارقة. استثمار الحلم. وهذا شيء جيد لا سيئ».

أخذ الهاتف يرن فخرج ليرد، وتوقف عند الباب وقال «أنا قلق حقاً على بستو».

-4-

جلس بنوا على كرسي بال ذي مسندين أمام موقد الحطب، يدخلن ويحرق إلى السنة اللهب. ورفع رأسه عندما دخلت روث. كانت عيناه حمراوين، كأنه كان يبكي، ويشرب أيضاً. امتزجت الرائحة المغشية للوسكي الكندي برائحة السجائر ودخان الحطب والجوارب الرطبة.

وقفت زوجته بباب غرفة المعيشة، لم يبد عليها السرور. هي من اتصل وحادثها أولفر. قالت إن زوجها انتهى من ترجمة اليوميات الفرنسية. وهلا أتت روث إلى بيتهما الليلة لأخذها. أغلق أولفر الهاتف ووضع المنشار الكهربائي في الشاحنة وعرض أن يوصلها. كانت الريح تعصف، والأشجار أخذت تتمايل. عاصفة أخرى قادمة، وهذه تتجه نحوهم مباشرة.

مد بنوا حزمة من عشرين صفحة من ورق الدفتر المسطر، اهتزت في يده الممدودة.

قال «سألتي ما معنى لو مال دو هيفر. هذا ما تعنيه. الشر، الحزن، الألم. كيف يكون في العالم كل هذا الألم؟»

أخذت روث الأوراق منه.

قالت وهي تنظر إلى الترجمة «شكرًا لك».

قال وناولها كراس التمارين الذي ضم اليوميات، ملفوفًا في ورقه المشمع «خذي هذا أيضًا».

«أنا شاكرة لك جدًا...»، بدأت قولها لكنه هز رأسه وعاد لتأمل السنة اللهب.

تقدمت زوجته ولمست ذراعها، وأخرجت روث من الغرفة وقادتها إلى الباب. «كان يشرب».

لم تعرف روث ما تقول «أنا آسفة...»

لانت زوجته فقالت وهي تخفض صوتها «ليس ذنبك. لقد اختطفن الذئاب كلبه الصغير البارحة. أرسلوا له كلبة صغيرة فتبعها. يا له من كلب غبي. كان القطيع ينتظر في الجانب القصي من الوادي. فانقضوا عليه وقتلوه، بهذه البساطة. مزقوه إربًا وأكلوه»، ونظرت خلفها إلى غرفة المعيشة حيث لم يزل زوجها جالسًا. «لقد شهد حدوث هذا. ناداه ولحق به، لكنه لم يستطع عبور الوادي. فهو ضخم جدًا وبطيء جدًا. لم يبق إلا قطع من الفراء عندما وصل. لقد أحب ذلك الكلب»، فتحت الباب وأمالت رأسها تصغي. «يجدر بك أن تذهبي، فالريح تعصف وستكون عاصفة شديدة».

اليوميات السرية الفرنسية لهاروكي #1

-1-

10 ديسمبر 1943: ننام معاً في غرفة واحدة كبيرة، أنا وأفراد كتيبتى، نرقد في صفوف كأسمك صغيرة عُلقت لتجف. ليس عندي من الضوء ما يكفي للكتابة إلا عندما يكون القمر مكتملاً والسماء صافية. أسلّ هذه الصفحات من داخل بطانة بدلتى حيث أخفيها، وأحرص على ألا تخشخش. أفتح غطاء قلم الحبر، خائفاً من جفاف الحبر وألا يكفي لكتابة أفكارى. أزن خواطرى الأخيرة بقطرات من الحبر.

أمرنا بتدوين يوميات تدريبنا ومشاعرنا ونحن نواجه موتاً محققاً، ولكن أحد المجندين الطلاب الآخرين حذرني بأن الضباط الكبار سيفتشون اليوميات، وسيقرؤون رسائلنا، دون إخطارنا، لذا عليّ أن أحذر لئلا أكتب من صميم قلبي بصدق. الازدواجية مشكلة لا يسعدني المرور بها، فعزمت على التدوين مرتين؛ يوميات للعرض وهذه المخبوءة للحقيقة، لك، رغم أنى لا أظن أنك ستقرأينها يوماً. سأكتب بالفرنسية يا أمى الحبيبة، متأسياً بقدوتك كانوا سان التي استمرت مخلصه بدروس الإنجليزية حتى اللحظة التي اقتادوها فيها إلى المشنقة. مثلها، علينا أن نستمر في دراساتنا رغم انهيار الحضارة من حولنا.

-2-

أطبق أسنانك، عُضّ بقوة! يأمرنا قائد وحدتنا الماركيز دوف. يلکم ك في وجهه بقبضته حتى تخور ركبتاه، ثم يركله وهو على الأرض. حطم الأسبوع الماضى اثنتين من أسنان ك، لكنه تظاهر

بأنه لم يشعر بشيء، يرمش ويبتسم ابتسامته الحلوة الزاهدة
والدم يسيل من فمه.

ك زميلي الأعلى صفًا في قسم الفلسفة وأشعر أنني مسؤول
عنه. البارحة، بعدما بلغ الضرب مبلغًا خطيرًا، توقفت أمام ك
لأتلقى الضربات عنه. سرّ الماركيز دو ف، فلكمني على جانبي
وجهي وضربني بكعب حذائه. كان جوف فمي بعدها شبيهًا باللحم
المفروم وأقل رشفة من حساء الميسو تملأ عينيّ دمعا، فالملح
على الجروح موجع.

أمي الحبيبة، ألف هذا الدفتر بالمشمع وأخبئه تحت الأرز في
أسفل علبة غدائي. سأحاول أن أجد وسيلة لأوصله إليك قبل موتي.
لا أستطيع الكتابة إليك بصراحة في رسائلي، لكنني أرجو أن تعرفي
ذات يوم حقيقة أن هذا القتل المأفون يريحني. مهما استقووا على
جسدي، فإنني أتحمل أي ألم ما بقي هذا الأمل في نفسي.

-3-

ليلة البارحة أثناء ألعاب حي المتعة⁽¹⁾، شعرت بتغير يطرأ
على ك وهو يشهد إذلالني. قرفصت خلف حامل البنادق، متبعا
أوامر الماركيز، مادًا ذراعيّ من بين الرفوف وملوحًا بيدي بإغراء
كسيدة ليل، رأيت ك يشيح بوجهه لأول مرة، كأن منظري يفوق
احتماله.

(1) أحياء المتعة الشهيرة المرخصة من الحكومة في إيدو - طوكيو حاليًا. للمزيد
اقرأ: حي يوشيوارا الياباني.. حي المتعة الذي احتضن مهد الثقافة اليابانية في
عصر إيدو، من موقع اليابان بالعربي. (المتجمة)

<https://www.nippon.com/ar/japan-topics/g00885>

ربما لاحظ الماركيز انسحاب ك، فأمرني أن أكرر الأمر مرة بعد أخرى. وكان يلقنني ما أقول فأنادي أيها الجندي. مثل مخرج مسرحي، أو سينمائي يتفحص أدائي مميلًا رأسه، ويقول لي أن أرفع صوتي وأرققه. في صوته جدية، وبراءة لتلفت انتباهه. ألن تدخل وتلعب معي؟ أنادي، وما هي إلا مسألة وقت حتى يطيع. لا تنتهي الألعاب حتى نداء النفير الأخير، معلنا انطفاء المصابيح. أسمع ك في الليل أحيانا يبكي.

تو مارش سر دو مورت، بيوتي، دون تو تي موكس

دو تي بيجو لو أورور ني پا لو موا شارمان...⁽¹⁾

هل عرف بودلير أشياء من هذا القبيل يا أمي؟ هل هذه هي

البتلات السوداء لـ لو فلور دو مال [أزاهير الشر]؟

-4-

تفريد هوازج الغاب أغنية جميلة. لن أسمعها ثانية من غير التفكير بـ ف والرغبة في قتله. نسمع قصصًا متداولة عن ضباط مكروهين أطلق عليهم النار من الخلف أو ضربوا حتى الموت على يد كتائبهم في معمة شجار. أحصي الضربات التي ألقاها من الماركيز، وسأرد له كل واحدة منها يومًا ما. بلغ الرقم حتى الليلة 267.

لا أكثرث بالموت. ندرك كلنا أن الموت هو مخرجنا الوحيد. أرجو فقط ألا أموت قبل أن أتذوق حلاوة الانتقام.

(1) أيتها الحسنة، تمشين على موتى، ولا همك؛ وليس الرعب أقل حليتك فتنة (ترجمة: محمد آيت حنا)

هراء. هراء. هرب ك فجرًا، وقيل لنا لاحقًا إنه انتحر أمام قطار للمؤن، لكن الرجال الذين رأوا جثته أخبروني أن النار أطلقت عليه من الخلف. اكتشفت تلك الليلة نسخته البالية من الشوبوغنزو للمعلم دوغن محشورة في حقيبتتي الدفيلية. أرقد هنا وأشتاق إلى الدموع الحرّى التي أذرفها عادة، لكن قلبي جامد. أنا جامد، قلبًا وقالبا. توقفت عن الشعور. لم تعد ضربات الماركيز تؤثر فيّ وتفشل في إثارة غضبي. إنها كالقذائف التي أخطأت مرماها. في مرحلة من حياتي تعلمت كيف أفكر، وعرفت كيف أشعر، ولكن يجدر بالمرء نسيان هذه الدروس في الحرب.

أثناء زيارتك يا أمي، كنت أنوي أن أجد طريقة أفس بها هذه الصفحات لك، لكن الصدمة التي ارتسمت على وجهك عندما رأيت وجهي جعلتني أغير رأيي. كذبت عليك وأخبرتكم بأن الكدمات من أثر حادث عادي في التدريب. ولا أظنك صدقتني، ولكن في تلك اللحظة، حالت كذبتني دون المضي فيما عزمتم عليه بدس هذه اليوميات، وهي التي تضم سرًا طويلًا منغمسًا في الذات للوحشية الاعتيادية والمبتذلة للحياة العسكرية. ونجم عن افتقاري لتمالك الذات والتدريب العقلي أنني أكتب وحدي، مرة أخرى، على ضوء القمر. لست نادمًا على كذبي، لأنني سأفعل أي شيء كي أعفيك من مزيد من الحزن.

وفي الحقيقة فإن مشاعري تجاه الماركيز أخذت تتغير. في بادئ الأمر كنت أخاف عندما يضرني، ولا أتحرج من الاعتراف

بهذا. وكيف لا أخاف؟ لم أضرب من قبل قط! قليل من الأولاد سعيدهو الحظ مثلي نشؤوا ليكونوا رجالاً على أرق الكلمات والمسائرات في أذني وألطف القبل على وجهي، من أم حممتا من كل شيء قاس وقبيح في العالم. لقد تدللت، غير مستعد أبداً للقسوة، وقد يبدو هذا تدمراً، لكني لا أتدمر! يجب ألا يخطر لك أني ألومك. أخشى أني سأبدو أكثر الأبناء جحوداً في العالم، والحقيقة أن العكس هو الصحيح. أنا أكثر امتناناً لك على تربيتهنا، تعلمينا قيمة اللطف والتعليم والتفكير المستقل والمثل الحرة، في مواجهة الفاشية التي تجتاح بلادنا. تفشل أقصى العقوبات اليوم في إسالة دمعة من عيني، لكن التفكير بالصعوبات التي قاسيتها دفاعاً عن مُثلك يبكيه كالطفل.

ها قد أفسدت الصفحة بدمعي فلا أكاد أتبين الكلمات. الورق غالٍ، رغم أن هذه الكلمات لا تستحق الورق أو الحبر اللازم لكتابته.

أين كنت؟ أوه، نعم. كنت أخبرك عن تحول مشاعري تجاه ف. بعد الأسابيع القليلة الأولى من العقوبات والتدريب، بدأت ألاحظ أن خوفي وتحسري على الذات الأوليين كانا يتحولان إلى استياء، ثم من الاستياء إلى الغضب. عندما نادى اسمي، بدلاً من القلق، سرى في جسدي حماس يفور كالدواء، وحاولت بقوة أن أبقي نظري مطرقاً، واثقاً من أني لو نظرت إلى وجهه الخسيس، لرأى النار الوهاجة للغضب في وجهي. أخافني غضبي أكثر مما فعل خوفي يوماً.

ولكن مشاعري تغيرت من جديد في الآونة الأخيرة. الأسبوع الماضي ناداني كي يصحح لي خرقًا صغيرًا، لعلني أوقعت حبة أرز عندما قدمت له الطعام، أو تركت ذرة غبار على حذائه، أو ربما أصابه عسر الهضم أو لم ينم ليلته جيدًا. لا أتذكر، لكنه أمرني أن أجثو على الأرض ويدي تحت فخذي، وأخذ يضربني بحزامه على وجهي وجسدي.

عادة أبقى نظري إلى الأسفل وأثبتته على نقطة في الأرض حتى تتورم عياني أو تمتلئان بالدم ولا أتمكن من الرؤية، ولكني ذلك اليوم ولسبب ما رفعت نظري. نظرت إلى ف في عيني، وهذا مخالف للقوانين، فيجب ألا تلتقي أعيننا مع ضابط يعلوننا رتبة، وعندما فعلت شعرت على نحو غريب بأن قلبي رق. أعرف أن هذا غريب، ولكن هذا شعوري. رأيت لأول مرة عيني المتقاربتين والعرق الدسم على سحنته، وامتلات شفقة، وحتى بعد اثني عشرة ضربة سامحته من كل قلبي. لم تكن هذه بالاستراتيجية الجيدة من غير شك، فقد زاده ثبات نظرتي وعصيانني غضبًا على غضب، وتحولت الاثنتا عشرة ضربة إلى عشرين ثم إلى ثلاثين. فقدت وعيي فأضعت الحساب. لا بد أن الضرب انتهى في النهاية، ولا بد أن أحدًا أعادني إلى الثكنة وغطاني ببطانية. ولا شك أن جسدي آلمني عند استيقاظي، لكنني لم أشعر بالألم. بل طوقني إحساس دافئ بالسلام الذي ينبع من معرفة القوة الباطنية.

هذا برأيي منبع الابتسامة التي رأيتها على وجه ك وهو يتلقى الضربات، قبل أن أتقدم لأتلقى العقوبة بدلًا عنه. استطاع تحمل

ألمه، لكن ألمي الذي أصابني نيابة عنه كان أكبر مما يطيق. يعذبني أن أتخيل أحياناً أنني كنت مسؤولاً عن موته، ولكن في هذا العالم المعقد من السبب والمسبب، يستحيل أن أعرف. كأن ف سئم مني أيضاً منذئذ أو لعله خائف، رغم الجلسة التأديبية أو الاثنتين. ربما يكون هذا خيالي فقط، لكنه لم يعد متحمساً.

هل عليّ أن أشكره؟ لم أعد مهتماً برد الضربات وقد أضعت حسابها. ربما يعني هذا أنني كبرت على هذه الطفولية. ربما تخرجت وغدوت رجلاً أخيراً.

-7-

3 أغسطس 1944: إليك ما لم أستطع قوله في رسالتي. كثرت الأقاويل يا أمي. أمور الحرب ليست في صالحنا، وقد انسحبت قواتنا من بورما الشمالية، وحطت القوات الأمريكية في غوام. إذا استمر هذا، فقد يعقبه الغزو الأمريكي لليابان، وسيكون انتشارنا محاولة أخيرة لوضع حد لذلك. لقد كنت بالغ الاستياء لدى قراءتي وصفك لزيارة الشرطة العسكرية، وأخشى أن تكوني مستهدفة بسبب نشاطك السياسي. أتوسل إليك أن تحذري. وليتك تعيدين النظر في أخذك أختي والجلاء إلى الريف.

-8-

كبت لك عزمي على الموت. إليك ما لم أخبرك به. على جانبي يتهدد رفاقي ويتأوهون، قلقين في نومهم، وفي الخارج الحشرات تصيح، لكن دقائق الساعة هي الصوت الوحيد الذي أستطيع سماعه الآن. ثانية تلو ثانية، دقيقة بعد دقيقة... تك،

تك، تك... تملأ الأصوات الصغيرة الجافة كل شق للصمت. أكتب هذا في الظل، أكتب هذا في ضوء القمر، منصّباً أذنيّ لأسمع ما وراء الساعة الآلية الباردة إلى أصوات الكائنات الحية الدافئة لليل، لكن وجودي يوافق شيئاً واحداً فقط، الإيقاع العنيد للزمن، يسير نحو موتي.

لو أني أستطيع تحطيم الساعة وأمنع الزمن من التقدم! أسحق الآلة الجهنمية! أكسر وجهها التافه وأقتلع هذين العقريين اللعينين من محورهما الموجه للدائرة! أكاد أشعر بالهيكل المعدني الممتين يتغضن تحت يدي، والزجاج يتكسر والغطاء يفتح، وأصابمي تتبش في أحشائها، فتجر النوابض والتروس الدقيقة. ولكن لا، لا جدوى، لا سبيل إلى إيقاف الزمن، وها أنا ذا أرقد هنا، مشلولاً أصغي إلى اللحظات الأخيرة من حياتي تمر.

لا أريد أن أموت يا أمي! لا أريد أن أموت!

لا أريد أن أموت.

*

سخيف. مقدار الحبر الذي أرقته على مشاعري الجياشة، أحطم الساعات في عقلي، وأبكي في خيالي. انسي الساعة، فليس لها سلطة على الوقت، ولكن الكلمات لها، وأود الآن أن أمزق هذه الصفحات. أهكذا أود أن تكون ذكراي؟ بهذه الكلمات؟ عندك؟

ولكن لا، سأتركها الآن، ما دمت لن تريها أبداً. أكتبها لصالحي، لأستحضرك في عقلي. إنها مكتوبة من أجلي فقط.

يقول دوغن «معرفة الطريق تعني معرفة النفس». لقد أقسمت

على أن أجلس الزازن وأتمعن في أفكارى ومشاعري بدقة شديدة،
مثلما يشرّح العالم جيفة، كي أحسّن ذاتي في الأسابيع القليلة
القصيرة الباقية. أقسمت على أن أكشف نفسي أمامك، وإن لم
تقرأي هذا قط. لن يجتث تمزيق هذه الصفحات الجبن من قلبي
مثلما لن يوقف الزمن اقتلاعي لعقري الساعة.

أنا واحد من المحظوظين صدقًا. لقد تلقيت تعليمًا وتلقى
عقلي تدريبًا، وعندي القدرة على التفكير في الأشياء.
«أن تتفلسف يعني أن تتعلم الموت».

هكذا كتب مونتيني، معيدًا صياغة قول شيشرو، رغم أن الفكرة
بطبيعة الحال ليست جديدة، بل تعود إلى زمن سقراط غربًا،
وإلى بوذا شرقًا... على الرغم من اختلاف المعنى المقصود من
«التفلسف».

«معرفة الطريق تعني معرفة النفس. ومعرفة النفس تعني
نسيان النفس. نسيان النفس يعني أن تتور من كل الأشياء التي
لا تحصى».

*

ذكرت لك في إحدى الرسائل أفكاري الخيالية عن حكاية
حرب الغريبان لميازاوا، وأشعر الآن بالتفاهة حقًا. أنا لست قائد
الغريبان، أطيّر إلى المعركة! الحقيقة أنني لا أنكر حبي للطيران.
ورغم أن الأمر قد يبدو حماقة، فإن الحكاية ظلت في ذهني،
ووجدت نفسي في وقت لاحق أتذكر مشهد قائد الغريبان وهو
يدفن عدوه الميت ويصلي للنجوم. أتذكرين المقطع؟ يقول شيئًا
من هذا القبيل:

أيتها النجوم المباركة، اجعلي هذا العالم مكاناً لا نجبر فيه
أبداً على أن نقتل عدواً لا نستطيع أن نكرهه. لو حدث شيء
كهذا، فلن أذمر ولو مزق جسدي إرباً مرة بعد مرة.

أؤمن أن هذه الكلمات الجميلة صادقة، والآن وأنا أعرف أنني
سأشن غارة، فإن لها معنى شجياً في نفسي. تذكرت المقطع
أثناء العشاء فامتلات عيناى بالدمع. وبينما كنت أحبسها أوقعت
وعاء من المخلل على الأرض لسوء حظي. يبدو أن رتبتي الجديدة
تحميني من التوبيخ، وأشاح الماركيز بوجهه فقط.

-9-

الوقت مثير جداً الآن ولم يبق لي منه إلا القليل. أجلس الزازن
أو أمرر الجوزو بين أصابعى، أعد الحبات وأتنفس اللحظات حتى
موتي. كتب دوغن في مكان ما عن عدد اللحظات في فرقة
الإصبع. لا أتذكر الرقم الدقيق، سوى أنه كان كبيراً وبدا اعتباطياً
ولامعقولاً، لكنى أتخيل عندما أكون في قمرة طائرتى، أوجه رأس
الطائرة إلى هيكل السفينة الحربية الأمريكية، ستكون كل واحدة
صافية نقية ومدركة. في لحظة موتى، أتطلع إلى أن أكون واعياً
وحياً كلياً.

كما كتب دوغن أن لحظة واحدة هي كل ما نحتاجه لخلق
إرادتنا الإنسانية وإحراز الحقيقة. لم أفهم هذا من قبل قط،
لأن فهمى للزمن كان ملتأاً ومبهماً، أما وقد صار موتى وشيكاً،
فإنى أدرك معناه. يتجلى الموت والحياة في كل لحظة من الوجود،
تظهر أجسادنا البشرية وتختفي لحظة بلحظة، دون توقف، وهذا
النشوء والعبور هو ما نعيشه بصفته الزمن والوجود. إنهما ليسا

منفصلين، بل هما واحد، وحتى في جزئ من الثانية تتسنى لنا فرصة الاختيار، وتحويل مسار أفعالنا إما نحو إحراز الحقيقة أو الابتعاد عنها. كل لحظة بالغة الأهمية للعالم بكامله.

ينتابني الحزن والفرح في آن واحد كلما فكرت في هذا. أفرح عند التفكير في اللحظات الكثيرة التي تنشأ وتتاح لفعل الخير في العالم. وأحزن على كل اللحظات المبدّرة التي تكومت فوق بعضها بعضاً وانتهت بنا إلى هذه الحرب.

أي مشيئة ستولد عندي في النهاية؟ هل سألتزم بمسار طائفة بشجاعة، عارفاً أن جسدي في لحظة التماس سينفجر في كرة من اللهب ويقتل كثيرين من الأعداء المزعومين الذين لم ألتق بهم قط ولا أستطيع كرههم؟ أم سيحتشد الجُبن (أو طبيعتي البشرية الفضلى) في مرة أخيرة، لهيئة تكفي لدفع يدي إلى ذراع القيادة فأنحرف بالطائرة عن مسارها، وباختياري إنهاء حياتي في خزي الماء بدلاً من بطولة النار، سأبدّل في اللحظة نفسها قدر هذه القوات العدو على السفينة الحربية، إلى أقدار أمهاتهم وأخواتهم وإخوتهم وزوجاتهم وأبنائهم؟

وفي الجزئ نفسه من الزمن، ستحدد تلك الحركة البالغة الصغر من يدي أقدار كل الجنود والمواطنين اليابانيين الذين سيعيش هؤلاء الأمريكيون أنفسهم (الأعداء الذين سأنقذ حياتهم) ليقتلوهم. وهكذا دواليك حتى ليسعك القول إن نتيجة هذه الحرب ستقررهما الدقيقة والمليمتر، اللذان يمثلان الوجه الظاهري لمشيتي. ولكن أنى لي أن أعرف؟

عجبي، كم يصبح المرء جليلاً في وجه الموت! ولكني لا أهتم في أن أصبح بطلاً. يطرح مارتن هايدغر في كتابه الكينونة والزمان مفهوم البطل في سياق نقاش أصالة الزمانية والتاريخانية والكينونة في العالم، وإذا كنت ذات مرة عكفت دائباً على تحليل مأزقي بمصطلحات هايدغرية، لكني أجد اليوم راحة أكبر في زن دوغن وتقاليدي اليابانية، التي تؤكد صحة رأي م. ه. كتب مرة أن «اللفة هي بيت الكينونة»، ولا شك أن دوغن (وهو رجل مسهب الكلام!) سيوافقه. لكني أجد حجرات ألمانية م. ه. المعقدة مرهقة لوضعي الذهني المحموم الحالي، وما يشدني أكثر هو الغرف الهادئة الخالية لدوغن. بين الكلمات، عرف دوغن الصمت.

*

تفتحت أزهار الكرز في القاعدة وتساقطت، وما زلت أنتظر أن يكون لي مصيرها.

*

قال قائد الغريان «سأموت غداً في المعركة». كتب مونتيني أن الموت بحد ذاته ليس شيئاً. إن الخوف من الموت هو ما يجعل الموت مهماً. هل أنا خائف؟ قطعاً، ومع ذلك....

«كو سي ج⁽¹⁾»، يسأل مونتيني، والجواب لا شيء. في الواقع، أنا لا أعرف شيئاً.

(1) ماذا أعرف بالفرنسية. (الترجمة)

غير أنني أرقد في فراشي ليلاً، أحصي الخرزات، واحدة لكل شيء أحبه على الأرض، وهكذا دواليك، في دائرة لانهائية.

-10-

وصلنا كيوشو أمس. اثنان من المحاربين القدامى من أيام العدوان على الصين، سُرحا من الخدمة واستدعيا من جديد لأداء الواجب، أُفرزا لكتيبتنا. إنهما رجلان صلبان خشنان ونحيفان، أعينهما لامعة تعرف الشر، وحتى ف يصيبه التوتر في حضورهما. تغيرت الحال في الثكنة منذ لحظة دخولهما. جلسا وسطنا البارحة بعد العشاء، محاطين بالوجوه اليانعة الشابة لأحدث مجندينا من الطلاب، يخللان أسنانهما ويتفاخران بخدمتهما في إقليم شاندونغ.

يفثيني تذكر قصصهما، وضحكهما أثناء حديثهما عن الجدات الصينيات اللاتي عثرا عليهن في كوخ منكمشات مع حفدتهم. سحبنا العجايز واحدة تلو أخرى إلى وسط الغرفة واغتصباهما، ثم استخدمنا الحراب لبتتر أعضائهن التناسلية بعد انتهائهما. ثم قلّدا، وهما لا يزالان يضحكان، الأسلوب المضحك الذي توسلت به العجايز الرافة بحفدتهم. فقد طوّحا بالأطفال واحداً فواحداً في الهواء وخوزقاهما على رأس حريتيهما. كم التمعت أعينهما وهما يصفان الصينيين الذين علقوهما مقلوبين كاللحم فوق النار، ثم شاهدنا لحمهم المحترق يتقشر عن أجسادهم الحية وتراقص أذرعهم كأرجل الحبار المشوي. بعد موت الرجال، قطعنا أجسادهما المحروقة وأطعماها للكلاب.

كم نظرا إلينا شزراً وهما يمتعانا بقصص المجندين اليابانيين الشبان، فتیان أغرار مثلي ومثل لك، أمروا أن يتدربوا على استخدام الحراب على الأحياء من الأسرى الصينيين لبناء روحهم القتالية. ربطوا الأسرى على أعمدة ورسوموا النياشين على قلوبهم. «اطعنوهم في أي مكان إلا هذا»، أمرهم قائدهم مشيراً إلى الدوائر. كان مقصدهما إطالة عمر الأسير قدر المستطاع، وارتجف الفتیان المجندون بقوة حتى اهتزت حرابهم وتبرزوا في سراويلهم. ضحك جنديانا العتيدين، وهما يتذكران رعبهم. قالوا لنا مطمئنين إن الأسرى ماتوا في نهاية التمرين وأن أجسادهم مزقت وسالت منها الدماء، فأصبح الأولاد اليابانيون رجالاً عندئذ. وصفا هذه الأفعال التي ارتكباها دون خجل. قالوا إنهما اتبعا الأوامر، كي يلقنوا الصينيين درساً، فيرتكبون هذه المذابح على مرأى قرية كاملة، وأبناء الضحايا وآباؤهم وجيرانهم وأصدقاءهم يتفرجون. وفي إعادتهما لسرد هذه القصص، إنما يلقنانا درساً نحن أيضاً كي يقويا عزائمتنا ويدرباننا على ما هو آت.

كتب مونتينى «شاكو آپيل بارباري سي كي ني پا دو سۇ يوزاج؟ كل واحد ينعت ما لا يشكل جزءاً من عوائده بالبربرية»⁽¹⁾. لن أعيش مطولاً لحسن الحظ لأعتاد، وأنا شاكر نوعاً ما لهذين الشيطانين، فهمجيتهما الوحشية تلقي ضوءاً جديداً على معاناتي الصغيرة. أنا خجل من إراقتي كل هذا الحبر وأنا أتشكى. حان الوقت لأغلق كتاب حياتي. لقد تحدد موعد غارتي غداً يا

(1) مقالات مونتينى ترجمة فريد الزاهي، دار معنى ص 377، (بتصرف)

أمي، فهذا وداع. لقد بدأت تيتسو نو أمي⁽¹⁾، والليلة سنقيم حفلة أنا وزملائي الضباط. سنشرب الساكي ونكتب وصياتنا ورسائل الوداع الرسمية. سترسل إليك سلطات البحرية تلك الكلمات الفارغة، إلى جانب متاعي الشخصي؛ الجوزو الذي أهديته لي وساعتي ونسخة ك من الشوبوغنزو. غير أن هذه اليوميات لن تكون بينها. وعليّ الاعتراف بأنني غيرت رأيي، وأتمنى لو أن عندي وسيلة لأوصلها إليك، لكنني لن أجروء. إذ يحط محتواها من شأن مهرجان الوطنية الرفيع هذا الذي نمثله متجهمين، وأخشى أن أجازف بالتعويض الذي ستتلقينه مقابل التضحية بحياة ابنك الوحيد. لا أدري ماذا أفعل بها. ربما سأحرقها الليلة عندما أتمل، أو أخذها معي إلى قاع البحر. لقد كانت عزائي، ومن غير مبالغة في تخيلاتي، أو من صدقاً أنك قرأت كل كلمة كتبتها وإن لم تمر عيناك على هذه الصفحات. أنت يا أمي الحبيبة تعرفين قلبي الصادق.

ما أود قوله لك الآن، لا أستطيع كتابته في الوثيقة الرسمية التي قد تقرأ أو تُمنع. لقد اتخذت قراري. غداً صباحاً سألف رأسي بإحكام بعصابة تحمل شارة الشمس الساطعة وأطير جنوباً إلى أوكيناوا، حيث سأهب حياتي لبلادي. لطالما آمنت أن هذه الحرب خطأ. لطالما كرهت جشع الرأسمالية وخطورة

(1) 鉄の雨 إحصار الفولاذ (وتسمى أيضاً معركة أوكيناوا) التي نجم عنها أعلى عدد من الضحايا في المحيط الهادي أثناء الحرب العالمية الثانية. قتل أكثر من 100000 ألف من القوات اليابانية أو أسر أو انتحرو. وتجاوز الضحايا من الحلفاء 65000. كما قتل أو جرح ما بين 42000 إلى 150000 من المدنيين في أوكيناوا، أو انتحروا (أي ما يتراوح بين عُشر إلى ثلث سكان أوكيناوا الأصليين). (الكاتبة)

الإمبريالية التي أججت نار الحرب. والآن، عارفاً ما أفعله بالخسرة
التي أذكيته بها الحرب، أنا عازم على بذل قصارى جهدي لإبعاد
طائرتي عن هدفي وإلى البحر:

الأفضل أن أعارك الموج، الذي قد يغفر لي.

لا أحس بشعور امرئ سيموت غداً، بل بشعور امرئ ميت سلفاً.

قرأت آخر صفحات بنوا المترجمة ووضعتها أعلى الرزمة بجوارها على الأريكة. ونظرت من النافذة إلى الأفق. أظلمت السماء من غيوم العاصفة بخطوط ثقيلة، ولولا اللطخ الصغيرة من الموجات المزيدة التي رفعتها الرياح وضاعفت قوام الماء، لما استطاعت تبين الحد الفاصل بين السماء المظلمة والبحر الأسود. كانت الأمواج صغيرة جداً من مكان جلوسها على الأريكة، يصعب تخيلها. ومن الأعلى كانت ستبدو أكبر بكثير، ويصعب ألا تلاحظها.

قالت لنفسها لقد طار إلى موجة.

ضربت الريح العاصفة البيت، جاعلة العوارض الخشبية القديمة تصرّ. تأوهت الأشجار في الخارج وتمايلت. غابة حية. لا تعرف أن هذا بعد. لا تزال تظن أن خالها الكبير أغار بطائرته على سفينة العدو. تظنه مات بطل حرب، منفذاً مهمته. لا تدري أنه أغرقها. كيف يكون هذا؟

كانت الكهرباء تعمل، لكن المصابيح خفقت عدة مرات. سقطت شجرة في مكان ما على خط الكهرباء. لم يزل المولد في الورشة في رهر كامبل. كانوا في وضع خطر.

قرأت رسائله اليابانية -الرسائل الرسمية التي وجدتها في إطار الصورة والأخرى التي أعطتها لها جيكو- لكنها لم تذكر شيئاً عن دفتر يوميات سري بالفرنسية. أتعرف بأمره؟ أين هو؟

إذا كان هاروكي #1 قد ثمل وأحرق اليوميات، أو أخذها معه إلى مهمته، فلا بد أنها تحولت إلى رماد تذرره الرياح منذ زمن بعيد، أو إلى سيليلوز ذاب في البحر.

أخذت الرزمة المشمعة التي غلف بها كراس الإنشاء الذي أعاده بنوا مع الصفحات المترجمة.

إنها حقيقية، ولكن كيف وصلت إلى هنا؟ كيف انتهى بها الأمر إلى كيس المجمدة وهنا بين يدي؟

أرادت أن تناقش الأمر مع أولهر، فتطرح هذه الأسئلة، لكنه كان خارجاً تحت المطر يبحث عن بستو. فتحت الورق المشمع وبسطت الكراس المطوي. مررت أصابعها على الصفحات. كان الورق رخيصاً. بهت الحبر، لكنها عرفت أنه كان يوماً درجة داکنة من الأزرق النيلي. لقد أخفاه في صندوق غدائه، تحت الأرز. أخفاه داخل معطفه، قرب صدره. أغمضت عينيها ورفعت الكراس إلى وجهها، تنشقته بقوة، لكن رائحته رائحة البحر والشمع.

يجب أن تقرأ آن هذا، وأبوها كذلك. يجب أن يعرفا الحقيقة. فتحت عينيها وطوت دفتر اليوميات من جديد، وحزمته. خيم الظلام في الخارج. نظرت إلى ساعة جندي السماء لتعرف الوقت، لا تزال الساعة تدق. أين أولهر؟

كان هاروكي #1 يصارع أبرز المسائل الوجودية والأخلاقية عن الإبادة والحرب وعواقب موته الوشيك، ونحن مستاءان لضیاع قط؟ كيف يمكن هذا؟

لكنه ممكن وحقيقي. لقد كانا حائرين منذ هروب القط، وازدادت حيرتهما بعدما عرفا أن كلب بنوا أكلته الذئاب. كلما

سمع أولهر صوتًا في الخارج أوقف ما يفعله وذهب إلى الباب وفتحه وأصغى. استمع إلى نغيب البوم، وعواء الذئب ونعيق العقاقق بالفرع نفسه.

قال محاولاً طمأنة نفسه «أنا متأكد أنه بخير. إنه قط صغير، لقمة هزيلة. فمن سيتجشم عناء أكله؟» لكن كليهما يعرف أن الغابة تعج بالحيوانات الضارية التي ستحب أكل قط صغير على العشاء. في النهاية لم يعد يطيق صبرًا، فخرج للبحث عنه عندما عصفت الريح.

استاءت روث. كان خطأها بأنها غضبت وأثارت خوف پستو ليبعد عن السرير في الليل. تمنى لو أنها كظمت غضبها، تمنى لو لم يفضبها أولهر أصلًا.

-2-

أخذ المطر يتساقط بغزارة، فنزلت لتلقم النار بعض الحطب ووجدته قليلًا. قلبست معطفها المطري والحذاء المطاطي، وأخذت كشافًا وحاملة الحطب، وخرجت إلى مخزون الحطب. الريح تعصف حقًا وأغصان الأرز تتمايل. أين هو؟ ليس البقاء في الغابة في ربح عاتية كهذه بآمن. كانت الأشجار تن وتصر تحت ضربات الريح. وجذور هذه الأشجار الباسقة سطحية بصورة تثير العجب، وأرض الغابة مخضلة من المطر. خطر لها للحظة أن تخرج للبحث عنه، لكنها أدركت حماقة هذا الأمر. أخذت تجر الجذول المفلوقة من الكومة وترصها في الحاملة الجلدية. عندها سمعت صرخة خشنة من الأعلى. فرفعت نظرها، ورأت غراب الأدغال، رابضًا في مكانه المعتاد على غصن شجرة الأرز.

نظر إليها الغراب من عل، وسمرها بعينه الخرزية «كاو!»، صاح
بإلحاح بدا تحذيرًا. نظرت خلفها إلى البيت. أظلمت النوافذ،
فقد انقطعت الكهرباء. وفجأة أحست بالخوف.

«ماذا أفعل؟». ضربها المطر على وجهها وهي تستدير عائدة إلى
الغراب. قالت «اذهب، اذهب واعثر عليه أرجوك».

واصل الغراب نظره إليها.

قالت لنفسها غبية. تكلم الطير ولكن لا أحد في الجوار، وقد
طمأنها سماع صوتها نوعًا ما.

مط الغراب عنقه وهز ريشه. وألقت بالحاملة الثقيلة المليئة
بالحطب على كتفها وسارت نحو البيت المظلم. «كاو!» نطق الغراب
من جديد، وعندما التفتت إليه رأت أولفر يخرج من الأشجار التي
تسوطها الريح، يقطر من المطر. فتح ذراعيه عندما رآها تقف
هناك حاملة الحطب. كانت يداه المبللتين فارغتين. بلا قط.

ساعدني اتخاذي قرار إنهاء حياتي على تخفيف حزني، وفجأة باتت كل الأشياء التي قالتها لي عجوزي جيكو عن الكائن الزمني محط التركيز. لا شيء كإدراك أنك لم يبقَ لك زمن طويل يحفز تقديرك للحظات الحياة. أعني أن الأمر يبدو مبتدلاً، لكنني أخذت أدرك أموراً للمرة الأولى، كجمال أزهار الكرز والبرقوق على امتداد الطرق المشجرة في متنزه وينو عندما تزهر الأشجار. قضيت أياماً بطولها هناك، أروح وأغدو في هذه الأنفاق الطويلة الناعمة من الغيوم الوردية وأشخص بنظري إلى الزهور اللينة، كلها منتفخة وزهرية وفيها نثار من ضوء الشمس السماء الزرقاء تتلألأ بين الأوراق الخضر النضرة. تلاشى الوقت وكأنما ولدت من جديد في العالم. كل شيء مثالي. عندما هب النسيم تساقطت البتلات على وجهي المرفوع، فتوقفت وشهقت، مذهولة بالجمال والحزن.

لأول مرة في حياتي يكون عندي مشروع وهدف أركز عليه. عليّ أن أعرف كل شيء أردت إنجازه في ما بقي لي من وقت على الأرض، وهكذا أدركت أنني أود كتابة قصة حياة جيكو العجوز. كانت جيكو حكيمة ومثيرة للاهتمام، وحين أفكر الآن في أنني فشلت في تحقيق هدفي في قص حكايتها، تتابني رغبة في البكاء.

سبب قضائي أيامي هي متتزه وينو، والته بين الأزهار، استمرار غضب بابيت مني، وما زلت لا أذهب إلى المدرسة طبعًا. لم أعد منذ أن حلقت شعري ووجدت قوتي الخارقة، وانتابني شعور هائل بالارتياح إجمالاً، لكنني أشعر بشيء من الندم والعام الدراسي يوشك أن ينتهي. قدمت امتحانات القبول في الثانوية كما وعدت أمي، وقد أفسدت الأمر حقًا. لحظة جلوسي على المقعد عرفت أنني واقعة في ورطة. كانت غرفة الامتحانات حارة حرارة لا تصدق وتغص بصفوف من الأولاد المذعورين الذين يلبسون زيهم المدرسي، تفوح منهم رائحة عرق المراهقة والبوليستر. تكاد ترى ضباب الفرمونات في الهواء، محولاً دماغي الغض الشغوف إلى رصاص. بليد، ثقيل، خامل. كل ما أردت فعله أن أضع رأسي على سطح الطاولة وأنام.

تبين لي أنني أعرف كثيرًا من المواضيع، وخاصة في قسم الإنجليزية، لكنني لم أتجشم عناء الإجابة عن معظم الأسئلة. كانت درجاتي منخفضة جدًا كأنها مزحة، كإني معاقة ذهنيًا أو ما شابه، لكنني لم أهتم. لم يشغلني الأمر كثيرًا، لكنه ضايقني قليلًا، موهنة أنني لن أذهب إلى المدرسة الثانوية وأتعلم الأشياء التي تعلمها خالي الكبير هاروكي #1 قبل أن يموت. أعني، ربما تقول وما حاجتك إلى تعلم الأشياء إذا كنت عازمة على قتل نفسك، وهذا صحيح، ولكن في الجهد الذي يبذله الناس في المحاولة شيئًا نبيلًا. كالبطلة الخارقة لدى جيكو المعجوز كانوا سوغاكو، التي استمرت في تعلم الإنجليزية وكتابة اليوميات حتى

يوم شنعها. أظنها قدوة حسنة، وإن حاولت اغتيال الإمبراطور بقذيفة.

على أي حال، أما وقد عرفت أن وقتي على الأرض محدود، لم أرغب في هدر اللحظات الثمينة مع أي خليل غبي، وهذا أساء بابيت كثيرًا. قالت إنني أشغل طاولة غالية في مقهى فيفي، وإن خريشاتي تبث الكآبة في الأجواء. حاولت إقناعها بأن وجود كاتبة في المكان زاده أصالة، كأنه مقهى فرنسي حقيقي، لكنها خالفتني الرأي، ثم أنذرتني إنذارًا نهائيًا. إما أن أواعد وإما أن أخرج.

طيب. لا يهم.

كان هذا البارحة.

ابتعدت بكشاكشها وأنا واصلت الكتابة، أراقبها بطرف عيني. أخذت تكلم زيونًا عند إحدى الطاولات القريبة، واستدار الرجل ونظر إلي، ولم أصدق ما رأيت، إنه الهيناتي المخيف الذي تحدثت عنه في البداية. ذو الشعر المزيث والبشرة المتعبة الذي يحب مراقبتي وأنا أرفع جوربي؟ إنه زيون دائم، لكنه يبدو متلصصًا فقط، وليس من النوع الذي يملك ما يكفي من النقد ليدفع مقابل المواعدة. كانت بابيت تسوق له الأمر، ورأيت هذا مذلاً إن أردت الصدق. أعني أنا فتاة مملوكة جداً في السادسة عشرة من عمري ألبس زياً مدرسياً. تظنه سيكون سعيداً إذا منح فرصة مواعدتي، صحيح؟ أخيراً أخرج محفظته وناول بابيت بعض المال. طوت بابيت الأوراق النقدية ودست اللفافة بين نهديها ونظرت إلي.

حركت شفيتها «موعد».

أغلقت دفتر يومياتي وأنا أتهد وتبعتها إلى غرفة المعاطف، إذ أخرجت اللفافة النحيفة، وقشرت منها ورقتين نقديتين وناولتني إياهما.

نظرت إليها مدهوشة.

رفعت كتفها وقالت «دلك ريو. حان الوقت لتعودي إلى الواقع».

قلت وأعدت إليها الورقتين «أنا لا أواعد من أجل هذا! عندي شيء من احترام الذات إن كنت تعرفين».

اتسعت ابتسامتها، بطيئة وخطيرة، على وجهها الظريف الشبيه بوجه الدمية. دفعتني إلى حائط المعاطف وجذبتني من ذقني، غارسة براجمها في الجزء اللين الذي يشكل فيه عظم الفك حرف V، فوق حنجرتي. فخرست من الألم الذي يثير الغثيان. «هذا مسل! أناس أمثالك لا يستحقون أن يكون لهم احترام ذات. فالأفضل لك أن تتخطيه».

أخذت وجنتي بكلتا يديها وقرصتني بقوة ملأت عيني دمعاً. وجذبتني نحوها حتى كاد جبيني يلامس جبينها، وصارت عيناها عيناً واحدة، عيناً وحيدة شريرة، داكنة وبراقة، تحيطها الكشاكش والمخرمات.

«لحسن حظك أني كريمة وأقاسمك المال أصلاً. مشكلتك أنك أمريكية جداً. كسولة وأنانية، عليك أن تتعلمي الولاء والعمل الجاد». ونفضت وجهي نفضة قوية أخيرة وتركتني.

ارتفعت على المعاطف وانهرت أسفل الجدار. أمالت رأسها ونظرت إلي، ثم اقتربت ومسحت على خدي الحارق. قالت ثم صفعتني «زهري جدًا. جميل جدًا». أخذت معطف خليلي ورمته علي وقالت «استمتعي»، ودارت دورة أنيقة ارتفعت معها تتورتها، ومن مجلسي على الأرض رأيت كشاكش سروالها الداخلي وهي تندفع خارجة من الباب.

لا أتذكر اسم الهيناتي. ربما لم أعرفه قط. كان بانتظاري في منطقة الاستقبال قرب السيدة العارية في النافورة. ناولته معطفه، فأخذه ولم ينظر إلى عيني. غمغم شيئاً لم أسمعهُ تمامًا وخرج، منتظرًا مني اللحاق به. كان المصعد الصغير خاليًا، ووقفنا هناك متحرجين، نراقب انفلاق الأبواب، دون أن نعرف ما نقول أو كيف نبدأ حديثًا. نزلنا بضعة طوابق، وانفتحت الأبواب من جديد ودخل جمع كبير سعيد ضاحكين سكارى، وحشرت معه فجأة. شعرت بأنفاسه اللاذعة على مؤخرة عنقي وهو يتلمسني تحت تتورتتي، يلتصق بي من الخلف. أردت أن أصرخ شيكان⁽¹⁾ كما يتوجب عليك أن تفعل في قطار الأنفاق عندما يبدأ منحرف بتلمسك، لكنني منعت نفسي. فهو قد دفع المال، وماذا أقول إن أراد الحصول على امتياز إضافي؟ خرج الجميع عندما فتحت أبواب المصعد، ووضع معطفه أمام بنطاله وتناقل خارجًا إلى الشارع، ناظرًا خلفه مرة كل بضع خطوات ليتأكد أنني ما زلت أتبعه. كان في وسعي الهرب، لكنني لم أفعل، بل تبعته لأنه

(1) 痴漢 منتهك، متحرش. رجل يتحسس امرأة جنسيًا في مكان عام (الكاتبة)

دفع المال، وهذا هو الشرف. لم أصدق كم كان بائسًا، لكنني لا أتمتع باحترام الذات لذا فهذا لا يهم. لم يكن له من المهارات الاجتماعية ما يساعده على الكلام، ولم يعرض أن يشتري لي كنزة جميلة أو كيتاي. لم يعرض عليّ شرابًا، وأخذني إلى فندق ليس فيه حانة صغيرة. ليس فيه الشامانيا أو البراندي، بل آلة بيع في البهو فيها علب بيرة وساك يون كَب. وهذا النوع ذكّرني بأبي فهذا الذي شربه ليلة سقوطه على سكة الحديد أمام قطار تشو السريع. كان الأمر مثيرًا للكآبة، لكن خليلي المزعوم رخيص جدًا ولم يشتري لي واحدة على أي حال.

إن كنت موافقًا، أفضل ألا أخوض في كثير من تفاصيل ما حدث بعدئذ، لأن التفكير فيه يحزنني ويفثني، ولم يتسن لي الوقت لأغتسل. لنكتفِ بالقول إن السرير لم يكن مدورًا وليس عليه غطاء من جلد الحمار الوحشي، لكن الباقي من تخيلاتني دقيق جدًا. دخلنا إلى الغرفة، فلم يضع أي وقت، وبينما هو يفعل أشياء في جسدي، أويت إلى المكان الجامد الصامت في عقلي الذي كان نظيفًا وباردًا ونائيًا.

وصدقًا لا أتذكر كثيرًا، إلا جزءًا، كنت منبطحة على بطني عندما أخذ الكيتاي يرن، وعدت إلى هذا العالم لأتساءل عمن يتصل بي. خطر لي أنها جيكو، وأخذ الدمع ينهمر من عيني لأنني عرفت كم ستحزن إن رأتني، واشتقت إليها ووددت أن أكلّمها بشدة. ثم خطر لي أنها ربما عرفت أنني في مأزق، وهذا سبب اتصالها، وربما تتقر خرزات الجوزو وتتلو الصلوات لسلامتي. وربما أنقذني رنين الهاتف حقًا، لأن التفكير في جيكو جعلني أدرك أنني لا أريد

أن ينتهي بي الأمر بأن أكون واحدة من الفتيات التي تعثر عليهن الشرطة مرميات على الأرض بعد أيام، لأن هذا سيكسر قلبها، وإذا بلغت من العمر مئة وأربع سنين، فأنت لا تستحق أن تكسر قلبك حفيدتك اللامبالية. وفي اللحظة نفسها، فعل خليلي شيئاً يؤلم بقوة، صدمني الألم وأعادني إلى جسدي، وسمعت نفسي أصرخ، ثم رددت الفعل. دفعته عني لأنسل من تحته. قال لي ريو إن الرجال أحياناً يستلذون بشيء من الإيجيمي، فاستدعيت قوتي الخارقة ودفعت الهيئاتي فانقلب على ظهره، ثم اعتليته وأخذت أضع وجهه. وقد كان مسروراً كما ظننت. استخدمت حزامه لأربط معصميه معاً، وما كنت بحاجة إلى إيلامه كثيراً كي يبلغ الذروة. مذهل انتقال الرجل السريع من السادية إلى المازوخية. أعرف ما ستقوله جيكو العجوز؛ السادي والمازوخي، سيان.

عندما غط في النوم نهضت وتفقدت هاتفي، وطبعاً كان الاتصال منها. عرفت وأنقذتني! ولكن عندما قرأت الرسالة النصية، وجدت أنها ليست من جيكو. بل من موجي. سطر واحد. قرأته، لكنني لم أفهم المعنى، فقرأته مجدداً.

(1) 先生の最期よ. 早くお帰り

وقفت وسط الغرفة الرخيصة ذات المرايا، أحملق إلى الشاشة الصغيرة. كان خليلي المزعوم يشخر في الفراش. رفعت نظري فرأيت صورة فتاة عارية في المرايا، تتكرر بلا نهاية. كان جسدها فجاً وأبله وأخرق. حضنت نفسي ففعلت الفتاة، وأخذت

(1) سنسي نو سايفو يو، هايكو أوكايري. لحظات سنسي الأخيرة. تعالي بسرعة.
(الكاتبة)

أبكي ولم نتوقف. أشحت عنها ولملمت زي المدرسي بهدوء ولبسته. تسللت من فوق ثياب خليلي المكومة وفتشت جيوبه بسرعة. أفرغت محفظته وأخذت آخر الأوراق النقدية. جمعت ثيابه في كرة وأجبرت نفسي على التوقف عن البكاء وقتاً يكفيني لأدير مقبض الباب. عندما خرجت من الغرفة ونقر الباب خلفي، سمعته ينادي. بدأت أركض. تخيلته يبحث محمومًا عن ثيابه لذا ألقيتها في بئر السلم الواقع آخر الممر. كان في وسمي أخذها ورميها في الشارع، لكني لا حاجة بي إلى ذلك. أظن أنني فتاة طيبة القلب.

ظللت أركض بعد خروجي، أقطع الأزقة المزدهمة للمدينة الكهربائية. أكيبا في الفسق ساحرة حقًا، هلوسة هائلة متقطعة من مصابيح النيون والأبطال العمالقة من مانغا الحركة الذين يتوعدونك كأنهم سيسحقون رأسك. ثم الضجيج، الصليل المجنون لصالات الباشينكو ومكائن الألعاب، والباعة المتجولين والكياكوهيكي⁽¹⁾ ينادون الموظفين السكارى والسائحين والأوتاكو الذين يتحدون وينتفخون مثل عوالق البحر.

أحبها عادة. أتشرب كل تلك الطاقة عادة، ولكن لا بد أن تكون رائق المزاج، وأنا لست رائقة. شققت طريقي خلال الحشود، مطرقة كل الوقت لأخفي دموعي. كل ما أردته أن أعود إلى أبي. أنا بحاجة إلى أبي. أردت أن أخبره بأن جيكو تحتضر، فيترك كل شيء ويأخذني إلى المحطة، ونركب سويًا القطار السريع التالي

(1) 客引き المراج. حرفيًا الزبائن+ جالب. (الكاتبة)

المتجه إلى سندي، ولأن الحافلات لا تسير في الليل، فسنأخذ سيارة أجرة كل الطريق من المحطة إلى المعبد. سنصل إلى هناك سريعاً، في خمس أو ست ساعات. وعندما نصل سيكون كل شيء هادئاً ومسالماً، وستأتي موجي لاستقبالنا وتخبرنا بأن جيكو على ما يرام، وأنه إنذار كاذب، وأنها آسفة لاتصالها بنا وإزعاجنا بلا داع، ولكن ما رأينا أن نغتسل ما دمنا قد وصلنا؟

هذا ما أردته. أن أجد أبي، أن أعرف أن جيكو بخير، وأن أغتسل. ركزت على هذه الأفكار في القطار، طوال الطريق إلى موقفي، مطرقة رأسي وماسحة أنفي بسوار كمّ زيي المدرسي. وجدت الشقة هادئة حين وصلت.

قلت بهدوء «تادايما». كان صوتي أجش من البكاء.

لم أسمع رداً، وهذا ليس بالمستغرب إذا كان أبي متصلاً بشبكة الإنترنت ولا يسمعي. تساءلت إن كانت أمي لا تزال في العمل. هل اتصلت بهما موجي؟ ربما سافرا سلفاً إلى سندي من غيري. «أبي؟»

سمعت دفع المياہ في المرحاض ثم قطع بصيص ضوء الممر المظلم عندما انفتح باب الحمام. خلعت حذائي ودلفت إلى المدخل. على الأرض كيس من متجر بقالة في المنطقة، في المكان الذي نضع فيه الأشياء التي لا نريد نسيانها. فتحت الكيس ونظرت في داخله، ثم أغلقته ومشيت نحو الضوء. وجدته في غرفة النوم، لابساً بدلته الزرقاء الداكنة، حليقاً نظيفاً ويلبس جوربيه.

«أبي؟»

بدت قدماء النحيلتان بيضاوين سقيمتين. رفع نظره وقال «أوه،
آن. لم أسمعك تدخليين».

كان ينظر من خلالي، وصوته حيادياً بلا حياة. انحنى ليعدل
جوربه فقال «لقد عدت باكراً. ألن تخرجي مع أصدقاء المدرسة
الليلة؟»

واو. ما زال يصدق أن لي أصدقاء من المدرسة. يؤكد لي هذا
أنه ساذج. راقبته من الباب، فيه شيء غريب، أغرب من المعتاد،
كأنه تحول إلى زومبي. مكتبة سُرَّ مَنْ قرأ
سألته «أين أمي؟»
«زانفيو⁽¹⁾».

«هل أنت خارج أو شيء من هذا القبيل؟»
«نعم»، كأنه فوجئ قليلاً. بل كان يضع ربطة عنق، إنها الربطة
التي أهديتها له في عيد الميلاد، ولم يزل حينها يزعم بأنه
يعمل. ليست من الحرير، لكن لها نقوشاً جميلة.
«أين تذهب؟»

«لألتقي صديقاً، صديقاً من أيام الجامعة. سنذهب للشرب
في ذكرى الأيام الخوالي. لن أتأخر»، نطق الكلمات كأنه دونها
وحفظها عن ظهر قلب. هل يظن حقاً أنني أصدق هذا؟
كان أبي الزومبي يلبس سترة البدلة.
سألته «هل اتصل أحد؟»

هز رأسه «لا». وضع محفظته في جيب بدلته، ثم توقف وقطب
«لماذا؟ هل تتظيرين أحداً؟»

(1) 殘業 وقت إضافي. (الكاتبة)

كالعادة. موجي بلهاء، ثم إنها عرفت إنه لا يرد على الهاتف.
«لا، أسأل فقط»، عاينته وهو واقف. بدا لا بأس به في البدلة.
كانت بدلة رخيصة قبيحة، لكنها أفضل من الثياب الرياضية
القديمة التي يلبسها في البيت.

تبعته إلى الممر وراقبته وهو يستخدم مثبت الحذاء ليدخل
كعبه في حذائه.

«ألم تتس كيسك؟»

مد يده تلقائياً، ثم تجمد «أي كيس؟»، متظاهراً بالحيرة. كأنه
لا يعرف.

قلت مشيرة إلى الكيس المجاور للباب «ذلك».

«أوه صحيح. أجل طبعاً»، حمل الكيس ونظر إلي، وأعرف
أنه يتساءل إن كنت رأيت ما في الكيس. استدرت وذهبت إلى
المطبخ.

قال ولكن في صوته ارتعاشاً كأنه ليس واثقاً «إتيكيماسو...»،
إتيكيماسو هي ما تقوله عندما تنوي العودة. وهذا معناها
حرفياً: سأذهب وسأعود. عندما يقول لك أحدهم «إتيكيماسو»،
ترد عليه «إتيراشاي»، ومعناها أجل من فضلك اذهب وعد.
لكني لم أستطع قولها. وقفت بجوار المغسلة وظهري إلى
الباب، أتصوره واقفاً هناك حاملاً كيس التسوق المليء بقوالب
الفحم وأغانِي نِك دريك. أنبأني الزمان. انقضى النهار.
ريما حسب أنني لم أسمعهُ أول مرة، لأنه قالها مرة ثانية
«إتيكيماسو».

لماذا لا يخرج فحسب؟! بعدها سمعت صوت نقرة الباب.

كاذب! همست لنفسي.

تلك الليلة الأخيرة.

لم أحتج إلى أبي في النهاية. أخذت آخر قطار إلى سنديا وانتقلت إلى القطار المحلي وتمكنت من الوصول إلى أقرب مدينة إلى المعبد. توقف مسير الحافلات ليلاً، ولم أملك ما يكفي من المال، حتى بعد أخذ نقود الهيناتي، من أجل سيارة أجرة توصلني إلى خط الساحل لقربة جيكو، فجلست على المقعد في المحطة الصغيرة القذرة وانتظرت. فكرت في مهاتمة المعبد. أتخيل كيف سيكسر رنين الهاتف الصمت العميق المظلم لليل، ولم أره أمراً صائباً، فأرسلت رسالة نصية. عرفت أن أحداً لن يرد علي، وشعرت برغبة حقيقية في التحدث إلى أحد، فكتبت إليك كل هذه الصفحات. أعرف أنك لن تجيبني أيضاً. أظنني نمت عندئذ.

كانت السماء تتحول إلى اللون الرمادي عندما أيقظني مدير المحطة ودلني من أين أخذ الحافلة. اشتريت علبة قهوة ساخنة من آلة البيع، وها أنا أنتظر أول حافلة تأتي. جريت الاتصال بالمعبد، لكن أحداً لم يرد، فلا أدري ما يحدث هناك. أرجو أن تكون جيكو بخير. أرجو أنها لم تمت سلفاً. أرجو أنها تنتظرني. أصلي. ألا تسمع صلاتي؟

أعرف أن هذا غباء. أعرف أنك لست موجوداً ولا أحد سيقراً هذا أبداً. ها أنا أجلس هنا على مقعد موقف الحافلة الغبية، أشرب علبة من القهوة شديدة الحلاوة، متظاهرة بأن لي صديقاً أكتب إليه.

لكن الحقيقة أنك كذبة. أنت قصة غبية أخرى اختلقتها من العدم لأنني كنت وحيدة واحتجت إلى أحد أفضي إليه بمكنوناتي.

لم أكن مستعدة للموت بعد واحتجت إلى سبب للوجود. يجب ألا أغضب منك، لكنني غاضبة منك! لأنك تخذلني أيضًا.
الحقيقة أنني وحدي.

كان عليّ أن أعرف. عرفت منذ بدأت كتابة هذه اليوميات أنني لن أستمر، لأنني في صميم قلبي لم أؤمن بوجودك. وكيف لي؟ كل من آمنت به يموت. عجوزي جيكو تموت، وأبي على الأرجح مات سلفاً، ولست أؤمن في نفسي أيضًا. لا أؤمن أنني موجودة، وقريباً لن أكون. أنا كائن زمني يوشك على الموت.

باييت محقة. أنا أنانية، ولا أهتم إلا بحياتي الغبية، مثلما أن أبي لم يهتم إلا بحياته الغبية، وها قد هدرت كل هذه الصفحات الجميلة وفشلت في تحقيق هدفي، بأن أكتب عن جيكو وحياتها الساحرة ما دام عندي الوقت لذلك، قبل أن تموت. والآن فأت الأوان. تكلم عن الزمن المفقود. أنا آسفة يا عجوزي الحبيبة جيكو. أحبك، لكنني أخفقت.

الجو بارد. تساقطت معظم الأزهار أمام المحطة، أما التي لا تزال متشبثة بأغصان الشجر فدرجة قبيحة من البني. ثمة رجل مسنّ يلبس بدلة جري باللونين الأزرق والأبيض يكنس البتلات من الرصيف الواقع أمام متجر المخلل العائد له. لا يراني. يفتح المدير أبواب المحطة، يعرف أنني هنا، لكنه لا ينظر إليّ. كلب أبيض قدز يلحق خصيتيه في الشارع المقابل. مزارعة عجوز تلبس تينوغوي لونه أبيض وأزرق وتقود دراجتها. لا أحد يراني. ربما كنت خفية.

أظن هذه النهاية. هذا ما سيبدو عليه الأمر الآن.

هبّت العاصفة من الشمال الشرقي وقت الفسق، تطوف بجزر ألوشيان، وتتزلق من ساحل الأسكا، وتتخذ شكل القمع في مضيق جورجيا بريح لها قوة العاصفة قطعت الكهرباء وأخمدت الجزيرة كلها في طرفة عين. لحظة كانت الجزيرة موجودة، يُعرف وجودها من عناقيد الأضواء الصغيرة المتألئة، وفي اللحظة التالية اختفت، وغرقت في ظلمة الدوامات والبحر. هذه صورتها من الأعلى.

في الساعات القليلة التالية، واصلت الريح هجماتها على الفسحة بين الأشجار الباسقة. والبيت الصغير الذي توهج عادة في الليل، لم يدرك الآن إلا بصيصًا تافهًا انبعث من نافذة غرفة النوم المربعة الصغيرة.

-2-

«... هذه هي النهاية»، قرأت روث، وهي تحاول جاهدة تبين الحروف في الضوء الخافت من مصباح الكيروسين. «هذا ما يبدو عليه الأمر».

كان صوتها صغيرًا في الليل المترامي الموحش الذي تجلده العاصفة، ولكن للحظة وحيدة طويلة، جمدت الكلمات كل شيء. خفق ضوء المصباح، وحبس العالم أنفاسه. قال أولهر في الصمت «لقد تداركت نفسها».

جلسا هناك، جنبًا إلى جنب، يفكران فيما كتبه آن، مدركين

أنهما ينتظران عصف الريح، لكن الصمت استمر، فتكلم أولهر وقال «أكملي. لا تتوقفي».

قلبت روث الصفحة، وشعرت بأن قلبها أسقط نبضة.

كانت الصفحة بيضاء.

قلبت الأخرى. بيضاء.

الصفحة التي تليها. بيضاء.

تقدمت أكثر. لم يزل في الكتاب ما يقارب عشرين صفحة، وكلها بيضاء. عصفت الريح مجدداً، تجلد الأشجار وتلكم سطح الصفيح بهطل المطر.

هذا ليس مفهوماً. عرفت أن الصفحات ملئت يوماً لأنها تأكدت من ذلك مرتين، وهي تقلب في صفحات الدفتر لترى إذا استمر خط الفتاة حتى نهاية الدفتر، وقد فعل. كانت الكلمات موجودة هنا، إنها متأكدة من هذا، ولكنها الآن ليست موجودة. ماذا حدث لها؟

تلمست باحثة عن المصباح الراسي المعلق على عمود السرير، فشغلته، ووضعت الرباط حول رأسها. كان وميض المصباح الساطع كالكشاف. بحذر، رفعت الدفتر ونظرت إلى غطاء السرير، تتفحص التلال والوديان الصغيرة، كأنها تنتظر رؤية الحروف تجري في الظلال.

قال أولهر «ماذا تفعلين؟»

همست «لا شيء»، وهي تفتش الصفحات الفارغة من جديد، تحسباً أن تكون كلمة ضالة قد تخلفت، عالقة في الهامش أو محبوسة في الكعب.

سألها «ماذا تقصدين بقولك لا شيء؟ وأصلي القراءة. أود أن أعرف ما يحدث».

«لا يحدث شيء. هذا ما أقصده. اختفت الكلمات كلها».

زفر بهدوء. «ماذا تقصدين بأنها اختفت؟»

«أعني أنها كانت هنا، ولكنها ليست هنا الآن. إنها ضائعة».

«هل أنت متأكدة؟»

رفعت الكتاب ليراه. «متأكدة طبعاً. تحققت أكثر من مرة.

كانت الكتابة مستمرة حتى الصفحة الأخيرة».

«لا يمكن للكلمات أن تختفي».

«لقد اختفت. لا أستطيع الشرح. ربما غيرت [آن] رأيها أو ما

شابه».

«هذه مبالغة قليلاً»، ألا تظنين هذا؟ لا يمكنها أن تمتد يدها

وتستعيد الكلمات».

قالت روث وأطفأت المصباح الرأسي «لكني أظنها فعلت. كان

حياتها غدت أقصر. يتسرب الزمن منها، صفحة بعد صفحة...»

لم يرد، ربما كان يفكر. ربما غط في النوم. رقدت هناك

طويلاً، تصفي إلى العاصفة. كان المطر يهب من الجانب يضرب

كل النوافذ ككائن يحاول الدخول. لم يزل مصباح الكيروسين

الموضوع على الطاولة الجانبية مشتعلًا، لكن الفتيل بحاجة إلى

قص وينفث كثيراً. يجب أن تقترب منه وتتفخ عليه، لكنها كرهت

زهم الكيروسين والدخان، فانتظرت. قناديل الزيت والمصابيح.

قديم التقنية وحديثها، تقوض الزمن إلى حاضر متناقض. هل

رائحة زيت الحوت أحسن؟ في الضوء المتعرج كانت مدركة

لرقود أولفر بجوارها، في ظل خافت متقلقل، يتحرك في الظلمة وخارجها. عندما تكلم أخيرًا، كأن الوقت لم يمر، أفرعها قرب صوته.

«إذا كانت هذه هي الحال، فهذا يعني أن حياتها فقط في خطر».

«ما قصدك؟»

«إنها تطرح وجودنا للسؤال أيضًا. ألا ترين هذا؟»

قالت «وجودنا؟» هل يمزح؟

«طبعًا. أعني إذا كفت عن الكتابة إلينا، فربما نكف عن الوجود أيضًا».

غدا صوته نائيًا. أكان السبب أذنيها أم العاصفة؟ خطرت لها فكرة.

«نحن؟ كانت تكتب إلي. أنا هي من تقصده بأنت. أنا التي كانت تنتظرني. متى أصبحت نحن؟»

قال وعاد صوته قريبًا، بجوار أذنها «أنا أهتم لأمرها أيضًا. لقد استمعت إليك وأنت تقرئين اليوميات، لذا فإنني أعدّ جزءًا منك الآن. ثم إن 'أنت' قد تكون للمفرد أو للجمع، فكيف تعرفين أنها لم تشر إلى كلينا منذ البداية؟»

يصعب معرفة ذلك مع كل صخب الريح، لكنها ظنت أنها لمست في صوته نبرة خفيفة، ومتعة جياشة. أضاءت المصباح الرأسي ثانية ووجهت الضوء إلى وجهه.

«أتظن هذا مسليًا؟»

رفع يده ليصد الضوء الحاد فقال مضيئاً عينيه «مطلقاً.
أرجوك...»

أطاعت فأشاحت بوجهها.

قال عندما نكص إلى العتمة. «أنا جاد. ربما لم نعد موجودين.
ربما هذا ما حدث لپستو أيضاً. لقد سقط من الصفحة».

-3-

في شجرة الأرز الباسقة خارجاً قرب عززال الحطب، رفع
غراب الأدغال كتفيه تحت المطر الغزير. ساطت الريح أغصان
الشجر، تخشخش الريش الأسود اللامع. كي كي كي، قال الغراب،
موبخاً الريح، لكن الريح لا تسمعه في هذا الضجيج، ولم ترد
عليه. تمايل الفصن وأحكم الغراب بראشه، يستعد للتقدم إلى
الأمام والطيران.

-4-

قالت «أنت أكثر جنوناً مني».

«أبداً. بل على العكس. علينا أن نحلل المشكلة منطقياً.
نأخذها خطوة خطوة». كان في كلامه شيء حذر متأنٍ أثار قلقها.
«أنت تستدرجني. كف عن ذلك».

فاستأنف كلامه «إذا كنت متأكدة من وجود الكلمات قبلاً،
عليك إذن أن تعثري عليها».

«هذه سخافة...»

«كانت الكلمات هنا، وها قد اختفت. أين تذهب الكلمات
الضائعة؟»

«وأنى لي أن أعرف؟»

«لأنه عملك»، كان يوجه تعليقاته إلى السقف، ثم أدار وجهه إليها. «أنت كاتبة».

ربما كان هذا أقصى شيء قاله.

صرخت «لكني لست كذلك!»، وعلا صوتها المتوجع لينافس الريح. «كنت كاتبة، ولم أعد كذلك! الكلمات ليست موجودة....»
«هممم. ربما حاولت كثيرًا، أو لم تبحثي في المكان المناسب».
«ما قصدك؟»

«ربما كانت هنا».

«هنا؟»

«ولم لا؟»، نظر إلى السقف. «فكري في الأمر. من أين تأتي الكلمات؟ تأتي من الأموات. نحن نرثها، نستعيرها، نستخدمها لبعض الوقت لنعيد الموتى إلى الحياة». انقلب على جنبه واتكأ على ذراعه. «آمن قدماء الإغريق بأن المرء حين يقرأ جهرًا، فالموتى هم من يستعيرون لسانه بغية أن يتكلموا من جديد».
حرك جسده الطويل من فوقها، ومد يده إلى قنديل الزيت على الطاولة الجانبية. ظلل بيده المدخنة الزجاجية الطويلة ونفخ على اللهب، وللحظة فقط طوق الضوء الساطع من الأسفل إلى وجهه محجري عينيه في ظلال نحيلة. «جزيرة الموتى. أي مكان أفضل للبحث عن الكلمات الضائعة؟»

«إنك تثير خوفي...»

ضحك ونفخ في قمع المدخنة. أظلمت الغرفة وارتفعت الروائح الحامضة من الكيروسين والدخان مثل مخلفات شبخية.
همس «أحلام سعيدة».

ماذا لو سافرت بعيداً في أحلامي فلا أستطيع العودة في الوقت المناسب لأستيقظ؟
«سأتي وأحضرك».

ما شكل الفراق؟ جدار؟ موجة؟ سطح مائي؟ تموج ضوء أو لمعان جزيئات دون ذرية تتفرق؟ وكيف يبدو اختراقه؟ تحسست أصابعها السطح الصخري لحلمها، تميز تماسك الخيوط الرفيعة وتعرف أنها ورقة تكاد تتمزق، لكن الذكرى الليفية ما زالت ماثلة هناك، لدنة حيوية منتصبة القامة. كانت الشجرة ماضياً والورقة حاضراً، ورغم ذلك لا تزال الورقة تتذكر الحفاظ على استقامتها وتماسكها. كحلم، تتذكر نسفها.

لكنها تمسك حافتها، تدفع حتى تسقط الألياف، كالقلب على نصل الفأس، كالجلد على السكين...

تتفرق الأغصان، كاشفة عن درب يتعرج ويتلوى، ويضيق ويضيق، آخذاً إيها إلى غابة شديدة الكثافة. توقف المطر، وصرار الليل يسقسق. وشذى بخور المعبد والأرز والصندل يتلكأ في الهواء.

يلفت نظرها شيء بعيد وسط الأوراق؛ تكوين صورة، شكل، قوام؟ يصعب القول. يطير من فرع إلى فرع. عصفور؟ تماسك البكسلات وتظلم وتذوب الصورة. تتعب بحثاً عنها ثم تتذكر. ربما كنت تتعبين في المحاولة، فتتوقف عن المحاولة.

يصل العقل أحياناً والكلمات لا تصل.

تصل الكلمات أحياناً والعقل لا يصل.

من أين تأتي هذه الكلمات؟ تتوقف عن المشي أيضاً. تجلس على أرض الغابة الكثيفة على الجذور العملاقة لأشجار الأرز. يشكل دبال الطحالب مخدة تحتها، باردة ندية، لكنها مريحة. تقاطع رجليها.

يصل العقل والكلمات أحياناً.

أحياناً لا يصل لا العقل ولا الكلمات.

ينزل عنكبوت في خيط فضي من غصن شجرة فوقها. يحرك نسيم هادئ أعالي الأشجار. يتشبث الندى والمطر بالأوراق والسراخس في الطبقة السفلى. كل قطرة تحمل في داخلها قمراً صغيراً ساطعاً.

العقل والكلمات كائنات زمنية. الوصول واللاوصول كائنات زمنية.

يتحرك شيء في محيط رؤيتها. تدير رأسها فتري كعباً. الكعب مغطى بجورب داكن، وبجانبه آخر، كعب مماثل يتدلى متراً أو نحوه فوق زوج من الأحذية الرخيصة، التي تركت مرتبة بمحاذاة حزمة من الطحالب الخضراء بلون الزمرد. ترفع نظرها إلى الجثث الصامتة المتدلية في الظلال من أغصان الشجر وتعرف أن هذا خطأ، لكنها لا تستطيع النهوض والجري بعد الآن. جسدها ثقيل عاجز كالرجال المشنوقين، يدورون ببطء في تيارات الهواء الكثيفة كالجليد.

أم أنه ماء؟ أجل، إنها تسبح الآن. تشعر بالبرد وتسبح والبحر أسود وكثيف تملؤه الأنقاض. تبدأ بالفوص وتتغلق عليها طبقة الرواسب الطينية.

تصدر الأصوات وتتفرق، تلتحم وتتمايز. تتألاً الكلمات، غيمة مسرعة من أمواج سمك المنوة الصغير تحت سطح الماء. لا تصاد. نناممًا في غرفة كبيرة قراهدين في صفوف كائنات أسماك صغيرة علق تلتجف⁽¹⁾ ...

لكن شيئاً أصاب الكلمات مع الزمن - تتوانى المقاطع ترفض الانقشاع أو السقوط في الصمت- ثمة حشد من الأصوات الآن، كسيارات تتصادم على الطريق السريع، تحول المعنى إلى نشاز، وقبل أن تدرك تضاعف الضوضاء، بلا كلمات وبلا صوت وبصرخة تعلو من حنجرتها وتستمر إلى الأبد. يتضخم الوقت، يغمرها. تحاول ألا تهلع، تحاول أن تسترخي وترخي قبضتها، تقوم حاسة التوتر والهرب. ولكن أين تذهب؟ تتذكر مصعد جيكو. عندما يبدو الأعلى فوق، يكون الفوق تحت... ولكن لا فوق، ولا تحت، ولا داخل، ولا خارج، لا أمام ولا خلف. لكن هذه موجة باردة ساحقة، هذه السلسلة التي لا اسم لها من النشوء والذوبان. بلا أرض تحتها، تصارع للوصول إلى السطح.

تتراكب المشاعر على أطرافها كالأمواج على الرمال. تمد جيكو نظارتها، وتأخذها روث وتضعها لأنها تعرف لزوم هذا. تلتطخ العدسات المغمبشة العالم، عندما تتدفق فيها شذرات من ماضي الراهبة المعجوز، صور طيفية وروائح وأصوات؛ شهقة امرأة شنقت بتهمة الخيانة عندما تكسر عنقها الأنشوطه؛ صرخة فتاة يافعة حدادًا، طعم دم الابن والسن المكسورة، زهم مدينة أغرقتها

(1) ننام ممًا في غرفة كبيرة قراهدين في صفوف كائنات أسماك صغيرة علق تلتجف

النيران، غيمة الفطر، موكب من الدمى تحت المطر. تتابها
الحيرة لحظة. الكلمات موجودة عند أناملها، تتحسس أشكالها،
وتمسكها وتخرجها، لكنها تعرف أيضًا أنها لن تستطيع المكوث
أكثر. في جزيء من الثانية، تتخذ قرارها وتفتح قبضة عقلها
وتطلق سراحها. لا يمكنها التثبث بماضي الراهبة المعجوز وتجذ
آن في الوقت نفسه.

آن، تقول في نفسها. آن، الآن، لاااااا....

يبتعد السمك مشقلاً ذيله لكنها تتبعه، بإصرار، تتحرك
ذراعاها وساقاها في الماء على إيقاع موسيقى بعيدة، مثل
سباحة توقيعية في بكرة فيلم قديم، حتى يجتاحها الإنهاك، يكسر
العالم إلى رسم متعدد الألوان من أشكال دقيقة -أغصان متعددة
وموجات متألئة- تدور وتعيد ترتيب نفسها في غرفة ذات مرايا
فيها سرير مدور وغطاء من جلد حمار الوحش. تقول في نفسها
جيد، لا بد أنني أقترب. تبحث عن آن في المرأة، مكان منطقي،
لكنها لا ترى إلا صورتها التي لا تميزها.

تسال «من أنت؟».

تتظر صورتها إليها وترفع كتفها، فيتموج سطح المرأة كالبحيرة
إن سقط حجر في مائها. تختفي الموجات، ويحل مكان صورتها
صورة أخرى، مختلفة قليلاً ولا تعرفها أيضاً.

تسأل «هل أعرفك؟»

«هل أعرفك؟» تحاكيها صورتها بلا كلمات.

«ماذا تفعلين هنا؟»

ماذا تفعلين هنا؟ تردد صورتها بلا صوت.

ترد صورتها بفتح فكها، يفغر فمها، أحمر كالدم، يرّيل، فوهة مريعة. عندما يشق ابتسامة، ترتعش الأرض، ومن داخل حنجرتها الشبيهة بالنفق ينبثق لسان مشعّب طويل، يرتفع ويتلوى كأفعى توشك أن تلدغ.

تصرخ «توقفي!»، ثم تلاحظ فتاة يافعة، تقف خلفها في المرأة. الفتاة عارية إلا من قميص رجل تلبسه مفتوح الأزرار. تتدلى ربطة عنق مرتخية حول الياقة. تتلاقى أعينهما، وتبدأ الفتاة تزرر القميص، وعندما تلتفت روّث تختفي الفتاة ويكون فراش جلد حمار الوحش خاليًا.

لا تتخذي! تعوي صورتها عندما تنفجر الغرفة في دوامة من المرايا والضوء.

تصرخ «انتظري!»، لكن أطرافها تبدأ في الذوبان في السطوع المضيء، فتري بزاوية عينها شيئاً سريعاً وأسود، هوة أشبه بالعدم. تحبس أنفاسها وتنتظر، ولا تجرؤ على الالتفات والنظر إليه مباشرة. تأخذ الهوة السوداء الصغيرة بالتجمل عندما تتحد بكسلاتها، ثم تسمع نعيقاً خافتاً مألوفاً.

غراب؟

تلوح كلمة في الأفق، سوداء في الضوء الذي لا يحتمل، وعندما تقترب تأخذ في الدوران والالتفاف اللولبي، مطيلة رأس حرف غ لتخلق جبيناً ومنقاراً مفتوحاً، وتمدّ حرف ل لتكون الظهر، وتدور طرفي ب لتكون البطن الناعم، وحرف ر للجناحين المبسوطين

الذين يرفرف بهما مرة، اثنتين، ثلاثاً، ثم يبدأ الطيران، مكتمل
الريش.



هذا غراب الأدغال قادم لإنقاذها! تتمالك نفسها من جديد
وتتبعه في طيرانه من غصن إلى غصن، لكنها على الأرض والأرض
وعرة. عندما تبطئ أو تتعثّر، يتوقف غراب الأدغال لينتظرها،
مميلاً رأسه ومراقباً إياها بعين خرزية سوداء. كأنه يقودها إلى
مكان ما. تسمع السيارات من بعيد، ترتقي صعدة صخرية، وتجد
نفسها في متنزه مدينة ممتدة، يطل على بحيرة واسعة، نمت على
ضفافها أزهار اللوتس والأسل ولكن الوسط خالٍ. إنه الفسق،
ولكن قوارب صغيرة بألوان الباستيل لها شكل طيور التم طويلة
الأعناق، ما زالت تقطع الماء الرقراق، تاركة لطحاً من الزهري
والأزرق والأصفر في أعقابها المتذبذبة على شكل V. يطوق
البحيرة درب عريض من الأسفلت، تتخلله مقاعد حجرية تتباعد
في مسافات متساوية كالأرقام في الساعة.

يجلس رجل على أحد المقاعد، تحت شجرة صفصاف باكية،
يطعم سرياً وضيئاً من الغريبان التي ترفرف وتتبختر وتتسابق

من أجل الخبز. يحط غراب عند قدمي الرجل، مفرقًا الآخرين ومثيرًا غيمة صغيرة من الغبار. تتبعه وتجلس على المقعد بجوار الرجل.

يعتدل ثم يحني رأسه في تحية مترددة ويسأل «أأنت من أنتظرها؟»

تجيبه «لا أدري». وتتظر إليه جيدًا. إنه رجل في منتصف العمر يلبس بدلة زرقاء لامعة، لكن المساء دافئ وقد خلع سترته وطواها بعناية، واضعًا إياها على ظهر المقعد. يلبس قميصًا رسميًا أبيض قصير الكمين وربطة فراشة.

«هل أنت عضوة؟»

«عضوة؟»

«في نادي...؟»

«لا أظن ذلك.»

«أوه». ترتسم على وجهه الخيبة، وينظر إلى ساعته.

تلاحظ كيس التسوق عند قدميه.

تسأله «فحم حجري؟»، وتراه ينكمش خائفًا. «وقت غريب من السنة للشواء». تمد نظرها إلى القوارب ذات ألوان الباستيل العائمة في البحيرة. لها أعناق طويلة جميلة، على هيئة علامة استفهام، وأعين تم عاطفية.

يتحنج الرجل، كأن شيئًا عالقًا فيها. «أأنت متأكدة من أنك لست من أنتظرها؟»

«كل التأكيد.»

«لعلك هنا للقاء أحدهم أيضًا؟»

«نعم. أنا هنا للقائك».

«أنا؟»

«أجل. أنت هاروكي #2، صحيح؟»

ينظر إليها «كيف تعرفيني؟»

«أخبرتني ابنتك»، إنها معتمدة على حدس وجناح وصلاة.

«آنزوة؟»

«نعم. هي، إه قالت إنك قد تكون هنا».

«حقاً؟»

«نعم. أرادتني أن أوصل لك رسالة».

يساوره الشك «كيف تعرفين ابنتي؟»

تقول وهي تفكر سريعاً «لا أعرفها. أعني... أصدقاء

بالمراسلة».

فيعابنها ويقول صراحة «ولكنك كبيرة على أن تكوني صديقتها

بالمراسلة».

«شكراً جزيلاً».

يبدأ كلامه «لم أقصد...»، ثم تخطر له فكرة أخرى. «هل

التقيتها على الشبكة؟ هل أنت من متعوبي الإنترنت؟»

«كلا طبعاً».

يقول مرتاحاً. «أوه، جيد. الإنترنت كرسي مرحاض. اعذري

لغتي»، ورمى للغريان قطعة صغيرة من الخبز، عندما يتحول

انتباهه إلى الداخل. «لم يخطر لنا أن الأمر سيصبح هكذا...»

يراقبان الطيور تتنازع على الخبز.

«لا بأس. الحقيقة أنني صادفتها تمشي على الشاطئ بعد العاصفة».

يقول هازًا رأسه «أوه. جيد. يجب أن تقضي وقتًا أكبر في الهواء الطلق. اعتدنا الذهاب إلى الشاطئ كثيرًا أيام إقامتنا في كاليفورنيا. أقلق عليها. فقد تسربت كما تعرفين».

«من المدرسة؟»

يهز رأسه، ويلقي بقطعة أخرى من الخبز للغريان. «لا ألومها صدقًا. لقد تعرضت للتمر، وكانوا ينشرون على الإنترنت أشياء فضيحة عنها».

يتهد ويدلي رأسه. «أنا مبرمج، ولكن ليس في يدي شيء. الأشياء تبقى بعد نشرها، أتعرفين؟ تتبعك ولا تختفي».

«الحقيقة أنني تعرضت لتجربة معاكسة. أحيانًا أبحث عن الشيء، وأجد ما أبحث عنه من معلومات لحظة، ثم تختفي، بوف!»

«بوف؟»

«تمحى. تلمس. بهذه البساطة»، تفرقع بأصابعها.

قال «تمحى. همم. من أين تحصلين على هذه النتائج؟»

«معظمها من الجزيرة التي أعيش فيها. نحن متخلفون قليلًا، واتصالنا بالعالم متزعزع».

رفع حاجبيه وقال «هذه فكرة مثيرة. لطالما وجدت الزمن متزعزعًا».

كان الجلوس على مقعد المتنزّه والتحدث إليه لطيفًا، ولكن تشنّجًا مفاجئًا في دماغها ينبئها بأن الوقت يكاد ينفد. فتتفض

نفسها وتحاول التركيز. «أتود سماع رسالة ابنتك أم لا؟»

تراه يجفل، ثم يهز رأسه. «طبعًا».

«طيب». تستدير على المقعد لتواجهه، حتى يعرف أنها جادة.

«تقول أن أخبرك بألا تفعلها أرجوك».

يسأل «لا أفعل ماذا؟»

تشير إلى كيس التسوق عند قدميه.

تتبع نظرته إصبعها، فتتهدل كتفاه. «أوه، هذا».

تقول بحزم «نعم، هذا. إنها قلقة عليك كما تعرف».

«حقًا؟» يرتسم لمعان ضئيل لانفعال ما على وجهه، لكنه يموت

سريعًا. «ولهذا السبب الأفضل أن أمضي قدمًا فيه، يمكنها أن

تعيش حياتها».

يغضبها جوابه. «اعذرني من فضلك لما سأقوله ولكن لا يجدر

بك أن تكون أنانيًا».

يبدو مدهوشًا. «أنانيًا؟»

«طبعًا. إنها ابنتك. وهي تحبك. ما شعورها في ظنك إن تخلت

عنها؟ هذا أمر لن تتجاوزه. وهي تعرف ما أنت عازم عليه، وإذا

مضيت فيه فهي عازمة على قتل نفسها أيضًا».

يميل إلى الأمام، واضعًا مرفقيه على ركبتيه ومغطيًا وجهه

بيديه. الياقة البيضاء لقميصه مبتلة من العرق وتستطيع أن ترى

حدود القميص التحتي الذي لا أكمام له خلال القماش. يتحرك

لوحا كتفيه كالجناحين في عصفور فقس من البيضة لتوه، نحيلين

متشجنين، ولا نفع كبير لهما.

يسأل من بين أصابعه «هل تصدقين أن هذا حقيقي؟»

«نعم، أنا متأكدة. هي أخبرتني. إنها عازمة على قتل نفسها، وأنت الوحيد القادر على منعها. إنها بحاجة إليك، ونحن بحاجة إليها».

يهز رأسه ببطء من جانب إلى جانب، ثم يفرك وجهه بيديه. ينظر إلى البحيرة. يجلسان وقتاً طويلاً، يراقبان القوارب المفرحة. ويتكلم أخيراً.

يقول «لا أفهم. ولكن إذا كان ما تقولينه حقيقي، فلن أجازف. سأعود إلى البيت وأتكلم معها...»

«ليست في البيت. إنها في موقف الحافلات في سندي، تحاول الوصول إلى المعبد، فجدتك تُ...»

«نعم؟»، ينظر إليها مترقباً، لكن القلق يرتسم على وجهه بسرعة، فيسأل «هل أنت بخير؟ أنت شاحبة».

عندها الكثير مما تخبره به لكن الكلمات لا تخرج. دماغها يتقلص، ووقتها يكاد ينفد، ولكن لا يزال عليها فعل شيء آخر، لو أنها تستطيع تذكره. تقف فتغمرها موجة من الدوار. تتعق الغريان المشعة عند قدميها وتتنازع مطالبة بمزيد من الطعام. تنظر حولها بحثاً عن غراب الأدغال الذي اختفى.

تتادي «غراب!»، عندما تفشل الجاذبية ويحررها العالم من عناقه، وهو يמיד تحتها، بينما تسقط أرضاً.

عاصفة من البتلات المقمرة. مقبرة معبد في الليل. الريح تسوط أشجار الكرز القديمة، تجرد أغصانها من الزهور وتملأ الظلام بفوضى شاحبة من الأزهار التي تدوم حول كتفيها وتستقر على شواهد قبور قديمة. الألواح الخشبية التذكارية

تصطك وتقرر كأسنان متعفنة لأشباح، وفي الريح تسمع صوتًا، وهو ليس صوتًا تمامًا، بل أثر. كأنه يقول «عندما يكاد القمر يكتمل.....»، هذا الصوت الذي ليس بصوت، بل نسيم مسكون في عنق زجاجة فارغة. تسأل لماذا هنا؟ تتظر فتدرك أنها تحمل دفتر الإنشاء القديم في يديها، ملفوفًا بعناية بورق مشمع مجعد، فتتذكر فجأة. تعرف طريقها خلال نواحي المعبد إلى المذبح في المكتب. تعرف مكان الصندوق، مرفوعًا على الرف، ولا تستغرق وقتًا في حلّ القماش الأبيض ورفع الغطاء، ودس رزمة الدفتر فيه. تسمع صوتًا وترفع نظرها لتجد الراهبة العجوز واقفة بالباب تراقبها. خلفها الحديقة. تلبس ثوبًا أسود، وعندما تمد ذراعيها لتطوي العالم، ينتفخ كمّاه الطويلان. يغدوان أطول وأعرض حتى يصبحا متراميين كسماء الليل، وعندما يصبحان كبيرين يطوقان كل شيء، تسترخي روث وتسقط بين ذراعيها، في صمت، في عتمة.

-6-

انتهت العاصفة في الليل، وفي الضوء البارد للنهار، وقفت عند منضدة المطبخ، تنتظر غليان الماء لإعداد الشاي. كان الوقت متأخرًا، لم يزل صباحًا فعليًا لكنه أقرب إلى الظهيرة. استيقظ أولهر قبلها وخرج ليرى كم شجرة سقطت، ويتأكد من عودة پستو، لكنه عاد وجلس في المطبخ على مقعد قرب المنضدة، في مكانه المعتاد حين يكون القط في حجره. كان يشرب الشاي ويتفقد بريده الإلكتروني على هاتفه، بينما حاولت روث إخباره عن حلمها. كأن القط موجود معه هناك، ولكن بصورة غياب

فقط، هوة لها شكل القط.

قالت «لم أجد كلماتها. بحثت وبحثت، لكني لم أجدها. عدت صفر اليدين»، ومدت أصابعها وتأملت راحتي يديها العاجزتين. «لكنك حاولت على الأقل».

فار الماء وملأت الإبريق. «في الحقيقة شعرت في لحظة ما أن عندي شيئاً، هنا في أناملبي، لكني أدركت عندها أنها قصة جيكو وليست قصة آن، فتخلّيت عنها. لم أرد أن يتشتت ذهني، تفهمني؟»

هز أولفر رأسه. فهو يعرف تشتت الذهن جيداً. سمعت طنين إرسال رسالة، فأنزل هاتفه ورشف شايه البارد.

قال حزينا «يسألني الأصدقاء في الهيلستوسيني متى سيكون بحثي جاهزاً للتقديم. كان علي الانتهاء منه. لماذا لا أستطيع التركيز؟ ولماذا هم في عجلة من أمرهم؟»

كان السؤال خطائياً، لذا لم تكثرث للرد. زادت شايه وسكبت لنفسها كوباً، وقالت «لم أجد من الكلمات إلا كلمات هاروكي. كلماته المكتوبة في المذكرات الفرنسية، ولكننا قرأنا هذه سلفاً، فتركناها».

«هذا عيب الهيلستوسيني. متعجلين دائماً. يريدون كل شيء الباردة».

«وضعتها في صندوق رفاته قبل أن أستيقظ. أظنه أفضل ما يفعل».

«لكنه ليس خطأهم. أعرف ذلك، إنه خطئي. لا يمكنني التركيز من غير بستو».

«هل سمعت كلمة مما قلت؟»

نظر إليها وقال «سمعتك طبعًا. هذا حلم. هل تفقدت
المذكرات؟»

أنزلت شايها وقالت «أوه، هل تظن أن عليّ ذلك؟»

الجزء الرابع

الكتاب مقبرة كبيرة لا يمكن للمرء أن يقرأ الأسماء الدارسة على شواهدها. من ناحية أخرى، يتذكر المرء أحياناً الاسم جيداً، دون أن يعرف إذا ما كان أي شيء يخص الكائن، الذي عرف اسمه، يبقى حياً في هذه الصفحات.

مارسيل پروست، الزمن المستعاد

ألا تزال هنا؟

لن ألومك إذا تخلّيت عني هذه المرة. أعني، أنا تخلّيت عن نفسي، صحيح؟ فلماذا يخطر لي أنك ستبقى؟ ولكن إن فعلت، وإن كنت لا تزال هنا (وأرجو هذا صدقًا) فأود شكرك على أنك لم تفقد إيمانك بي.

أين كنا؟ أوه، صحيح. كنت أجلس على المقعد في الموقف، أنتظر الحافلة لتأخذني إلى المعبد لأشهد موت عجوزي جيكو، وكان رجل مسن يلبس بدلة جري يكنس البتلات من الرصيف، وكلب أبيض قذر يلحق خصيته، والمدير يفتح أبواب المحطة. بدأ أوائل المسافرين يتوافدون، ثم توقف قطار، ونزل منه بعض الركاب، مثلما ترى في أي محطة قطار صغيرة في الصباح الباكر. لا شيء مميز، صحيح؟ ولكن بعد بضع دقائق، خرج مدير المحطة من جديد ومعه رجل يلبس بدلة، وأجال نظره ولمحني وأشار إليّ. انحنى الرجل الواقف معه يشكره، وعندما اعتدل رأيت أنه أبي.

لا أصدق. حسبته ميتًا. كنت أتحاشى التفكير لأنني كلما فكرت أتخيله في سيارة في مكان من الغابة مع أصدقاء نادي الانتحار، يختنقون ويستمعون إلى نك دريك.

لكنه ليس ميتًا. سار نحوي، وأدّرت وجهي بسرعة وتظاهرت أنني لم أره. وصل إلى مقعدي ووقف وأنا أراقب الكلب يحك من

البراغيث. عرف أنني عرفت أنه هنا، ولكن ليس عندنا كلام كثير
نتبادلّه، والحوار، عندما بدأ أخيرًا، كان تافهًا وسار على النحو
الآتي:

«مرحبًا».

«مرحبًا».

«هل أنت هنا منذ زمن طويل؟»

«حقًا؟ طوال الليل».

«أوه».

«هل تمانعين جلوسي؟»

«لا يهم».

تتحيت قليلًا لأفسح له لأنني لم أرد أن ألمسه. جلس، ونظرنا

إلى الكلب سويًا حتى فرغ من الحكاك وابتعد.

«هل جئت لرؤية أوباشاما؟»

هززت رأسي إيجابًا.

«هل هي مريضة؟»

هززت رأسي إيجابًا.

«هل هي تحتضر؟»

هززت رأسي إيجابًا.

«لماذا لم تخبريني؟»

ضحكت، لكنها ليست ها ها، بل ضحكة آه صحيح وأي فائدة

سنجنيها من هذا؟

فهم مقصدي ولم يقل شيئًا.

جاءت الحافلة من المنعطف، فوقفنا. كنا الراكبين الوحيدين، لكننا اصطففنا بتهذيب على أي حال، أنا في المقدمة وأبي خلفي، كأننا غريبان. عندما توقفت الحافلة قلت: «حسبتك ميتاً».

بدا الأمر كالتكلم إلى جانب الحافلة، ولا أدري إذا سمعني. كانت الكلمات في رأسي وتسريت خارج فمي قبل أن أمنعها. لم أرغب صدقاً في خوض هذا الحديث معه، فشعرت بالارتياح عندما لم يجبني. انفتحت أبواب الحافلة وركبنا. دفع أبي ثمن تذكرتينا، وذهبت إلى آخر الحافلة وجلست، وتبعني. تردد لحظة، لكنه جلس بجواري. وزفر زفرة كبيرة، كأننا أنجزنا شيئاً مهماً، ومد يده وربّت على يدي. «لا. لم أمت بعد».

وصلنا المعبد، وكانت جيكو العجوز على قيد الحياة ولكن حولها أناساً كثيرين ينتظرون موتها. بعضهم من الدانكا وبضع راهبات وكهنة بل مراسلون صحفيون جاؤوا لشهرتها الصغيرة بسبب عمرها المديد.

كنا عائلتها، لذا عوملنا معاملة مميزة ودخلنا لرؤيتها. أخذتنا موجي. كانت جيكو العجوز ترقد على حشيتها. بدت ضئيلة كأنها طفل معمر. بشرتها شبه شفافة، وتحتها تظهر العظام الجميلة المدورة لوجنتيها. كانت تحديق إلى السقف، وعندما جثوت بجانبها وأخذت يدها، أدارت رأسها ونظرت إليّ من خلال الأزهار الزرقاء الحليبية للفراغ.

«يوكاتا. ما ني آتا ني⁽¹⁾».

كانت أصابعها كأعواد رفيعة يابسة لكنها ساخنة. كأنني شعرت بها تعصر يدي بأصابعها الحارة. لم تخرج أي كلمة من فمي، لأنني كنت أتجنب البكاء. أ يوجد ما يقال؟ عرفت أنني أحببتها. لا تحتاج أحياناً إلى الكلمات لتقول ما في قلبك.

لكن عندها شيئاً أرادت قوله لنا. أظنها كانت تنتظر. رفعت ذراعيها وحاولت جاهدة لتهض من رقدتها. حاولت مساعدتها، لكن جسدها ليس إلا عظاماً في كيس جلدي، وخفت أن أؤذيها. قالت هامسة «موجي».

موجي هنا، وأبي كذلك.

قالت موجي تتوسل «سينسي. ارقدي أرجوك. ليس عليك...». لكن جيكو العجوز أصرت. أرادت أن تجلس السيذا⁽²⁾، فاضطروا إلى رفعها من تحت إبطيها لتجلس على ركبتها، وصدقاً خطر لي أن ذراعيها ستدخلان أو أن الجهد سيقتلها. أنت تدرك صعوبة الأمر، لكنهم استطاعوا تثبيتها وتقويمها. عدلت موجي ياققتها. وجلست العجوز جيكو لبعض الوقت مغمضة العينين، تستعيد توازنها، ورفعت يدها. عرفت موجي. فقد أعدت فرشاة وحبراً على طاولة صغيرة سلفاً، ونقلتها قريباً من حشية جيكو ووضعتها أمامها بحذر.

إذا كنت لا تعرف ما يحدث، فهذا تقليد قديم متبع بين معلمي الزن ليكتبوا قصيدة أخيرة على فراش الموت، فلم يكن هذا

(1) أنا سعيدة... لقد وصلت في الوقت المناسب. (الكاتبة)

(2) 正座 وضعية الركوع الرسمية. (الكاتبة)

الأمر بالغريب كما يبدو، لكنه أثار خوفي لأنني أقسم إنها ستلطف نفسها الأخير في لحظة، ثم في اللحظة التالية أراها تجلس في فراشها وتحمل في يدها فرشاة.

ظلت مغمضة العينين بينما موجي تجهز كل شيء، وهي تضع صفحة بيضاء نظيفة من ورق الأرز على الطاولة أمامها ثم تطحن الحبر بحذر على حجر الحبر. بعدما فرغت أعادت وضع عصا الحبر في حاملها وانحنت.

«هاي، سنسي. دوزو...»⁽¹⁾.

فتحت جيكو عينيها عندئذ. غمست الفرشاة في الحبر الثخين الأسود، وخبطتها وضغطتها على حجر الحبر بخفة كأن عندها كل الوقت في العالم، وهذا صحيح لأن الوقت أبطأ ليمنحها الدقائق التي احتاجتها. واحترامًا لجهد العظم وقدرتها الخارقة على إبطاء الوقت، جلسنا كلنا أكثر استقامة -أنا وأبي نركع أمامها، وموجي على أحد جانبيها- وعم السكون في الغرفة إلا من صوت العصر والضرب. ولما غدا رأس الفرشاة مناسبًا، أخذت جيكو العجوز نفسًا عميقًا وحبسته فوق الورقة البيضاء. كانت يداها بلا حراك. أخذت قطرة من الحبر الأسود تتنفخ في رأس الفرشاة، وقبل سقوطها، هوت الفرشاة مثل طائر أسود يقطع سماء رمادية شاحبة، وفي لحظة كان على الصفحة خمسة شطوب رطبة. لم تكن قصيدة، بل رمزًا واحدًا.

生

(1) تفضلي يا سنسي أرجوك. (الكاتبة)

خمس ضربات. سي. إكيرو. أن تعيش.
نظرت إليّ وإلى أبي وهي لا تزال تحمل الفرشاة.
قالت «بيان. للزمن الراهن».

يحب كثير من معلمو الزن الموت وهم جالسين الزازن، لكن جيكو العجوز رقدت. لا يهم ذلك، ولا يعني أنها ليست معلمة زن حقيقية. يمكنك أن تكون معلم زن حقيقي وتستلقي، بوذا نفسه مات راقداً، ومسألة الجلوس هذه كلها إضافات ذكورية. مية جيكو العجوز مناسبة جداً. أعادت الفرشاة بعناية إلى حاملها وانقلبت على جانبها الأيمن، مثل شاكاساما. لا تزال ركبتها مشيتين من السيزا ولم تكثر بمردهما. لمس رأسها الأرض فوضعت يدها تحت خدها لتتوسدها وأغمضت عينيها كأنها تستعد لنوم قيلولة. كانت مرتاحة جداً. وأخذت نفساً طويلاً محشرجاً، وآخر، وزفر العالم بكامله معها. ثم توقفت، بهذه البساطة. انتظرنا ولم يحدث شيء آخر. لقد رحلت.

جثت موجي بجوارها وبللت شفيتها بالماتسوغو نو ميزو⁽¹⁾، وانحنيت انحناءات رايباي أمامها، وحذونا حذوها أنا وأبي. ثم قلبوا جسدها الضئيل على ظهرها وعدلوا ركبتها، وأشعلت موجي بخوراً ووضعت قماشاً أبيض فوق وجهها. لقد أعدت المذبح سلفاً بشموع وأعواد بخور وزهور جديدة، وخرجت لتبلغ المنتظرين خارجاً.

(1) 末期の水 ماء اللحظات الأخيرة (الكاتبة).

جلست هناك، أحاول فهم ما حدث. لم أصدق أن جيكو العجوز ميتة، وظللت راغبة في النظر من تحت القماش الأبيض، خشيت أن تختنق تحته، لكن القماش لم يتحرك، فعرفت أنها لا تتنفس. ارتفع خيط البخور الرفيع من رأسه المشتعل إلى عوارض السقف، ولم يتحرك شيء غيره.

ما زال الوقت بطيئاً غريباً، ولم أعرف إن كان الذي يمر دقائق أم ساعات أم أيام. سمعت أشياء مختلفة تجري في أنحاء أخرى من المعبد. كانت حصائر التاتامي تختفي من الغرفة. في النهاية أدخل بعض الرجال حوضاً خشبياً، ملأته موجي بالساكاساميزو، بادئة بالماء بالبارد⁽¹⁾، فالمرء عندما يموت يفعل كل شيء بالمقلوب. امتلأ الحوض فجردت جيكو العجوز من ثيابها بعناية وسألتني إذا كنت أود مساعدتها في غسلها. رأيت قلق أبي عليّ، وقال إنني لست مجبرة، لكنني قلت إنني أريد طبعاً. أعني بعد كل الاغتسال برفقة جيكو وكل المرات التي فركت فيها ظهرها، فإنني أحسن فعل هذا، صحيح؟ كأنني كنت أتمرّن من أجل هذه اللحظة. عرفت تماماً كيف أفرك، ولم يكن غريباً لأنها ميتة. بل الأمر عادي جداً.

بعدها ألبسناها أنا وموجي كيمونو أبيض ناصع خاص خاطته لها موجي دون أن تعقد الخيوط، حتى لا تكون جيكو مربوطة بهذا العالم. وضعنا الكيمونو اليمين فوق اليسار، وهذا عكس الطريق التي يلبس بها الأحياء كيمونو، وأضجعناها ليقابل رأسها الشمال

(1) 逆さ水 ماء مقلوب. المتعارف عليه أن يملأ الحوض بالماء الساخن ثم يضاف البارد (الكاتبه).

بدلاً من الجنوب. وضعت موجي سكيناً صغيراً على صدرها لتساعدتها في قطع ما بقي لها من صلة بالعالم. زهدت جيكو العجوز هكذا اليوم التالي كله، وجاء الدانكا والكهنة وانحنوا لها وشاركوا في جنازتها. ووضعوها في التابوت.

حسبت أني أعرف شيئاً عن الجنائز اليابانية، بسبب الجنازة التي أقامها لي زملائي، لكن جنازة جيكو لم تشبه جنازتي في شيء. كانت مهيبة جداً، وأقيمت في غرفة المزار الرئيسة، وحضرها أناس كثيرون من كل الأنحاء، وكهنة وراهبات من المعابد الكبيرة. ظهرت أمي أخيراً، لائقة تلبس الأسود. وأحضرت بدلة سوداء ليلبسها أبي، وزياً مدرسياً نظيفاً لألبسه. ترنم الكهنة والراهبات سوترات كثيرة وتناوب الجميع على الصعود وإشعال أعواد البخور عند المذبح. كنت الثانية بعد أبي، فشعرت بالتوتر والأهمية. وبعدما تسنى لكل الضيوف الانحناء وإشعال البخور، حان وقت وداع جيكو العجوز قبل أن يدقوا مسامير غطاء التابوت. وضعنا الأزهار معها وأشياء قد تتفهمها في العالم الآخر، مثل كتاب السوترا والخفين ونظارة القراءة وست قطع نقدية ستحتاج إليها لتعبر نهر المعابر الثلاث على جبل الخوف. وخفية عن أنظار الآخرين، وضعت في يدها بعض حلوى ملتي كيسز أيضاً. لا يأخذ معلمو الزن الشوكولاته معهم إلى أرض النقاء عادة، إذ يجب أن يكونوا شديدي الاستقلال عن هذا العالم، لكني أعرف حب جيكو العجوز للشوكولاته، ولم أر في الأمر بأساً. كانت أصابعها عندما لمستها متخشبة وباردة كالثلج. لقد تغيرت كثيراً منذ موتها. اليوم السابق، ونحن نغسلها، شعرت أنها لا تزال موجودة في جسدها،

لكن هذا الجسد فارغ الآن. جراب. كيس من جلد. شيء بارد. ليس جيكو مطلقاً.

أغلقوا الكفن ودقوا المسامير بحجر، وترنم الكهنة والراهبات طوال الوقت. ذكريات لعقت أطراف عقلي، كموجات صغيرة. عدت بذاكرتي إلى جنازتي، وصوت أوغاوا سينسي الحزين والكلمات التي ترنم بها. الشكل هو الفراغ، والفراغ هو الشكل. فهمت المعنى الآن، ففي لحظة كانت جيكو العجوز شكلاً وفي اللحظة التالية لم تعد شكلاً. وتذكرت حفلة الكاروكي التي أقمناها، عندما غنت جيكو العجوز أغنية «حلم مستحيل». بصورة ما ربطت تلك الأغنية بقسمها على إنقاذ كل الكائنات، وإذ شاهدتها راقدة هناك، حزنت عليها لأنها فشلت، وما زال العالم يعج بالمقززين والهيئاتي. وخطر لي أمر آخر، أن فشلها ليس بالأمر المهم، لأنها أخلصت لحلمها المستحيل حتى النهاية. ترى أيشعر قلبها بالسلام والهدوء وهي راقدة لترتاح، أم لا تزال بعض الأمور تقلقها. ترى هل تقلقها حالي. هذه أناية، لكنني تمنيت أنها تقلقها. أعني أن الفشل في إنقاذ الكائنات كلها أمر مهم، ولكنني تمنيت لو أنها انتظرتني. أنا حفيدتها، لكنها لم تفعل، بل مضت قدماً وأخذت المصعد على أي حال.

رحلت، رحلت

رحلت بعيداً...

أنزلنا جثمانها من الجبل في نعش أنيق ونزلنا إلى المحرقة قرب المعبد الأكبر في البلدة. ترنم الكهنة والراهبات ونحن نضع تابوت جيكو العجوز على الصينية المعدنية ثم دفعوها إلى الفرن

كالبيتزا. أغلقت أبواب الفرن، وخشيت فجأة أن تذوب حبات الشوكولاته على الكيمونو الناصع البياض، ولكن فأت الأوان على ذلك. خرجنا لنتنظر، ورأيت الدخان يعلو في سماء زرقاء لا غيم فيها. خرج أبي ووقف معي وأمسك بيدي، ولم أرفض. لم نتكلم أو ما شابه. عندما انتهى الأمر عدنا، فأخرجوا الصينية. لا أثر للشوكولاتة، وكل ما بقي منها هيكل صغير مكسور من العظام البيضاء الدافئة. لا أصدق أنها ضئيلة هكذا.

أخذ رجل المحرقة مطرقة صغيرة وكسر العظام الكبيرة، ووقفنا جميعنا حول الصينية نحمل أعواد طعام خشبية، استخدمناها في رفع القطع. تفعل هذا مع شريك، وكل زوج يحملان عظمًا معًا ويضعانه في مرمدة الجنازة. تبدأ بعظام القدمين صعودًا إلى الرأس، لأنك لا تريدها أن تكون مقلوبة في الخلود. شكلنا فريقًا أنا وأبي، وكنا شديدي الحذر، وشرحت لنا موجي أثناء ذلك مكان كل عظم. أوه، هذا كاحلها. هذا فخذهما. هذا مرفقها. أوه، انظرا هذا النوتوبوكي!

كان الجميع مفرطي السعادة لأن العثور على النوتوبوكي علامة حسنة. قالت موجي إنه أهم العظام، ما نسميه تفاحة آدم بالإنجليزية، ولكنه في اليابانية يعني حنجرة بوذا، لأنه مثلث الشكل ويشبه قليلاً هيئة امرئ يجلس الزازن. إذا وجدت حنجرة بوذا، سيدخل الميت النرفانا ويعود إلى محيط الهدوء الدائم. حنجرة بوذا آخر العظام التي تدخل، ويوضع في الأعلى، ثم تغلق المرمدة.

لم نحتج النعش الكبير من أجل العودة لأن جيكو صغيرة جدًا
أستطيع وضعها في حجري، وهذا ما فعلت طوال طريق العودة
إلى الجبل. وصلنا فدخلنا غرفة جيكو ووضعنا مرمدتها وصورتها
على مذبح العائلة بجوار صورة هاروكي #1.

ذهبت موجي وجلبت رمز جيكو 生 من غرفة المزار الرئيس.
جلبها أحدهم سلفًا لترفع على لفافة أثناء السهر قرب جثمانها،
وعلقها موجي قرب مذبح العائلة، بجوار صورة جيكو المعجوز
الجنائزية. شغل المراسلون بكلمتها الأخيرة، فداروا لسؤال
كل الكهنة رفيعي المستوى من المعابد الكبيرة عن تفسيراتهم
وشروحاتهم المميزة. لم تتفق الآراء. قال بعضهم إنها بداية
قصيدة لم تستطع إنهاءها، وقال آخرون لا، بل إنها جملة كاملة
أظهرت تشبثها بالحياة، فحتى بعد مئة وأربع سنوات، ما زال
فهمها قاصرًا. وخالفهم آخرون الرأي قائلين إن كتابة حياة في
لحظة الموت تبين أنها أدركت أن الحياة والموت واحد، فكانت
متورة كليًا وتحررت من المثوية. والحقيقة أن أحدًا لم يفهم ما
قصده حق الفهم إلا أنا وأبي، وما كنا لنقول.

ذهبت أُمي لمساعدة موجي وسيدات الدانكا الأخريات
لتنظيف المطبخ، وفجأة لم يعد في المكان إلا أنا وأبي، جالسين
أمام مذبح العائلة، وحدنا لأول مرة منذ وجدني في موقف
الحافلات. المكان هادئ حقًا. حتى تلك اللحظة، كان كل شيء
مجنونًا، بوجود الراهبات والكهنة والدانكا والصلوات والترانيم،
والمراسلين يطرحون الأسئلة، ولكن الآن ليس من أحد إلا أنا
وأبي وكل الكلمات التي لم تقل تطوف في المكان كأشباح بيننا.

وكانت الكلمة الوحيدة الكبيرة التي كتبتها جيكو أكثر الأشباح إثارة للخوف.

الأمر غريب بعض الشيء. سمعت من المطبخ همهمة الأصوات البعيدة وصوت إعداد الطعام وطنين الحشرات في الحديقة. إنه الربيع والطقس يعود للدفء.

قال أبي «تري ماذا في داخل الصندوق؟»

أظنه كان يحاول بدء حوار مهذب، لكنه أشار إلى الرف على المذبح، إلى مكان الصندوق الذي يضم رفات هاروكي #1 الذي ليس برفات، وارتحت لسؤاله عن شيء أعرف الإجابة عنه حق المعرفة فأنتهى بي الأمر إلى إخباره بالقصة كلها. صحيح أنه عرف معظمها من قبل، لكنني لم أهتم. كنت فخورة لأنها قصة جميلة، حكتها لي جيكو العجوز، وأنا أحكيها له وأطرد أشباح الكلمات التي لم تقل. فأخبرته عن تجنيد هاروكي #1، والموكب في المطر، وكل شيء عن التدريب والعقوبات والتممر الذي احتمله، ورغم كل ما عاناه من مصاعب، أكمل مهمته الانتحارية بشجاعة، وحلق بطائرتة واستهدف العدو. ولأنه بطل عسكري، أكمل مهمته وأدى واجبه، أرسل الجيش إلى جيكو صندوق الرفات الذي لم يكن فارغاً تماماً.

أوضحت «لم يبق منه شيء، فوضعوا قصاصة ورق في الداخل تقول إيكوتسو. أتود رؤيتها؟»

قال أبي «طبعاً».

ذهبت إلى المذبح وأنزلت الصندوق. رفعت غطاءه ونظرت في الداخل، متوقعة رؤية قصاصة الورق الوحيدة. لكنني وجدت شيئاً آخر. رزمة صغيرة. مددت يدي وأخرجتها.

كانت ملفوفة بقطعة من الورق المشمع الدسم، بقعها العفن وأكلتها الحشرات. وعندما قلبتها تساقطت قطع منها. نفضت الغبار.

سأل أبي «ما هذا؟»

«لا أعرف. لم يكن موجودًا من قبل.»

«افتحيه.»

ففعلت. أزلت الورق الخارجي المزيّن، وحرصت ألا أمزقه. في الداخل كراس نحيف مطوي إلى أرباع. فتحت الصفحة الأولى. كان مليئًا بالكلمات المكتوبة بحبر أزرق باهت، تجري من يسار الصفحة إلى يمينها. وليست أعلى وأسفل كالكتابة اليابانية، إنها مثل الإنجليزية، لكنني لم أفهمها.

«لا أستطيع قراءتها.»

مد أبي يده. «دعيني أراها.»

ناولته الكراس.

«هذه الفرنسية. مثير...»

دهشت. لم أتوقع أنه يعرف شيئًا عن الفرنسية.

مال أبي إلى الأمام، مقلبًا الصفحات الهشة بحذر فقال «أظنها تعود لخالي هاروكي #1. قالت جيكو أوباشاما شيئًا عن يوميات ذات مرة. قالت إن هاروكي يدون يومياته دائمًا، وحسبت أنها ضاعت.»

«كيف وصلت إلى هنا إذن؟»

هز أبي رأسه. «ربما كانت عندها كل الوقت؟»

لم يقنعني هذا فقلت «مستحيل. كانت ستخبرنا.»

«لقد كتب التواريخ. أترين؟ 1944، 1945. كان يخدم في البحرية أثناء ذلك. لماذا كتب بالفرنسية يا ترى؟»

أعرف جواب هذا السؤال أيضًا. فقلت موضحة «هذا آمن. لو عثر عليها المتممرون لما تمكنوا من قراءتها».

«ممم. أنت محقة. مذكرات سرية».

سررت وقلت «خالي هاروكي ذكي حقًا. يتكلم الفرنسية والألمانية والإنجليزية أيضًا». لا أدري ما الذي دعاني إلى التباهي، كأني أنا القادرة على كل هذا.

نظر إلي. «هل نأخذها معنا؟ ألا يراودك الفضول لتعرفي ماذا تقول؟»

بلى طبعًا! وشعرت بالسعادة لأنني أردت حقًا معرفة ما كتبه خالي هاروكي في مذكراته الفرنسية السرية، إلى جانب أننا أنا وأبي لم نفعل شيئًا معًا منذ وقت طويل. نظرت إليه، راکعًا عند المذبح، ينظر في الصفحات ويحاول فهم الفرنسية. فبدأ أبي الدريس العبقري من سالف الأيام، تائهاً سعيدًا في عالم آخر. لكن صورة خروجه من البيت حاملًا كيس التسوق المليء بالفحم برزت في عقلي، واختلج قلبي وامتلاً حزنًا. كنا في منتصف مشروع غير مكتمل سلفًا، مشروعنا الأخير، مشروع انتحارنا.

أحس بأني أراقبه، لأنه رفع نظره وأشحت بسرعة كي لا يرى أنني أحاول تجنب البكاء. رأيت تلك الصورة الحزينة لي ولأبي، جنبًا إلى جنب في مرمدتيينا المغبرتين على مذبح العائلة، ولم يبق أحد ليعتني برفاتنا. لن يطول الوقت على حدوث هذا.

«آن شان؟»

«نعم».

عرفت أن نبرة صوتي وقحة، لكني لم أهتم.
انتظر حتى تأكد أنني أصغي، فتكلم برفق «الأمر مثلما كتبت
الجدة جيكو، يجب أن نبذل قصارى جهدنا!»

رفعت كتفي. أعني، صحيح أن هذا جيد، ولكن كيف أثق به؟
قال كأنه يحدث نفسه «إكيرو شيكا ناي!» ثم نظر وكررها
بإلحاح، بالإنجليزية هذه المرة، كأنه يحرص على أنني فهمت.
«يجب أن نعيش يا آن! ليس لنا خيار. يجب أن نحارب!»
هزرت رأسي، دون أن أجرؤ على التنفس عندما خبطت السمكة
في بطني بذيلها الهائل وتشقبت في الهواء. ثم عادت للدخول
إلى الماء مثيرة ضجة وسبحت مبتعدة. هدا الماء ببطء.
إكيرو شيكا ناي. ستعيش سمكتي، وكذلك أنا وأبي، مثلما
كتبت جيكو العجوز.

عاد أبي إلى القراءة. وكان شيببي شان يموء من الشرفة،
فتنهضت لأدخله. عندما أغلقت الباب المنزلق، اندفع في الفرجة
بين كاحلي كأن أشباح كلاب تطارده من الجحيم. انتصب الشعر
على ظهره، ودخل في أثره نسيم دافئ قادم من الحديقة،
يخشخش الأبواب الورقية في إطاراتها. كأن جيكو تضحك. رفع
أبي نظره عن صفحات يوميات خاله.

«هل قلت شيئاً؟»

هزرت رأسي نفيًا.

غادرت أُمي اليوم التالي لأن عليها العودة إلى العمل، ومكثنا أنا
وأبي لمساعدة موجي في ترتيب متاع جيكو العجوز. لا يعني هذا

أن عندها متاعًا كثيرًا. فلا تكاد تملك شيئًا، إلا الكتب الفلسفية القديمة العائدة إلى هاروكي #1، التي قال أبي إنه سيأخذها. الشيء الوحيد الذي اهتمت به جيكو المعجوز حقًا هو مصير الجفنجي، لكن المعبد لا يخصصها. بل يعود إلى المعبد الرئيس، وما زالوا يرجون بيعه إلى مطور عقاري، ولحسن الحظ انهار سوق العقار بسبب حادثة فقاعة الإنترنت، ونقل القبور سيكون مكلفًا، لذا آثروا الانتظار. هذا يعني أن موجي ستمكن من البقاء، وإن كان هذا مؤقتًا، كما يمكننا إبقاء مذبح العائلة. وعدت موجي أن تعتني به كأنه يخصصها، وهو يخصصها في رأيي بشكل أو بآخر، لأنها مثل خالة، ووعدتها أن أعود إلى المعبد في فصول الصيف وفي مارس من كل عام لأساعدها بصلوات سنوية جيكو. كان ترتيبًا مناسبًا، للوقت الراهن على الأقل.

ليست مقبرة ويلتاون ببعيدة عن مسكنهما، لكن روث لم تتمكن من زيارتها بقدر ما أرادت. وقد زرعت شجرة قرانيا صغيرة بجوار قبر والديها، ولكن الجزيرة أصابها الجفاف في الصيف الأول ونسيت أن تسقيها، ورغم بقاء الشجرة الصغيرة على قيد الحياة، فإنها فقدت بعض أغصانها وتناقص البديع. فاستاءت لذلك.

قالت «آسفة يا أمي»، وهي تستخدم مقشة صغيرة لتتنفض ركام غبار الشتاء والأوراق الميتة عن لوح الفرانيت الصغير الذي نقش عليه اسم أمها. «أنا لست ماهرة في هذا».

لم ترد عليها أمها بطبيعة الحال، لكن روث عرفت أنها ما كانت لتبالي. فلم تكثرث ماساكو بالشعائر، ولا تذكرت أعياد الميلاد ولا احتفلت بالذكرى السنوية، ورأت إجمالاً أن مناسبات كهذه ليست إلا عبثاً. ووافقتها روث عمومًا، ولكن بعد قراءة سرد آن عن جنازة جيكو العجوز، وجدت نفسها تتمنى لو أنها فعلت أكثر لتحثفي بذكرى موت أمها.

كان موتها أمرًا قاتمًا. في آخر سنوات حياتها أصيبت بسرطان الفك السفلي، ولكن حينئذ، ومن غير التعقيدات التي فرضتها إصابتها بالزهايمر، كانت مسنة جدًا وهشة ولن تحتل الجراحة، التي تقتضي إزالة نصف عظم الفك. نصح أخصائي الأورام بالعلاج الإشعاعي التلطيفي، الذي لن يشفيها من السرطان، ولكنه

قد يخفف من آلامها. وهذا ما حدث. تراجع الورم وزالت الآفة، لكنها احتاجت إلى مزيد من الرعاية أكثر مما في وسع روث وأولفر تقديمه في الجزيرة، فنقلها إلى دار رعاية في هكتوريا، حيث قضت السنتين الأخيرتين من حياتها. عاد الورم، فجربوا جولة أخرى من الإشعاع، غير أن أمها هذه المرة لم يعد بها قوة ولا رغبة للتعافي، فدخلت في غيبوبة.

جاء الموت سريعاً. كان الوقت متأخراً في الليل ودار الرعاية هادئة. كانت روث وأولفر بجوارها يقرآن. فتحت أمها عينيها فجأة، عمياء ولا ترى، وحاولت جاهدة أن تجلس. باتت أنفاسها ضعيفة ومتقطعة. حملت روث جسد أمها الصغير المتخشب بين ذراعيها، ولمس أولفر جبينها. فارتخت، واختلج جفناها عندما انسل الضوء من وجهها. تعلق هناك هنيهة، غامضة ولامرئية، ثم لفظت آخر أنفاسها ورحلت.

مكثا معها لبعض الوقت، في صحبتها، تحسباً أن تطيل روحها المقام. أمسكا يديها، وكلمها حتى غدا جسدها بارداً.

حدث هذا ليلة الثلاثاء، وجرى ترميدها يوم الجمعة. مرت عدة أيام، وشغلت روث بمظهر أمها، ولكن عندما اقتيدا إلى غرفة الانتظار في المحرقة حيث سُجِّي جثمان ماساكو تحت ملاء بيضاء في صندوق بني من الورق المقوى، فرحت روث برؤيتها مجدداً. جلبا لها بعضاً من أشياءها المفضلة لتأخذها معها؛ صور ورسائل وبطاقات من الأصدقاء والعائلة، ويطانية منسوجة من فري ستور الذي أحبته جداً، حذاؤها الرياضي وقفازها المفضلان، وبضعة ألواح من الشوكولاتة. تقوياً ليساعدها على

تذكر التواريخ، مبرد أظافر وشريطاً لاصقاً، لوحات بالألوان المائية، وزهوراً. أراد أولفر جلب زهور استوائية من هاواي لأنها نشأت هناك، فجلب زهور طائر النحام من مدينة هيلو [في هاواي] والكورديل الشجيري لجلب الحظ السعيد، والزنجبيل وزهور عصفور الجنة الفاقعة الألوان. ملأ تابوت الورق المقوى وجلسا معها قليلاً بعد، ولما لم يجدا شيئاً آخر يفعلانه قبلها فبلة الوداع. وجدتها روث جميلة المظهر في الصندوق محاطة بأشيائها. مرتاحة. غطى مدير الجنازة الصندوق ودرّجه مساعده إلى حجرة الحرق، محاذياً النقالة بفم الأتون. انفتحت الأبواب وانزلق الصندوق داخلاً، وضغطت روث زر البدء. قال مدير الجنازة إن أمها ضئيلة الحجم، لا تزن إلا أربعة وسبعين رطلاً. لن يستغرق الأمر طويلاً، بضع ساعات، ويمكنهما أخذ رمادها بعد الساعة الثانية.

تجولا في الحديقة التذكارية، المجاورة لدار الجنائز. كان صباحاً جميلاً، خططت فيه الغيوم سماء المحيط الهادي، لكن الشمس تتخللها، وكل شيء ندي ومتلألئ وذهبي. أحاطت بالحديقة أشجار تنوب دوغلاس الكبيرة التي تهواها أمها. تغيرت ألوان كل الأشجار التي تساقطت أوراقها، وكانت أوراقها الصفرة والبرتقالية بديعة أمام الأشجار الصنوبرية الداكنة، وترقط العشب بأوراق متساقطة زاهية. سارا حول البحيرة، يتبعان الدرب حتى تمكنا من رؤية مدخنة المحرقة. راقبا هنيهة، لم ينبعث منها دخان، لكنهما شاهدا عموداً ثخيناً من الضباب الحراري، وهذا ما بقي من جسد أمها وقد صارت هواء. قال أولفر إنها بهذا الشكل

الأثري ستركب الرياح التجارية عائدة إلى مدينة هيلو وتصل بسرعة فائقة. وقالت روث إن أمها ستحب ذلك.

عادا برمادها إلى ويلتاون، وتكلمت روث إلى دورا المسؤولة عن المقبرة أيضاً، بصفتها أمينة السرفي نادي المجتمع.

قالت دورا «لا بأس بدفنها في أي مكان. اختارنا بقعة واحفرا حفرة، ولكن حاولا ألا تتبشا قبر أحد آخر».

«ستكون حفرة صغيرة لرمادها ورماد أبي. لكنني أود زرع شجرة إذا أمكن. قرانيا يابانية. أحب كلاهما القرانيا اليابانية».

قالت دورا «لا بأس في ذلك، ما دامت لن تظلل أحداً آخر. لا تتسي سقايتها».

لم تنم شجرة القرانيا المائلة الصغيرة كثيراً بمرور السنوات منذ موت أمها، لكنها تمكنت من إنبات بضع أزهار كل ربيع، رغم أن لا أحد في الجوار ليراها. لم ترغب والددة روث بجنازة، ولا أبوها أراد. لقد امتد عمرهما أكثر من معظم أصدقائهما، ومنع الموقع النائي للجزيرة الأحياء الباقين من زيارة قبرهما. لكن روث وجدت أحياناً وردة ميتة أو دمية محشوة قرب شاهدة قبر أمها، وهذا يعني أن أحدهم يمر بالقبر. خمنت أن الورود من دورا، لكن الدمى المحشوة حيرتها، رغم أن أمها كانت ستحبها.

قالت روث وهي تكنس شاهدة قبر أبيها لآخر مرة «أرجو أنكما لا تشعمران بالوحدة». أجالت نظرها إلى القبور الأخرى في ارتياب. كان معظم القديمة منها وهادئاً مقعرة، تميزها صلبان خشبية متأكلة. كانت القبور ذوات الشواهد أسهل في تمييزها. وعلى واحدة أو اثنتين من الشواهد القديمة أشكال بحرية، إكراماً

لصيادين وقباطنة ماتوا في البحر. ومُيزت بعض القبور الحديثة بنصب تذكارية بوزية غير مصقولة أو ألواح طوطمية خشبية حفرها هيببون من معتقي الشامانية. ظهرت آثار الاعتناء على بعض القبور، ولكن معظمها مهمل، وتناثرت في الأنحاء قرايين قديمة من قبيل الأصداق والحجارة والشموع الذائبة ومكرميات صائدات الأحلام. وتدلّت راية صلاة تبتية من غصن شجرة أرز. كان مكانًا منعزلًا، ولم تكن والدّة روث لتعترض، وهي المرأة المحبة للعزلة، لكن أباهما يحب الصحبة.

أعادت روث المقلّقة اليدوية إلى حقيبتها الظهرية وأخرجت منجلًا يدويًا صغيرًا، جزت به العشب الميت، وعايّنت شجرة القرانيا. ما زالت مائلة، لكنها كبرت قليلًا. وتشكّلت براعم الأوراق على أطراف الغصينات، وتعهّدت بالعودة في وقت لاحق من الربيع لتراها مزهرة. جلبت معها بعض البخور من جمعية الطعام الصحي المحلية، فأخرجت عودًا من حقيبتها وأشعلته بقداحة. غرسته في التربة، وجلست على الأرض أمام القبور... ماذا ستفعل؟ لم تعرف. ما زالت الأرض ندية من المطر. علا خيط دخان رفيع من رأس عود البخور في الهواء. في الأعلى، كانت السماء زرقاء مخططة بالغيوم العالية. تذكرت جنازة آن المصطنعة وجنازة جيكو الحقيقية وتمنت لو أنها تعرف ترنيمة تغنيها. ما كلماتها؟ رحلت، رحلت، رحلت، بعيدًا تمامًا، متيقظة، متعجلة...

شيء من هذا القبيل.

قالت روث «اليابانيون جادون في أمر الجنائز».

أجابها أولفر «أمك ليست كذلك».

كانا واقفين في الخارج على رصيف المرسى مع موريل، يجربون وصلة عدسات مراقبة الطيور في هاتفه الآيفون. كانت موريل ترجو أن تحظى بنظرة أخرى إلى غراب الأدغال، وأرادت روث من أولفر أن يلتقط صورة ويرسلها، إضافة إلى إحداثيات الموقع، إلى قاعدة بيانات علم المواطنين⁽¹⁾ في مخبر جامعة كورنيل لعلم الطيور.

«أجل. أمي غريبة الأطوار. لم تكن يابانية جداً».

«ولا أنت»، رفع العدسة المكبرة الطويلة، التي وُصلت بالهاتف كفكرة متأخرة، وعاین الشاشة الصغيرة وهو يمسح أغصان شجرة تنوب دوغلاس باسقة. كانت الأشجار داكنة أمام السماء الزرقاء، وهو يحاول ضبط تباين الألوان.

«أعرف. لكني أحاول. كان الذهاب إلى المقبرة جميلاً هذا الصباح. تبدو شجرة القرانيا أقل ميلاناً».

دور الكاميرا على أكمة أرز. «لا بد أن الجذور ثابتة. ستعيش بضع سنوات آخر من الجفاف والإهمال».

ضبط العدسات، محاولاً ضبط البؤرة. جلبت موريل مقرابها عالي التركيز، وعاینت الأغصان وهي تستمع إلى حديثهما.

(1) ويعرف بعلم الجميع وعلم التمهيد الجماعي والعلم المدني والعلم الشبكي وهو البحث العلمي بصورة كاملة أو جزئية- من قبل العلماء الهواة أو غير المختصين، ويمول عادةً بواسطة التمهيد الجماعي والتمويل الجماعي. (المترجمة)

«لا أظن أمك غريبة الأطوار. لقد أحببتها صدقًا. وأحبها كثيرون من أهل الجزيرة. لها أصدقاء هنا، وإن لم تتذكر من يكونون. مؤسف أنك لم تقيمي تأييدًا تذكاريًا، إن لم يكن من أجلها، فمن أجل الآخرين».

«أعرف، أعرف...»

«هل تعلمين أن بنوا يزور قبرها؟ يحضر لها الدمى المحشوة الصغيرة من فري ستور».

لاذت روث بالصمت. موريل على حق من غير شك، كان هذا مؤسفًا. فغيرت الموضوع.

«الحقيقة أنني قصدت أن وجيكو. اليابانيون يهتمون بسنوياتهم. ماتت جيكو العجوز في مارس، صحيح؟ وعدت أن بالعودة إلى معبد جيكو في شهر مارس من كل عام لتساعد في السنوية. يقع المعبد شمال سندي، قرب الساحل ومركز الزلزال، وعلى طريق التسونامي بصورة ما. فالسؤال هو، هل كانت هناك في الحادي عشر من مارس عام 2011؟ أظن الدليل على هذا قويًا جدًا. كانت هناك، وعرفت بقدوم الموجة، فأخذت بعضًا من أكياس موجي البلاستيكية وحشرت فيها أثمن الأشياء؛ يومياتها، ورسائل هاروكي وساعته...»

سأل أولفر «وما المعنى من التفكير في هذا؟ أنت لم تنهي

القراءة بعد».

أنزلت موريل مقربها ونظرت إلى روث مدهوشة. «ألم تنته

من قراءتها؟»

«لا. بقيت بضع صفحات».

هزت موريل رأسها وقالت «لا أفهمك. لو كنت مكانك لجلست وقرأت الشيء اللعين من بدايته إلى نهايته، وعرفت كل ما أستطيع، قبل البحث عن دليل يدعم استنتاجاتي. ما كان لشيء أن يوقفني حتى النهاية».

نظرت روث إلى الغيوم الخفيفة في السماء وفكرت في أحسن رد. فقالت «أعرف ما تقصدين، لكني أحاول التروي. شعرت أنني مدينة بذلك لأن. أردت القراءة بالإيقاع الذي عاشته. يبدو هذا سخيفاً»، وصمتت وهي تتساءل أتكمل أم لا. وقالت أخيراً «ثم تأتي مشكلة النهاية...»

«ما خطب النهاية؟»

«لا شيء. إنها تتغير باستمرار».

«تتغير؟»

«تتقهقر».

قالت موريل «مثير. هلا شرحت».

ف فعلت روث. قالت إنها قلبت اليوميات إلى النهاية لتتأكد أن الكتابة تملأ كل الصفحات، لكن بعض هذه الصفحات غدت بيضاء فجأة، عندما أوشكت على قراءتها. نظرت إلى أولهر ليؤكد ما قالته. فرفع حاجبيه وكففيه.

قالت موريل «غريب. اعدراني على السؤال ولكن هل كنتما

تدخان الحشيش يا جماعة؟»

«كلا طبعاً. تعرفين أننا لا ندخن الحشيش».

«أتأكد فقط». جلست على كرسي المرسى البالي، الذين تأوه

منذراً بالسوء، مما حدا بأولهر إلى النظر إلى الأعلى متوتراً. كان

أثاث المرسى، كالمرسى والبیت كله في حاجة إلى ترميم، وكان دائم الانتظار لانھیار الألواح المتداعية ولسقوط أحدهم منها. قالت موریل وهي تلف جديلتها حول أصبعها. «ما تصفينه مثير. القارئ يواجه الصفحة الفارغة. كحیسة الكاتب، غیر أنها بالعكس».

فكرت روٹ في الأمر. «أتعین أني مصابة بحیسة، لأنی قارئتها، فاختفت كلماتها؟ لا یعجبني ذلك. ثم إنه لا یعقل». «الجزم صعب. الفاعلية مسألة صعبة. عم كانت تكتب عندما غدت الصفحات بیضاء؟»

«كانت تتدارك نفسها. تتدارك الآن في قصتها. كانت تجلس على مقعد في موقف حافلة في سنڊاي، وآخر كلماتها 'أحسب أن هذا معنى الآن'، ثم لا شيء. بیاض. نفدت كلماتها، حتی...» ترددت. كان جزء حلمها أشد غرابة، واحتارت هل تحكي لموریل عنه أم لا، لكن موریل كانت تنظر إليها باهتمام، فوصفت كيف قادها غراب الأدغال إلى مقعد المنتزه في وینو حیث جلس والد آن منتظرًا أقرانه الانتحاريین، وحديثهما عن آن، وسفره إلى سنڊاي للبحث عنها.

«ثم تفقدت الدفتر الصبح التالي، فوجدتها كتبت فصلاً كاملاً جديداً عن موت جيكو العجوز وجنازتها، وتصالحها مع أبيها، ووعدھا لموجي بالعودة إلى المعبد كل مارس». قالت موریل «تبدو هذه نهاية سعيدة».

«ممكن، لولا أني لم أصل إلى النهاية بعد. كلما فتحت اليوميات، وجدت صفحات أكثر. مثلما قلت تستمر النهاية في

التقهقر، كأنها موجة منحسرة. بعيدة المنال. لا أستطيع تداركها». «أغرب وأغرب. عندي نظريتان أخريان. في أساطير السكان الأصليين، تتمتع الغريبان بالقوة. فلنفترض أن غراب الأدغال هو إلفك، حيوانك الطوطمي، كما كان القط عند أولفر». وسكتت والتفتت إلى أولفر. وقالت «آلمني ما حدث لپستو. تعرف أن بنوا فقد كلبه الصغير أيضاً، صحيح؟»

قال باقتضاب، دون أن يلتفت إليها «أجل. هذا محزن». ما زال يرجو عودة پستو سالماً -كان ظهره متصلباً من الأمل- لكن هذا الاحتمال بات غير وارد بمرور الأيام. زفرت موريل زهرة عميقة، وقد قتل قطنّها أسد جبلي، كأن جسدها كله انكمش على الكرسي المتزعزع.

قالت «إنه محزن. أقول لنفسي دائماً إننا محظوظون لعيشنا في نظام بيئي سليم يُقيت الحيوانات المفترسة الكبيرة، لكنني أفتقد إروين». نظرت إلى حجرها، ثم أخذت نفساً عميقاً وتماكت نفسها وقالت «على أي حال. أرى أن الغراب من عالم أن جاء إلى هنا ليقودك في الحلم لتغيري نهاية قصتها. كانت قصتها ستنتهي بصورة، وتدخلت وهذا ما هيأ الظروف لنهاية مختلفة. 'آن' جديد، لم تتداركه آن تماماً».

ارتخت موريل على الكرسي راضية عن نفسها. ضحكت روث. «وتسمين نفسك عالمة إناسة؟» «أنا متقاعدة».

«فهمت. وما نظريتك الثانية؟»

«قد لا تعجبك».

«جربي».

«إنها أقرب إلى نظيرتي في حبسة القارئ. هذا من صنعك. فهي ليست عن حاضر آن، بل حاضرك. لم تتداركي نفسك بعد، حاضر حكايتك، ولن تصلي إلى نهايتها حتى تفعلني».

فكرت روث في هذا وقالت «أنت محقة. لم تعجبني النظرية. لا أحب أن يكون لي هذه الفاعلية في حكاية أحد آخر». ضحكت موريل «قول جميل من روائية!».

بدأت روث بالكلام «أنت لست...»، فقاطعتها أولفر. قال مشيرًا إلى شجرة القيقب «انظروا هناك. على الفصن الأدنى. أليس هذا غرابك؟»

مالت موريل إلى الأمام ورفعت مقرابها وقالت «كأنه غراب الأدغال. طير جميل. ما رأيك؟»، ومررت المقراب لروث. احتاجت روث إلى دقيقة لتبين مكانه وسط الأغصان المتشابكة والخصلات الشاحبة للأشنيات المتدلية، لكنها رآته، جناحًا أسود لامعًا أمام حصيرة خضراء ناضرة من الطحالب. ركزت عدستي المقراب. كان الغراب بعيدًا، لكن تثبيت الصورة مكنها من النظر جيدًا. «نعم إنه هو. أعرفه من المنقار المعقوف. أنا شبه متأكدة».

مط الغراب عنقه وأدار رأسه.

قالت روث «إنه يرانا. يحدق إلينا».

التقط أولفر بضع صور أخرى وقال «ليست صورًا عظيمة، لكنها قد تكون وافية لأغراض تمييز هويته. ليتني ألتقط صورة أفضل».

وجه العدسة من جديد، لكن الغراب عندئذ حذب كتفيه،
وبسط جناحيه وطار.

أنزلت روث المقراب. «أين ذهبت؟»

قالت موريل مشيرة إلى الأعلى «هناك».

ترك الغراب الأغصان وزاد علوًا وهو يطير فوق المرج
باتجاههم. وعندما بات فوقهم، أوقع من براثنه شيئًا. سقط
الفرض الصغير في الهواء وحط على المرسى قرب أقدامهم،
تدحرج قليلًا، واستقر في ثغرة بين لوحين متعنفين.

قالت روث «غريب. ما هذا؟»

قال أولفر منحنيًا لإخراجها «ثمرة. حشرت في الشق».

قالت روث بخيبة «ثمرة؟». ماذا كانت تنتظر؟

جثا أولفر على ركبتيه وقال «كأنها بندقية». وأخرج أدواته
المتعددة الأغراض وأبرز نصلًا. «ربما من آخر شجراتنا الواقعة»،
أخرج الثمرة وقلبها في يده.

نظرت روث إلى الأعلى. كان الغراب يحوم فوقهم، يعلو ويعلو
في كل دورة. فتذكرت قائد غريان هاروكي. «أتظنان أنها تحاول
قذفنا؟»

«أشك في ذلك. تسقط الغريان الثمار والبطلينوس على
الصخور لفلقها».

ما زال الغراب فوقهم، لكنه أعلى وبات نقطة في السماء.
«أتظنين أنها تنتظرنا لنفلقها؟»

قالت موريل «لا يبدو أنها تنتظر. بل كأنها تغادر. ربما كانت
هدية وداع».

قال أولفر مسقطاً الثمرة في يد روث «خذي. إذا كانت ثمرة فهي لك».

قالت وهي تدحرج الشيء الصغير في راحة يدها «يا إلهي، شكرًا. سأحاول ألا آخذ هذا على محمل شخصي».

ما زال أولفر جاثيًا على ركبتيه، يطوي أدواته المتعددة الأغراض، عندما لفت نظره شيء تحت المرسى. بنى البيت على صعدة تل، وامتد المرسى فوق أرض مائلة نحو الأسفل قليلًا، مشكلة تحته حيز دلو ف كبير.

قال «ثمة شيء يتحرك في الأسفل». وانحنى ونظر بين الألواح المتآكلة، واضعًا وجهه على الشق الذي انحشرت فيه الثمرة. «المكان مظلم جدًا. هلا أعطيتني هاتفاً؟»

شغلت روث تطبيق الكشاف في الهاتف وناولته إياه، فوجه الضوء إلى العتمة.

سألته «ما الأمر؟»، لكن أولفر لم يرد. بل نهض وركض في الرواق، وقفز على الدرج، يدوس ويشق طريقه في ليف الأشنات، ثم حبا على يديه وركبتيه واختفى تحت المرسى. من الأعلى، شاهدتا وميض المصباح وهو يتلمس طريقه في التراب، وسمعا صوتًا رقيقًا، شيئًا بين الأنين والصريف، وصوت أولفر ينادي «ماذا تفعل هنا؟»

قالت روث وهي تمسك بذراع موريل «إنه پستو. لقد عاد من الموت».

هوجم القط وأوذي بشدة. وقع الحادث قبل عدة أيام، لأن الجروح التآمت والتهبت. وذيله، الذي افتخر به كثيراً واعتاد رفعه في الهواء، تدلى واهناً، ينجر على الأرض. كان ضامراً وتشابك فرائه من الدم وثخن من التراب وعيناه منطفئتان وبعيدتان، كأنه نكص في أعماق مكان منيع للحيوانات لا يشعر فيه بألم. أخرجه أولفر وأمسكه بينما وجدت روث صندوقاً بطنته بمنشفة. حاول الوقوف عندما وضعاه في الصندوق، لكنه تهاوى في الحال. لم تكن قائمتاه الخلفيتان على ما يرام.

قال أولفر «هذا لا ينذر بخير. والجروح عميقة، وفيها خراج». أخذ نفساً عميقاً ومرر يده على الجزء الخلفي. ولمس أولفر ذيل پستو المجروح، فنهض وحاول أن يكخّ لكنه لم يستطع، فتهأوى على المنشفة.

قال أولفر بنبرة حادة عالية، وبدت كلماته هشة. فاعتدل ووقف بجوار الصندوق، ناظرًا إليه. «إنه يتألم بشدة. قط غبي. لن ينجو منها».

قالت روث «كيف تعرف؟ ربما...».

قال يقاطعها. «لا. انتشر الالتهاب في جسده. علينا أن نريجه».

موريل: «أتود أن أكلّم دورا؟»

روث: «لا. يجب أن نأخذه إلى المدينة. نعرضه على طبيب

بيطري».

قال أولفر وابتعد ليقف عند حاجز المرسى. «لا فائدة. عرفت

أن هذا سيحدث. قط غبي. يهرب، ويتورط في شجار. كانت

مسألة وقت».

روث «نستطيع ركوب عبارة الساعة الثانية إذا غادرنا الآن».

أولفر «لا جدوى. إنه يحتضر. إنه قط أليف غبي».

«نتصل بالطبيب البيطري من القارب».

«لا. زيارة الطبيب البيطري مكلفة. سنقطع الطريق ثم

سيقتلونه...»

وقف مديراً ظهره يمسك بالحاجز. نظرت روث إلى ظهره المتيبس. كان غاضباً جداً، منها ومن القط ومن العالم لكسر قلبه. ذهبت إلى البيت لتجلب مفاتيح السيارة، وخرجت من جديد، ورفعت صندوق القط وحملته إلى حوض الشاحنة، وأنزلته فيه. رجعت بالسيارة وأنزلت النافذة ونادته «أسرع».

أدار رأسه وتردد.

قالت موريل تدفعه نحو السيارة «اذهب».

في العبارة نظر أمامه من النافذة إلى الأمواج، بينما اتصلت روث لتعلم العيادة بقدميهما. ظل يردد «قط غبي، قط غبي». لكنهما عندما وصلا إلى العيادة، حمل الصندوق وثبت پستو على الطاولة والبيطري يحلق له ويضع جروحه لينظفها ويجففها. وافقه البيطري بأن الإصابات بليغة، أكثر من أي إصابة رآها، والجروح من أسنان ومخالب، راكون أو قطيع من الراكون ربما. حاول پستو الهرب، ولهذا كانت الإصابات شديدة في الجزء الخلفي، لكن الخطر الحقيقي هو الالتهاب الذي انتشر في كل جسده. لم يكن التشخيص مطمئناً، وعليهم المحافظة على نظافة الجروح، وفصدها كلما التأمت، حتى لا تتقيح. ويجب أن يعطياه مضادات حيوية، ويحرصا أن يظل هادئاً، وينقعا جسده بمغطس

كبريتات المغنسيوم [الملح الإنجليزي] ثلاث مرات يوميًا. طرح أولفر أسئلة، ودوّن الملاحظات وطلب من البيطري مبضعًا. جلست روث على كرسي وحاولت ألا تفقد الوعي أثناء شرح البيطري طريقة فصد الجرح وإخراج القيح. تجهم أولفر، لكنه استعاد رياطة جأشه، وسينقذ قطه.

ما زالت تشعر بالغثيان لدى خروجهما فقاد هو السيارة. نام پستو، الذي داخ من المخدر، في صندوقه في الخلف. في طابور العبارة حشرت رأسها بين ظهر المقعد وباب السيارة، وأغمضت عينيها واستمعت إلى تحليل أولفر. كان يلف في دوائر محاولاً إدراك ما حدث.

ظل يقول «لكننا نعرف، وإن لم ينج پستو الآن، بتنا نعرف ما حصل. هذا ما أثار جنوني. ألا أعرف أين ذهب، أو إن كان حيًا أو ميتًا. لكننا بتنا نعرف. سنفعل ما بوسعنا لإنقاذه، وإن لم ننجح ومات غدًا، لكننا نعرف أننا حاولنا. قط غبي. لا شيء أسوأ من ألا نعرف...»

-4-

عزيزتي روث

أثمرت جهودي، رغم أن النتائج قد لا تكون مرضية بقدر ما وددنا. تمكنت بعد آخر رسالة بيننا من استعادة بعض ملفات الحاسوب ووجدت رسالة قديمة أرسلها هاري بالبريد الإلكتروني، ولا بد أن أعترف أنني لا أذكر أنني قرأتها. فكتبت إليه في الحال منتظرًا رده. وسمحت لنفسني بأن أرسل له بريدك الإلكتروني وأخبرته عن قلقك الملح، فلربما تصلك منه رسالة مباشرة، وقد

لا يحدث هذا. سأعيد تحويل رسالته إليك، وستفهمين مقصدي بعد قراءتها.

يعود تاريخ هذه الرسالة إلى ما قبل الزلزال والتسونامي، وقد لا تكون فيها فائدة لك، أو أن تجيب عن أسئلتك حول الوضع الحالي لصديقي الغامض وعائلته. لكني أشعر أن في هذه الرسالة أمورًا قد تهملك. وشعرت على الأقل أنك شريكة في آخر رسائلنا، على الرغم من انقضاء بضع سنوات.

-5-

عزيزي.رون

شكرًا لك على عدم نسيانك صديقك الذي أهمل الكتابة إليك طويلاً. دعني أبدأ بالإجابة عن أسئلتك اللطيفة. عائلتي بخير. تواصل زوجتي عملها في شركة الكتب الدراسية وصار عندها هواية الغطس في البحر في الآونة الأخيرة. أنا شاكر لها على دعمها في الأوقات العصيبة، وابنتي أيضًا، آنزو. عندما عدنا من سنيهيل إلى طوكيو، عانت صعوبات كثيرة، بل تسريت من المدرسة لبعض الوقت. لكنها تمكنت لاحقًا من الانكباب على الدراسة بصرامة لاجتياز امتحان الكفاءة، ونجحت في الحصول على منحة جيدة في ثانوية دولية في مونتريال، إذ باتت شديدة الاهتمام بدراسة الثقافة واللغة الفرنسييتين.

أما أنا، فقد استطعت قبل عدة سنوات تأسيس شركتي الناشئة للإنترنت، وهي نظام تشفير سري وحماية يدعى مو مو⁽¹⁾ فايتل

(1) 無 無? لا، سلب، لا شيء، صفر، عد، غير (الكاتبة).

هايجنكس. لا أستطيع ذكر تفاصيل كثيرة بسبب اتفاقيات الكتمان، لكن آن أوحى لي بهذه الفكرة. فقد كانت ضحية أيام المدرسة الإعدادية لتتمر قاس إذ ضايقها زملاؤها، كتصوير مقاطع مرئية مخجلة لها ونشرها على شبكة الإنترنت. بكيت كثيرًا لما رأيت المقاطع. كنت غاضبًا جدًا! وواجبي كوني أباه أن أحمي ابنتي، لكنني فشلت في ذلك. كنت رجلًا أعمى، شديد الأنانية لأنني لم أرَ ولم تشغلني إلا نفسي.

استيقظت أخيرًا وبدأت أبحاثي وتمكنت من تطوير عنكبوت نظيف صغير يدب في قاعدة بيانات محركات البحث ويحذف كل ذكر لاسم ابنتي ومعلوماتها الشخصية، إضافة إلى صورها والمقاطع المرئية البشعة، حتى لم يعد لخزنها أثر. عاد كل شيء نظيفًا. قالت آن «نظيف ناصع جدًا!»، وكانت سعيدة جدًا لتبدأ من جديد في حياتها الجديدة في مونتريال بكندا.

كل هذا نتيجة جيدة، ولكن خطر لي عندئذ أن عنكبوتي الظريف الصغير، الذي أسميه مومو الماحي، ينفع آخرين أيضًا. كثيرون يرتكبون الأخطاء مثلًا ويودون تصحيحها، فيساعدهم عنكبوتي مومو الصغير. أو قد يرغب آخرون في الاختفاء، فيساعدهم مومو على ألا يعثر عليهم أحد. إن كنت مشهورًا، مثلًا، وتعبت وتود أن تكون رجلًا عاديًا.

لهذا الغرض طورنا طريقتين لمو. الطريقة #1 طريقة كمية نسميها مو-ك، تجعل مو يبحث عن كل ذكر لك على الإنترنت من عوالم كثيرة، ثم يغيرها كلها إلى العدم. لا أدري كيف أشرح الأمر، إلا أنه يشبه لعب الأوريفامي بالزمن. إنها طريقة صعبة ومكلفة

جداً لأن مو- ك يجمع بين العوالم ويغير الماضي الممكن، لذا فإنه ناجح إذا كنت فاحش الثراء، وحتى في هذه الحالة فإن شهرة بعض الناس واسعة جداً فلا تنجح في إحراز نظافة ناصعة جداً تماماً، لأن شهرتهم واسعة جداً في عوالم عديدة.

الطريقة #2 أبسط وآلية، لأن مو هذا يستطيع تبديل الماضي والمستقبل. ندعو هذا ميكامو، وهو أكثر تدرجاً لكنه ناجح بمرور الوقت. يستهدف ميكامو في هذه الطريقة محركات البحث فقط ويأكل اسمك ويمنعهم من العثور عليك. وإذا لم يجدك أحد لن تعود مشهوراً، وستختفي في لمح البصر. كأنه عباءة الاختفاء البطيء، وهي الطريقة الأقل تكلفة.

عندي كثير من العملاء المشهورين، الذين لم تسمع بهم سلفاً! (هذه دعابة، لكنها صحيحة). ها أنت ترى يا رون أنني أدرك أن الانتحار تفكير قديم، من أيام المادية عتيقة الطراز. كما أنه فوضوي ولا داعي له. الآن، بوجود مومو لا حاجة بالمرء أن يتجشم عناء أشياء فوضوية كهذه، لأن عناكبي الصغيرة قادرة على محوك بنظافة إذا لم تعد ترغب في الوجود. اختلقت آنزو نظرية طريفة عن عدم الوجود تسميها مويو⁽¹⁾، تقول إن مويو هو اليو⁽²⁾ الجديد. إنه تفكير جديد. تقول إن إغفال الهوية هي الشهرة الجديدة، وتقول إن علامة الظرافة الجديدة ألا يكون باسمك نتائج. وألا يكون باسمك نتائج هو علامة قوة عدم شهرتك، لأن الحرية الحقيقية تتبع من كونك مجهولاً. لا أدري أصحيح هذا أم لا،

(1) 無有? اللاكينونة. (الكاتبة)

(2) 有? الكينونة، الوجود، ضد مو. (الكاتبة)

ولكنه قد يكون صحيحًا نوعًا ما لأن مومو يبلي بلاء حسنًا، ولأول مرة منذ فقاعة الإنترنت، أستطيع توفير عيش كريم لعائلتي. أرجو أنك بخير أيضًا. كنت أتتبع أعمالك في موقعك، ولا يبدو أنك بحاجة إلى خدماتي، ولكن إن احتجتها مستقبلاً، فأرجو ألا تتردد في الطلب.

صديقك هاري

واو. سأفتقدك حقًا. أعرف أن هذا جنون، فأنت لست موجودًا بعد. وما لم تعثر على هذا الكتاب وتقرأه، فلن تكون موجودًا. أنت صديقي المتخيل، في الوقت الراهن على الأقل. لكنني أشعر أنني سأعرفك إذا مررت بك في الشارع أو التقت نظراتنا في ستاريكس. أليس هذا غريبًا؟ وحتى إن جئنت أو عزمت على ألا أترك هذا الكتاب في مكان تجده فيه، وإن وجدت أن الأفضل أن تكون موجودًا في عقلي فقط، لكنني أشعر أنني سأعرفك في الحال. ربما تكون مختلفًا، لكنك صديقي الحقيقي وقد ساعدتني. أنا أعني ما أقول.

على أي حال، ستتفد مني الصفحات كما ترى، لذا يجدر بي أن أختتم. أردت أن أخبرك بما حدث بعد جنازة جيكو العجوز، وأعلمك بما يجري معي ومع عائلتي كي لا تقلق كثيرًا. في طريق العودة من سينداي، أخذني أبي إلى دزني لاند حقًا، وإن كان هذا شيئًا غريبًا نفعله بعد الجنازة، كما أنني كبرت كثيرًا على الحماس المفرط لمصافحة ميكي شان. لكنه وقت ممتع، وخاصة عند مشاهدة أبي في أرض المستقبل، يتجول في مغارات الثلج في حقول الكواكب السيارة بسرعة الضوء بحثًا عن نجمة الموت. وبالإتيان على ذكر النجوم، ذات ليلة بعد شهر من عودتنا، خرجنا أنا وأبي للتنزه في ذلك المتنزه الصغير قرب نهر سوميدا، وجلسنا على الأراجيح وراقبنا النجوم فوقنا والماء الداكن للنهر

يجري قربنا . تسلت قطط متوحشة في الظلال، تأكل من القمامة . في الظلام، متأرجحين جيئة وذهابًا، كان الحديث سهلاً عن مسائل صعبة، فتكلمنا عن النجوم وحجم الكون والحرب. أنهينا قراءة المذكرات السرية الفرنسية لهاروكي#1 في وقت سابق من النهار. جعل أبي طالب التخرج الذي يدرس الشعر الفرنسي في الجامعة يترجمها لنا، وقرأناها معًا، وعرفت لأول مرة مقدار الشرف في نفوس البشر. حسبت أنني عرفت كل شيء عن القسوة، وتبين لي أنني لم أعرف أي شيء. عجوزي جيكو عرفت. وهذا ما دعاها إلى حمل جوزو هاروكي معها، لتصلي لمساعدة الناس ليكونوا أقل قسوة مع بعضهم البعض. بعد الجنازة أعطتني موجي الجوزو، وأنا أحملها معي كل الوقت أيضًا. إنها خرزات جميلة قوية، داكنة وناعمة ومثقلة بكل الصلوات من أصابع هـ #1 وجيكو التي مرت عليها. لا أعرف أي صلاة، لكني حركتها وتلوت تسبيحات في رأسي لكل الأشياء والناس الذين أحب، وبعد أن أنتهي من هذا، أنتقل إلى الأشياء التي لا أكرهها كثيرًا، وأكتشف أحيانًا قدرتي على حب الأشياء التي أظن أنني أكرهها.

في آخر المذكرات الفرنسية السرية، وفي ليلة موت خالي الكبير، كتب عن مهمته الانتحارية، وفوجئنا أنا وأبي عندما عرفنا أنه عزم على ألا يحطم طائرته على حاملة طائرات العدو. لم يستطع التملص من أداء المهمة، فقرر أن يحلق بطائرته إلى الأمواج. كان هذا بالغ السرية طبعًا. فقد عرف أن قادته سيعدمونه بتهمة الخيانة إذا عرفوا بخطة بأن يضيع هدفه عامدًا، وأراد أن يتأكد من حصول أمه وأختيه على التعويض الذي يجب أن تقدمه

الحكومة إلى عائلات الطيارين الموتى مقابل توضيحتهم بحياتهم من أجل البلاد. وجدت هذا منطقيًا جدًا، فهو مثل قائد الغريبان. لم يرغب في تأييد الحرب التي كرهها، ولم يرغب في التسبب بأي ألم لعدوه المزعوم. قرأت وشعرت بشيء من الخجل صدقًا. فقد تذكرت كيف تریصت بدایسوكه وضریته، وأني تجولت كشبح حي لأطمئن عدوتي ريكو في عينها. أخذت أستاذ من هذا، فعمدت العزم على الاعتذار لهما إن رأيتهما ثانية، وهذا لن يحدث غالبًا. انتقل دایسوكه وأمه، ولم أعد أرى ريكو منذ توقفت عن الذهاب إلى المدرسة.

على أي حال، قرأنا قرار هاروكي بأن يسقط طائرته في البحر، ولم يتمالك أبي نفسه. كنا في البيت، جالسين إلى الكوناتسو، وهو يقرأ عليّ الترجمة، وعندما وصل إلى هذا الجزء أنزل الورقة وأصدر صوت نخير عالٍ يشبه عطسة عملاق، لكنها ليست عطسة. بل كان انفجار الحزن. نهض وذهب إلى الحمام وأغلق الباب، لكنني سمعته يبكي بكاء مريزًا مختنقًا. هذا غريب، صحيح؟ أن تسمع أباك منهارًا؟ لم أعرف ما أقول، وأطار هذا صوابي، وإذا كان الأب حاول الانتحار عدة مرات، فهذا الأمر يثير توترك. لكنه خرج أخيرًا وأخذ يعد العشاء كأن كل شيء عاد إلى طبيعته، فنسيت الأمر، وفي وقت لاحق من الليلة نفسها، حين كنا في المتنزه نتأرجح في الظلام، سألته لماذا تأثر إلى هذا الحد، وأخبرني.

الأمر كله مرتبط بعمله في سنيهيل وكيف سُرح من العمل. كنت صغيرة عندما حدث هذا، فلم أفهمه حينها. ما عرفته أنه

كان يصمم برنامجًا تفاعليًا لشركة ألعاب فيديو، وهذا رائع في نظري.

قال «كان البرنامج ممتازًا. وكانت الألعاب مسلية استمتع بها الجميع». كان في عينيه نظرة حزينة نائية. «كنا نصنع نموذج منظور الشخص الأول. سموني رائد الألعاب ثلاثية الأبعاد. ثم وقعت شركتي اتفاقية مع معهد للجيش الأمريكي. كانوا سيطبقون برنامجي التفاعلي في تصميم أسلحة محاكية يستخدمها الجنود». قلت «واو». فقد كان هذا رائعًا أيضًا. لم أقل هذا لكنه سمعه في صوتي. وغرس مقدمة الخف البلاستيكي في بقعة جرداء من الرمل تحت الأرجوحة وأوقفها.

قال وهو يميل بجسده إلى الأمام مع السلاسل التي تحمل الأرجوحة. «لم يكن صوابًا. سيقتل هؤلاء الفتيان الناس، وقتل الناس يجب ألا يكون مسليًا».

توقفت عن التأرجح أنا الأخرى، ووقفت هناك بجواره. كان قلبي يخبط، يدفع الدم إلى وجنتي. شعرت بالغباء وقلة الخبرة، وفي الوقت نفسه تصدع شيء داخلي، أو ربما كان العالم يتصدع ليريني شيئًا مهمًا جدًا تحته. عرفت أنني لا أرى منه إلا نزرًا يسيرًا، لكنه أكبر من أي شيء رأيته أو لمستته من قبل.

ترجل من الأرجوحة وبدأ يمشي، وتبعته. قال لي إنه أصيب باكتئاب حاد وتوقف عن النوم ليلاً. حاول البحث عمن يفضلون له بمكونات صدره، بل إنه ذهب لرؤية عالم نفس في كاليفورنيا. وظل يثير المسألة في عمله أيضًا، محاولاً إقناع أعضاء فريق التطوير ليسمحوا له ببرمجة وازع واقعي في التصميم التفاعلي،

حتى يتيقظ الطيارون المساكين ويدركوا جنون ما يفعلون، لكن الفكرة لم تتل إعجاب متعهد الجيش، وسئمت شركته وأعضاء فريقه من سماع مشاعره فطردوه.

جلس على باندا من الأسمنت وأمسك وجهه بيديه وقال «كنت أشعر بالعار».

لم أصدق ذلك. نظرت إليه جالسًا محدودبًا على رأس الباندا، وشعرت أن قلبي سينفجر فخرًا. أبي بطل خارق، وأنا من عليها أن تخجل، لأنه اضطهد طوال الوقت بسبب مبادئه، أما أنا ففضيت منه لأنه طرد وخسر أموالنا ودمر حياتي. يبين لك هذا عمق معرفتي.

ما زال يتكلم «... وهذا ما دعاني للبكاء اليوم، عندما قرأت مذكرات خالي هاروكي. فهمت شعوره، أتفهمين؟ هاروكي رقم واحد اتخذ قراره. وجه طائرته إلى الموج. عرف أنها حركة غبية بلا فائدة، ولكن ماذا سيفعل سوى ذلك؟ اتخذت قرارًا مماثلًا، غيبًا وبلا فائدة أيضًا، غير أن طائرتي حملت كل عائلتنا. أسفت لحالك ولحال أمك ولحال الجميع بسبب أفعالي.

كان جليًا ألا مناص من الحرب بعد 11 سبتمبر. كانوا يعدون العدة لها منذ زمن. سيستخدم جيل من الطيارين الأمريكيين الشباب برنامجي التفاعلي ليطاردوا ويقتلوا الأفغان والعراقيين أيضًا. سيكون ذلك خطئي. أسفت على حال العرب وعائلاتهم، وعرفت أن الطيارين الأمريكيين سيتألمون أيضًا. ربما لن يتألموا في الحال. عندما يضطلع هؤلاء الفتيان بمهامهم، سيكون الأمر مسليًا ومثيرًا ولاواقعيًا، لأننا صممناه ليوحي بهذا الشعور. لاحقًا،

ربما بعد أيام أو أشهر أو سنوات، ستبدأ واقعية ما فعلوا بالظهور على السطح، وسيتلونون ألماً وسيصبون جام غضبهم على أنفسهم وعائلاتهم. سيكون هذا خطئي أيضاً».

نهض مضطرباً عن الباندا وتناقل إلى السياج المسلسل الذي طوق باحة اللعب، وتبعته. أفضت بوابة صغيرة إلى الحاجز الأسمنتي العالي للنهر. جلسنا متجاورين على المنحني وراقبنا التيار السريع الداكن للنهر يجتاح قرينا. عرفت أنه يفكر في إغراق نفسه في هذه المياه، عرفت أنه يفكر في المرات التي جاء فيها إلى هنا ليموت. مد يده وأخذ يدي.

قال «خذلتك. كنت متألماً من إحساسي بالذنب. لم أكن موجوداً عندما احتجت إليّ».

حبست أنفاسي. كان سيتكلم عن حادثة السروال، وسيعترف أنه شارك في المزايدة. حاولت سحب يدي، لم أرغب بالكلام عن الأمر، ولكن كيف أتملص؟ لقد سألته سؤالاً صعباً وأجابني إجابة صادقة وصريحة. أنا مدينة له. فعندما سألتني كيف وصل سروالي إلى موقع الهيئاتي البروسييرا وما حدث في المقطع المرئي، أخذت نفساً عميقاً وأخبرته بكل شيء. أعرف أنه تكلم هو وأمي عن الإيجيمي الذي أ تعرض له، لكنني لا أظنه أدرك أذاه. رأيت ذلك أحزنه وأغضبه في آن واحد.

قال بعد انتهائي «شكراً على إخباري». كان في صوته نبرة قسوة لكنه ليس غاضباً مني. نهض وجرتني لأقف، وسرنا إلى البيت في صمت، وتوقفنا مرة عند آلة بيع ليشتري لي عصير بلبي. كان مشغول البال. ولا أدري لأي شيء يخطط، ولكنه منذ تلك

الليلة عاد للعمل على الحاسوب مثل شيطان عنده علة للوجود. توقف عن قراءة عقول عظيمة من الفلسفة الغربية، وقضى وقته كله في البرمجة، وهي قوته الخارقة. أعني أن الأبطال الخارقين كثيرون ولهم قوى خارقة شتى، فبعضها كبير وحاد مثل شدة الصلابة والسرعة الخارقة، وإعادة بناء الجزيئات ومجال القوة. لكن هذه القدرات لا تختلف عن أمور القوة الخارقة التي تفعلها جيكو العجوز، كالتحرك بأناة شديدة أو قراءة أفكار الآخرين، أو الوقوف بالباب، أو بث الارتياح في نفوس الآخرين بوجودها.

على أي حال، لا أدري لماذا أخبرك بكل هذا، سوى أنني ظننتك راغباً في المعرفة. يبدو أن أبي وجد قوته الخارقة، وربما بدأت أجد قوتي الخارقة أنا الأخرى، وهي الكتابة إليك. وقبل أن ينفذ مني الورق، أردتك أن تعرف أنني وأبي على وفاق، بعد أن عرفت أي رجل هو، وعلى الرغم من أننا لم نناقش موضوع الانتحار، فإنني واثقة أن أحداً منا لم يعد يفكر في الأمر. أعرف أنني لا أفعل. بعد أن أكتب الصفحة الأخيرة سأشتري دفترًا جديدًا وأضي بوعدي في كتابة قصة حياة جيكو العجوز كاملة. صحيح أنها ماتت سلفاً، لكن قصصها حية في عقلي في الوقت الراهن، وعلي الإسراع في تدوينها قبل أن أنساها. ذاكرتي قوية، لكن الذاكرة كائن زمني أيضاً، كأزهار الكرز أو أوراق الجنكو، تكون جميلة لبعض الوقت، ثم تبهت وتموت.

ولعلك ستسر أن تعرف أنني ولأول مرة في حياتي لا أريد الموت. عندما أستيقظ منتصف الليل، أتأكد أن ساعة جندي

السماء هـ #1 لا تزال تدق، ثم أتأكد من أنني على قيد الحياة، وصدق أو لا تصدق أشعر بالخوف أحياناً، أوه يا ربي، ماذا لو مت! سيكون هذا فظيلاً! لم أكتب قصة حياة جيكو المعجوز بعد! وأحياناً أشاء سيرتي في الشارع أجد نفسي أفكر أوه أرجوك لا تدع تلك اللكزس الغبية تخرج عن السيطرة وتدهسني، أو ذلك الموظف البروسييرا الهيناتي الأصلع يطعنني بسكين الجيب، أو ذلك الرجل المسربل بالبياض الذي يبدو إرهابياً منتمياً لجماعة يرمي زجاجة من غاز السارين في قطار الأنفاق⁽¹⁾ الذي أركبه.... ليس قبل أن أنهى كتابة قصة حياة جيكو المعجوز! لا أستطيع أن أموت حتى أفعل ذلك. لا بد أن أعيش! لا أريد الموت! لا أريد الموت!

هذا ما أفكر فيه. لا أريد الموت قطعاً حتى أنتهي من كتابة قصتها. التفكير في أنني سأخذل جيكو يملأ عيني دمعاً، وأظنك تعرف أن هذا تحسن كبير في حالتي العقلية، أن يقلقني الموت مثلما يقلق الناس الأسوياء.

واليك هذا الأمر الأخير. عرفت شيئاً محفزاً. عرفت أن مارسيل بروسست لم يؤلف كتاباً واحداً عنوانه البحث عن الزمن المفقود، بل كتب سبعة! مذهل، صحيح؟ كان البحث عن الزمن المفقود قصة طويلة جداً من آلاف الصفحات، وكان عليه أن

(1) عملية هجوم الغاز السام في مترو طوكيو هي عملية تخريبية قامت بها جماعة أوم شنريكيو المحظورة في اليابان، نفذت تلك العملية بتاريخ 20 مارس 1995 برمي زجاجة غاز أعصاب السارين، والتي أودت بحياة 13 شخصاً وأصيب نحو 5000 آخرين. (المترجمة)

ينشرها في مجموعة من المجلدات. وعنوان الجزء الأخير هو الزمن المستعاد. أليس هذا رائعاً؟ عليّ أن أفتح عيني وأجد نسخة قديمة من الزمن المستعاد. سأخذها إلى متجر الأشغال في هاراجوكو وأرى إذا استطعت إقناع السيدة التي تعمل هناك لترسله إلى الفنان ليصنع لي دفترًا جديدًا، وسأكتب فيه قصة جيكو.

همم. أتدري؟ بعد التفكير مليًا، ربما لن أفعل. ربما سأحاول تعلم الفرنسية لأقرأ كتاب بروس، بدلاً من التخلص من صفحاته. سيكون هذا رائعاً. أما قصة حياة جيكو، فأظنني سأشتري لها ورقًا قديمًا عاديًا وأبدأ الكتابة.

أغلقت الكتاب.

وصلت إلى النهاية. الصفحة الأخيرة. انتهت.

ثم ماذا؟

نظرت إلى الساعة. توهجت الأرقام الحمراء 3:47 ص. الرابعة تقريبًا. انطفأت النار في موقد الحطب في غرفة المعيشة منذ زمن والبيت بارد. لو كانت في معبد جيكو، لنهضت لجلوس الزازن بعد ساعة. ارتجفت. خارج نافذة غرفة النوم، التصق الليل البهيم البارد بلوح الزجاج، ولم يمنعه من الاقتراب إلا انعكاس بقعة وحيدة ساطعة من المصباح الرأسي. سمعت الريح في الخيزران، وصوت صرير شجرة باسقة. بجوارها نام أولفر بهدوء، وشفاته تصدران صوت پوپوپو. كان القط الجريح صامتًا في صندوق على الأرض قرب جانبه من السرير. لا شك أنه نائم أيضًا.

استيقظت مبكرة بساعة دون تفسير، وبعد رقودها مستيقظة لبعض الوقت، عاجزة عن العودة إلى النوم، حملت اليوميات. وقبل أن تدرك وجدت نفسها تقرأ الصفحة قبل الأخيرة. لم يبق إلا واحدة. ترددت عندئذ وتساءلت إذا ما كانت الصفحات ستتضاعف فجأة، لكنها لم تفعل. قلبت الصفحة الأخيرة. واصلت الكلمات، وقرأتها حتى النهاية، وفي أسفل الصفحة توقفت. لا شك في ذلك. لا مزيد من الكلمات ولا مزيد من الصفحات.

الكتب تنتهي. فلماذا فوجئت؟

عادت بذاكرتها إلى لغز الكلمات المفقودة. هل وجدتها وأعادتها؟ لم يكن الأمر جنوناً بقدر ما يبدو. أحياناً أثناء الكتابة، تتيه في القصة تماماً، وحين تفتح المستند الصباح التالي وتظفر إلى المخطوط، تجد أنها تحقّق إلى الفقرات وتكاد تقسم إنها لم ترها من قبل، بل إنها لا تتذكر كتابة بعض المشاهد بكاملها أحياناً. كيف جاءت إلى هنا؟ كان شعوراً عجيّباً، تعقبه عادة انتفاضة هلع -اخترق أحدهم قصتي!- وكثيراً ما يتحول الأمر إلى حماس وهي تواصل القراءة، مقترية من الشاشة كأنها مصدر الضوء أو الحرارة، تحاول تتبع الجمل الجديدة الغريبة وهي تتبسّط أمامها. تبدأ بالتذكر بصورة مبهمّة مبهمّة، مثلما تتذكر صورة شبيهة بالعث من حلمك، يتلمس عقلها طريقه في رؤية محيطية، مرتاباً خجلاً لمواجهة الكلمات، خشية أن تختلج في العالم السفلي، وراء البكسلات، وتختفي هناك. بعيدة عن الأنظار، بعيدة عن البال.

لكن ما حدث هذه المرة مختلف. لم تكن تكتب، بل تقرأ. ولا شك أن القارئ ليس قادراً على هذا الاستحضار الغريب، يجلب الكلمات من الفراغ؟ لكنها فعلت هذا فيما يبدو، وإلا فهي مجنونة. وإلا...

معاً سنصنع سحراً...

من استحضر الآخر؟

تذكرت اقتراح أولهر مرة أخرى، لكنها لم تقدر سؤاله حق قدره. أكانت هي الحلم؟ أكانت آن من تكتبها في الوجود؟ قالت موريل إن الفاعلية خداعة. لطالما شعرت روّث بأهميتها، ربما لم

تكن مهمة. ربما كانت غائبة مثلما يشير اسمها، مجمع كلمات شريفة شبحية جمعتها الفتاة. لم يكن عندها أي سبب يدعوها للشك في حواسها. بدت تجربتها الإدراكية لنفسها، بصفتها كائنًا كامل التجسد يعيش في عالم حقيقي من تذكراها، موثوقة ولكن الآن في الظلمة، الرابعة صباحًا، لم تكن متأكدة. ارتجفت ثم جعلتها حركة مفاجئة تدرك كل الأماكن التي تماس فيها جسدها والفراش. أفضل. لم تبذل جهدًا للشعور بدفء الغطاء وثقله على بشرتها، والهواء البارد على وجهها وذراعيها، ونبض قلبها.

ما زالت اليومية دافئة في يديها. نظرت إلى الغلاف القماشي الأحمر. أكانت تتخيل أم أن القماش بدا باليًا أكثر مما كان عندما عثرت عليه؟ قلبته. على ظهره بقعة سوداء في المكان الذي رِيْل عليه القط. قريته من أنفها. خفتت الرائحة المرة لحبوب القهوة والرائحة الحلوة من شامبو الفاكهة. رائحته الآن رائحة دخان الحطب والأرز، ورائحة خفيفة من العفن والغبار أيضًا. تحسست الكتابة المذهبة على كعب الكتاب، وفتحته بسرعة على الصفحة الأخيرة، كأنما تود ضبطه متلبسًا.

لم تتغير الصفحة. لم تتغير طبعًا. فيم تفكر؟ أن بضع كلمات إضافية ستسل بين الغلافين وهما مغلقان، بينما لم تكن تتظر؟ سخافة.

ومع ذلك، كانت بضع كلمات آخر ستحدث فارقًا كبيرًا. أغلقت الكتاب من جديد، وخافت على الزاوية المكسورة مثل سن تتقلقل. الغلاف أبرد الآن. أتتخيل هذا أيضًا؟

يكفي.

وضعت المذكرات على الطاولة الجانبية وأطفأت المصباح.
صباحًا عندما مدت يدها إليه ثانية، كان الكتاب باردًا في لمستها.

-2-

«ما دمت قد انتهيت، أود أن أعرف أنا مجنونة أم لا».
كانا يجلسان في المطبخ يشريان شاي الصباح. رقد PSTO
على منشفة في حوضن أولفر، حليقًا تغطيه الجروح المفتوحة
ويضع مخروط العار، بادٍ عليه الخدر والنزق الشديد. قرأ أولفر
الصفحات الأخيرة من اليوميات، وعندما سمع سؤالها رفع يده
ليصرفها عن ذلك. «أشعر أن هذا الحديث لن ينتهي على خير،
لذا دعينا لا نبدأ أرجوك».

تجاهلت اعتراضاته. «تلك الليلة عندما ضاعت الكلمات قلت
لي إن العثور عليها مهمتي، ولكنك لم تصدق حقًا أن الصفحات
بيضاء. لم تصدق أن النهاية تتقهقر أيضًا. صحيح». لم يكن هذا
سؤالًا.

نظر إلى عينيها ولم يفوت نبضة وقال «حبيبتني، لم أكذبك
يومًا».

«لكنك جعلتني أستمع في الحديث عن الأمر مع موريل، التي
تظنني مجنونة هي الأخرى ولا شك».

قال كأنه ارتاح. «أوه. إذا كان هذا ما يقلقك، فاطمئني. الكل
على هذه الجزيرة مجانين. أنا متأكد من أن موريل لم تلق للأمر
بالأ».

منحها هذا الجواب قليلًا من الراحة، ولكن عندها مسائل
أخرى كثيرة لم تحل، وكانت راغبة في تحيتها وقالت «طيب».

لنفترض أن نظرية موريل صحيحة بصورة ما، وفي حلمي استطعت تتبع غراب الأدغال إلى متزه وينو ووجدت والد آن وأرسلته إلى سينداي...»

نحى المذكرات جانباً، وأخذ يقلب أحد أعداد نيويوركر.
«أولفرا!»

نظر إليها. «ماذا؟ أنا مصغ. تبعت الغراب إلى المتزه ووجدت الأب وأرسلته إلى سينداي». «طيب، وماذا يعني هذا؟»
«ماذا تقصدين؟»

«أعني أقول إن غراب الأدغال قادني في الزمن؟ إن والد آن كان سيمضي قدمًا ويلتقي رفاق الانتحار ويقتل نفسه لو لم أر الحلم؟ إنه ما كان لأن أن تكتشف أن أباه رجل حي الضمير، أو تعرف حقيقة خالها الكبير الكاميكاوي؟»
«أنا لا أقول شيئاً. صدقيني».

«لو لم أضع المذكرات الفرنسية السرية لهاروكي رقم واحد في صندوق رفاته على المذبح، فكيف وصلت إلى هناك؟»
رفع نظره مدهوشاً. «أنت وضعتها؟»
«نعم. أخبرتك. في نهاية حلمي. اكتشفت أنها في يدي، وكنت أوشك على الاستيقاظ، فدفعتها داخل الصندوق».

«حركة ذكية».

رفعت كتفيها مسرورة. «أجل، أظن هذا. شعرت أنني بطلة خارقة عندئذ».

قال معجباً «متأكد من ذلك».

لكنها لم تقتنع. فقالت عندما تراجعت ثقتها «لا أدري. لو أصغيت إلى نفسي لقلت أيضًا إنني مجنونة. ثمة تفسير منطقي بسيط ممكن، أن تكون جيكو العجوز من وضعها هناك. ربما كانت بحوزتها دائمًا. ربما تمكن هاروكي رقم واحد من إرسالها إليها قبل مهمته، لكنها لسبب ما لم ترد أن يعرف أحد بأمرها. ربما أيدت الحرب سرًا وخجلت من قرار ابنها الأخير في ألا يؤدي مهمته الانتحارية. ربما رآته جبانًا...»

قال أولفر «كفى. تبدين مجنونة حقًا. لا دليل يدعم هذه الفرضية. من كل ما قالته آن، كانت جيكو العجوز مسالمة ومتطرفة أيضًا، وإن بلغ عمرها مئة وأربع سنوات. فلا تستمري في اختلاق تفسيرات بعيدة الاحتمال وتتقحي التاريخ كي تكوني منطقية. إن كان عليك أن تجني من أجل أن تكون جيكو ما هي عليه، فليكن. هذا يصدق على الجميع».

لاذت روث بالصمت. كان على حق طبعًا. أخذ ذا نيويورك ر مجدداً، لكنها ليست مستعدة لتجاهل هذا الموضوع. قالت «طيب. ولكن ماذا عن رسالة هاروكي رقم اثنين؟ ماذا عن مو-ك وميكامو والحوسبة الكمية؟ هل تصدق هذا كله؟ إنه يبدو أكثر جنونًا مني».

رفع أولفر نظره عن المجلة وقال «المعلومات الكمومية تشبه معلومات حلم. لا نستطيع إظهارها للآخرين، وعندما نحاول وصفها تغير ذاكرتها».

«واو. هذا جميل. هل اختلقت هذا؟»

«لا. إنه اقتباس لأحد الفيزيائيين المعروفين. لا أتذكر اسمه⁽¹⁾». «هذا شعوري عندما أكتب، كأن في رأسي عالماً جميلاً، ولكني عندما أحاول تذكره لكتابته، أغيره ولا أتمكن من استعادته». نظرت كثيية من النافذة وفكرت في مذكراتها المهجورة. عالم محطم آخر. هذا محزن. «لكني ما زلت لا أفهم، ما علاقة الحوسبة الكمومية بأي شيء من هذا؟»

نقل أولفر القط في حجره وقال «طيب. كنت تتفكرين في نتائج متعددة، صحيح. النتائج المتعددة تتطوي على عوالم متعددة. لست أول من يسأل عن هذا. النظرية الكمومية لعوالم عديدة متداولة في نصف القرن الأخير. تكاد تكون بمثل عمرنا». «إنها قديمة من غير شك».

«ما أقصده أنها ليست جديدة. لا شيء جديد، وإذا اقتنعت بتفسير العوالم المتعددة لميكانيكا الكم، فكل شيء ممكن الحدوث، أو لعله حدث سلفاً، ممكن أن هاروكي رقم اثنين عرف في أحد هذه العوالم كيف يبني مو-ك ويجعل الأشياء في ذلك العالم تتفاعل مع هذا العالم. ربما عرف كيف يوظف التشابك الكمي لصنع عوالم موازية تكلم بعضها بعضاً وتتبادل المعلومات».

نظرت روث إلى القط متجهمه وقالت «لا أفهم. يجب أن ألبس مخروط الخزي. أنا لست ذكية لأفهم».

«ولا أنا. عليك أن تجمعي الحقائق لتفهمي، وهذا يفوق قدراتنا.

لكنك تعرفين قط شرودنغر، صحيح؟»

(1) تشارلز بينيت. بحث أولفر عن الاقتباس لاحقاً ووجد أنه من مقال عن الحوسبة الكمومية لريفاكا غالتشن، نشر في ذا نيويورك ركر الثاني من مايو 2011.

عرفت قط شرودنغر طبعًا . فاسم قطهما شرودنغر، وإن لم يناده به أحد . ولكن إن أردت الحق فقد أثار الاسم شرودنغر قلقًا غامضًا فيها، مثلما أثاره اسم بروتست . وهي مقتتعة بأنه توجب عليها أن تعرف قصة قط الأول وتقرأ مؤلفات الثاني، لكنها لم تتمكن من فعل أي من الأمرين .

عرفت أن قط شرودنغر تجربة ذهنية، أجراها عالم فيزيائي حملت اسمه، متعلقة بالحياة والموت وفيزياء الكم .

عرفت أن فيزياء الكم تصف سلوك الجسيمات الدقيقة للمواد والطاقة، إذ يكون سلوك الذرات والجزيئات دون الذرية مختلفًا عن سلوك الأجسام الكبيرة في الحياة اليومية، كالقطط .

عرفت أن شرودنغر اقترح وضع قطه المتخيل في صندوق متخيل مع سم قاتل ضبط لينبعث إذا تحققت شروط معينة .

«هذا صحيح . أنا لا أتذكر التفاصيل أيضًا⁽¹⁾ ، لكن فرضيته الأساسية تقول إنه إذا كان سلوك القط مثل سلوك الجزيئات دون الذرية، فإنه سيكون حيًا وميتًا في آن معًا، ما دام غطاء الصندوق مغلقًا ولا نعلم أتحققت الشروط أم لم تتحقق . ولكن في اللحظة التي يفتح فيها مراقب الصندوق لينظر داخله ويتأكد من الشروط، سيجد القط إما حيًا وإما ميتًا» .

«أتعني أنه قادر على قتل القط بالنظر إليه؟»

(1) للمزيد حول قط شرودنغر انظر الملحق هـ . (الكاتبة)

«لا، ليس تمامًا. ما يحاول شرودنغر تفسيره يسمى أحيانًا مفارقة المراقب. إنها مشكلة تنشأ عندما تحاولين قياس سلوك الأشياء الصغيرة جدًا، كالجزيئات دون الذرية. فيزياء الكم غريبة. فعلى صعيد دون الذرة، ثمة جزيء واحد بصفته مصفوفة من الاحتمالات، في أماكن عدة في آن واحد، وتسمى هذه القدرة على الوجود في عدة أماكن في وقت واحد بالترابك».

قالت روث «حدثني عن القوة الخارقة. ستحب أن ذلك»، وستحبه هي أيضًا. لو كانت جزيئًا دون ذري لكانت هنا وفي نيويورك. «هذا السلوك الكمومي من الجزيئات المترابكة يوصف في الرياضيات بدالة موجية. المفارقة أن الجزيئات توجد في التراكب بشرط ألا ينظر أحد. ما إن تراقبي صف الجزيئات المترابكة لقياسها، تنهار الدالة الموجية، ويوجد الجزيء في واحد من مواضعه العديدة المحتملة، وبصفته جزيئًا واحدًا فقط».

«ترتد الجزيئات الكثيرة إلى واحد فقط؟»

«نعم، أو هذه نظرية واحدة بالأحرى. بأن لا يوجد ناتج وحيد حتى يقاس الناتج أو يراقب. وحتى تحدث لحظة المراقبة تلك، فإن ثمة صف واحد من الاحتمالات، بناء على ذلك، فإن القطر يوجد في ما يدعى حالة الوجود. فهو حي وميت في آن واحد».

«لكن هذا مستحيل».

«تمامًا. ذلك كان مقصد شرودنغر. تشوب نظرية انهيار الدالة الموجية عدد من المشكلات. فهي تقول، باتباع الرأي نفسه، إن الجزيء في أي لحظة هو ما يقاس ليكون عليه. فليس له واقع ملموس. هذه المشكلة الأولى. والثانية أن لا أحد تمكن من إثبات

نظرية انهيار الدالة الموجية بالرياضيات. ولذا لم يكن شرودنغر مقتنعاً بها. بل قصد من نظرية القطعة كلها الإشارة إلى استحالة الوضع».

«هل جاء بفكرة أحسن؟»

«لا. لكن أحداً آخر فعل. هذا الرجل هيو إهرت، عمدة بالرياضيات إلى دعم نظرية بديلة، بأن ما يدعى بالانهيار لم يحدث مطلقاً⁽¹⁾. بل إن النظام الكمي المتراكب يستمر، لكنه يتشعب عندما يراقب. لا يكون القط إما حياً وإما ميتاً، بل هو حي وميت، إذا وجد بصفته قطين في عالمين مختلفين».

«تعني عالمين حقيقيين؟»

«نعم. جموح، صح؟ نظريته القائمة على ما دعاه دالة الموجة الكونية تقول إن ميكانيكا الكم لا تصدق على العالم دون الذري فقط، بل على كل شيء، على الذرات والقطط. والكون بكامله خاضع لميكانيكا الكم. وهنا تصبح الأمور مرعبة حقاً. إذا وُجد عالم قط ميت وعالم قط حي، فهذا يصدق على المراقب أيضاً، لأن المراقب يوجد داخل النظام الكمي. المرء لا يكون اثنين بل ينقسم كمتحور الأميبا. وهذا يعني وجودك أنت التي تراقبين القط الميت، وأخرى تراقب القط الحي. كان القط واحداً، وتحول إلى اثنين. كان المراقب واحداً وبات اثنين. ولا يمكن لكما أن تتفاعلا أو تكلما بعضكما بعضاً، أو تعرفا بوجودكما الآخر في العوالم الأخرى، لأنكما لا تتذكران...».

(1) انظر الملحق هو. (الكاتبة)

أيفسر هذا رداءة ذاكرتها؟

نظرت إلى القط، الذي يتململ بلا ارتياح في حجر أولفر، ورد لها نظرة طويلة حاقدة، قبل أن يغمض عينيه. من يراقب من؟ كان صعباً على پستو أن يراقب أي شيء عندئذ وهو يضع حول عنقه مخروط العار، ولكن قبل حادثة الراكون، اعتاد مراقبة نفسه. أیكون پستو مراقب نفسه؟ سؤال مثير. لطالما أحب رفع رجله ليعاین استه. ولا يبدو أن هذه المراقبة جعلته ينقسم إلى قطط متعددين بأدبار متعددة.

عادت إليها كلمات آن، أم أنها كلمات جيکو؟ دراسة الطريق تعني دراسة الذات. لا، هاروكي كتب هذا. كان يقتبس من دوغن ويتكلم عن الزازن. هذا منطقي. كان الزازن، مما تعرفه عنه روث، مراقبة للذات لحظة بلحظة وتؤدي إلى التتوير. ولكن ما معنى هذا؟

دراسة الذات تعني نسيان الذات. ربما إذا جلست الزازن، تشعر بكونك ذاتاً واحدة ملموسة ستذوب وتتسى أمرها. يا للراحة! يمكنك التسكع سعيداً بصفتك جزءاً من مصفوفة كمية مفتوحة النهاية.

نسيان الذات يعني التهور من كل الأشياء التي لا تحصی. الجبال والأنهار، العشب والأشجار، الغريان والقطط والذئاب وقناديل البحر. سيكون هذا جميلاً.

هل عرف دوغن هذا كله؟ لقد كتب هذه الكلمات قبل ظهور ميكانيكا الكم بقرون كثيرة. قبل أن يضع شرودنغر قطه المحير

في صندوق مجازي. عندما أسس هيو إفرت الرياضيات التي تدعم نظرية العوالم المتعددة، كان دوغن ميتًا، وهو كذلك منذ ثمانية قرون.

أم هل كان ميتًا؟

كان أولفر يقول «ها أنت ترين أننا الآن في عالم يكون فيه يستو حياً، ولكن ثمة عالم آخر قتلته فيه حيوانات الراكون الخسيسة وأكلته، وبالمناسبة سأعتمد إلى وضع المصائد لها، فأقسم العالم إلى واحد تكون فيه حيوانات راكون حية وآخر تكون فيه ميتة». قالت «رأسي يؤلمني».

«وأنا أيضاً. لا تشغلي بالك بهذا كثيراً».

«لا أرى أن عليك قتل حيوانات الراكون. ليس في هذا العالم على الأقل».

«لن أفعل غالباً، لكن هذا لن يوقف العالم عن الانقسام. فهذا يحدث كلما نشأ احتمال».

«آه»، فكرت بهذا. ربما ليس الأمر شديد السوء. في عوالم أخرى، أنهت كتابة مذكراتها بل رواية أو اثنتين ربما. أدخلت الفكرة السرور إلى قلبها. إن كانت تتمتع بهذا النشاط في عوالم أخرى، فلربما أمكنها أن تحاول بجهد أكبر في هذا العالم. ربما حان الوقت لتعود إلى العمل. ولكنها ظلت جالسة.

سألته «هل تصدق هذا حقاً؟ أنه ثمة عوالم أخرى لم يمت فيها هاروكي رقم واحد في موجة، لأن الحرب العالمية الثانية لم تقم؟ حيث لم يمت أحد في الزلزال والتسونامي؟ حيث آن على قيد الحياة وبخير، وربما تنهي كتابها عن حياة جيكو، وأنا

وأنت نعيش في نيويورك، وأنا أنهى كتابة روايتي التالية؟ حيث لم يقع تسريب المفاعلات النووية أو تتشكل مكبات القمامة في البحر...»

قال أولهر «لا سبيل إلى المعرفة. ولكن لولا نشوب الحرب العالمية الثانية، لما التقينا أنا وأنت». «سيكون هذا محزنًا».

-5-

عدم المعرفة صعب. مات 15854 شخصًا في الزلزال والتسونامي، لكن آلافًا اختفوا ببساطة، دفنوا أحياء أو جرفهم تدفق الموجة إلى البحر. لم يعثر على جثثهم قط، ولن يعرف أحد ما حلّ بهم. هذا هو الواقع القاسي لهذا العالم، على الأقل. سألت روث «هل تظن أن على قيد الحياة؟»

«الجزم صعب. هل الموت ممكن في كون متعدد العوالم؟ والانتحار؟ لأن كل عالم يقتل المرء فيه نفسه يقابله عالم لا يقتل نفسه فيه، بل يستمر في العيش. كأن العوالم المتعددة تضمن الخلود...»

نقد صبرها عندئذ. «لا تهمني العوالم الأخرى. يهمني هذا. يهمني إن كانت حية أم ميتة في هذا العالم. وأريد أن أعرف كيف انجرفت يومياتها وبقية متعلقاتها إلى هنا على هذه الجزيرة». مدت ذراعها وأشارت إلى ساعة جندي السماء. «هذه الساعة حقيقية. اسمع، إنها تدق. تعلمني بالوقت، فكيف وصلت إلى هنا؟»

رفع كتفيه. «لا أدري».

قالت وهي تنهض «حسبت أنني سأعرف. حسبت أنني سأجد الإجابات إذا أنهيت قراءة اليوميات، أو أتمكن من استخلاصها، لكنها ليست موجودة وأنا لا أستطيع. هذا محبط حقًا».

لكن ثمة شيء تستطيع فعله، وحين الوقت كي تصعد إلى الطابق العلوي وتعود إلى العمل. وخطرت لها فكرة وهي تمد يدها إلى المخروط لتحك رأس پستو. فقالت «قط شرودنغر تلك تذكرني بك. في أي حالة كمية كنت عندما كنت تختبئ في صندوق في القبو؟»

«أوه. هذا الأمر. لطخة قطعًا. نصف ميت ونصف حي. ولكذك لو وجدتي كنت ميتًا قطعًا».

«هذا جيد. أحب البحث عنك».

فضحك وقال «حقًا؟ أعنين ذلك؟»

«طبعًا. ما رأيك؟ أنني أريدك ميتًا؟»

رفع كتفيه. «أظن أحيانًا أنك ستكونين أفضل حالًا من دوني. تتزوجين قائد مؤسسة صناعية ويكون لك حياة هائلة في نيويورك. غير أنك عالقة معي في هذه الجزيرة النائية مع قط تعس. قط أصلع تعس».

«أنت الآن من يعيد تنقيح التاريخ. أعندك دليل يثبت هذا؟»

«نعم. أدلة كثيرة تثبت أن القط تعس، وأصلع جدًا».

«أتكلم عن أنني سأكون أفضل حالًا من دونك».

«لا أدري. لا أظن ذلك».

«عليك أن تضع مخروط العار للتلميح بهذا. لأنك قد مضيت وحكمت علي بحياة أخرى في عالم آخر في نيويورك، مع زوج

فظ مؤيد لحكم الشركات: شكرًا لك»، وريت تريبتة أخيرة على أنف القط.

قال «لا تقلقي. لقد نسيت أمري سلفًا».

كان يمزح طبعًا، لكن هذه الكلمة آذت مشاعرهما. فسحبت يدها «لم أفعل».

مد يده فوق المنضدة وأخذ يدها وقال «كنت أمزح». وأطال في إمساك يدها حتى لا تسحبها وسألها «هل أنت سعيدة؟ هنا؟ في هذا العالم؟»

فوجئت، وفكرت في سؤاله وهي تقف هناك. «نعم، أحسب أنني سعيدة. في الوقت الراهن على الأقل».

أسعده الجواب، فضغط معصمها ثم ترك يدها وقال وهو يعود إلى ذا نيويورك «طيب. هذا يكفي».

تسألين عني.

أسأل عنك.

من أنت وماذا تفعلين؟

أتخيلك الآن، امرأة شابة عمرك... لحظة، دعيني أدرس الحقائق... ستة وعشرون؟ سبعة وعشرون؟ عمر قريب من هذا. ربما في طوكيو. ربما في باريس في مقهى فرنسي حقيقي، ترفعين نظرك عن صفحتك وأنت تبحثين عن كلمة، تراقبين المارة. لا أظنك ميتة.

أينما كنت، أعرف أنك تكتبين. لا يعقل أنك هجرت الكتابة. أراك تقبضين على قلمك. أما زلت تستخدمين الحبر الأرجواني أم كبرت على ذلك؟ أما زلت تقضمين أظافرك؟

لا أراك موظفة في شركة، لكني لا أظنك عاملة غير منتظمة أيضًا. أظنك في كلية الدراسات العليا، تدرسين التاريخ وتكتبين أطروحتك عن النساء الفوضويات في ديمقراطية تايشو، أو تزعزع «الأنثى» (للحظة مجنونة، ظننت ذلك البحث الذي وجدته على الشبكة قد يكون لك، لكنه اختفى قبل أن أعرف من كتبه). على أي حال، أرجو أنك أنهيت كتابك عن حياة عجوزك جيكو. أود قراءة هذا في وقت ما. أود قراءة رواية الأنا لجيكو العجوز أيضًا. لا أدري حقًا ما الذي يدفعني إلى كتابة هذا. أعرف أنني لن أجذك إذا لم تودي أن يعثر عليك. وأعرف أنك سيعثر عليك إذا رغبت بذلك.

في يومياتك اقتبست قولاً لجيكو العجوز عن عدم المعرفة،
أن عدم المعرفة أكثر السبل حميمية، أم أنني حلمت بذلك؟ على
أي حال، فكرت في هذا كثيرًا، وأظنه صحيحًا، رغم أنني لا أحب
عدم اليقين. أفضل أن أعرف، ولكن عدم المعرفة يترك كل
الاحتمالات مفتوحة. يبقى كل العوالم حية.

وإذ قلت هذا، أود أن أقول أيضًا إن غيرت رأيك يومًا ورأيت
أنك تحبين أن يعثر عليك، سأكون بانتظارك. لأنني أود حقًا أن
التقي بك يومًا. أنت كائنني الزمني أيضًا.

محبتك

روث

ملاحظة: عندي قط وهو جالس في حجري، ورائحة جبينه
كرائحة أشجار الأرز والهواء النقي العليل. كيف عرفت؟

النهاية

الملاحق

الملحق أ: لحظات الزمن

قالت لي راهبة الزمن جيكو ياسوتاني ذات حلم إن المرء لن يدرك معنى أن يكون حيًا على هذه الأرض حتى يفهم الكائن الزمني، وقالت إن عليه أن يفهم ماهية اللحظة.

فسألتها في منامي وما اللحظة بحق السماء؟

اللحظة هي جزء صغير جدًا من الزمن. إنها متناهية الصغر حتى ليتألف اليوم من 6.400.099.980 لحظة.

بحثت عن الأمر بعدها، فوجدت أن هذا هو الرقم الذي وضعه معلم الزمن دوغن في تحفته شوبوغنزو (خزانة عين الدارما الحقيقية).

إن الأرقام تعاند العين، فدعني أكتبها لك تفقيطًا: ستة مليارات وأربعمئة مليون وتسعة وتسعون ألفًا، وتسعمئة وثمانون. هذا عدد اللحظات التي يتألف منها اليوم وفقًا لفرضية معلم الزمن دوغن، وفرقت جيكو العجوز بأصابعها بعد أن نطقت الرقم. كانت أصابعها شديدة الانثناء والتقوس بسبب الرثية، ولهذا لم تجد الفرقة، لكنها أوصلت معناها بصورة ما.

قالت: جري من فضلك. هل فرقت بأصابعك؟ هذه الفرقة تساوي خمسًا وستين لحظة.

تتضح رؤية الزمن الدقيقة للزمن عند إجراء العملية الحسابية⁽¹⁾،

(1) فرقة واحدة بالأصابع = 65 لحظة، و6.400.099.980 لحظة = يومًا واحدًا،
 $6.400.099.980 \div 65 = 98.463.077$ فرقة في اليوم. (الكاتبة)

أو الاكتفاء بتصديق كلام جيكو. تقدمت إلى الأمام وهي تعدّل الإطار الأسود لنظارتها على أنفها وتتنظر من خلال العدستين الثخينتين المغبشتين، ثم تكلمت مرة أخرى.

إن بدأت الفرقة الآن واستمرت 98.463.077 مرة بلا توقف، فإن الشمس ستشرق وستغرب، وتظلم السماء ويمتد الليل، وينام الجميع بينما أنت تواصلين الفرقة حتى في النهاية، في وقت ما بعد طلوع النهار، عندما تنهين 98.463.077 فرقة، ستشعرين بالإدراك الحميم صدقًا لمعرفة كيف أمضيت كل لحظة من كل يوم من حياتك.

ورجعت إلى الورا على كعبيها وهزت رأسها. كانت الفكرة التي طرحتها غريبة من غير شك، لكن مقصدها واضح. كل شيء في الكون يتغير باستمرار، ولا شيء يبقى على حاله، ولا بد لنا أن ندرك مرور الوقت سريعًا إذا ما ابتغيينا التبه وعيش حيواتنا بحق.

قالت لي جيكو العجوز هذا معنى أن تكوني كائنًا زمنيًا، ثم فرقت بأصابعها المقوسة من جديد.
وتموتين هكذا.

الملحق ب: ميكانيكا الكم

ميكانيكا الكم كائن زمني، لكنها في الوقت نفسه فيزياء كلاسيكية. كلاهما يصف تفاعل المادة والطاقة وهما تتحركان في الزمان والمكان، والاختلاف الوحيد عائد إلى المقياس. في المقاييس الصغرى والجسيمات الذرية، تبدأ الطاقة والمادة بالعمل ضمن قوانين مختلفة لا يسع الفيزياء الكلاسيكية تفسيرها. ولهذا تحاول ميكانيكا الكم أن تشرح هذه الخصائص بطرح مجموعة جديدة من المبادئ التي تنطبق على الجسيمات الذرية ودون الذرية، ومنها:

- التراكب: وبه يكون الجسيم في مكانين أو حالتين أو أكثر في وقت واحد (مثال: معلم الزن دوغن حي وميت في آن واحد؟)
- التشابك: وفيه ينسق جسيमान خصائصهما في الزمان والمكان ويتصرفان على أنهما نظام واحد (مثال معلم الزن وتلميذه، الشخصية وراويها، جيكو المجوز وآن وأنا وأولف؟)
- مسألة القياس: وفيها يبدل فعل القياس أو الملاحظة الموضوع الخاضع للملاحظة (مثال: انهيار الدالة الموجية، قصّ الحلم؟)

لو كان معلم الزن دوغن عالم فيزياء، لأحب ميكانيكا الكم في رأيي. ولفهم بلا عناء الطبيعة الشاملة للتراكب ولأدرك ترابط قانون التشابك. ولفتته، لأنه رجل تأمل وعمل، فكرة أن الانتباه يتمتع بالقدرة على تغيير الواقع، لفهم في الآن نفسه أن الوعي

البشري لا يختلف في شيء عن الغيوم والماء، أو مئات الأعشاب،
ولأحب الطبيعة الحرة لعدم المعرفة.

الملحق ج: خواطر حائرة

جاء اليوم الذي تتحرك فيه الجبال.
أو هذا ما أقوله، رغم أن أحدًا لن يصدقني.
كانت الجبال نائمة بعض الوقت.
لكنها في عصور ولّت، تحركت كأنها تتأجج حماسًا.
لا بأس إن لم تصدقني.
كل ما أطلبه منك أن تصدق هذا ولا شيء غيره
أنه في هذه اللحظة، تستيقظ النساء من هجوع عميق
لو استطعت الكتابة بضمير المتكلم
أنا، المرأة
لو استطعت أن أكتب بضمير المتكلم.
أنا، أنا.

يوسانو أكيكو

هذه الأسطر الأولى من قصيدة يوسانو أكيكو الطويلة التي
عنوانها سوزوروغوتو (خواطر حائرة)، وقد نشرت أول مرة في
العدد التدشيني للمجلة النسوية سيتو (بلوستوكنغ) في سبتمبر
من عام 1911.

الملحق د: أسماء المعابد

بعد البحث في تسميات المعابد اليابانية، أدركت أن جفنجي اسم المعبد، وهيوزان اسم الجبل المزعوم، أو سانفو 山号. ووفقًا للتقاليد الصينية القديمة، يعتكف معلمو الزن في قمة جبل ناء، بعيدًا عن ملهيات المدن والمراكز الحضرية، فيبنون كوخًا منعزلًا للتأمل ويكرسون أنفسهم للطريقة. وبعد ذبوع أخبار صنائعهم الروحية، يرتقي المريدون الجبل بحثًا عنهم، وسرعان ما تنشأ المجتمعات وتشق الطرق وتبنى المعابد الواسعة، وهي تحمل اسم الجبل النائي سابقًا. (كيف يذيع الخبرة كيف نشأت هذه الشبكات والاقتصادات النشطة قبل الإنترنت؟)

استمر تقليد تسمية المعبد باسم الجبل بعد دخول الزن إلى اليابان، سواء أكان ثمة جبل أسفله أم لا. ولذا فإن المعابد التي بنيت على السهول الساحلية لطوكيو الحضرية تحمل أسماء جبال، ولا يشغل الأمر بال أحد.

لاسم المعبد جفنجي احتمالات عديدة من الكانجي، لكن أرجحها هو التركيب 慈眼時 المؤلف من رموز تعني رحيم ومقلة ومعبد. والرمز غن أو مقلة هو الرمز نفسه في شوبوغنزو: أي خزانة عين الدارما.

والكانجي الأرجح لهيوزان هو 秘湯 (جبل الينبوع الساخن الخفي)، غير أنني لدى قراءتي الاسم أول مرة برزت في ذهني الرموز 山比喩 التي تترجم إلى مجاز الجبل. فخطرت لي رواية رينيه دومال البديعة شبيه الجبل: رواية عن مغامرات أصيلة

لا إقليدية رمزية في تسلق الجبال. والجبل في طرح دوماال فريد وجبل حقيقي جغرافيًا، يصعب الوصول إلى قمته لكن سفحه سهل الوصول إليه. يكتب «الباب إلى اللامرئي يجب أن يكون مرئيًا». ويعثر على حجر الپيرادام في شبيه الجبل، وهو شيء بلوري عجيب مجهول لا يراه إلا من يبحث عنه.

ربما كان هذا استطرادًا وخروجًا عن الموضوع، ولكن لما بدا معبد جيکو وهميًا، مدّني شبيه الجبل بإحساس هائل من الأمل.

تسير التجربة على النحو الآتي:

يوضع قط في صندوق فولاذي مغلق، ومعه في الصندوق أداة وحشية: قارورة زجاجية لحمض الهيدروسيانك، ومطرقة صغيرة مصوبة نحو القارورة، وزناد إما سيتسبب في تحريك المطرقة أو لا. وما يضبط تحركها هو سلوك بت صغير من المادة المشعة النشطة التي يضبطها عداد غيغر. وإذا ما تحللت الذرات في المادة المشعة خلال ساعة، مثلاً، سيرصدها عداد غيغر ويدفع المطرقة لتحطيم القارورة، مطلقاً الأسيد فيموت القط. غير أن ثمة احتمالاً مماثلاً بالألا تتحلل أي ذرة خلال تلك الساعة، وهذا يعني أن الزناد لن يتحرك ولن يموت القط.

يبدو الأمر شديد البساطة، غير أن المفزى من هذه التجربة الذهنية ليس تعذيب القط. المفزى ليس قتله ولا إحياءه، أو حساب احتمالات استسلامه لأي المصيرين. بل المفزى توضيح المفارقة المحيرة لما يدعى مسألة القياس في ميكانيكا الكم، ماذا يحدث للجزيئات المتشابكة في نظام كمومي عند مراقبتها وقياسها.

يمثل القط والذرة جزيئين متشابكين⁽¹⁾، ونعني بالتشابك أنهما يتقاسمان بعض السمات أو السلوكيات، وهذا يعني أن مصيرهما في الصندوق: ذرة متحللة = قط ميت، وذرة غير متحللة =

(1) أطلق إرفن شرودنغر مصطلح التشابك أثناء ابتكاره تجربته الذهنية. ووصف أينشتاين التشابك لاحقاً «بالعمل المخيف عن بعد». (الكاتبة)

قط حي. يتصرف الاثنان بصفتيها واحداً، يكون القط/ الذرة المتشابكان سوياً في صندوقهما جزءاً من نظام كمومي يقيسه مراقب، وهو أنت مثلاً.

احفظ هذه الفكرة لحظة، فإن أردنا الماضي قدماً، علينا أن نفهم الظاهرتين الكموميتين الأساسيتين الآخرين: التراكب ومسألة القياس.

تخيل أنك تقيس إلكترونًا واحدًا، بدلاً من الذرة/ القط المتشابكين في الصندوق. قبل أن تفتح الصندوق للمراقبة، سيوجد هذا الإلكترون في هيئة دالة موجية، وهي صف في ذاتها في كل الأماكن التي قد تكون فيها في الصندوق. تدعى هذه الظاهرة الكمومية بالتراكب، أي أن الجزيئات توجد في كل حالاتها الممكنة في الوقت نفسه. (تخيل الصورة المتراكبة لنمر يمشي في قفص أخذت بالتقاط يكشف الفيلم مرة كل بضعة ثوانٍ. يظهر النمر في الصورة المتراكبة مغبشاً أو مبقعاً. في كون كمومي متاهي الصفر، تحكمه مبادئ التراكب، سيكون النمر هو البقعة). تبدأ مسألة القياس لحظة فتحك الصندوق لتراقب الجزيء. وعندما تفعل تنهار الدالة الموجية إلى حالة وحيدة ثابتة في الزمان والمكان. (وإن أردنا استخدام تشبيه النمر، فسيكون النمر المبقع بهيمة واضحة من جديد).

حسنًا، لنعد الآن إلى القط والذرة المشعة المتشابكين. والحالة التي نقيسها هنا ليست موقع النمر، بل تشابك القط/ الذرة. وبدلاً من الوضعيات المختلفة للنمر في قفصه، سنقيس درجة حياة القط، وحالته الوجودية كما هو.

واستنادًا إلى مسألة القياس نعرف أنك لحظة تفتح الصندوق لقياس حالة القط، ستجد القط إما حيًا وإما ميتًا. سيكون القط حيًا خمسين بالمئة من الوقت، وسيكون القط ميتًا في الخمسين بالمئة الأخرى من الوقت. وأيًا كان الأمر، فإن حال القط واحدة ثابتة في الزمان والمكان.

وقبل أن تفتح الصندوق للقياس، يجب أن تكون حال القط مبقعة ومتعددة، كالنمر المغبش. ويمكن للقط، وفقًا لمبدأي التراكب والتشابك الكموميين، أن يكون ميتًا وحيًا في الوقت نفسه، حتى تراقبه.

هذه النتيجة غريبة طبعًا، وهذا هو مقصد شرودنغر تمامًا. لكن الأسئلة التي تطرحها تجربته الذهنية مثيرة: في أي مرحلة من الزمن يتوقف النظام الكمومي عن كونه تراكبًا لكل الحالات الممكنة ويصبح واحدًا، وحالة من أحد أمرين؟

ثم هل وجود قط واحد، إما ميت أو حي، يستلزم مراقبًا خارجيًا أي أنت مثلًا؟ وإن لا، فمن إذن؟ هل يمكن أن يكون القط مراقبًا لنفسه؟ ومن غير المراقب الخارجي، هل توجد في صف من كل الحالات الممكنة في وقت واحد؟

حاول كثيرون تفسير هذه المفارقة. أيد تفسير كوبنهاغن الذي صاغه نيلز بور وفرنر هايزنبرغ عام 1927، نظرية انهيار الدالة الموجية، مفترضًا أنه لدى حدوث المراقبة في مرحلة ما، يمر النظام الكمومي المتراكب بانحيار من الحالات المتعددة إلى الحالة الوحيدة، ويجب حدوث هذا الانحيار لأن واقع العالم

المتناهي في الصغر يفرضه⁽¹⁾. المشكلة أن أحداً لم يتمكن من دعم هذا بالرياضيات.

في كل مرحلة -في كل لحظة زن تظهر فيها الاحتمالات- يحدث الانشطار، وتتشعب العوالم، وتتشأ التعددية.

كل مثال من إما/ أو يحل محله حرف العطف و، وآخر وآخر وآخر وآخر... يتضاعف بلا نهاية إلى شبكة تكاملية لعوالم عديدة تجهل بعضها بعضاً.

أخبرني عالم الفيزياء والفضاء آدم فرانك أن ما علينا تذكره في ميكانيكا الكم أنه بوجود تفسيرات عديدة ومنها تفسير كوينهاغن وفرضية العوالم المتعددة، فإن ميكانيكا الكم في ذاتها تفاضلية. إنها آلة للتنبؤ بنتائج التجارب. إنها إصبع يشير إلى القمر.

كان الأستاذ فرانك يشير إلى كوان زن قديم عن الأب السادس للزن، وقد كان أمياً. فقد سئل عن تمكنه من فهم حقيقة النصوص البوذية وهو لا يحسن قراءة كلماتها، فرفع الأب السادس ذراعه وأشار إلى القمر. الحقيقة كالقمر في السماء، والكلمات كالإصبع. تشير الإصبع إلى موقع القمر، لكنها ليست القمر. إن أردت رؤية القمر، عليك النظر إلى ما وراء الإصبع. كان الأب السادس يقول إن البحث عن الحقيقة في الكتب يشبه الظن خطأ بأن الإصبع هي القمر. القمر والإصبع ليسا سيان.

قالت جيكو العجوز «ليسا سيان. ليسا مختلفين أيضاً».

(1) طرح شرودنغر قطه المحير اعتراضاً على هذا الانهيار المدفوع بالمراقبة. وأصر على أن الفيزياء معلقة بفكرة الانهيار، فمن غيرها ستبدأ الاحتمالات الفيزيائية وغيرها بالانتشار، وسرعان ما «نجد محيطنا يتحول سريعاً إلى مستتق، أو ضرب من الهلام أو البلازما عديم الملامح، فتطمس كل الخطوط، ونتحول نحن أنفسنا إلى قناديل بحر». (الكاتبة)

الملحق و: هيو إفرت

نشر هيو إفرت ما بات يدعى تفسير «العوالم المتعددة» في ميكانيكا الكم عام 1957، في كتاب آراء في الفيزياء الحديثة، وهو في السابعة والعشرين من عمره. كانت أطروحته لدرجة الدكتوراه في برنستن. لم تلق قبولاً حسناً، ووصفه رواد الفيزياء في عصره بالمجنون، والفبي. تخلى إفرت، بعد خيبة أمله، عن الفيزياء الكمية واتجه إلى تطوير الأسلحة، وعمل في جماعة تقييم نظام الأسلحة في البنتاغون. وكتب دراسة عن نظرية الألعاب العسكرية عنوانها «ألعاب مرتدة»، وكانت دراسة رائدة في مجالها. وصمم برامج ألعاب حربية تحاكي الحرب النووية، وتورط في أزمة صواريخ كوبا. وكان مستشار البيت الأبيض في تطوير الصراع النووي واستراتيجيته أثناء الحرب الباردة، وكتب البرنامج الأصلي لاستهداف المدن والمراكز السكنية المدنية بالأسلحة الذرية، إذا ما تحولت الحرب النووية الباردة إلى حرب ساخنة. وقد كتب سلفاً البرهان الرياضي على تفسيره للعوالم المتعددة، وآمن أن كل ما يتخيله يحدث، أو حدث سلفاً. ولا عجب أنه أفرط في شرب المسكرات.

كانت حياته الأسرية تعسة، وعلاقاته بأبنائه تتسم بالاضطراب والبرود. حاولت ابنته ليز، التي عانت من اكتئاب الهوسي وإدمانه، أن تتحرر بتناول الحبوب المنومة. وجدها أخوها مارك على أرض الحمام وهرع بها إلى المستشفى، إذ أنعش الأطباء قلبها. عاد مارك من المستشفى، فرفع إفرت نظره عن صحيفة نيوزويك وقال «لم أعلم أنها تشعر بحزن شديد».

مات إفرت بعدها بشهرين جراء نوبة قلبية عن عمر ناهز
الواحدة والخمسين. كان ميتاً في عالمه، لكنه آمن أنه خالد في
عوالم عديدة. احتفظت زوجته برفاته المرمد في خزانة ملفات
في غرفة الطعام قبل أن تدعن أخيراً إلى أمنيته وترمي به في
القمامة. نجح مارك في حياته وأصبح عازف روك، لكن حياة ليز
كانت في الحضيض. ونجحت أخيراً في قتل نفسها بجرعة زائدة
من الحبوب المنومة عام 1996، وكتبت قبلها رسالة انتحار تقول
فيها:

احرقوني رجاء ولا تحفظوني في خزانة الملفات (٤٦). انثروني
من فضلكم في مسطح مائي جميل... أو إلى القمامة، ولعلي بهذا
أنتهي إلى الكون الموازي الصحيح لألتقي بأبي.

- Arai, Paula Kane Robinson. *Women Living Zen: Japanese Soto Buddhist Nuns*. Oxford: Oxford University Press, 1999.

- Bardsley, Jan. *The Bluestockings of Japan: New Woman Essays and Fiction from Seitō, 1911–16*. Ann Arbor: Michigan Monograph Series in Japanese Studies, Number 60. Center for Japanese Studies, University of Michigan, 2007.

- Byrne, Peter. *The Many Worlds of Hugh Everett III: Multiple Universes, Mutual Assured Destruction, and the Meltdown of a Nuclear Family*. Oxford: Oxford University Press, 2010.

- Daumal, René. *Mount Analogue: A Novel of Symbolically Authentic Non-Euclidean Adventures in Mountain Climbing*. Boston: Shambhala Publications, 1992.

- Dōgen, Eihei. *Shōbōgenzō*. Translated by Gudo Wafu Nishijima and Chodo Cross. Berkeley: Numata Center for Buddhist Translation and Research, dBET PDF Version, 2008.

- *Treasury of the True Dharma Eye: Zen Master Dogen's Shobo Genzo*. Edited by Kazuaki Tanahashi. Translated by Kazuaki Tanahashi, Peter Levett, and others. Boston: Shambhala Publications, 2011.

- Ebbesmeyer, Curtis, and Eric Scigliano. *Flotsametrics and the Floating Word: How One Man's Obsession with Runaway Sneakers and Rubber Ducks Revolutionized Ocean Science*. New York: Smithsonian Books/HarperCollins, 2009.

- Fowler, Edward. *The Rhetoric of Confession: Shishōsetsu in Early Twentieth-Century Japanese Fiction*. Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1988. Galchen, Rivka. "Dream Machine: The mind-expanding world of quantum computing." *The New Yorker* May 2, 2011: 34–43.

- Hane, Mikiso, ed. *Reflections on the Way to the Gallows*. Translated by Mikiso Hane. Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1988.

- Hirastuka Raichō. *In the Beginning, Woman Was the Sun*. Translated by Teruko Craig. New York: Columbia University Press, 2006.

- Hohn, Donovan. *Moby-Duck: The True Story of 28,800 Bath Toys Lost at Sea and of the Beachcombers, Oceanographers, Environmentalists, and Fools, Including the Author, Who Went in Search of Them*. New York: Viking, 2011.

- Kundera, Milan. *The Book of Laughter and Forgetting*. Translated by Michael Henry Heim. New York: Alfred A. Knopf, 1980.

- Leighton, Dan. *Visions of Awakening Time and Space: Dōgen and the Lotus Sutra*. Oxford: Oxford University Press, 2007.

- Levy, David M. *Scrolling Forward: Making Sense of Documents in the Digital Age*. New York: Arcade Publishing, 2001.

- Noma, Hiroshi. *Zone of Emptiness*. Cleveland and New York: World Publishing Company, 1956.

- Ohnuki-Tierney, Emiko. *Kamikaze Diaries: Reflections of Japanese Student Soldiers*. Chicago: University of Chicago Press, 2006.

- Kamikaze, Cherry Blossoms, and Nationalisms: The Militarization of Aesthetics in Japanese History. Chicago: University of Chicago Press, 2002.

- Proust, Marcel. *In Search of Lost Time*. Translated by C. K. Scott-Moncrieff, Terence Kilmartin, and Andreas Mayor. London and New York: Penguin Books, 1989. Copyright: Editions Gallimard, 1954. Translation copyright: Chatto & Windus and Random House, 1981. Based on the French "La Pléiade" text.(1954)

- *Swann's Way*. Translated by Lydia Davis. New York: Viking, 2003.

- Suzuki, Tomi. *Narrating the Self: Fictions of Japanese Modernity*. Stanford: Stanford University Press, 1996.

- Yamanouchi, Midori, and Joseph L. Quinn, trans. *Listen to the Voices from the Sea: Writings of the Fallen Japanese Soldiers*. Compiled by the Japan Memorial Society for the Students Killed in the War-Wadatsumi Society. Scranton: University of Scranton Press, 2000. Originally published as *Shinpan Kike Wadatsumi no Koe* (Tokyo: Iwanami Shoten, 1995).

شكروعرفان

أود بداية أن أتقدم بشكري إلى معلمي: معلم الزن نورمن فشر الذي تغفلت كلماته الحكيمة في أذني وأيقظت ذهني وتناثرت على هذه الصفحات تلقائياً، وإلى تيا ستروزز ويولا أراي اللتين أرشدتاني إلى أمور متعلقة بممارسة الزن وعاداته، وإلى العلماء الكرام آدم فرنك وبل مونتفر وتوم وايت، الذين تفضلوا بالإجابة عن أسئلتي حول الفيزياء الكمية ولم يسخروا منها، وإلى تم كنغ لترجماته الفرنسية البديعة، وتاكو نيشيما على يابانيته الدقيقة، وإلى كارن جوي فاوئر التي ألهمتي الشجاعة في لحظة حاسمة، وإلى جون دور الذي شجعني قبل سنوات على الكتابة عن مذكرات الكاميكازي، وإلى ميسي كمنغز على مشاطرتي آراءها حول صنع المصدات الأخلاقية في تصميم تفاعل بين البشر والكمبيوتر ونحن نشرب الشاي في فندق إمپرس... أشكركم جميعاً على كرمكم وخبرتكم ونصائحكم، وأبادر بالقول إن أي خطأ أو إغفال في هذا الكتاب هو من صنع يدي.

أود تالياً أن أشكر جماعتي (السانغا) من القراء والأصدقاء: إلى تم بورنيت وپول سيرون وهاري هانتل وشانون جوناسن وكيت مكاندلز وأولون مورنسكي ومونكا ناوروكي ومايكل نيوتاون ورانا ريكو ريزوتو وغرغ سنايدر ولندا سولومن وسوزان سكوایر ومارينا زوركو، على اقتطاعهم وقتاً ثميناً من حياتهم المزدحمة وقراءة المسودات الأولى وإسعافي بآرائهم التي لا تقدر بثمن، وإلى ديفد بالموبو ليو وجون ستوبر ولورا بيرجر وإلى أصدقاء الپلیسوسستين

الذين أكرموني بموافقتهم على إدخالهم في هذا العالم الخيالي، وإلى كوي داوني التي قالت مرة إنها تود قراءة رواية تتحدث عن الزن، واقتрحت علي كتابتها.

كما أود من ثم التقدم بشكري إلى المؤسسات والمعابد التعليمية التي قدمت لي المساعدة: إلى المجلس الكندي للفنون، على منحة الكتاب المحترفين في عامي 2009 و2011، التي مكنتني من العيش والكتابة، وإلى معهد ماساشوستس للتقنية وجامعة ستانفورد على الزمالة التي مولت الأبحاث والمحادثات التي ألهمتي العناصر الرئيسة لهذه القصة، وإلى الأحبة هجبروك على الهدية الغالية من العزلة والأخوة والوقت.

وأود رابعاً أن أعبر عن عظيم شكري إلى جماعة النشر الأعزاء: إلى مولي فريدريش ولوسي كارسن ومولي شولمان اللاتي يمثلنني بذكاء ولباقة وحماس، وإلى المعطائين الرائعين الأذكياء في هايكينغ بنفون وسوزان پيترسن كندي وكليفر فيرارو وبول سلوفاك على نصائحهم ومساندتهم التي لا تكل على مر السنوات، وأيضاً إلى بينا كالماني وبول بكلي وفرانشيسكا بيلانغر وإلى غيرهم من المخلصين الذين عملوا بجد من أجل جمال هذا الكتاب، إلى جيمي بينغ وإيلا أحمد وكل أصدقائي الجدد في كانونغيت، المملكة المتحدة وحول العالم، وقبل هؤلاء أتقدم بعظيم امتناني إلى كارول ديسانتي، صديقتي العزيزة ومحررتي وزميلتي وزميلة الدراسة والقارئة التي تستحضر وجودي على الصفحات.

خامساً أتقدم بشكري إلى الجزيرة وأهل الجزيرة، على صبغ الجزيرة الخيالية الوهمية بجمالكم الحقيقي وتماسكم والظرافة والخبرة والاستعداد لتقديم يد العون.

وأخيراً أتقدم بشكر لا يحد إلى أولفّر على حبه وصحبته، شكراً
لك على إسهاماتك الكريمة في هذا الكتاب وعلى أنك شريكي
وملهمي فيه وفي عوالمنا الكثيرة الأخرى.
أنحني احتراماً لكم جميعاً.

مكتبة سُرمَن قِراء

telegram @soramnqraa

RUTH OZEKI

بعد كارثة تسونامي عام 2011، عثرت روث على حقيبة طعام مزينة برسوم هلو كتي جرفها البحر أمام بيتها في كولومبيا البريطانية. تضم الحقيبة دفتر مذكرات يزخر بالآمال والأحزان والأحلام لفتاة يافعة تتوق إلى أن يفهمها أحد. وكلما قلبت روث صفحة توغلت أكثر في لغز حياة آنزو، التي تغيرها إلى الأبد بطريقة لم تدركها أي منهما.

حكاية للكائن الزمني رواية باهرة عن إنسانيتنا المشتركة والبحث عن ملاذ، مختربة القارات وعقود الزمن.

«رواية يتمازج فيها السحر والفقد والخيوط المبهمة التي تربط حياتنا تمازجًا متقنًا».

إليزابيث غلبرت

القائمة القصيرة لجائزة المان بوكر عام 2013